

دولة ليبيا
٢٠١٣

وزارة الثقافة والاعمال والاعمال
٢٠١٣

جامعة المرقب
٢٠١٣

مجلة العلوم الإنسانية

مجلة علمية ثقافية محكمة - نصف سنوية

تصدر عن جامعة المرقب / كلية الآداب / الخمس

العدد الحادي عشر

سبتمبر 2015م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا نَبَأٌ لِلنَّاسِ وَالنَّبِيَّاتِ وَالنَّبِيَّاتِ وَالنَّبِيَّاتِ وَالنَّبِيَّاتِ
أَنْبِيَاءُ هُوَ اللَّهُ وَجَدَّ وَأَجْدَدُ وَالنَّبِيَّاتِ وَالنَّبِيَّاتِ وَالنَّبِيَّاتِ
وَالنَّبِيَّاتِ وَالنَّبِيَّاتِ وَالنَّبِيَّاتِ وَالنَّبِيَّاتِ وَالنَّبِيَّاتِ

مَنْزُومٌ (الْعِظَامُ)

سورة إبراهيم الآية {52}

هيئة التحرير

رئيس التحرير

د. على سالم جمعة شخطور

الأعضاء

د. أنور عمر أبوشينة د. أحمد مريحيل حريش

المجلة علمية ثقافية محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة المرقب /كلية الآداب الخمس،
وتنشر بها البحوث والدراسات الأكاديمية المعنية بالمشكلات والقضايا المجتمعية المعاصرة
في مختلف تخصصات العلوم الانسانية.

- كافة الآراء والأفكار والكتابات التي وردت في هذا العدد تعبر عن آراء أصحابها فقط، ولا تعكس
بالضرورة رأي هيئة تحرير المجلة ولا تتحمل المجلة أية مسؤولية.

تُوجّه جميع المراسلات إلى العنوان الآتي:

هيئة تحرير مجلة العلوم الانسانية

مكتب المجلة بكلية الآداب الخمس جامعة المرقب

الخمس /ليبيا

ص.ب (40770)

هاتف (00218924120663 د.على)

(00218926724967 د .احمد)- او (00218926308360 د. انور)

البريد الالكتروني: journal.alkhomes@gmail.com

صفحة المجلة على الفيس بوك: journal.alkhomes@gmail.com

قواعد ومعايير النشر

- تهتم المجلة بنشر الدراسات والبحوث الأصيلة التي تتسم بوضوح المنهجية ودقة التوثيق
في حقول الدراسات المتخصصة في اللغة العربية والإنجليزية والدراسات الإسلامية والشعر

والأدب والتاريخ والجغرافيا والفلسفة وعلم الاجتماع والتربية وعلم النفس وما يتصل بها من حقول المعرفة.

- ترحب المجلة بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات العلمية المقامة داخل الجامعة على أن لا يزيد عدد الصفحات عن خمس صفحات مطبوعة.

- نشر البحوث والنصوص المحققة والمترجمة ومراجعات الكتب المتعلقة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية ونشر البحوث والدراسات العلمية النقدية الهادفة إلى تقدم المعرفة العلمية والإنسانية.

- ترحب المجلة بعروض الكتب على ألا يتجاوز تاريخ إصدارها ثلاثة أعوام ولا يزيد حجم العرض عن صفحتين مطبوعتين وأن يذكر الباحث في عرضه المعلومات التالية (اسم المؤلف كاملاً- عنوان الكتاب- مكان وتاريخ النشر- عدد صفحات الكتاب- اسم الناشر- نبذة مختصرة عن مضمونه- تكتب البيانات السالفة الذكر بلغة الكتاب).

ضوابط عامة للمجلة

- يجب أن يتسم البحث بالأسلوب العلمي النزيه الهادف ويحتوى على مقومات ومعايير المنهجية العلمية في اعداد البحوث.

- يُشترط في البحوث المقدمة للمجلة أن تكون أصيلة ولم يسبق أن نشرت أو قدمت للنشر في مجلة أخرى أو أية جهة ناشرة اخرة. وأن يتعهد الباحث بذلك خطياً عند تقديم البحث، وتقديم إقراراً بأنه سيلتزم بكافة الشروط والضوابط المقررة في المجلة، كما أنه لا يجوز يكون البحث فصلاً أو جزءاً من رسالة (ماجستير - دكتوراه) منشورة، أو كتاب منشور.

- لغة المجلة هي العربية ويمكن أن تقبل بحوثاً بالإنجليزية أو بأية لغة أخرى، بعد موافقة هيئة التحرير.

- تحتفظ هيئة التحرير بحقها في عدم نشر أي بحث وتُعدُّ قراراتها نهائية، وتبلغ الباحث باعتذارها فقط إذا لم يتقرر نشر البحث، ويصبح البحث بعد قبوله حقا محفوظا للمجلة ولا يجوز النقل منه إلا بإشارة إلى المجلة.

- لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه في أية مجلة علمية أخرى بعد نشره في مجلة الكلية، كما لا يحق له طلب استرجاعه سواء قُبِلَ للنشر أم لم يقبل.

- تخضع جميع الدراسات والبحوث والمقالات الواردة إلى المجلة للفحص العلمي، بعرضها على مُحَكِّمين مختصين (محكم واحد لكل بحث) تختارهم هيئة التحرير على نحو سري لتقدير مدى صلاحية البحث للنشر، ويمكن أن يرسل إلى محكم آخر وذلك حسب تقدير هيئة التحرير.

- يبدي المقيم رأيه في مدى صلاحية البحث للنشر في تقرير مستقل مدعماً بالمبررات على أن لا تتأخر نتائج التقييم عن شهر من تاريخ إرسال البحث إليه، ويرسل قرار المحكمين النهائي للباحث ويكون القرار إما:

* قبول البحث دون تعديلات.

* قبول البحث بعد تعديلات وإعادة عرضه على المحكم.

* رفض البحث.

-تقوم هيئة تحرير المجلة بإخطار الباحثين بأراء المحكمين ومقترحاتهم إذ كان المقال أو البحث في حال يسمح بالتعديل والتصحيح، وفي حالة وجود تعديلات طلبها المقيم وبعد موافقة الهيئة على قبول البحث للنشر قبولاً مشروطاً بإجراء التعديلات يطلب من الباحث الأخذ بالتعديلات في فترة لا تتجاوز أسبوعين من تاريخ استلامه للبحث، ويقدم تقريراً يبين فيه رده على المحكم، وكيفية الأخذ بالملاحظات والتعديلات المطلوبة.

- ترسل البحوث المقبولة للنشر إلى المدقق اللغوي ومن حق المدقق اللغوي أن يرفض البحث الذي تتجاوز أخطاؤه اللغوية الحد المقبول.

- تنشر البحوث وفق أسبقية وصولها إلى المجلة من المحكم، على أن تكون مستوفية الشروط السالفة الذكر.

- الباحث مسئول بالكامل عن صحة النقل من المراجع المستخدمة كما أن هيئة تحرير المجلة غير مسئولة عن أية سرقة علمية تتم في هذه البحوث.

- ترفق مع البحث السيرة العلمية (CV) مختصرة قدر الإمكان تتضمن الاسم الثلاثي للباحث ودرجته العلمية وتخصصه الدقيق، وجامعته وكليته وقسمه، وأهم مؤلفاته، والبريد الإلكتروني والهاتف ليسهل الاتصال به.

- يخضع ترتيب البحوث في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.

-تقدم البحوث إلى مكتب المجلة الكائن بمقر الكلية، او ترسل إلى بريد المجلة الإلكتروني.

- إذا تم إرسال البحث عن طريق البريد الإلكتروني أو صندوق البريد يتم إبلاغ الباحث بوصول بحثه واستلامه.

- يترتب على الباحث، في حالة سحبه لبحثه أو إبداء رغبته في عدم متابعة إجراءات التحكيم والنشر، دفع الرسوم التي خصصت للمقيمين.

شروط تفصيلية للنشر في المجلة

- عنوان البحث: يكتب العنوان باللغتين العربية والإنجليزية. ويجب أن يكون العنوان مختصراً قدر الإمكان ويعبر عن هدف البحث بوضوح ويتبع المنهجية العلمية من حيث الإحاطة والاستقصاء وأسلوب البحث العلمي.

- يذكر الباحث على الصفحة الأولى من البحث اسمه ودرجته العلمية والجامعة أو المؤسسة الأكاديمية التي يعمل بها.

-أن يكون البحث مصوغاً بإحدى الطريقتين الآتيتين: _

1: البحوث الميدانية: يورد الباحث مقدمة يبين فيها طبيعة البحث ومبرراته ومدى الحاجة إليه، ثم يحدد مشكلة البحث، ويجب أن يتضمن البحث الكلمات المفتاحية (مصطلحات البحث)، ثم يعرض طريقة البحث وأدواته، وكيفية تحليل بياناته، ثم يعرض نتائج البحث ومناقشتها والتوصيات المنبثقة عنها، وأخيراً قائمة المراجع.

2: البحوث النظرية التحليلية: يورد الباحث مقدمة يمهّد فيها لمشكلة البحث مبيّناً فيها أهميته وقيّمته في الإضافة إلى العلوم والمعارف وإغنائها بالجديد، ثم يقسم العرض بعد ذلك إلى أقسام على درجة من الاستقلال فيما بينها، بحيث يعرض في كل منها فكرة مستقلة ضمن إطار الموضوع الكلي ترتبط بما سبقها وتمهّد لما يليها، ثم يختم الموضوع بخلاصة شاملة له، وأخيراً يثبت قائمة المراجع.

- يقدم الباحث ثلاث نسخ ورقية من البحث، وعلى وجه واحد من الورقة (A4) واحدة منها يكتب عليها اسم الباحث ودرجته العلمية، والنسخ الأخرى تقدم ويكتب عليها عنوان البحث فقط، ونسخة الكترونية على (Cd) باستخدام البرنامج الحاسوبي (MS Word).

- يجب ألا تقل صفحات البحث عن 20 صفحة ولا تزيد عن 30 صفحة بما في ذلك صفحات الرسوم والأشكال والجداول وقائمة المراجع .
- يرفق مع البحث ملخصان (باللغة العربية والإنجليزية) في حدود (150) كلمة لكل منهما، وعلى ورقتين منفصلتين بحيث يكتب في أعلى الصفحة عنوان البحث ولا يتجاوز الصفحة الواحدة لكل ملخص.

- يُترك هامش مقداره 3 سم من جهة التجليد بينما تكون الهوامش الأخرى 2.5 سم، المسافة بين الأسطر مسافة ونصف، يكون نوع الخط المستخدم في المتن Times New Roman 12 للغة الانجليزية و مسافة و نصف بخط 14 Simplified Arabic للأبحاث باللغة العربية.

- في حالة وجود جداول وأشكال وصور في البحث يكتب رقم وعنوان الجدول أو الشكل والصورة في الأعلى بحيث يكون موجزاً للمحتوى وتكتب الحواشي في الأسفل بشكل مختصر

كما يشترط لتنظيم الجداول اتباع نظام الجداول المعترف به في جهاز الحاسوب ويكون الخط بحجم 12.

- يجب أن ترقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً بما في ذلك الجداول والأشكال والصور واللوحات وقائمة المراجع.

طريقة التوثيق:

- يُشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة توضع بين قوسين إلى الأعلى هكذا: (1)، (2)، (3)، ويكون ثبوتها في أسفل صفحات البحث، وتكون أرقام التوثيق متسلسلة موضوعة بين قوسين في أسفل كل صفحة، فإذا كانت أرقام التوثيق في الصفحة الأولى مثلاً قد انتهت عند الرقم (6) فإن الصفحة التالية ستبدأ بالرقم (1).

- ويكون توثيق المصادر والمراجع على النحو الآتي:

أولاً: الكتب المطبوعة: اسم المؤلف ثم لقبه، واسم الكتاب مكتوباً بالبنط الغامق، واسم المحقق أو المترجم، والطبعة، والناشر، ومكان النشر، وسنته، ورقم المجلد - إن تعددت المجلدات - والصفحة. مثال: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط2، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1965م، ج3، ص40. ويشار إلى المصدر عند وروده مرة ثانية على النحو الآتي: الجاحظ، الحيوان، ج، ص.

ثانياً: الكتب المخطوطة: اسم المؤلف ولقبه، واسم الكتاب مكتوباً بالبنط الغامق، واسم المخطوط مكتوباً بالبنط الغامق، ومكان المخطوط، ورقمه، ورقم اللوحة أو الصفحة. مثال: شافع بن علي الكناني، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور. مخطوط مكتبة البودليان باكسفورد، مجموعة مارش رقم (424)، ورقة 50.

ثالثاً: الدوريات: اسم كاتب المقالة، عنوان المقالة موضوعاً بين علامتي تنصيص " "، واسم الدورية مكتوباً بالبنط الغامق، رقم المجلد والعدد والسنة، ورقم الصفحة، مثال: جرار، صلاح: "عناية السيوطي بالتراث الأندلسي- مدخل"، مجلة جامعة القاهرة للبحوث والدراسات، المجلد العاشر، العدد الثاني، سنة 1415هـ/ 1995م، ص179.

رابعاً: الآيات القرآنية والاحاديث النبوية:- تكتب الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين بالخط العثماني ﴿ ﴾ مع الإشارة إلى السورة ورقم الآية. وتثبت الأحاديث النبوية بين قوسين مزدوجين « » بعد تخريجها من مظانها.

ملاحظة: لا توافق هيئة التحرير على تكرار الاسم نفسه (اسم الباحث) في عددين متتالين وذلك لفتح المجال أمام جميع أعضاء هيئة التدريس للنشر.

هيئة التحرير.

فهرس المحتويات

الصفحة	عنوان البحث
	1- دور أحمد الشريف السنوسي في حركة المقاومة الليبية ضد الإيطاليين خلال الفترة 1911.1918م.
01.....	أ. سعاد محمد عمر البكوش.....
	2- العلاقات الإنسانية وأهميتها الصحية والنفسية في المجتمع المدرسي.
34.....	د. ربيعة عمر الحضيري.....
	3- التنظير المقاصدي عند الطاهر ابن عاشور من خلال مقدماته العشر في تفسيره التحرير والتنوير
47.....	أ: خالد سعيد يوسف تفوشيت.....
	4- الخدمات التعليمية للتعليم الأساسي بمدينة الخمس.
68.....	د. بشير عمران أبوناجي.....
	5- الخليج العربي (دراسة في التنافس الإنجليزي والعثماني خلال التاريخ الحديث)
90.....	د. محمود العارف قشقش.....
	6- القلق العصابي (أسبابه وأعراضه وأساليب علاجه).
112.....	د: عبدالسلام عماره إسماعيل.....
	7- الموارد الاقتصادية ونشأة مدينة مسلاتة في العصرين الفينيقي والروماني.
124.....	أ / علي عبدالله علي الفتني.....
	8- توزيع السكان وكثافتهم في منطقة سوق الخميس.
162.....	د/ أنور عمر عبد السلام أبوشينة.....
	9- مظاهر السلوك العصابي لدى عينة من أبناء الأسر النازحة وعلاقته بإدراك الذات.
189.....	د. مفتاح محمد عبد الرحمن الشكري.....
	10- الإمكانيات البشرية للسياحة في إقليم طرابلس.
209.....	د. خالد سالم علي معوال.....
	11- لمحة جغرافية عن المياه المحسنة والصرف الصحي في قارة أفريقيا
239.....	د. شرف الدين أحمد سالم.....
	12- جماليات البناء الفني في قصص القرآن الكريم (قصة أصحاب الكهف أنموذجا)
264.....	أ.محمد حسن جحا.....

- 13- مدينة تاجوراء خصائص النشأة والنمو والبُعد الوظيفي الإقليمي.
 د. محمد أبوغرارة الرقيبي.....301
- 14- حدوث العالم المادي وعلاقته بالحركة الزمانية(دراسة تحليلية نقدية لفلسفة
 نصير الدين الطوسي).
 د. احمد مريحيل حريش.....338
- 15- مكانة الاسناد عند المحدثين.
 وفاء محمد الطيب.....359
- 16- البعد الفلسفي لمفهوم المجتمع المدني(هيجل أنموذجاً)
 د. فوزية محمد مراد.....388

18 -Detection of Land use/ Land cover Changes for Elmergeb
 Province-Libya using RS and GIS

D.Faraj Mohamed Melad.....416

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

نصيحة غالية

الأخلاق - أيها الإخوة الكرام - عنوان الشخص، ودليل فلاحه، وسبيل سعاده في دنياه وأخراه، فما استُجلبت الخيرات بمثله، وما استُدفعت الشرور بمثله، فالخلق والأدب أمر رفيع، ومقام عليّ يقود العبد إلى كل فضيلة ويسوقه إلى كل خير، وقد صح عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) مبيّناً صلوات الله وسلامه عليه مكانة الخلق ومنزلته العلية، وقوله في هذا الحديث (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) ليس المراد به التعامل الذي يكون بين العباد !! فهذا جانب من الخلق بمفهومه العام المعني بهذا الحديث، وهذا أمر لا بد أن يكون واضحاً جلياً لنا؛ فالخلق الذي يكون بين العباد بحسن التعامل، وطيب المعاشرة وبذل الندي، وكف الأذى، إلى غير ذلك بحسب ما يبسر الله تبارك وتعالى هذا جانب مما عناه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث العظيم. ولهذا قال غير واحدٍ من السلف منهم بعض الصحابة في قوله تعالى {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم:4]: (الخلق: الدين) أي على دينٍ عظيم ودينٍ كامل عقيدةً وعبادةً وأدباً. وقوله صلى الله عليه وسلم (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) أي: يتمم الأدب بجميع أبوابه.

وقفكم الله وسدد خطاكم

هياة التحرير

دور أحمد الشريف السنوسي في حركة المقاومة الليبية ضد الإيطاليين

خلال الفترة 1911/1918م

أ. سعاد محمد عمر البكوش

المقدمة :

لقد شهد منتصف القرن التاسع عشر تحديدا في عام 1843م ظهور الحركة السنوسية على مسرح الأحداث السياسية في ليبيا متخذة من برقة ملاذا لها، وبحكم المكانة الدينية والديوبية التي تمتعت بها بان جعلتها تستمر في حكم برقة فترة طويلة من الزمن، وأن تمتلك نفوذا واسعا في أغلب مناطق ليبيا، وكان لظهورها على مسرح الأحداث السياسية أثناء تولي الزعامة أحمد الشريف السنوسي الذي استطاع أن يقود حركة المقاومة المسلحة في المنطقة الشرقية سجالا من الزمن وتبرز شخصيته في اعتباره ممن فضل استمرار حركة المقاومة ضد الإيطاليين حتى النصر، وبما أن الدراسة تركز على التعريف بشخصية أحمد الشريف منذ نشأته حتى توليه للزعامة السنوسية في المنطقة الشرقية وخوضه لغمار الحرب المسلحة ضد الإيطاليين، فقد لاحظت أن الشريف كان يطمح إلى الزعامة في برقة وأن أحد أسباب الجهاد ضد الإيطاليين هو إبقاء الحكم للسنوسية فقط . وهذا ما عبرت عنه أفعاله والتي سنتناول الحديث عنها في متن البحث عن الصلاحيات التي أعطاهها السلطان محمد رشاد الخامس سلطان تركيا لأحمد الشريف في توليته نائبا عنه في حكم برقة أو في إفريقيا الشمالية حسب ما أورده بعض المصادر .

أهمية الموضوع تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية:

1. ما موقف أحمد الشريف من تقدم قوات الاحتلال الإيطالي لليبيا ؟
2. ما تأثير خروج الجنود والضباط العثمانيين من ليبيا على أحمد الشريف؟
3. ما الطرق والوسائل التي ضغطت بها الدولة العثمانية و حليفها ألمانيا على أحمد الشريف في جره لحرب الإنجليز في مصر؟ وما موقف أحمد الشريف من ذلك؟

4. ما أسباب هزيمة أحمد الشريف في حربه ضد الإنجليز؟ وما تأثير هذه الهزيمة على المجاهدين وعلى أحمد الشريف؟ وعلى الأوضاع عامة في البلاد؟

للإجابة عن هذه الأسئلة اتبعت الدراسة المنهج التاريخي السردى التحليلي، هذا المنهج الذي تحاول من خلاله الدراسة تحليل الأحداث التاريخية وفق جمع المادة العلمية.

الفروض التي قامت عليها الدراسة:

1. تفترض الدراسة أيضا قيام السنوسية بمساعدة المجاهدين عندما رأت أن العثمانيين قد استسلموا وسلموا البلاد للعدو فإنها خير فرصة لإثبات وجودها وتدعيم مركزها.

2. تفترض الدراسة أن لسياسة أحمد الشريف دورا في حصول السنوسية على نفوذ في أغلب أنحاء ليبيا حيث جمع بين السلطة الدينية والديوبية والعسكرية.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى معرفة الآثار السلبية التي أحدثتها خروج الدولة العثمانية من ليبيا ومدى تأثيرها على حركة الجهاد. وكذلك معرفة الوسائل التي لجأت إليها إيطاليا لإنهاء المقاومة ضدها من جانب المجاهدين بقيادة أحمد الشريف السنوسي والتحقق من الآثار السلبية التي أحدثتها دخول أحمد الشريف الحرب ضد الإنجليز في الحدود الغربية المصرية. أما فيما يخص مصادر الدراسة فإن الباحث على الرغم من اختياره لموضوع ربما أثير سابقا إلا أنه وجد أن يبحث في شخص أحمد الشريف ومحاولة دراسة هذه الشخصية خصوصا أن هناك عدة حقائق ربما كنا غير مطلعين عليها فيما يتعلق بهذه الشخصية، أو تغاضى بعض الباحثين عن إخراجها للوجود. كما اعتمد الباحث على مجموعة من الوثائق الأجنبية المترجمة التي لها علاقة بموضوع الدراسة فضلا عن الوثائق العربية والتي أمكن الحصول عليها من المركز الوطني للمحفوظات طرابلس (مركز جهاد الليبيين سابقا) وهي مصادر أولية أفادت الدراسة خصوصا فيما يتعلق بالمراسلات التي تمت بين أحمد الشريف وزعماء المقاومة في ليبيا للتحريض على الجهاد وغيرها فضلا عن مجموعة من الكتب كمصادر أولية، ككتاب برقة العربية أمس واليوم للمؤلف محمد الطيب الأشهب الذي يتناول في منتهى معلومات قيمة حول الدراسة المعنونة ضد الإيطاليين، كذلك كتاب جهاد الأبطال في طرابلس الغرب للمؤلف الطاهر أحمد الزاوي حيث يعطي الكتاب كما هائلا من

المعلومات عن تاريخ طرابلس نهاية الحكم العثماني الثاني حتى فترة الاستعمار الإيطالي وعن المعارك الدائرة آنذاك والتعريف بالشخصيات الجهادية ومراحل جهادها مع السنوسي أحمد الشريف كذلك ما يخص فترة زعامة السنوسية في ليبيا وعن سياستها المتبعة آنذاك. ومن المراجع الثانوية كتاب السنوسية دين ودولة للمؤلف محمد فؤاد شكري، نظرا لما يشكله الكتاب من أهمية في دراسة تاريخ السنوسية في ليبيا منذ نشأتها كزوايا دينية حتى توليها للمكانة السياسية وخوضها لمعارك الجهاد ضد الإيطاليين رغم انحياز المؤلف لهم إلا أنه يعتبر مصدر هام ورئيس في الدراسة، كذلك كتاب للمؤلف نيكولاي بروشين. تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969م هذا الكتاب لا يقل أهمية من غيره في دراسة تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر في إمامه لأوضاع ليبيا فترة ما قبل الاستعمار الإيطالي حتى طرده في 1969 وقد تناول هذا الكتاب السنوسية من أوسع أبوابه. كذلك كتاب للمؤلف مفتاح بالعيد اغويطة النشاط الإيطالي في مصر اتجاه استعمار ليبيا 1943/1882م حيث استفادت منه الدراسة فيما يخص علاقة أحمد الشريف بالإيطاليين لما يحويه من معلومات قيمة خاصة بهذا الشق من الدراسة وغيرها من المصادر والمراجع التي كانت خير عون لها، ووفقا للمادة العلمية التي جمعت من المصادر والمراجع المختلفة ثم تقسيم الدراسة إلى فصلين بالإضافة إلى المقدمة، والخاتمة، وقائمة الملاحق وإن كانت المقدمة قد اشتملت على الخطوط التي سارت عليها الدراسة فإن الخاتمة كانت عرضا للنتائج التي خرجت بها الدراسة، فالفصل الأول خصص بالتعريف عن نشأة أحمد الشريف وعن توليه للزعامة السنوسية وموقفه من الوجود الإيطالي. أما الفصل الثاني فقد خصص بالدراسة عن أحداث ليبيا في الحرب العالمية الأولى وعن انسياق أحمد الشريف للحرب ضد الإنجليز في مصر وما سببته هذه الحرب من آثار سلبية على الأوضاع في البلاد وأخيرا الخاتمة.

المبحث الأول

أحمد الشريف السنوسي وموقفه من الوجود الإيطالي بلبيبا .

أولاً :- **النشأة والمولد:** هو أحمد بن محمد الشريف بن محمد بن علي السنوسي ولد بواحة الجغبوب في السابع والعشرين من شوال الموافق 1290هـ-1873⁽¹⁾.

شب أحمد الشريف في بيئة تعليمية حيث تعلم كافة العلوم الدينية من حفظ للقرآن الكريم واللغة العربية كما أنه تعلم أصول الطريقة السنوسية باحتكاكه بجده الفقيه عمران بن بركة الفيتوري⁽²⁾ فيما عاش حياته مرتحلاً مع عمه المهدي إلى منطقة السودان بغية نشر تعاليم الدين الإسلامي هناك وقد كانت له مؤلفات عدة؛ كونه كان يدون كل أخبار رحلاته إلى تلك الأمصار في مؤلفات وأبرزها كتابه الذي يحمل عنوان (السراج الوهاج في رحلة السيد المهدي من الجغبوب إلى التاج)⁽³⁾. من الواضح أن أحمد الشريف كان كثير التعلق بعمه المهدي فهو لا يفارقه في أسفاره ولا في حروبه التي خاضها ضد الفرنسيين لاسيما في السودان وتشاد⁽⁴⁾ هذا لما تمتع به أحمد الشريف من صفات أخلاقية أهلته لأن ينزل عند عمه تلك المنزلة المبنية على الثقة، واعتبره عمه المهدي يده اليسرى التي يستند عليها في أسفاره وحروبه في أفريقيا.

مبايعة أحمد الشريف زعيماً للسنوسية

كانت شخصية أحمد الشريف محط احترام عند عمه محمد المهدي نظراً لأخلاقه وإمامه بمختلف العلوم الدينية والفقهية ، وما اكتسبه من خبرات في معارك القتال أثناء أسفاره مع عمه إلى أفريقيا إذ هيأته تلك القدرات لأن يحظى بثقة عمه في مواصلة مسيرة النضال ضد الفرنسيين فحينما شعر عمه المهدي السنوسي بدنو أجله أعطى قيادة السنوسية لأحمد الشريف؛ وذلك لما التمس فيه تلك الصفات القيادية التي أهلته لأن يتولى ذلك المنصب⁽⁵⁾. تسلم أحمد الزعامة في يوم 19 يونيو

¹. علي محمد الصلابي: تاريخ الحركة السنوسية في ليبيا، دار المعرفة للنشر والتوزيع، القاهرة 2012، ط1، ص198.

². أحمد الشريف السنوسي 1873 بغية المساعد في أحكام المجاهد، مجلة البحوث التاريخية، ع2، 2012، ص21.

³. محمد الطيب الأشهب: برقة العربية أمس واليوم، القاهرة، مطبعة الهوا ري، 1947، ص253.

⁴. الصلابي، المرجع السابق، ص198 - 199.

⁵. المرجع نفسه ، ص149.

1902م، ويذكر عنه أنه حينما تسلم تلك المسؤولية التي حملت على عاتقه أراد استكمال ما بدأه عمه، وهو مواصلة الجهاد ضد الفرنسيين الذي ينطلق من الجنوب الليبي على مناطق داخل أفريقيا وفي عام 1903 غيّر عاصمة السنوسية من الجغبوب إلى الكفرة وشرع هناك في تشكيل جبهة إسلامية لمقاتلة الفرنسيين⁽¹⁾. وحينما وقع الاحتلال الإيطالي على ليبيا (ولاية طرابلس الغرب) عام 1911م كان أحمد الشريف مقيماً في الجغبوب ومنشغلاً بمهاجمة الفرنسيين الموجودين بحوض تشاد وصد تقدمهم نحو الأراضي الليبية، كما سعت الحكومة الإيطالية إلى تكوين علاقات صداقة مع أحمد الشريف محاولة بذلك تحقيق أطماعها في احتلال ليبيا دون أدنى مقاومة، وضمان حياد السنوسية عند الغزو، إذا ما نوعية العلاقة التي قامت بين أحمد الشريف والحكومة الإيطالية؟

ثانياً : علاقة إيطاليا بأحمد الشريف السنوسي.

من ضمن الأساليب التي استعملتها إيطاليا لاستكمال مخطتها الاستعماري الرامي لإخضاع ليبيا هو اتجاهها نحو استخدام السنوسية لتسهيل هذه المهمة، وذلك من خلال استغلال المكانة الدينية والروحية التي تحضي بها السنوسية في إقليم برقة وفزان، وذلك من خلال استجلابها كصديق لها و إظهار تعاطفها نحوها وكذلك احترامها للدين الإسلامي وللمعتقدات منتهزة بذلك النفوذ الواسع الذي تحضي به هذه الطريقة على القبائل الليبية ساعية من وراء ذلك محاولة إقناع تلك القبائل التي تدين بالولاء للسنوسية بضرورة الوقوف مع إيطاليا حال غزوها لليبيا مبررة مجيئها لليبيا ما هو إلا لتحريرها من حكم العثمانيين وليس كمحتلة⁽²⁾ كما اتبعت أسلوباً ممنهجاً للتأثير على الطريقة بإتباع أسلوب التسييس معها لكسب ودهم من خلال اتصالها بزعمائها السياسيين وإقامة نوع من العلاقات معهم، ومحاولة إغرائهم بالهدايا والعطايا، وتجدر الإشارة أن إيطاليا كانت تتابع تحركات السنوسية عن طريق عملائها وأجهزة استخباراتها الموجودة بمصر فعن طريقها أجرت أول اتصالاتها مع أحمد الشريف مرفقة ذلك بهدايا تعبيراً منها على حسن علاقاتها الودية التي تكنها للسنوسية الصوفية، وكانت الهدايا تصل للشريف عن طريق وكيل الشريف عبداً لله الكحال الموجود

¹. الصلابي : المرجع السابق، ص199.

². مفتاح بالعيد اغويطة :النشاط الإيطالي في مصر تجاه استعمار ليبيا 1882. 1943، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية /طرابلس، 2009، ص157.

في القاهرة، وعن طريق محمد علوي الذي يعمل بالمؤسسة الإيطالية في القاهرة وغيرهم، وأعرب الشريف في مراسلات متبادلة مع ملك إيطاليا، ورئيس وزراء خارجية إيطاليا عن شكره لهذه اللفتة الكريمة متمنيا أن تزوده إيطاليا بمجموعة من الأسلحة من بنادق مختلفة الأحجام في حربه ضد القوات الفرنسية في تشاد⁽¹⁾ وهذا ما عزز الاعتقاد لذا الإيطاليين بأنهم ضمنوا بقاء السنوسية على الحياد أثناء غزوهم ليبيا⁽²⁾، وأرسلت لهذا الغرض جواسيس لجمع معلومات عن وضع ليبيا والسنوسية ولتقديمها للحكومة في روما⁽³⁾ وما هي إلا بضعة أشهر حتى أعلنت إيطاليا في الثالث من أكتوبر سنة 1911م قصف واحتلال السواحل الليبية. فيما كان أحمد الشريف منشغلا بمقاتلة القوات الفرنسية في تشاد والنيجر. حقيقة الأمر أن إيطاليا كانت تعول على حياد أحمد الشريف فأرسلت له خطابا تعرض فيه تقديم مساعدات له بيد أنه رفض ذلك العرض لاكتشافه ما تخطط له إيطاليا عن طريق عملائه من الترك والمصريين.⁽⁴⁾ ويذكر عن أحمد الشريف أنه حينما وصلت لمسامعه أخبار الاتفاق العثماني الإيطالي حول تسليم ليبيا للإيطاليين انزعج كثيرا وكاتب أنور بك بحكم مصاهرته للسلطان العثماني ليتأكد منه حول ما شاع عن تسليم البلاد للغزاة إذ أنه قال: "حضرة ولدنا البطل الهمام صهر مولانا الخليفة المعظم زاده مجدا ... أما بعد، فقد بلغنا أن دولتنا العلية أيدها الله سنتفق بإشارة من الدول على إعطاء طرابلس إلى القوم الطغاة. إن دماء أبنائنا مازالت تراق على أديم الصحراء فداء للدولة والدين فلا نقبل صلحا بوجه من الوجوه، وليكن في علمك من الآن، فنحن والصلح على طرفي نقيض وإنما أقول في الختام: إن الصلح قد يسبب نفور المسلمين في جميع الأقطار من الدولة العثمانية ..."⁽⁵⁾ حينها بات جليا عند الشريف أن الجهاد ضد الإيطاليين أمر مفروغ منه، كما يذكر عنه أنه حينما وقع الاحتلال الإيطالي كان الشريف أول من دعا للجهاد ضد الطليان، حيث استشار من حوله في ذلك فكان منهم من أيد الجهاد ومنهم من رفض معللين رفضهم لتشعب جبهات القتال ولقلة العتاد والعدة إلا أنه كان لخطابه الديني

1. اغويطة: المرجع السابق، ص 158. 159. كذلك انظر أورشان كولوغلو : الرأي العام الإسلامي خلال الحرب الليبية الإيطالية 1911. 1912، ترجمة عبد القادر مصطفى المحيشي، مراجعة محمد عبد الوهاب سيد احمد، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية / طرابلس، 2000، ص169.

2. كولوغلو :، المرجع نفسه، ص169 .

3. اغويطة: المرجع السابق، ص176. 177 .

4. كولوغلو ، المرجع السابق ، ص 179 .

5. الأشهب: المصدر السابق، ص278 .

للمجاهدين الأثر الكبير في الحث على الجهاد بقوله: "لا خيار لنا في ذلك لان الدين يأمرنا بالجهاد دفاعاً عن العقيدة والوطن"⁽¹⁾.

وحينما وقعت معاهدة أوشي لوزان في 18 أكتوبر سنة 1912م بين الحكومة العثمانية والإيطالية، معلنة انتهاء مرحلة النزاع الإيطالي العثماني بعد سلسلة من المعارك العسكرية حينها بات جلياً أن تخلي الدولة العثمانية عن ليبيا لإيطاليا لم يرض بعض الضباط، وإن كان هذا التخلي تحت الضغط فقد أرسلت أحد قوادها الضباط للالتحاق بحركة المقاومة في ليبيا وهو أنور باشا القائد العثماني الذي قدم للبلاد من تركيا عبر مصر محاولاً الاتصال بأحمد الشريف، ويرجوه بأن يرسل منشوراً للمجاهدين بضرورة الالتحاق بالجهاد ضد الإيطاليين خصوصاً وأن الإيطاليين أخذوا يكتفون من عملياتهم العسكرية على المجاهدين لاسيما بعد ما أشاع لمسامعهم احتمال وصول أحمد الشريف من الجغبوب لتولي قيادة حركة الجهاد، ولسد الفراغ الذي تركه انسحاب العثمانيين⁽²⁾ وأعلن الشريف في منشوره حالة الطوارئ القصوى، وبأن يلتحق المجاهدون بمعسكراتهم الحربية في بنغازي ودرنة وطبرق وطرابلس⁽³⁾.

أحداث سنة 1913م

كثفت القوات الإيطالية من عملياتها العسكرية للزحف إلى الجهات الشرقية حيث قامت بإنزال كبير للجيش، وزعت على مختلف المحاور في المنطقة الشرقية سعياً منهم لتضييق الخناق على المجاهدين وإجبارهم على التسليم والاستسلام، وتابعوا تقدمهم نحو معسكر بنينة حتى سيطروا عليه واتجهوا نحو جردس العبيد، وفي هذه المنطقة التقى الجيش الإيطالي الثاني والرابع في طلمينة واتجها نحو الجنوب حتى مرسى سوسة واحتلوا الأبيار، وتوكره، وغيرها من المناطق هناك⁽⁴⁾ وشهدت هذه المناطق أعنف المواجهات بين الطرفين تراجع على إثرها المجاهدون إلى معسكر (سيدي عزيز العربي التركي) الموجود بدرنة وأرادت القوات الإيطالية الإطباق عليهم داخل المعسكر بيد أنه فشل نتيجة للاستراتيجية الحربية التي يتبعها المجاهدون حيث وقعت معركة سيدي كريم

¹. مصطفى سعد الهالين: أثر العامل الديني في الجهاد الليبي، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، /طرابلس دار الكتب طرابلس، 1990، ص25. .

². الأشهب: المصدر السابق، ص278.

³. الشكري: المرجع السابق، ص195 - 196.

⁴. نيقولا زيادة: برقة الدولة العربية، بيروت، جامعة بيروت الأمريكية، 1950، ص84.

القباع أو معركة يوم الجمعة الموافق 1913/5/16م حيث قتل فيها ما يقارب من 70 ضابطاً ووقع في الأسر أكثر من 400 إيطالي، فضلاً عن الأسلحة والمعدات التي أصبحت كغنيمة في يد المجاهدين⁽¹⁾ التي تقدر بنحو 999 بندقية إيطالية، كان لهذا الانتصار الأثر في زيادة الروح المعنوية للمجاهدين على مواصلة غمار الجهاد مؤسسين بذلك أدوار أخرى في المنطقة الشرقية فبدأوا بتشكيلها في منطقتي جردس العبيد الأحرار في البيضاء وجرّدس العبيد الأحرار في جنوب بنغازي⁽²⁾. فيما تراجع زحف القوات الإيطالية بقيادة الجنرال (تاسوني) بعد هذه الهزيمة وتحديداً في 15 نوفمبر سنة 1913م أرادت إيطاليا أن تضغط على أحمد الشريف على إعلان السلم معها وبأن يترك الحرب ضدها متعهدة له بأن تكون له إمارة يحكمها ومنطقة تكون تحت سيطرة نفوذه وكان الوسيط الناقل لهذه الشروط هو الخديوي عباس حلمي الثاني الذي استلم من الحكومة الإيطالية مبلغ 25000 مقابل حث أحمد الشريف على إيقاف حملات المقاومة ضد الطليان وإعلان السلم، وقد بعث بوفد لنقل هذه الشروط إلا أن الشريف رفض مقابلتهم في البداية ما لم تقبل الحكومة الإيطالية شروطه والتمثلة في بقاء برقة تحت سيطرة السنوسية، واحتفاظ العرب بأسلحتهم، وأن يلتزم الإيطاليون بالحفاظ على الزوايا السنوسية في أماكنها⁽³⁾ حيث أرسل الخديوي وفداً آخر يتكون من أبناء السيد عبد المتعال الإدريسي، وهم السنوسي والمأمون ومصطفى وعبد الحميد بك شديد وقابل أحمد الشريف الوفد واعتذر عن العرض بقوله: "إني لا أتفاوض مع إيطاليا في بلادي ولا أتفق معها على تنازلي عن شبر واحد في الأرض"⁽⁴⁾ والواضح من خلال هذه الرسالة التي رد بها أحمد الشريف أنه لا يريد التفاوض مع إيطاليا على إعطائه جزءاً من الأرض الليبية وأنه مصر على التمسك بتراب وطنه على طرد الإيطاليين منه وحسب ما هو واضح أن أحمد الشريف أراد أن يزيح الإيطاليين عن ليبيا ويبقي حكم السنوسية على البلاد باعتبارها آنذاك تمتلك نفوذاً في أغلب مناطق ليبيا واستمر الشريف في تحريض القبائل على الجهاد من خلال رسائل بعث بها إلى أهالي الزاوية يحثهم على جمع الزكاة من المواشي والغلال و يحرضهم على مقاومة

¹. بروشين: المرجع السابق، ص134.

². علي البوصيري علي: التوغل الإيطالي عقب صلح لوزان، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي 1911-1943، مجموعة من الأساتذة والباحثين، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط1998، ص2، ص139.

³. المركز الوطني للمحفوظات /طرابلس، وثيقة مصنفة رقم(286)، شعبة الوثائق الانجليزية، ملف أحمد الشريف السنوسي رسالة من الكونت كتنرالى ادوارد جراي بشأن مساومات إيطاليا للصلح مع أحمد الشريف رسالتي بتاريخ 15/ و 27 نوفمبر 1913 أنظر الملحق رقم (1).

⁴. الأشهب. المصدر السابق، ص205. 206..

الطليان (1)

تعكر العلاقات السنوسية العثمانية: يبدو أنه لم يمر وقت طويل حتى تعكرت العلاقات بين قوات المجاهدين والقوات العثمانية بقيادة عزيز بك المصري وهو أحد الضباط العثمانيين الذين بقوا في ليبيا بأمر من أنور باشا، عقب معاهدة أوشي لوزان لقيادة المجاهدين في برقة، وانضموا تحت قيادة أحمد الشريف السنوسي عقب تسلمه الزعامة في برقة لمواصلة الجهاد ضد الإيطاليين ، فمع أواخر سنة 1913م توترت العلاقات بين أحمد الشريف وعزيز بك القائد التركي وأن سبب ذلك كان حول كيفية الاستراتيجية الحربية المتبعة ضد القوات الإيطالية. يبدو أن عزيز بك كانت له وجهة حربية مغايرة لأحمد الشريف على مواجهة قوات العدو وبما أن زعامة القيادة كانت لأحمد الشريف لعله كان لا يأخذ برأي عزيز أو هناك عوامل أخرى قد نجعلها مثل تفضيل الشريف في تقديم الصفوف الليبيين على العثمانيين في مواجهة العدو، والسؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا القائد عزيز المصري عندما قرر الانسحاب من ليبيا أخذ كل ما بحوزته وبحوزة جنوده العثمانيين من أسلحة وأعدمها ولم يسلمها للمجاهدين؟ وأعلن عزيز بأن قرار سحب أسلحته وجنوده من ليبيا أمر صادر من الحكومة العثمانية حسب ما جاء في اتفاقية أوشي لوزان التي تمت بين الحكومة العثمانية والإيطالية، الأمر الذي أثار غضب أحمد الشريف بأن الانسحاب قد يترك نزاعاً في صفوف المجاهدين في المنطقة الشرقية وتحديداً في برقة، ولا سيما أن قوات عزيز من الجنود العثمانيين بلغ عددها 400 جندي إلى جانب العتاد⁽²⁾، كما أثار هذا العمل غضب بعض العربان الذين تأثروا بانشقاق وحدة الصف بين المجاهدين ولاسيما ما أعدمه عزيز من أسلحة حربية وعتاد حربي كانت بحوزته وحوزة جنوده قبل رحيله عن ليبيا، والجدير بالذكر أنه أثناء توجهه إلى الحدود المصرية تصادم مع قبيلة المنفة التي طالبت به باسترجاع الأسلحة كما أعلن الشريف حالة استنفار عام للمجاهدين في كافة الأراضي الليبية لسد الفراغ الذي تركه العثمانيون ولتوحيد الصف، كما لم تهدأ محاولات أحمد الشريف بإرسال رسائل تحريض على الجهاد إلى زعماء القبائل وأعيانها وقد

¹. المركز الوطني للمحفوظات /طرابلس، وثيقة مصنفة رقم (7) ،شعبة الوثائق والمحفوظات ،وثائق عربية (ملف أحمد الشريف)رسالة الشريف لأهالي الزاوية لجمع الزكاة من المواشي والغلال لدعم حركة الجهاد، بتاريخ 29 ربيع أول، مارس 1913 ، انظر الملحق رقم(2).

². الزاوي: المصدر السابق ،ص260 . .

كانت إحدى تلك الرسائل موجهة لأبي بكر البوسيفي.⁽¹⁾

المبحث الثاني

أحداث ليبيا في الحرب العالمية الأولى

في ظل الظروف الدولية المتمثلة في اندلاع شرارة الحرب العالمية الأولى 1914، 1918 بين دول الحلفاء (بريطانيا، فرنسا، روسيا وتحالف دول الوسط (ألمانيا، النمسا) والتي انضمت لهم تركيا فيما بعد إثر قيام قوات الحلفاء وعلى رأسهم بريطانيا من جعل مصر قاعدة أساسية لها من خلال مد سيطرتها على قناة السويس محاولة من وراء هذا العمل بأن تجعل مصر منطقة خارجة عن السيطرة التركية⁽²⁾. كما أن موقف تركيا من ضياع مستعمراتها سواء التي في القوقاز أو التي في أفريقيا جعلها تعمل على استرجاعها متى سنحت لها الفرصة؛ لذا رأت أن تدخل إلى جانب ألمانيا في حربها ضد الحلفاء لعلها تسترجع ما ضاع منها من هبة ومن الجدير بالذكر أن الدولة العثمانية كانت واثقة من انتصار ألمانيا على الحلفاء (إنجلترا وفرنسا وروسيا) خصوصا بعد اكتساحها للبلجيك وفرنسا منذ بداية الحرب⁽³⁾ كما اتجهت بعد ذلك نحو وضع يدها بالتعاون مع السنوسية في حربها ضد الإيطاليين مؤكده على عمق الروابط التي تجمعها بأحمد الشريف وكان ذلك واضحا من خلال الرسالة التي بعثها أنور باشا وحملها أخيه نوري بك إلى السيد أحمد يدعونه فيها إلى التعاون المشترك في مواجهة عدو الإسلام، كما تحمل الرسالة خطاب كتابي من السلطان العثماني محمد رشاد الخامس بيدي فيه تعيينه للسيد أحمد الشريف نائبا عنه في برقة، إضافة منحه إعطاء الرتب والنياشين⁽⁴⁾ أما طاهر الزاوي فيورد أن السلطان محمد رشاد عين أحمد الشريف نائبا عنه في أفريقيا الشمالية⁽⁵⁾ من الواضح أن هذه الرسالة ما هي إلا وسيلة أرادت بها تركيا أن تضمن

¹. المركز الوطني للمحفوظات /طرابلس، وثيقة مصنفة رقم (16)، شعبة الوثائق والمحفوظات، وثائق عربية (ملف أحمد الشريف، رسالة من أحمد الشريف إلى أبي بكر البوسيفي يحرضه فيها على الجهاد، بتاريخ 13 فبراير 1332 سنة 1914م انظر الملحق رقم (3).

². بروشين: المرجع السابق، ص137.

³. احمد عطية مدلل: المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي وتأثيرات الأوضاع الدولية عليها أغسطس 1914-أبريل 1915 مراجعة عقيل محمد البربار، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية /طرابلس، 1989 ص125 .

⁴ مدلل : المرجع نفسه، ص195 ، كذلك انظر الزاوي المصدر السابق، ص 254. 263.

¹. الزاوي المصدر السابق، ص247.

وقوف زعيم السنوسية معها في حربها التي خطت لها ضد الإنجليز في مصر أي الخطة المشتركة التي وضعتها تركيا وألمانيا في أن يكون لها نقطة هجومية تنطلق من الأراضي الليبية لضرب الإنجليز من ناحية الحدود الغربية المصرية، ويبدو أنه وفقاً للمخطط الألماني التركي أن الهجوم على مصر يتم من أربع محاور بأن تشارك ألمانيا الأتراك في إرسال حملة من بلاد الشام في جهة الشمال والشرق في نفس الوقت أن يتم تأليب الرأي العام في مصر للانتفاضة على الإنجليز وذلك عن طريق مبعوث الدولة العثمانية جعفر العسكري⁽¹⁾ والضابط الألماني الكونت مانسمان بأن يقدموا الأموال لاستقطاب أنصار لهم في الداخل المصري لتأجيجهم وتحريضهم على الثورة ضد الإنجليز⁽²⁾ أما المحور الجنوبي فتكفل بالانطلاق منه قوات سلطان دارفور علي بن دينار حيث يشن هجوماً من ناحيته الجنوبية لمصر على الإنجليز، بحيث يبقى المحور الغربي الذي أسندت مهمة الضرب منه للسيد أحمد الشريف⁽³⁾ و السؤال المطروح هو ما موقف أحمد الشريف من إعلان الحرب ضد الإنجليز؟

يبدو أن السيد أحمد رفض الفكرة من أساسها معللاً ذلك بأن هدفه ليس ضرب الإنجليز بل موجه نحو طرد الإيطاليين من تراب وطنه ولا يريد أن يركز جهوده خارج أرضه. إذاً كيف كانت علاقة أحمد الشريف بالإنجليز في مصر؟ قد بات صريحاً أن السيد أحمد الشريف قد أعلن رفضه للدخول في حرب ضد الإنجليز لأن تركيا أرادت من أحمد الشريف أن يهادن الإيطاليين حتى يستطيع التفرغ للحملة ضد الإنجليز⁽⁴⁾ وهذا ما لا يقبله الشريف على نفسه في مهادنة الإيطاليين، أيضاً ما كان يربط بين السنوسية والإنجليز من علاقات أساسها الحياد المشترك بين الطرفين، ولعل السلطات الإنجليزية كانت تعلم منذ البداية بهذه المؤامرة ومدى الضغوطات التي تمارسها تركيا على السيد أحمد الشريف لجره في حرب ضدها والذي بات مؤكداً من خلال زيارة المندوب الإيطالي لمصر حينما أبلغ السلطات الإنجليزية المصرية بتحركات بعض الضباط الأتراك في ليبيا وعن وصول كميات من الأسلحة والذخائر لطرابلس ويجب وضع حد للتدخل العثماني هناك، وهذا

² جعفر العسكري . قائد عراقي بعث من قبل الدولة التركية للتفاوض مع أحمد الشريف لغزو الحدود الغربية المصرية، وتقديم كافة التسهيلات العسكرية والمادية، انظر الزاوي، المصدر السابق، ص246.247.

³ الزاوي ، المصدر نفسه، ص 248.

⁴ بروشين: المرجع السابق، ص139

⁵ .الزاوي، المصدر السابق ، ص248.

الأمر يشكل تخوفاً للطرفين الإيطالي و الإنجليزي بأن هناك مؤامرة تدبر⁽¹⁾ لذا فإنها حرصت على ألا تثير حفيظة السنوسية ضدها من خلال أن تبقى العلاقات بين الطرفين جيدة والذي بات واضحاً من خلال المراسلات الإنجليزية التي كانت تبعث للسيد أحمد الشريف من رسائل الاحترام لشخصه وتدعوه أن يلتزم سياسة الحياد في هذه الحرب وألا يجر إليها، كما واعدت بتقديم بعض الواحات في الصحراء الغربية المصرية⁽²⁾ للسيد أحمد الشريف فضلاً عن سماحها بمرور الإمدادات الغذائية والحربية والأموال إلى المجاهدين عبر أراضيها لمواصلة حربهم ضد الطليان، ناهيك على أن صناعة ملابس جيش السنوسي كانت تتم في مصر⁽³⁾ ومن ثم لم تهدأ تركيا وحليفاتها ألمانيا من الوقوف مكتوفة الأيدي تجاه تشبث أحمد الشريف برأيه القاضي بعدم حرب الإنجليز وذلك بأن استعملت كافة الأساليب والوسائل للضغط عليه من خلال بعض الضباط المنطوين تحته بالتعاون مع الضباط الأتراك ولكن لماذا ذلك التمسك من جانب أنور بك على الضغط على أحمد الشريف في الانجرار في الحرب؟ يبدو أن الدولة العثمانية رأت أن الأمور بدأت تتفكك منها كقوة عظيمة ذات نفوذ على ممتلكاتها في ليبيا وأن السنوسية بدأت تأخذ تلك المكانة الهامة عند نفوس الليبيين لذا فإن النية المبيتة لأنور بك في كراهيته للسنوسية هو توريثها في هذه الحرب وإسقاطها لو تسنى لها ذلك وحرمان أحمد من السلطة وانتزاع فزان من السنوسية⁽⁴⁾ كما مارس محمد سوف المحمودي و يوسف بن شتوان الضغط على أحمد لحرب الإنجليز يساعدهم في ذلك سليمان الباروني، وهؤلاء جميعهم كانوا قد غادرو البلاد إلى تركيا في سنة 1913م وليعودوا إليها في سنة 1914م يتبنون فكرة هجوم الشريف على الإنجليز واستطاع سليمان الباروني بطلب من أنور باشا قيادة حركة الجهاد في طرابلس، ومن إقامة علاقات وثيقة مع المجاهدين هناك إضافة لحضوره الاجتماعات التي عقدها الشريف مع جعفر العسكري ونوري بك في السلوم، بيد أن أحمد رد على إلحاح الباروني بأن قام بسجنه ثم ليعود ويطلق صراحته؛ ليغادر إلى الآستانة ويذكر أن إقدام الشريف

¹ المركز الوطني للمحفوظات /طرابلس، وثيقة غير مصنفة ، شعبة الوثائق والمخطوطات ،الوثائق الانجليزية ، ملف أحمد الشريف السنوسي ،بشأن تخوف كلا من الحكومتين الايطالية والانجليزية من عودة تحركات الأتراك في ليبيا، بتاريخ 13،فبراير،1914،انظر الملحق(4).

² مصطفى علي هويدي: تأثيرات الحرب العالمية الأولى على حركة الجهاد الليبي، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي 1911 - 1943 مجموعة من الأساتذة والباحثين، ج2، ط2، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية /طرابلس، 1998، ص192.

³ بروشين: المرجع السابق، ص139.

⁴ الزاوي:المصدر السابق ، ص287.

على هذا الفعل هو تخوفه من منافسة الباروني له على الزعامة⁽¹⁾، ونتيجة للضغوطات العثمانية الألمانية نزل أحمد الشريف عند رغبة أطراف الحرب ووافق على محاربة الإنجليز. ولكن لماذا تراجع أحمد الشريف عن موقفه وأعلن تعاونه مع الأتراك والألمان في حربهم ضد الإنجليز؟ في واقع الأمر لعل الواعز الديني هو من دفع بالسيد أحمد الشريف بالنزول عند رغبة أطراف الحرب حيث من الواجب عليه أن يقدم المساعدة لأهالي مصر لتخليصهم من وطأة الاستعمار الإنجليزي، وأن واجب الجهاد يحتم عليه تحرير المسلمين أينما كانوا فرغم الضغوطات التي فرضت على أحمد الشريف بضرورة إعلان انضمامه مع تركيا للدخول في حرب ضد الإنجليز إلا أنه بقي فترة من الزمن ما يقارب تسعة أشهر يراقب أحداث الحرب العالمية وخاصة فيما يتعلق بإيطاليا وخلال هذه الفترة بدأ يشد على المقاومة من خلال اتصالاته بزعماء القبائل حيث بعث رسالة إلى مشايخ وأعيان قضاء الزنتان يفيدهم بوجوده بمركز السلم لتنظيم أحوال المجاهدين وتجميع أعداد كثيرة منهم، ثم عمد إلى الذهاب لطرابلس يحرض الأهالي هناك على الجهاد وذلك بواسطة الشيخ محمد سوف بك المحمودي⁽²⁾. فيما بدأت السفن اليونانية والتركية بإنزال المواد الغذائية في السلم تمهيدا للغزو⁽³⁾. وكثف أحمد الشريف ضرباته على القوات الإيطالية الموجودة في بلاده بشن حملات مباغته ضدهم كما عمل على تجهيز معسكرات جديدة للمجاهدين في منطقة الصحراء محاولا منها ضرب الفيالق الإيطالية الموجودة بالجنوب فكون معسكراً للمجاهدين في منطقة سرت والجفرة ووضع على رأسها أخيه الأصغر صفي الدين السنوسي⁽⁴⁾ الذي سرعان ما شن أول حملته على الفرق الإيطالية الموجودة في الحمادة الحمراء، واستولي المجاهدون على قلعة (القاهرة) سبها في

¹ خالد حمود السعدون: الجهاد خلال الحرب العالمية الأولى الدعوة والاستجابة، مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية /طرابلس، 1999 ص 130 .

2: المركز الوطني للمحفوظات /طرابلس، وثيقة مصنفة رقم (107) شعبة الوثائق والمخطوطات العربية، ملف أحمد الشريف السنوسي بشأن رسالة الشريف لأعيان الزنتان وطرابلس يحثهم على الجهاد بتاريخ 1.19. 1323هـ، الموافق 12.6 1914، انظر الملحق (5) .

3. المركز الوطني للمحفوظات /طرابلس، وثيقة مصنفة رقم (37) شعبة الوثائق والمخطوطات الأجنبية الأرشيف الأجنبي بشأن وجود عدد من السفن اليونانية والتركية تقوم بإنزال المواد الغذائية في السلم لمعاونة مجاهدي أحمد الشريف في الحرب ضد الإنجليز انظر ملحق رقم (6) .

4. للمزيد حول هذه الشخصية انظر ملحق الوثائق الأجنبية رقم (7) .

28/27 نوفمبر 1914م، وسقطت على إثرها الحاميات الموجودة في أوباري وسبها وفزان⁽¹⁾ وكانت هذه أعظم انتصارات سجلت للسوسية في الجنوب الليبي في وقت توالى فيه نشوة الانتصارات فما شهدته موقعة القرضابية في سنة 1915م كونها من أعظم انتصارات الليبيين حيث كبد المجاهدون في هذه المعركة الإيطاليين خسائر فادحة حيث غنموا حوالي 5000 بندقية وعدد من الرشاشات والمدافع. ومن ثم بدأت الهزائم تنهال على الجيش الإيطالي وسقطت مناطق بني وليد، وترهونة، وانحصر تمركز الحاميات العسكرية الإيطالية في السواحل. وبعد تلك الانتصارات اتجه أحمد الشريف إلى تثبيت سلطة السوسية في ليبيا داخلياً فبموجب المرسوم السلطاني الممنوح له (السابق الذكر) اتجه أحمد إلى تقسيم برقة إدارياً إلى مجموعة مناطق ووضع على كل واحدة منها فرد من الأسرة السوسية حيث سلم إدريس السوسى إدارة الجبل الأخضر، وسلم لمحمد عبيد فزان والجزء الجنوبي من طرابلس، وأرسل صفي الدين لباقي طرابلس، بينما تبقى الجغبوب بيد أحمد الشريف⁽²⁾ من خلال ما قام به أحمد الشريف في استغلال ما منحه له السلطان محمد رشاد الخامس فيما يخص تقسيم البلاد إدارياً فإن أحمد الشريف بهذا العمل رغم احترامنا لشخصيته الوطنية إلا أن الملاحظ من خلال تقسيم البلاد الذي قام به أحمد الشريف إدارياً بين أفراد الأسرة السوسية ما يؤكد أن الشريف يحاول أن يبقي الزعامة للأسرة السوسية في حكم برقة.

أولاً :- انسياق أحمد الشريف في الحرب ضد الإنجليز .

لم تهدأ المؤامرة التركية الألمانية للقيام بضرب الإنجليز حتى جرت أحمد الشريف للانخراط معها في ذلك العمل عن طريق الحيلة حيث بدأت حيلة نوري بك لأحمد الشريف بأن الإنجليز يقومون بعمليات تجسسية على الحدود؛ لذا وجب الرد عليهم بعد وصول غواصتين ألمانيتين تحملان تعزيزات من الجند والأسلحة، وبدأتا بضرب وإغراق باخرتين تجاريتين إنجليزيتين بالقرب من السلوم وأسر ما عليهما من بحارة، كذلك ضرب القوافل التي تحمل المؤن إلى السلوم⁽³⁾ مما دعا

¹ . محمد سعيد القشاط: جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى 1854.1986، مركز دار وشنون الصحراء ليبيا 1989 ص130.

² . بروشين ، المرجع السابق، ص142.148.

³ .المرجع نفسه،،ص148.150.

الشريف إلى أن يبدي استعدادة لمحاربة الإنجليز بأن وجه قوات تمركزت عند امساعد المنطقة الحدودية المتاخمة للحدود الشرقية لمصر رغم تحذيرات إنجلترا من مغبة إعلان الحرب ضدها.

إلا أن جهودها باءت بالفشل خصوصاً وأنها منذ البداية حرصت على ألا تصاب علاقاتها مع السيد أحمد بنوع من التعكر طمعاً منها في حصولها من وراء ذلك على ود الشريف وعلى حصة من ليبيا من خلال سماحها بوصول المساعدات للمجاهدين الليبيين عبر أراضيها في مصر إلى الليبيين في حريهم ضد الطليان.

وبات لنا واضحاً أن السيد أحمد الشريف كان لا يعج حجم المؤامرة التي تدبر ضده من قبل الأتراك والألمان من وراء جره في تلك الحرب، حيث تمت الاتصالات بين نوري بك وجعفر العسكري وبمساعدة من خليل السنوسي، وقاموا بتنظيم اشتباكات على الحدود فضلاً عن تأليب الرأي العام في مصر ضد الإنجليز.

أما محمد صالح حرب قومندان مرسي مطروح فأخذ يعمل على تأليب القبائل الواقعة على المناطق الحدودية بالثورة والتعاون مع المجاهدين الليبيين، ومن الجدير بالذكر أن القومندان كان في السابق ممن تعاون مع الإنجليز.

بيد أن موقفه تغير فيما بعد حينما صرح لقواته موقفه من دخوله الحرب بجانب المجاهدين باعتبارهم جاءوا لطرد الإنجليز وأن الواجب يحتم عليه أن يخوض الجهاد ضد أعداء الإسلام حتى يتم طردهم من البلاد .

وفعلاً كان لموقفه هذا أن انضمت إليه الكثير من قبائل أولاد علي الواقعة على الحدود مع ليبيا معلنة الجهاد.

كما استطاع محمد صالح حرب بصحبة قواته من الضباط من الانضمام لأحمد الشريف وجعفر العسكري ونوري باشا في حريهم على الجبهة الجنوبية.

حتى تمكنوا من احتلال بقيق وزاوية سيدي البراني⁽¹⁾ أما على الجبهة الشمالية تمكن المجاهدون من احتلال مرسي مطروح ومطاردة الإنجليز حتى وقعت معركتان شهيرتان هما أم الرخم وماجد اللتان قتل فيهما نحو 300 مجاهد⁽²⁾ ومن ناحية الجنوب فإن ثورة علي بن دينار انهزمت حيث استطاعت القوات البريطانية من القضاء عليها وقتل السلطان علي واحتلال فاشر⁽³⁾ ثم وقعت معركة العقاقير بين قوات نوري وجعفر العسكري والإنجليز شرقي سيدي براني والتي جرح فيها الضابط جعفر العسكري في فبراير سنة 1916⁽⁴⁾ فيما تمكنت قوات محمد صالح حرب من التقدم نحو سيوة ولم تستطع التقدم أكثر نتيجة لقصف الطائرات الإنجليزية التي كثفت ضرباتها الجوية على المجاهدين بعدها أعلن المجاهدون توزيع قواهم على أكثر من محور سعياً وراء تشتيت صفوف أعدائهم الإنجليز الذين أعادوا ترتيب صفوفهم واستجلاب العديد من القوات⁽⁵⁾. حيث قاموا بتوزيع قواتهم على ثلاث محاور بالتعاون مع طيارهم الحربي الذي يساندهم الأمر الذي كان له تأثير على الروح المعنوية للمجاهدين الذين صدوا بشجاعة الضربات المتكررة عليهم من جانب القوات الإنجليزية، ونتيجة لضاوة الضربات المتوالية تمكن الإنجليز من السيطرة على صحراء مصر الغربية بينما انسحبت قوات المجاهدين بقيادة أحمد الشريف ومحمد صالح حرب نحو سيوة⁽⁶⁾. بعد أن أنهك التعب قوات أحمد الشريف وقلة الماء والغذاء وانتشار الأمراض، إلا أن أحمد الشريف يشجع المجاهدين على الصبر والتحمل وأنه سوف يبعث لهم ما يقتاتون به وأن حلفاءهم قد سجلوا انتصارات على العدو في أوروبا وأن النصر لقريب⁽⁷⁾ بيد أن خسارة جيش الشريف كانت الخاتمة الأليمة في هذه الحرب، وفيما يلي نستخلص أسباب هزيمة أحمد الشريف في هذه الحرب والتي حددت في الآتي:

- 1 أحمد عطية مدلل: مقاومة الليبيين للاستعمار العالمي فرنسا. إيطاليا. إنجلترا، مجلة الشهيد، 3، 1982، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية/طرابلس ، ص38.
2. القشاش ،ص129، كذلك أنظر شكري ،المرجع السابق ،ص264.
- 3 بروشين: المرجع السابق، ص153.
4. شكري :المرجع السابق ،ص266..
- 5 مدلل: ، مقاومة الليبيين للاستعمار العالمي فرنسا. إيطاليا. إنجلترا ، المرجع السابق ص39.
- 6 بروشين: المرجع السابق، ص154.
7. المركز الوطني للمحفوظات /طرابلس ،وثيقة رقم (150) ،شعبة الوثائق والمحفوظات، وثنائق عربية (ملف أحمد الشريف، بشأن رسالة الى المجاهدين في الجيوب على أن يصمدوا ويصبروا على الجوع فالنصر قريب، بتاريخ 3نوفمبر 1916 ،انظر الملحق رقم (8).

1. أن جيش أحمد الشريف لم يكن مؤهلاً لدخول حرب جديدة بعدما أنهكت قواهم حروبهم التي خاضوها مع الإيطاليين قبل ذلك.
 2. أن وعود تركيا بتزويده بأدوات حرب ومعدات على غرار القوات الإنجليزية التي كانت تتمتع بكفاءة القيادة والمقدرة القتالية كانت حبراً على ورق.
 3. كما أن انقطاع مصادر الغذاء والماء وانتشار الأمراض واستحكام الجوع كلها عوامل كان لها الأثر الكبير على إنزال الهزيمة بجيش المجاهدين السنوسي.
 4. كما أن فشل ثورة علي بن دينار سلطان دارفور ووصول نبال فشل حملة جمال باشا على قناة السويس كلها عوامل لها تأثير على معنويات للمجاهدين في الصومود أمام الإنجليز.
- ثانياً: تأثير هزيمة حملة أحمد الشريف على حركة الجهاد**

على المستوى الاقتصادي أثارت هذه الحرب آثاراً سلبية على تردي الوضع الاقتصادي للليبيين، حيث إن هذه الحرب قطعت مصدر من مصادر التمويل للمجاهدين في الجهة الشرقية حيث أغلق هذا الباب نتيجة لتلك الحرب، كما زاد في استحكام تلك الضائقة هو ما حل بالبلاد من سنوات الجفاف والقحط وانتشار الأمراض التي أخذت تحصد الأرواح بلا هوادة ونتيجة لقسوة تلك الأوضاع أكل المؤمن أخاه بحثاً عما يروي به ضمأه⁽¹⁾. كما وصل الحال ببعض المجاهدين لأن يسلّموا أسلحتهم للعدو مقابل ما يقتاتون به⁽²⁾ كما قفلت الأسواق المصرية أمام المجاهدين، أما تأثير الحملة المعنوي على المجاهدين حيث إن خوضهم هذه الحرب ضيع عليهم فرصة مواصلة القتال ضد الإيطاليين لفترة طويلة حيث أهدرت إمكانياتهم العسكرية.

هجرة أحمد الشريف إلى تركيا وتخليه عن الزعامة. استقر أحمد الشريف بسيوه بمن بقي معه من جيش مع بعض رفاقه، ثم غادرها نحو الواحات إلى شياطه الواقعة على مسيرة 10 أميال والتي لم يبق بها كثيراً" فسرعان ما لحقت به قوات الإنجليز فوجدتها خالية⁽³⁾. حيث احتفى أحمد بالجغبوب حيث قبر جده، لكنه سرعان ما غادرها بعد ما أبلغه ابن عمه رغبة إنجلترا في رحيله عن

1. شكري: المرجع السابق، ص 282-283.

2. المرجع نفسه، ص 284.

³ المركز الوطني للمحفوظات / طرابلس، وثيقة رقم (119) وحدة الوثائق العربية، وهي عبارة عن مقال نشر بمجلة الهلال يصف المعركة التي وقعت بين السنوسية والقوات البريطانية بسيوه بتاريخ 14/6/1343هـ، أنظر الملحق رقم (9).

هذه المنطقة من خلال كتابها المرسل لإدريس نص على: "إن بقي السيد أحمد في الجغبوب فإنهم يهاجمون الجغبوب ويستولون عليها"⁽¹⁾، حيث غادرها الشريف إلى الصحراء الكبرى عبر واحاتها المتناثرة مع من بقي معه من جنود⁽²⁾. ويذكر أنه وصل إلى العقيلة، وأينما حل قوبل بضيافة وسخاء من قبل تلك القبائل التي حط بها. وكانت رغبة أحمد الشريف في أن يعاود تأسيس قواته لاستئناف الجهاد ضد الإيطاليين حيث استقر بسوكنة ومنها بعث يطلب مساعدة من نوري باشا الذي حل في مصراته، وتكمن تلك المساعدة في تزويده بكميات من المال والعتاد والذخيرة ولم يتأخر نوري فبعث بقافلة محملة بما يحتاجه الشريف عن طريق محمد صالح حرب مرافق أحمد الشريف، كما راسل أحمد الشريف رمضان السويطي وطلب منه المساعدة للوقوف معه لتفادي هذه المحنة، رغم أن ما يذكر عن رمضان ما يكرهه من عداة للسنوسية منذ أن امتد نفوذ الأخيرة إلى أغلب أنحاء ليبيا لذلك اغتاض رمضان من ذلك التوسع، ولم يجاهر بعدائه⁽³⁾. كما خشي رمضان من عودة نفوذ أحمد الشريف من جديد حيث دبر مكيده سرقة القافلة وقتل من يرافقها ويذكر عن هذه الحادثة التي دبرها السويطي بأنها قد نفذت عن طريق قائدي شرطته (محمد العيساوي، محمد الجطلاوي) اللذان جهزا قوة لتنفيذ المهمة⁽⁴⁾ وبعد تدهور الأوضاع أراد أحمد الشريف أن يلتمس نفسه بالسفر للآستانة لعله يحصل من هناك على ما يحتاجه ليجمع قواه من جديد ويؤمن كل ما يحتاج إليه ليخوض غمار الحرب حينما يرجع لليبيا، وفعلاً سافر أحمد الشريف على ظهر أحد الغواصات الألمانية في أغسطس سنة 1918 إلى الآستانة⁽⁵⁾.

الخاتمة

ارتبط تاريخ جهاد الحركة السنوسية في ليبيا بفترة تولي السيد أحمد الشريف السنوسي قيادة حركة الجهاد ضد الايطاليين، بعدما كانت مقاومته موجهة ضد الفرنسيين في تشاد متخذاً من الكفرة

1. الزاوي، المصدر السابق، ص266

2. الأشهب، المصدر السابق، ص918.

3. شكري: المرجع السابق، ص333.

4. مصطفى علي هويدي: رحيل أحمد الشريف إلى تركيا، مجلة الشهيد، ع9، 15 أكتوبر 1988، مركز جهاد الليبيين

للدراستات التاريخية، طرابلس، ص125.

5- رذيشون، المصدر السابق، ص171 .

منطلقا لتلك الهجمات، وما أن وصلت أخبار الاحتلال الإيطالي لليبيا حتى تحول إلى منطقة الجغبوب معلنا منها تأهبه لإعلان الجهاد المسلح ضد الإيطاليين. ويمكن إجمال ما توصلت إليها الدراسة في الآتي:

أولاً: أن الفراغ السياسي الذي تركه الحكم العثماني في دواخل البلاد قد منح الفرصة للسوسية لإحكام سيطرتها على برقة.

ثانياً: كانت إيطاليا تطمح في إقامة نوع من العلاقات مع زعماء الطريقة السوسية آنذاك نظراً لما تتمتع به من مكانة في ليبيا وطمعاً في حياؤها أثناء احتلالها للبلاد فيما بعد.

ثالثاً: كان للفراغ الذي تركه انسحاب العثمانيين من ليبيا عقب معاهدة أوشي لوزان فرصة مواتية للسوسية لتكوين مناطق نفوذ لها في أغلب أنحاء البلاد لاسيما فترة تولي أحمد الشريف السوسية الزعامة في المنطقة الشرقية.

رابعاً: كما أوضحت الدراسة أن القيادة الموحدة للمجاهدين في المنطقة الشرقية كان لها الدور في زيادة الروح المعنوية لهم، وفي تسجيل الانتصارات على العدو، مما جعل الحكومة الإيطالية تسارع بطلب الصلح و المهادنة من أحمد الشريف.

خامساً: كما بينت الدراسة أن مطامع أحمد الشريف في إبقاء حكم السوسية ظهرت عقب توليه منصب نائب الخليفة العثماني في ليبيا وذلك بتسليمه للمناصب الإدارية لأفراد أسرته من السوسية

سادساً: اتضح أيضاً أن أحمد الشريف لم تكن في نيته الدخول في حرب مع الإنجليز باعتبارهم خارج بلاده إلا بضغط الأتراك والألمان حيث كانت تركيا وحلفاؤها تطمح من وراء جر أحمد الشريف في حربه ضد الإنجليز في مصر إلى إرجاع سيطرتها على مستعمراتها في شمال أفريقيا.

سابعاً: أيضاً كان لدخول أحمد الشريف الحرب ضد الإنجليز عواقب وخيمة على البلاد وعلي نفسه وعلي المجاهدين، حيث تسببت الهزيمة التي لحقت بقوات الليبيين إلى انكسار عزيمتهم، وإلى تنازل أحمد الشريف عن الحكم لإدريس ومغادرته البلاد إلى تركيا.

ثامناً: تتناقص المكانة الإستراتيجية والسياسية لأحمد الشريف نتيجة للهزائم التي لحقت به أمام

القوات البريطانية، والتي أدت إلى تولي محمد إدريس الزعامة السنوسية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

أ : وثائق المركز الوطني للدراسات التاريخية .

1-ملف الوثائق العربية .ملف أحمد الشريف.

1 . وثيقة رقم(7) بشأن جمع الزكاة من المواشي والغلال لدعم عملية الجهاد لأهالي الزاوية بتاريخ 29 مارس 1913م.

2 . وثيقة رقم (16) رسالة من أحمد الشريف إلي أبي بكر البوسيفي يحرضه فيها على الجهاد بتاريخ 13 فبراير 1914م.

3 . وثيقة رقم (107) بشأن رسالة أحمد الشريف لأعيان الزنتان يحثهم على الجهاد بتاريخ 6 . 12. 1914م.

4 . وثيقة رقم (50) بشأن رسالة أحمد الشريف إلى المجاهدين في الجغبوب يحثهم على الصبر والصمود بتاريخ 1916م.

5 . وثيقة رقم (119) عبارة عن مقالة نشرت بمجلة الهلال تصف المعركة التي وقعت بين السنوسية والقوات البريطانية بتاريخ 14 . 6 . 1925.

ب . ملف الوثائق الأجنبية الانجليزية .ملف أحمد الشريف

7. وثيقة رقم (37) عبارة برقية من السفير الإيطالي إلى السيد جينهام في القاهرة يخبره فيها بوجود عدد من السفن التركية واليونانية تقوم بإنزال المواد الغذائية للمجاهدين في السلوم تأهباً للحرب ضد الانجليز بتاريخ 22 سبتمبر 1914م.

8 . وثيقة رقم (243810) عبارة عن تقرير بعثت به القنصلية البريطانية عن طريق الملازم الكولونيل ساني في ليبيا عن مؤسسات السنوسي وإخوانه في ليبيا في أكتوبر 1917م.

- 9 . وثيقة رقم (286) وهي عبارة عن رسالتي من كتشنر إلى إدوارد جراي بشأن مساومات إيطاليا للصلح مع أحمد الشريف بتاريخ 15 و27 نوفمبر 1913.
10. وثيقة رقم غير مصنفة بشأن تخوف كلا من الحكومتين الإيطالية والإنجليزية من عودة الأتراك وتحركاتهم في ليبيا بتاريخ 13 فبراير 1914م.

ثانيا: الكتب

- 1 . باشا: أنور، مذكرات أنور باشا في طرابلس، ترجمة عبد المولى صالح الحرير، مراجعة حبيب وداعة الحسناوي، منشورات مركز جهاد الليبيين ،طرابلس /ليبيا ،1970.
- 2 . بروشيين: نيكولاي، تاريخ ليبيا من القرن التاسع عشر حتى عام 1969، ترجمة عماد حاتم مراجعة ميلاد المقرحي، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، طرابلس/ليبيا 1988.
3. بيشون:جاك، المسألة الليبية في تسوية السلام، ترجمة علي ضوي، مراجعة صالح المخزوم منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس،1991.
- 4 . شكري :أحمد فؤاد، السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، 1998.
- 5 . الصلابي علي محمد، تاريخ الحركة السنوسية في ليبيا، دار المعرفة للنشر والتوزيع/القاهرة 2012 ، ط1
- 6 . الزاوي: الطاهر أحمد، جهاد الإبطال في طرابلس الغرب، دار الفتح ،ط3، 1973.
- 7 . زيادة، نيقولا، برقة الدولة العربية، بيروت، جامعة بيروت الأمريكية،1950م.
9. السعدون : خالد محمود، الجهاد خلال الحرب العالمية الاولى الدعوة والاستجابة ،منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي ،طرابلس / ليبيا ،1999.
- 8 . الأشهب :محمد الطيب، برقة العربية أمس واليوم ،مطبعة الهواري ، 1947 محمد سعيد القشاط : جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى 1854.1986 ،مركز دراسات وشئون الصحراء /ليبيا: 1989 ، ص1309. القشاط : محمد سعيد ،جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى

1854. 1986، مركز دراسات وشئون الصحراء /ليبيا 1989.

10. كولوغلو :اورخان، الرأي العام الإسلامي خلال الحرب الليبية الايطالية 1911. 1912، ترجمة عبدالقادر مصطفى المحيشي ،مراجعة ،محمد عبد الوهاب سيد أحمد ، منشورات مركز جهاد للبيين ضد الغزو الايطالي ،طرابلس / ليبيا ،2000.

11. مدلل، أحمد عطية، المقاومة الليبية ضد الغزو الايطالي وتأثيرات الأوضاع الدولية عليها أغسطس 1914 ابريل 1915، مراجعة عقيل محمد البربار، منشورات مركز جهاد للبيين ضد الغزو الايطالي، طرابلس / ليبيا ،1989م.

13. الهالين :مصطفى سعد، أثر العامل الديني في الجهاد الليبي، منشورات مركز جهاد للبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس/ ليبيا،1980م.

ثالثا: الدوريات

13 .إبراهيم :عبد الله علي، أثار صلح لوزان على حركة الجهاد، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، 1911. 1943، مجموعة من الأساتذة والباحثين، منشورات مركز جهاد للبيين، طرابلس /ليبيا، ط2، 1998م.

14 . البوصيري: علي علي، التوغل الإيطالي عقب صلح لوزان، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي 1911. 1943م،مجموعة من الأساتذة والباحثين، منشورات مركز جهاد للبيين، طرابلس /ليبيا، ط2، 1998م.

15 . السنوسي: أحمد الشريف ،1873. 1933، بغية المساعد في إحكام المجاهد، مجلة البحوث التاريخية ،ع2، 2012 م.

16 . مدلل: أحمد عطية، مقاومة الليبيين للاستعمار العالمي، فرنسا، إيطاليا، إنجلترا، مجلة الشهيد، ع3 ، س1982م، مركز جهاد للبيين ضد الغزو الايطالي، طرابلس/ ليبيا.

17 . هويدي :علي مصطفى ،تأثيرات الحرب العالمية الأولى على حركة الجهاد الليبي،

بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، 1911. 1943، مجموعة من الأساتذة والباحثين، منشورات
مركز جهاد الليبيين، طرابلس /ليبيا، ط2، 1998 .

الملاحق

ملحق رقم (1)

القاهرة_15 نوفمبر 1913//هناك إفادة تقول أن الخديوي قد أعد خلال شهر بالاتفاق مع الحكومة
الإيطالية إرسال مندوبين عن المسلمين تحت السنوسي على إعلان السلم مع إيطاليا. ولكن لم
يستقبل السنوسي الوفد وعاد الوفد دون أي إنجاز من مهمته. تم إرسال مناديب آخرين بواسطة
الخديوي وأن آخر الإخبار تفيد كما هو وارد في التقرير المرفق. ويقال أن الخديوي قد استلم
2500 جنيه من الحكومة الإيطالية نظير هذه الخدمة. ذلك بالإضافة إلى مبلغ 7500 جنيه أخرى
تدفع له إذا نجحت مساعيه في استتباب الأمن والوصول إلى صلح وذلك ليكون إجمالي المبلغ
المدفوع 1 0000 جنيه. إلا أن هذا كله لايجزم في كونه إشاعة لايمكن الوثوق فيها.

مخلصكم //التوقيع كتشنر إلى المحترم السير إدوارد جرای.

الرد على الكتاب من قبل من الكونت كتشنر إلى السير إدوارد جرای.

16 ديسمبر بتاريخ 27 / 11 / 1913 هذا المستند من ممتلكات الحكومة البريطانية استلم في 27
نوفمبر 1913.

سيدي. يشرفني أن أنقل إليكم أن الموفدين الذين أرسلهم الخديوي إلى السنوسي قد عادوا إلى
الإسكندرية في يوم 21 الجاري ويبدو أنهم وجدوا صعوبات في لقاء السنوسي الذي كان قد رفض
في الأول مقابلتهم وأنه لا يمكن أن يدخل في مفاوضات معهم ما لم تقبل الحكومة الإيطالية
شروطه. وأنه وفقا لما سبق أنقابل موفد الخديوي وتتركز شروطه في الآتي:

1_ يجب أن تظل (برقة) تحت سيطرة السنوسي.(barka).

2_ يجب أن يحتفظ العرب بأسلحتهم.

3_ أن يلتزم الإيطاليون بالحفاظ على (الزوايا) في مواقعها الحالية والالتزام ببناء زاوية (raffe) والتي كان الإيطاليون قد حطموها.

أنه وفقا لما جاء في صحف الإيطاليين أنه بعد العديد من المراجعات وافق السنوسي على مقابلتهم (بعثة لخدوي) وقد حضر المقابلة العديد من الزعماء وأعيان الزاوية وقد تم الاتفاق على بعض القضايا الصغيرة في هذه الأثناء كان الخديوي مركزا على بناء وتسليح أتباعه حيث كان قد استحوذ على ثلاث مدافع كان ينوي أن يتجه بها نحو (msus) حيث المركز الرئيسي للمقاومة العربية ويبدو أنه ينوي تجميع قواته في إجدابيا قبل عودته منها نهائيا إلى الكفرة والجغبوب .

ملخصكم .كتشنر //ملحوظة:لقد علمت أن الخديوي استلم من الحكومة الايطالية مبلغ 1 00. 00 ليرة نظير مساعدته واعترافا بفضله في حث السنوسي على إيقاف حملات المقاومة.

مصدر الوثيقة المركز الوطني للدراسات التاريخية/طرابلس.ملف أحمد الشريف الوثائق الانجليزية

ملحق رقم (4)

بتاريخ 13 فبراير 1914م.

لقد اتصل بي السفير الإيطالي وذكر لي أنه استلم برقية من الحكومة الإيطالية تفيد بأنهم استلموا تقارير حديثه توضح أن الأسلحة والذخائر مازالت ترسل إلى طرابلس، وهناك مجموعة جديدة من الضباط الأتراك عددها ستة أرسلت حديثا وإلى هناك، في ظل هذه التقارير فإن الحكومة الإيطالية تبدي قلقها وأنه يجب إرسال مندوب إيطالي إلى السلوم للتفاهم مع السلطات الإنجليزية المصرية لوضع حد للتدخل التركي هناك. وقد أفاد سيادته أنه يمكن الاتصال باللورد كوتشنر برقيا وبأمل سيادته أن تمكن معاليه من الاتصال بحكومة صاحب الجلالة للاستجابة لطلب الحكومة الإيطالية

مصدر الوثيقة المركز الوطني للدراسات التاريخية /طرابلس.ملف أحمد الشريف . الوثائق
الإنجليزية.

ملحق رقم (6)

شعبة الوثائق الأجنبية رقم الختم والتاريخ 37/52521 / 24 / سبتمبر / 1914م

برقية إلى السيد جينهام . القاهرة في 22 سبتمبر 1914 . الرقم الاشاري

لقد أخطرتني السفير الإيطالي بان السفن اليونانية و التركية تعمل بجد في إنزال المواد الغذائية في السلوم وأن ممثلي أحمد الشريف قد وضعوا كميات كبيرة من الشعير هناك .

مصد الوثيقة المركز الوطني للدراسات التاريخية /طرابلس.ملف أحمد الشريف . الوثائق الانجليزية

ملحق رقم (7)

وثيقة رقم (243810) بتاريخ 27 ديسمبر 1917

القنصلية العامة البريطانية طرابلس شمال إفريقيا في نوفمبر 1917

إلى روما سيدي يشرفني أن أنقل إليكم بأني استلمت صورة من مطبوعة رسمية من الملازم الكونيل في يوم 16 الجاري خاصة بحكومة ولاية طرابلس// وتحمل عنوان: مؤسسات السنوسي وإخوانه في ولاية طرابلس في شهر 10 عام 1917(مطبوعة حكومة طرابلس في مايو 1917 ...من بين إخوة أحمد الشريف الآخرين هناك السيد أحمد صافي الذي يقول عنه الكونيل (ساني) أنه من مواليد 1894 ومنذ عام 1914 كان له دور فاعل في الشؤون السياسية في ولاية برقة. وفي صيف ذلك العام كان يرأس قوات السنوسي على الحدود بين ولاية طرابلس وولاية برقة حيث إن قواته شكلت قوة صلبة من رجال القبائل في شرق النوفلية وكان من مهامه منع مرور القوافل المتجهة إلى سرت وسوكنه وبعد معركة قصر بوهادي في مايو 1915(أنظر الرسالة المرسلة من القنصلية العامة رقم (3) بتاريخ 4 مايو 1915 قام بالتوغل في ولاية طرابلس ووضع قوته في طليعة حركة الثوار وكان يبدو لأول مرة كأنما جميع ولاية طرابلس قد استتبت لسيادة السنوسي الذي يمثله صفي الدين ولكن في نوفمبر 1915 بدأت الأشياء تتكشف في شرق ولاية طرابلس حيث ظهرت موجة ضد السنوسي في شخص رجل مصراتة المعروف رمضان الشتيوي وصفي الدين والأخير انهزم في بني وليد مما اضطر بعده الهروب ناحية الشرق. تلقت قوة السنوسي آخر ضرباته في ولاية

طرابلس وذلك بعد إلقاء القبض على أحمد التواتي ملازم صافي الدين والمعلم السابق تم شنق وإعدام أحمد التواتي بعد شهر من إلقاء القبض عليه وذلك بموجب قرار من أخ السنوسي والذي تم تعيينه قائمقام لزليطن من قبل صافي الدين نفسه وبعد أن اطمأن صافي الدين إلى الأوضاع ذهب إلى الكفرة حيث بقي هناك لبضعة شهور وفي عام 1917 تحرك إلى إجدابيا للعمل على تنظيم قوات القبائل الجديدة.

مصدر الوثيقة المركز الوطني للدراسات التاريخية /طرابلس.ملف أحمد الشريف . الوثائق
الانجليزية



15/1
 17/12/77
 17/12/77

ترجمة رسالة يشار اليها برقم 1 تمتعها المبعوثين رقم 162/166 من كتساب
 (لبريتزو ميرو) وقواته : (ايطاليا والسنوية)
 " عارون سفة من الممثل الاقليمي " *

مع الكاتب هذه الصفحات تحتوي الرسالة التي بعثت بها / أحمد السنوسي السوس الاخوان
 في المقيوم بتاريخ 3 نوفمبر عام 1977 م . (1)
 وقد استقبلت الرسالة بقوس :
 لا اله الا الله محمد رسول الله .
 وما تؤتيق الا بالله .
 بسم الله الرحمن الرحيم .

من ممثل السلطان / محمد رشاد في المجلس النيابي وهو :
 (أحمد الشريف السنوسي)

الى جميع الاخوان المهاجرين بالمقيوم ، بعد تقديم فاني الاحترام .
 لقد وصلتني رسالتكم التي تاني فيها الترحيب الاليم في نفسي لقد مرقت قلبي لما استوتته من الآلام
 والتيكوي نهاية للأول والسيئة التي حلت بكم واني اقسم لكم بالله بأننا لا نختلف عنكم حسوا
 وذلك بالنسبة للبلاد وحالتها كلها . وأقول لكم بأنه حطمتكم ان شاء الله كية من التمر منتمت
 بها اليكم لثقتنا بها وتقول لكم انتموا هذه الايام الى أن يصلكم الفرح من الله والخلل الذي
 فرضنا على العمل من أجله . وذلك بفضل السياسة الحكمة التي آتينا على أنفسنا اتباعها
 واحرازها بواسطة القائد السام " السيد ادريس " الذي أوعزنا اليه ونونناه بان يتخذ وسلا سياسة
 مهيمة مع الأعداء " الانجليز والفرنسيين " كي يتحصل منهم على المؤن لتكفيكم خمس سنوات حتى تتكثروا
 من الغنم من المناقعة التي حلت بكم وتنتصر البلاد والا هالي وبالتالي تتحسن أسوان المجاهدين
 ليتمكنوا بعد ذلك من مواجهة العدو بقوة وصلابة ، كما أقسم لكم بالله العظيم يا اخوتي لو تسلسوا
 وتناهدوا أسوان المعارين وما فعلوا اليه من سوء الاحوال والبرع والصرى لا شك بأنكم ستدركسون
 دموع الدم ولكن هنا هي ساعة الخلاص قريباً وأيضاً لا ريب فيها . فلا تنزعجوا ولا تميزوا ولتتمسروا
 فان " السيد ادريس " سيجعل عاجلاً الى (عكرمة) وتور ورسوله سيهاش ^(ر) ~~عالمه~~ ^ر ~~بها~~ كما نته
 كما وأنه سوف لا يتردد في استعمال اسلوب الديلة والله هنا مع العدو والايضا الى ذلك انما هي البلاد
 وانما شيها ولصالحكم أنتم بالذات عليه حال تنافوا ولا تنزعجوا فان النصر والغلبة لنا ان شاء الله وأنه
 لا يخفى عليكم باننا ولله الحمد أجمعنا خلفاً له يوس المظيمة المناقعة الحليفة لدول " تركيها
 والانيا والنسا " . هذا ويطلب لي أن اجبركم بالخبر اناس الذي وصلنا بواسطة (المناقعة المملوطة)
 وفانها بان المانيا است " باريس وبرون " وان المما استولت على نصف مملكة (ايدالها)

(1) لعل القيمة الحقيقية والاثارية تضمنون هذه الرسالة وما اشغلت عليه من تأييدات لستوا

لذلك فلا تخافوا ولا تحزنوا أبداً وكل ما استعتم اليه من دعاية لا أساس له من الصحة لان صدره
الصدور . هذا وبعد ان بلغناكم بالانتصارات التي احرزها حلفاؤنا والتي احدثت دوا كسيراً
في العالم خاصة بعد الهزيمة التي مني بها الانجليز في (قناة السويس) فانه لا يعيب عن بالكم
بان الدلفا " سحطون " مصر " خلال يومين والقصود بالحلفاء هم الذين سبق ذكرهم آنفاً
" ان تركيا والمانيا والنمسا " . وهكذا بعد ان تكون قد تحصلنا من الاعداء على العون التي زمنة
لنا ولجاهدنا وللبلاد عندنا يكون باستطاعتنا طرد الايطاليين الانزال بعد الحاقهم هزيمة
مرة وتارد هم من البلاد ومن جميع العراق ، كما لا يخفى عليكم بان الايطاليين مخصارون بعد
ذلك لقت جميع الأبواب أمامنا خاصة بعد ان سقطت جميع قواتهم في أوروبا بفضل إرادة الله
هذا ولعلكم تدركون جيداً بان الايطاليين ليسوا على استعداد لضاقتنا وان شاء الله سنحرق ما لنا
سنفعل بهم بعد ان نتحصل منهم على احتياجاتنا من العون التي سوزودنا بها كما أشرنا آنفاً
وذئان لتعذبة العجز الذي يعاني منه العراقيون والبلاد معاً . هذا صدقنا نقول " معذ رسول
الله على الله عليه وسلم " حيث انه قال " ان الحرب خدعة " ونحن نلتزم بأثار " معذ صلوات
الله وسلامه عليه " والسيد ادريس طبقاً لأمرنا الموجهة اليه لا بد وان يخدمهم ويقتال عليهم
لينال منهم ما نحتاجه ونحتاجه البلاد من مؤن وغيره . وهكذا منه روبرووس الاعداء اذا مسا
تشيخوا برأيهم وأصروا على عدم الاستجابة لعدائنا ، بينما اذا استجابوا ولبوا طلبنا نانه سيسهل
السلام بالبلاد ، هذا وقد المشرق السيد ادريس بان جعل الخداع والحيل مهيفة أمامنا والذلت
مناسبة في الوقت الحاضر فلا بد من اغتنام الفرصة المواتية لذلك فاعلمنا واستبشروا
والله سيجر ناصر وعسرين *

في ٧ صفر ١٣٢٥ هـ الموافق ليوم ٢ نوفمبر ١٩١٦ م .

تربية / صفت السيد بهنديين

تربية / ١٠ شوال ١٣٢٦ هـ

الموافق ليوم ١٤ أكتوبر ١٩١٦ م

مصدر الوثيقة / المركز الوطني للدراسات والبحوث / طرابلس . ملحقاً بالمرسلة بتاريخ ١٠/١١/١٩١٦ م

معاون / طارح الشهر

على حدود مصر الغربية والشرقية

كان لاوتومويلات البريطانية المساحة القسط الاثري في كسر جيش النصارى
 وتفتيته في خلال الشهر الماضي - وقد كان مسكراً من عهد قصير في واحة
 والواحات المجاورة لها . واليك تفصيل الخبر عن بلاغ رسمي صدر في ٨ فبراير الذي
 واجهت قوة بريطانية مؤلفة من الاوتومويلات المساحة وحدها بعد فقه
 ميل في الصحراء تلك القوات الكبرى في فبراير الحالي صباحاً ووجدتها مسكراً
 في مركز منبع محصن في جنوب « جزره » الواقعة على مسيرة ١٥ ميلاً من سيد
 غرباً وبعدها يقرب من ٨٠٠ مقاتل مسلحين بالبنادق تم حاجتها في الحال
 وقال لشمر ٢٠ ساعة فر الاعداء في الليل منهمين وقد اتفوا قبل فرارهم كية كية
 من الانجاز والمهمات واضرموا النار في خيامهم

* وبدا القتال كالمسيد احمد السنوسي الكبير في سيوه خلافاً مع نصف
 البنادق السرع فارتحل الى « شياطه » الواقعة على مسيرة ١٠٠ اميال من « جزره »
 جنوباً يقرب مستصحباً محمد صالح قائد قوته الاكبر

وفي صباح اليوم التالي ٥ فبراير دخلت القوة البريطانية الى واحة سيوه فالتها
 خالية من الاعداء وقابلها الاهالي فيها مقابلة الاصدقاء المتخصين
 وقد احتل فريق من جنودنا الضيق الكلكان بن جزره وجنوب والواح على
 مسيرة ٢٤ ميلاً غرباً والمعروف بتضيق وهو الضيق الوحيد الصالح
 القوافل والسراويله على الارض فاقبلت من اوتومويلات الاعداء كانت قادمة من الغرب
 وسد ذلك قبل اوقت قوة الامامية المبرزين من « جزره » في كين

في ذلك الضيق قسه
 * ولا رأى السيد احمد السنوسي الكبير ان جنودنا احتل الضيق اضطر
 القوافل الكبرى التي معه الى جنوباً طريقهم قادمين من مراكمها ولديها جنوباً

معلقاً على الخبرين المذكورين في هذا العدد من مجلة الخيال

معاون / طارح الشهر

على حدود مصر الغربية والشرقية

كان لاوتومويلات البريطانية المساحة القسط الاثري في كسر جيش النصارى
 وتفتيته في خلال الشهر الماضي - وقد كان مسكراً من عهد قصير في واحة
 والواحات المجاورة لها . واليك تفصيل الخبر عن بلاغ رسمي صدر في ٨ فبراير الذي
 واجهت قوة بريطانية مؤلفة من الاوتومويلات المساحة وحدها بعد فقه
 ميل في الصحراء تلك القوات الكبرى في فبراير الحالي صباحاً ووجدتها مسكراً
 في مركز منبع محصن في جنوب « جزره » الواقعة على مسيرة ١٥ ميلاً من سيد
 غرباً وبعدها يقرب من ٨٠٠ مقاتل مسلحين بالبنادق تم حاجتها في الحال
 وقال لشمر ٢٠ ساعة فر الاعداء في الليل منهمين وقد اتفوا قبل فرارهم كية كية
 من الانجاز والمهمات واضرموا النار في خيامهم

* وبدا القتال كالمسيد احمد السنوسي الكبير في سيوه خلافاً مع نصف
 البنادق السرع فارتحل الى « شياطه » الواقعة على مسيرة ١٠٠ اميال من « جزره »
 جنوباً يقرب مستصحباً محمد صالح قائد قوته الاكبر

وفي صباح اليوم التالي ٥ فبراير دخلت القوة البريطانية الى واحة سيوه فالتها
 خالية من الاعداء وقابلها الاهالي فيها مقابلة الاصدقاء المتخصين
 وقد احتل فريق من جنودنا الضيق الكلكان بن جزره وجنوب والواح على
 مسيرة ٢٤ ميلاً غرباً والمعروف بتضيق وهو الضيق الوحيد الصالح
 القوافل والسراويله على الارض فاقبلت من اوتومويلات الاعداء كانت قادمة من الغرب
 وسد ذلك قبل اوقت قوة الامامية المبرزين من « جزره » في كين

في ذلك الضيق قسه
 * ولا رأى السيد احمد السنوسي الكبير ان جنودنا احتل الضيق اضطر
 القوافل الكبرى التي معه الى جنوباً طريقهم قادمين من مراكمها ولديها جنوباً

معلقاً على الخبرين المذكورين في هذا العدد من مجلة الخيال

شكل 8

بحث بعنوان: العلاقات الإنسانية وأهميتها الصحية والنفسية في المجتمع المدرسي

د. ربيعة عمر الحضيبي

ملخص البحث:

هدف البحث التعرف على مدى أهمية العلاقات الإنسانية في المدرسة، والتعرف على كيفية إسهامها في تحقيق الصحة النفسية للأفراد داخل المدرسة، وكيفية إسهامها في تطوير مستوى الأداء داخل المدرسة، وأهم العوائق التي تحول دون بناء علاقات إنسانية سليمة بين الأفراد داخل المدرسة. وقد اتبعت الباحثة خلال هذا البحث أسلوب البحث الاستقصائي التحليلي والملاحظات الشخصية كأداة لجمع المعلومات فيه . وقد خلصت الباحثة على ان العلاقات الإنسانية السليمة القائمة على الاحترام والألفة وروح التعاون تساعد على تحقيق الصحة النفسية لكل من المدير والمعلمين والطلاب وبالتالي الارتقاء بالعمل التربوي وتحقيق الأهداف التي وجدت المدرسة من أجلها.

الكلمات المفتاحية: العلاقات الإنسانية، الصحة النفسية، المدرسة.

مقدمة:

منذ بدء الخليقة ومنذ تواجد الإنسان على وجه هذه البسيطة، سعى لتكوين علاقات مع غيره من بني جنسه ، فالعلاقات الإنسانية وجدت مع بدء الوجود وهكذا تكونت المجتمعات البشرية، والإنسان هو كائن اجتماعي بطبعه لا يمكنه أن يتواجد بعيدا عن بني جنسه، ولا يمكنه أن ينأى عن تكوين علاقات إنسانية وروابط اجتماعية معهم.

ويشير مفهوم العلاقات الإنسانية إلى حصيلة الصلات والاتصالات التي تحكم علاقة الفرد بغيره من الناس والمؤسسات التي يتعامل معها وفق قوانين المجتمع ومعاييره الاجتماعية وذلك من خلال مؤسسات المجتمع المختلفة كالأ أسرة وجماعات الرفاق ومؤسسات المجتمع الأخرى. ويرى العلماء أن العلاقات الإنسانية حصيلة الاتصال بين الفرد والمجتمع ففي الجوانب النفسية والاجتماعية التي تعمل على تنظيم علاقة الفرد بالآخرين والمجتمع. وتعمل على ضمان تكيف الفرد وتوازنه ليتمكن من أداء مهامه وأدواره بطريقة منتظمة ومنسجمة مع أنظمة المجتمع وقوانينه المختلفة (أحمد، 1985).

وتلعب العلاقات الإنسانية دورا كبيرا في تحقيق الصحة النفسية للأفراد من خلال مساعدة الفرد على توفير مطالبه الأساسية. في الحياة وإشباع حاجاته ليصل إلى درجة مقبولة من الرضا والتوازن اللذان يمثلان أهم مظاهر الصحة النفسية وشروطها، فالعلاقات الإنسانية ليست مجرد خبرة واحساس يكتسبه الفرد من خلال الخبرة والممارسة بل أصبحت علما في فن التعامل مع الأفراد والجماعات ورفع روحهم المعنوية لتعزيز نموهم السليم وتكيفهم مع عناصر المجتمع.

توصف المدرسة بأنها مؤسسة تعليمية / تربية، تعمل على تخريج الأجيال القادرة على الإسهام في تقدم المجتمع وتطويره. ولذلك فإن هذه المؤسسة تحتاج إلى قيادة كفوءة، يمثّلها مدير المدرسة بما يمتلك من خبرات تربية وإدارية، تمكّنه من التعاون مع المعلمين لتوجيه العمل المدرسي نحو الأفضل. وهذا يتوقّف على مستوى العلاقات الإنسانية السائدة بين الإدارة والمعلمين والطلاب، والتي تقوم على الثقة والاحترام المتبادل، وتأمين الراحة والأمان، بما يعزز العلاقة الوطيدة بين المدير والمعلمين والطلاب لتحقيق النظام المدرسي، ورفع كفاية العملية التربوية من جوانبها المختلفة (حلاوة، 2012).

فإذا وقّفت المدرسة في تحقيق رسالتها على هذا النحو، فقد وُقّفت في أن تكفل لأبنائها خير الأجواء ملائمة لصحة نفوسهم، والتي تتمثّل أهم مؤشراتها في: قدرتهم على التوافق الداخلي بين دوافعهم المختلفة، وفي التوافق الخارجي في علاقاتهم ببيئتهم المحيطة، بما فيها ومنّ فيها من موضوعات وأشخاص (هارون، 2013).

وغني عن البيان أن الصحة النفسية هي من أهم الأهداف التي تسعى المدرسة إلى تحقيقها في طلابها على وجه الخصوص وفي كل العاملين فيها وفي الميدان التربوي على وجه العموم ، ولذلك فإن هذا البحث يرمي إلى محاولة توضيح مدى تأثير العلاقات الإنسانية السائدة في المدرسة على الصحة النفسية للفراد المنتمين إلى هذه المؤسسة الاجتماعية التي تعنى بالتربية وبناء الإنسان الذي هو الغاية الاسمي للمجتمعات البشرية.

مشكلة البحث:

تحتل العلاقات الإنسانية مكانة كبيرة في حياة الأفراد والمجتمعات ، وتلعب دورا كبيرا في تمتعهم بدرجة هامة من الصحة النفسية لديهم.

ولذلك فإن مشكلة البحث قد تحددت في التساؤلات التالية:

- 1- ما أهمية العلاقات الإنسانية في المدرسة؟
 - 2- كيف تسهم العلاقات الإنسانية في تحقيق الصحة النفسية للأفراد داخل المدرسة؟
 - 3- كيف تسهم العلاقات الإنسانية بين الأفراد في تطوير مستوى الأداء داخل المدرسة؟
 - 4- ما هي العوائق التي تحول دون بناء علاقات إنسانية سليمة بين الأفراد داخل المدرسة؟
- أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في الآتي:

- 1- تسليط الضوء على أهم العلاقات الإنسانية التي يمكن ان تنشأ في المؤسسات التربوية، لتحديد مدى أهميتها ودورها في زيادة الإنتاجية في هذه المؤسسات وتحسين مستوى الأداء بين أفرادها؛ حيث من المتوقع أن تسهم بشكل كبير في تمتع أفراد المؤسسة بالصحة النفسية ، وبالتالي تقديم أفضل ما لديهم من قدرات يمكن ان تسهم في نجاح العملية التربوية برمتها والارتقاء بها قدما.
- 2- استخدام نتائج هذا البحث كأداة تشخيصية وعلاجية في آن واحد معا للمشكلات التي تعاني منها المدرسة، بحيث تمكن العاملين داخل هذه المؤسسة التربوية من معرفة طبيعة العلاقات الإنسانية السليمة التي يجب تنشأ بينهم داخل مؤسساتهم للارتقاء بها بشكل يحافظ

على تمتع كل هؤلاء الأفراد بدرجة متوازنة ومتساوية من الصحة النفسية التي تعتبر من أهم الأهداف العامة للقطاع التربوي بشكل عام.

3- تقديم بعض التوصيات التي تحسن من طبيعة العلاقات الإنسانية داخل المؤسسات التربوية، والدور الذي تلعبه علاقات العمل الفاعلة في الارتقاء برضى العاملين والوظيفي وانعكاسه على الصحة النفسية لهم وبالتالي على مردود العملية التربوية برمتها.

أهداف البحث:

- 1- التعرف على مدى أهمية العلاقات الإنسانية في المدرسة.
- 2- التعرف على كيفية إسهام العلاقات الإنسانية في تحقيق الصحة النفسية للأفراد داخل المدرسة.
- 3- التعرف كيفية إسهام العلاقات الإنسانية بين الأفراد في تطوير مستوى الأداء داخل المدرسة.
- 4- التعرف على أهم العوائق التي تحول دون بناء علاقات إنسانية سليمة بين الأفراد داخل المدرسة.

محددات البحث:

- 1- يتناول هذا البحث استقصاء أهم الآثار الناتجة عن طبيعة العلاقات الإنسانية القائمة في المؤسسات التربوية على الصحة النفسية لأفراد هذه المؤسسات سلبيًا وإيجابيًا.
 - 2- اعتماد الملاحظة كأداة لجمع بيانات هذا البحث.
- مفهوم العلاقات الإنسانية: تقوم العلاقات الإنسانية بين طرفين أو أكثر ، وهذه العلاقة هي بمثابة الاتصال بين الناس، ويقوم مفهوم العلاقات الإنسانية على أساس أن الأفراد حيثما كانوا في مواقع

العمل يشكلون مجموعة من العلاقات بينهم وبين أنفسهم أو بينهم وبين رؤسائهم والمشرفين عليهم والمتعاملين معهم. ويرى البعض أن العلاقات الإنسانية تهتم بشكل رئيسي بالتفاعلات التي تتم بين الأفراد باعتبارهم بشرا لهم مشاعر وعواطف وقيم وحاجات نفسية واجتماعية، وهي تهتم كذلك بتحسين هذه التفاعلات، بحيث ترتفع الروح المعنوية لهؤلاء الأفراد ، مهما كانت طبيعة المؤسسات التي يعملون فيها ، وفي الوقت ذاته تتمكن هذه المؤسسات من تحقيق أهدافها(الزبون وآخرون،2010).

ومن هنا يتبين أن العلاقات الإنسانية ليست مجرد كلمات أو عبارات مجاملة وإنما هي بالإضافة إلى ذلك تفهم لقدرات الأفراد وطاقتهم وظروفهم ودوافعهم وحاجاتهم واستخدام كل هذه العوامل لحفزهم على العمل. وهناك عدة معاني يستخدم بها مفهوم العلاقات الإنسانية ، ولكنها بالمعنى السلوكي ، ” يقصد بها عملية ملائمة لطاقت ودوافع وظروف الأفراد في مواقف معينة ، مع تحقيق توازن بين حاجاتهم رضاهم النفسي ، وبين تحقيق الأهداف المرغوبة. وهي في إطار هذا المفهوم تهدف إلى إشباع الحاجات النفسية الأساسية للأفراد، وفي مقدمة الحاجات الإنسانية للفرد في عمله الشعور بالأمن والإطمئنان والإحساس بالانتماء والتيقن بالهدف، والإعتراف بوجوده، والإشادة بنفسه، واكتساب الخبرات والتجارب.(العرفي، 1993)

والعلاقات الإنسانية في المدرسة من أهم العوامل التي تؤثر تأثيرا بالغا في المدرسة وذلك لأن الفرد حينما يشعر أن هناك من يعمل على راحته ومن يعمل ليوفر له الأمن والطمأنينة النفسية. وهناك من يفكر في مصلحته فإن ذلك يساعده على بذل قصارى جهده في العمل ويرفع من كفاية الإنتاج في المدرسة وهو أيضا رفع المستوى العلمي للتلاميذ في المدرسة. فإذا كان مدير المدرسة والوكلاء والمعلمون الأوائل كممثلين للإدارة المدرسية يعملون بمفردهم دون استشارة وأخذ

وجهات نظر بقية المعلمين والتلاميذ. فإن قراراتهم سوف تقابل بالرفض وعدم القبول. وينتج هذا الرفض من جانب التلاميذ لكل قرار تصدره المدرسة. وهنا تبرز ديموقراطية الإدارة في تفهم حاجات البيئة المدرسية على الجميع بمن فيها. (أحمد، 1985).

العلاقات الإنسانية في المجال التربوي :

ويقصد بها عملية تنشيط واقع الأفراد في موقف معين مع تحقيق إحداث التوازن بين إرضاء حاجاتهم النفسية وتحقيق الأهداف المرغوبة. ومن هنا يمكن أن نفهم أن الهدف الرئيسي للعلاقات الإنسانية في المؤسسة التربوية يدور حول التوفيق بين إرضاء الحاجات الإنسانية للمعلمين والطلاب وكل العاملين بالمدرسة وبين تحقيق أهداف المدرسة ولهذا فإن الهدف الرئيسي للعلاقات الإنسانية يتضمن إرضاء أو إشباع الحاجات الإنسانية وما يرتبط بها من دوافع التنظيم ورفع الروح المعنوية وتحسين ظروف العمل والوضع المادي للمعلمين والإداريين بالمدرسة. (زين، 2011)

إذا فالعلاقات الإنسانية ضرورية ليس للإدارة التعليمية التربوية فحسب وإنما للجميع فهي مهمة:

1- في علاقة المعلم مع الطالب حيث أن هذا النوع من العلاقات يجب تكون مشابهة لعلاقة

الوالد مع أبنائه يسودها الحب والدفء والتفهم والحزم في آن واحد.

2- ومهمة في علاقة المعلم مع زملائه فهي علاقة يجب أن تسودها روح الأخوة والتعاون

والاحترام.

3- ومهمة في علاقة المعلم مع مدير المدرسة حيث يجب أن يلعب المدير الدور الرئيسي في

تنظيم العلاقات وتحقيق النظام وتوزيع الدوار داخل المدرسة.

4- ومهمة في علاقة المعلم مع المشرف التربوي الذي يمثل المرجعية التربوية التي يلجأ إليها

المعلم لمساعدته في تحقيق الأهداف التي تسعى إليها العملية التربوية.

5- وكذلك مهمة لمدير المدرسة مع من حوله من طلاب و معلمين و مشرفيين.

6- وكذلك العلاقات الإنسانية مهمة للمشرف التربوي مع الطلبة والمعلمين ومديري المدارس

،بمعنى أن العلاقات الإنسانية مهمة لنا جميعا بغض النظر عن موقعنا على خارطة .

التربية والتعليم.

أهمية العلاقات الإنسانية داخل المدرسة:

إن العلاقات الإنسانية السليمة التي تسود بين أفراد المدرسة، تنعكس بصورة إيجابية على العاملين في هذه المؤسسة . الأمر الذي يتطلب أن تكون هذه العلاقات إنسانية طيبة، تتمثل في الأخلاق الفاضلة والاحترام المتبادل والتعاون بين الإدارة والعاملين في المدرسة والطلاب. وبذلك تتحقق أفضل النتائج في المجال التربوي، وتؤدي المدرسة رسالتها بنجاح. ولكن العلاقات الإنسانية لا تسود إلا في جو ديمقراطي، يجب على العاملين في المدرسة أن يؤمنوه من خلال تعاملهم فيما بينهم وتعاملهم مع الطلاب . فالروح المعنوية العالية عند العاملين في المدرسة، تؤدي إلى زيادة الأداء، ودفع عجلة العملية التربوية والتعليمية إلى الأمام، ويمكنها من تحقيق أهدافها . وهذا يتوقف على مدى ما يمتلكه مدير المدرسة من مؤهلات علمية وإدارية، ومن خبرة فنية وإدارية، ومن روح ديمقراطية، وحب لعمله، ورغبة في إشراك العاملين في مسؤولياته وسلطاته الإدارية (حلاوة، 2012). ويتوقف أيضا على تجاوب بقية العاملين في المدرسة من معلمين وطلاب مع المدير في بناء علاقات إنسانية إيجابية وسليمة.

كما أنه من المعروف أن المدرسة هي من أهم مؤسسات بناء المجتمع وتقدمه، فالمدرسة هي التي تربي وتعلم أجيال المستقبل، وتسعى إلى تحقيق الأهداف التربوية المنبثقة عن الفلسفة التربوية، والعلاقات الإنسانية في المدرسة جزء مهم في العملية التربوية، تساعد على تسهيل العمل اليومي، وحتى يتم التطوير، فمن المهم أن يسلك العاملون في المدرسة سلوكاً له دور فعال في تحقيق الأهداف التي قامت من أجلها هذه المؤسسة التربوية، وهذا الدور لن يكون فعالاً بالدرجة المطلوبة إن لم يضع مدير المدرسة أثناء قيامه بعمله رغبات المعلمين وحاجاتهم في اعتباره. لذلك أولى كثير من الباحثين التربويين أهمية للمعلم وللعوامل التي تؤثر في فاعليته، وكان من أهمها السلوك القيادي للنمط الإداري الذي يمارسه المدير في المدرسة التي يعمل فيها المعلم

مفهوم الصحة النفسية :

الصحة النفسية هي حالة دائمة نسبياً يكون الفرد فيه متوافقاً مع نفسه ومع الآخرين ويشعر بالرضا عن نفسه والسعادة النسبية في حياته . ويكون قادراً على تحقيق ذاته واستغلال قدراته إلى أقصى حد ممكن، ويكون قادراً على مواجهة مطالب الحياة، وتكون شخصيته متكاملة وسوية (أمين، 2004)، ويكون سلوكه عادي متنسقاً مع معايير المجتمع الذي يعيش فيه متقبلاً لقيمه وأعرافه.

دور المدرسة في تحقيق الصحة النفسية:

تعتبر المدرسة أحد المؤسسات التربوية المهمة في أي مجتمع، وهي البيئة التي تحتضن الطالب طوال فترات سنوات تعليمه، وللمدرسة دور ورسالة تربوية مهمة تهدف إلى تكوين الشخصية المتكاملة للدارس وإعداده، ليكون مواطناً صالحاً يساهم في تقدم بلاده، في حين كان

ينظر إلى هذه الرسالة التربوية على أنها عملية تعليم وتحصيل للمعرفة، لذا كانت الحاجة ضرورية وماسة إلى استعانة المدرسة بالإخصائيين النفسيين فتلتقي أهداف الصحة النفسية بأهداف التربية في خلق جيل قادر على مواجهة تحديات العصر ومن هنا يجب حمايته من الاضطرابات والانحرافات وإطلاق ما لديه من طاقات كامنة واستعدادات إلى أقصى حد ممكن، فالعلاقة إذن وثيقة ومتبادلة بين الصحة النفسية والمدرسة.

وتُعتبر المدرسة المؤسسة الاجتماعية التي تلي الأسرة مباشرة في أهميتها وتأثيرها على الصحة النفسية ودرجة توافق الأبناء نفسيًا واجتماعيًا، خاصة أن الأسرة في العصر الحديث لا تُتيح لها إمكانياتها وظروف الآباء فيها أن تضطلع بجميع المهام التي كانت تضطلع بها قديمًا عندما كانت الحياة بسيطة ومُتطلباتها محدودة، فالمدرسة هي الوسط الذي ينمو فيه التلاميذ خارج الأسرة ويُمضون فيه أغلب يومهم.

ولذلك؛ فالمدرسة ليست مجرد مكان يتم فيه تعلم المهارات الأكاديمية والعلمية، وإنما هي مجتمع مُصغَّر يتفاعل فيه الأعضاء ويؤثر بعضهم في البعض الآخر، وإذا كانت أسس الصحة النفسية للفرد تبدأ في البيت خلال السنوات التكوينية الأولى لحياة الطفل مع أسرته، إلا أن المدرسة تظل رغم ذلك ذات أثر تكويني هام في حياة الطفل وشخصيته لا يكاد يقلُّ عن أثر البيت؛ ذلك أن المفهوم الحديث للمدرسة لا يقتصر على مجرد كونها مكانًا يتزود الطفل فيه بالمعرفة وحسب، بل مجال تتفحَّح فيه شخصيته وترقى في جوه إمكانياته وتنمو فاعليته في المجتمع، وهي بذلك ذات رسالة تربوية تهدف إلى ما هو أشمل من مجرد التعليم وتحصيل المعرفة، ومن أهم أهداف هذه الرسالة تكوين الشخصية المتكاملة للتلميذ وإعداده ليكون مواطنًا صالحًا، ورعاية نموه البدني والذهني والوجداني والاجتماعي في آنٍ واحد معًا. (هارون ، 2013)

وتلعب العلاقات الإنسانية السائدة في المدرسة دورا كبيرا في تمتع أفرادها بالصحة النفسية ، حيث تتكون الصداقات بين الطلاب بعضهم البعض من خلال عملية التفاعل الاجتماعي التي تتولّد عن الأنشطة المدرسية المختلفة، ويلعب التفاعل الاجتماعي الدراسي الناتج عن نشاط الجماعة دورًا في تنمية تفكير التلميذ، وفي مقدّته على حل المشكلات والصعوبات التي تُعترضه في حياته اليومية، والتلميذ يشعر من خلال مشاركته في النشاط المدرسي بتحمّل المسؤولية وقيامه بها، ويتحقّقه لمكانته الاجتماعية، وفي جماعة الفصل يتعلم الكثير عن نفسه وعن زملائه، متمثلاً ذلك في القيم والمعايير الاجتماعية.

كذلك الحال بالنسبة للعلاقات السائدة بين المعلمين والإدارة وبين بعضهم البعض وبين الطلاب فكما كانت هذه العلاقات قائمة على الاحترام والحب المتبادل والشعور بالمسؤولية تجاه العملية التربوية برمتها كلما ساعدت في تحقيق التوافق بين أفرادها ، هذا التوافق الذي يعتبر مظهرا مهما من مظاهر الصحة النفسية .

العلاقات الإنسانية الإيجابية ودورها في تطوير مستوى الأداء داخل المدرسة:

يرى البعض أن العلاقات الإنسانية هي عمليات حفز للأفراد في موقف معين بشكل فعال ، ويؤدي إلى الوصول إلى توازن في الأهداف ليعطي المزيد من الرضا الإنساني ، كما يساعد على تحقيق مطالب العمل، أي ان العلاقات الإيجابية تؤدي إلى ارتفاع في الإنتاجية، عن طرق خلق افراد سعداء يشعرون بالرضا عن أعمالهم(الحري، 2003). وهذا تماما ما تحدّثه العلاقات الإنسانية الإيجابية داخل المدرسة حيث تؤدي إلى شيوخ روح التعاون والاحترام والمحبة بين المدير والمعلمين والطلاب ما ين عكس غيجابا على الصحة النفسية للمعلمين فيزداد عطاؤهم واهتمامهم

بتحقيق أهداف التربية والصحة النفسية للطلاب مما يساعد على خلق الدافعية للتعلم لديهم وشيوع روح التعاون بينهم ويشجعهم على التعلم الذاتي ومساعدة بعضهم البعض على التعلم الفعال.

العوائق التي تحول دون بناء علاقات إنسانية سليمة داخل المدرسة:

قد تحول بعض العوائق دون بناء علاقات إنسانية سليمة بين الأفراد داخل المدرسة ومن أهمها:

1- الإدارة التسلطية غير الديمقراطية: حيث يؤدي هذا النوع من الإدارة إلى شعور المعلمين

بالممل ويخلق لديهم رغبة في التمرد على تسلط الإدارة ويعمل على تثبيط همتهم للعمل

ويعصرفهم عن الاهتمام بتحقيق أهداف المدرسة المنشودة .

2- عدم اهتمام الإدارة والمعلمين برغبات التلاميذ وحاجاتهم النفسية مما يخلق حاجزا بين

التلاميذ ومعلميهم وبالتالي تصبح المدرسة بالنسبة إلى الطلاب بمثابة السجن الذي يحول

بينهم وبين تحقيق اهدافهم ما يفقدهم الدافعية للتعلم التي هي عماد العملية التربوية برمتها

وبالتالي إخفاقهم فيها.

3- عدم المساواة في معاملة الطلاب من قبل المعلمين ما يخلق لديهم الصراع والعداء

ويعصرفهم عن الاهتمام بالجانب التعليمي.

التوصيات:

من خلال هذا البحث الاستقصائي توصي الباحثة بالآتي:

1- الاهتمام ببناء علاقات إنسانية فعالة بين الأفراد داخل المدرسة من خلال الاحترام المتبادل

وسيادة الجو الديمقراطي بين كل من المدير والمعلمين والطلاب.

2- الاهتمام بالصحة النفسية للطلاب والمعلمين داخل المدرسة من أجل ضمان أدائهم الفعال في العملية التربوية.

3- الاهتمام بإجراء الندوات التي تتناول العلاقات الإنسانية داخل المدرسة ودعوة المعلمين والمدراء للمشاركة فيها من أجل توعيتهم بأهميتها وكيفية تحسينها داخل مدرستهم.

المراجع

- أحمد، أحمد إبراهيم. 1985. نحو تطوير الإدارة المدرسية: دراسات نظرية وميدانية. دار المطبوعات الجديدة ، القاهرة.

- أميم، عثمان علي. 2004. في الصحة النفسية. الجزء الأول. درا الكتب الوطنية، بنغازي

- الحريين خالد بن حمدي الحميدي . 2003. أثر العلاقات الإنسانية على أداء العاملين في الأجهزة الأمنية، دراسة على العاملين بإدارة جوازات منطقة الرياض والمنطقة الشرقية. رسالة ماجستير. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض . المملكة العربية السعودية.

- الزبون، سليم عودة. والزون، محمد سليم. وموسى، سليمان ذياب علي. 2010. درجة استخدام مديري المدارس الثانوية في محافظة جرش لأسلوب العلاقات الإنسانية في الإدارة المدرسية من وجهة نظر معلميه. مجلة جامعة دمشق، 3 (26): 657-693.

- زين، عبد العزيز محمد. 2011. [العلاقات الإنسانية في الإدارات والمؤسسات التربوية](#).

- العرفي، عبد الله بلقاسم. 1993. الإدارة المدرسية اصولها وتطبيقاتها. منشورات جامعة قاريونس، بنغازي.

- حلاوة، باسمة. 2012. العلاقات الإنسانية بين المدرسين والمديرين كما يراها مدرسو التعليم الثانوي، دراسة ميدانية. مجلة جامعة دمشق، 4 (28): 249-277

- هارون، فرغلي. 2013. المدرسة والصحة النفسية لأبنائنا. شبكة الألوكة.

التنظير المقاصدي عند الطاهر ابن عاشور من خلال مقدماته العشر في تفسيره التحرير والتنوير

أ: خالد سعيد يوسف تفوشيت

مقدمة.

يعدُّ تفسير التحرير والتنوير من أدلِّ الكتب، وأقدرها على التعريف بمكانة ابن عاشور⁽¹⁾ وثقافته، والملفت للنظر من الوهلة الأولى هو عنوانه، فالمتمأل في الألفاظ الأربعة التالية: (تحرير، تنوير، عقل، جديد) تحيله إلى المناخ الفكري الذي أشرنا إليه، إعلاناً منه أنه إزاء محاولة جديدة لفهم الكتاب المجيد، محاولة تتغيّ سداد المعنى المحرر من جهة، وتجديد عقلية المسلم من جهة أخرى⁽²⁾.

فمن خلال العنوان نفهم تصور ابن عاشور لدور تفسيره في مشروعه الإصلاحية، حيث مضى فيه على نمط فريد يداني به كبار أئمة التفسير، ويجنح بطلابه فيه إلى مختلف الطرق تمكيناً لفهم النص القرآني فهماً كاملاً، وتدريباً لهم على الغوص في لطائف معانيه وإشاراته، غوصاً يسمح لهم بالانتباه إلى دقائقه⁽³⁾.

وقد استهل تفسيره بمقدمات عشرٍ كرّسها لعلوم القرآن، وتوضيح منهجه في التفسير، وهي

كالتالي:

المقدمة الأولى: في التفسير والتأويل وكون التفسير علماً.

المقدمة الثانية: في استمداد علم التفسير.

(1) محمد الطاهر ابن عاشور (1879-1973م) عالم وفقه تونسي، أسرته منحدر من الأندلس، تعلم بجامع الزيتونة ثم أصبح من كبار أساتذته، وتولى العديد من المناصب الإدارية والعلمية، حيث سمي حاكماً بالمجلس المختلط، ثم قاضياً مالكيًا، ثم ارتقى إلى رتبة الإفتاء، واختير لمنصب شيخ الإسلام المالكي، وبعد حذف النظارة العلمية أصبح أول شيخ لجامعة الزيتونة... من أهم مؤلفاته تفسيره التحرير والتنوير، ومقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام. انظر المنصف الشنوفي: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، العدد العاشر 1973، حوليات الجامعة التونسية، ص6، وانظر محمد الحبيب ابن الخوجة: محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية (قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط1، 2004) ج1، ص 153، 169.

(2) انظر الحسني: نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور (هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1995) ص9.

- وانظر جمال الدين دراويل: مسألة الحرية في مدونة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (بغداد: العراق، مركز دراسات فلسفة الدين، وبيروت: لبنان، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2006) ص 26، 27.

(3) ابن الخوجة: محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، ج1، ص 318.

- المقدمة الثالثة: في صحة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي ونحوه.
- المقدمة الرابعة: فيما يحق أن يكون غرض المفسر.
- المقدمة الخامسة: في أسباب النزول.
- المقدمة السادسة: في القراءات.
- المقدمة السابعة: في قصص القرآن.
- المقدمة الثامنة: في اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها.
- المقدمة التاسعة: في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة بها.
- المقدمة العاشرة: في إعجاز القرآن.

والناظر في مضمون هذه المقدمات يلاحظ عدم إشارة ابن عاشور إلى المناهج الحديثة في التفسير كالتفسير البياني، والتفسير الموضوعي، والتفسير الاجتماعي وغيرها، ولعل ذلك يرجع إلى تكبير ابن عاشور في كتابتها⁽¹⁾، فقد سبق تأليف هذه المقدمات كتابة التفسير نفسه، والظاهر أن ابن عاشور انتهى من تفسيره قبل ظهور هذه المناهج التي لم تبدأ قبل الأربعينات.

وعلى الرغم من النزعة التراثية في فكر ابن عاشور، فإنه يحاول عبر مقدماته تأسيس أصول تفسير تجمع بين العمق التراثي والروح الإصلاحية في زمن ما زال الخلاف والنقاش حول أصول التفسير، ومناهج القراءة المعاصرة للقرآن مثار أخذ ورد وإيراد واعتراض بين العلماء، فأراد من خلالها " تصفية الحساب وتحقيق القول بنوع من الحسم في عدد من القضايا والإشكاليات"⁽²⁾.

والمنتبع لفكر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير يلمس استقراءه لجزئيات الموضوع ومسائله، سواء كانت لغوية أو فقهية، أو بلاغية أو اجتماعية وغير ذلك وإخضاع كل ما له علاقة بالموضوع للبحث والشرح والتحليل ليستنبط الحكم أو يستخرج النتيجة التي قاده إليها البحث، فهو منهج استقرائي للنصوص تحليلي، استنباطي. وتتجلى مظاهر هذا المنهج الفكري واضحة في:

(1) وقد كانت هذه المقدمات في الأساس دروساً أُلقيت على طلبة الزيتونة، وتنتشر تبعاً في المجلة الزيتونية، ثم نشرها في كتاب مستقل تحت عنوان (مقدمات تفسير التحرير والتنوير) كما أعاد طبعها في كتاب مستقل الدكتور الميساوي تحت عنوان (الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور مقدمات تفسير التحرير والتنوير) حيث قام بتوثيق شواهدا والتعليق عليها، طبع الكتاب بدار التجديد سنة 2006م، وقد تولت الدار التونسية للنشر بتونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر طبع هذا التفسير في ثلاثين جزءاً سنة 1984م.

(2) محمد الطاهر ابن عاشور: **مقدمات تفسير التحرير والتنوير**، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي (كوالامبور: ماليزيا، دار التجديد، ط1، 2006) ص 14.

الجانب التمهيدي للسور، والذي يشتمل على: تحليل عنوان السور، وما ورد في ذلك من آثار، وبيان كون السورة مكية أو مدنية والخلاف في ذلك، ثم ذكر الراجح لديه من تلك الأقوال، وترتيب السورة بين السور الأخرى، وعدد آياتها.

وبيان أغراض السورة، ومقاصدها، وتحديد الموضوعات التي تطرقت إليها في تعداد رقمي أحياناً، أو أسلوب استرسالي أحياناً أخرى.

وربط نهاية كل سورة بافتتاحيتها بطريقة سلسلة منطقية، وبه يكون تمام التمهيد للسور، ويشتمل جانب الدراسة التحليلية الموضوعية للآي والسور عنده على الخطوات التالية:

أولاً: إظهار الإبداع البلاغي في افتتاحية السور بما يدل على الإعجاز القرآني وإبراز المقاصد والمعاني الشرعية من خلاله في أسلوب أدبي رفيع، وتعبيرات بليغة.

ثانياً: البدء بتحليل الآيات من جهة اللفظ والإعراب، وما يترتب على ذلك من اختلاف المعاني، أو توافقها، وتباين الأحكام، أو تطابقها.

ثالثاً: المقارنة بين الآيات المتجانسة ذات الموضوع الواحد من حيث التعبير، والمعنى والأحكام.

رابعاً: تجميع الآراء والأدلة في المسائل الشرعية واستقراءها، والتعرض لها بالمناقشة والتحليل، والخروج منها برأي جديد، أو ترجيح سديد.

خامساً: وقوفه طويلاً عند المسائل العلمية ذات الصبغة الشرعية، والاتجاهات المقاصدية التي هي من أغراض القرآن الكريم، وإبداء رأيه فيها.

سادساً: أعطى مساحة طيبة للمسائل العلمية الأخرى في إطار منهجه العام الذي وضحه فيما يتعلق بالاستطراد، فسلك فيها مسلك الإيجاز وذكر خلاصة الكلام فيها. سابعاً: العرض الوافي للمعنى العام للآيات الكريمة، وما تفيده من أحكام وآداب في أسلوب علمي سلس.

ثامناً: إجماله الكلام لبعض الموضوعات التي سبق أن تعرض لها أو تأجيله للكلام فيها لمناسبة أخرى تكون أكثر انسجاماً معها، حيث تعرضت لها الآيات في مواطن الإحالة بتفصيل أكثر، تقادياً للتكرار الممل.

تاسعاً: اهتم ببيان الجوانب التي لم يسبق أن تعرض لها المفسرون في مدلول الآيات، أو الكشف عن المقصد الشرعي منها.

- الدعوة إلى إنشاء علم المقاصد:

إن أهم ما يستوقف الباحث في الفكر المقاصدي عند ابن عاشور، دعوته الملحة إلى ضرورة إنشاء (علم المقاصد الشرعية) مشروعاً علمياً يتغيا إقامة مسالك التفقه الشرعي على أصول مقاصدية من شأنها التقريب بين المدارك العلمية والتوحيد في التصورات النظرية للفقهاء، فإنجاز هذا المطلب العلمي يعد مقصد ابن عاشور الأولي من البحث في المقاصد الشرعية. ذلك المطلب المتجسد في دعوته إلى استخلاص ثلثة من الأصول القطعية في التفقه الشرعي، وإبراز مدى قطعيتها أو قربها من القطع، حتى يصح تحكيمها في الحجاج والاستدلال، فـ " إن أعظم ما يهم المتفقهين إيجاد ثلثة من المقاصد القطعية لجعلوها أصلاً يصار إليه في الفقه والجدل"⁽¹⁾، حيث سيطرت هذه الإشكالية على منهجه واستولت على حيز كبير من اهتمامه فكانت الإطار المنهجي الذي يندرج فيه بحث المقاصد الشرعية، وبسياقه العلمي ترتبط نظرية المقاصد⁽²⁾.

إنها تطرح وجهة نظره في البحث الأصولي هادفة منه ضبط جملة من الأصول القطعية تصلح أساساً للعملية الاجتهادية، ووسيلة ذلك هو إعادة صياغة تلك الأصول التي تصلح أن يشاد عليها علم جديد هو علم مقاصد الشريعة⁽³⁾.

وفي ذلك يقول: " فنحن إذا أردنا أن ندون أصولاً قطعية للتفقه في الدين حق علينا أن نعد إلى مسائل أصول الفقه المتعارفة وأن نعيد ذوبها في بوتقة التدوين وغيرها بمعيار النظر والنقد فننفي عنها الأجزاء الغريبة التي غلثت بها، ونضع فيها أشرف معادن مدارك الفقه والنظر، ثم نعيد صوغ ذلك العلم ونسميه علم مقاصد الشريعة"⁽⁴⁾.

(1) ابن عاشور: المرجع نفسه، ص 169.

(2) سبق أن بينا موقف ابن عاشور من إشكالية القطع والظن في الفصل الثاني من الباب الثاني، ص 105.

(3) حاول ابن عاشور أن يبرز المقاصد التي عرضها من أصول قطعية أو قريبة من القطع، من خلال الجمع بين عدة مصادر وكذلك المقاربة بينها إلا أنه تخلى عن أصله في المسألة لأنه قرر في موطن آخر من كتابه إمكان طريان القطع والظن على المقاصد الشرعية فقال: " وعلى هذا فالحاصل للباحث عن المقاصد الشرعية قد يكون علماً قطعياً أو قريباً من القطعي وقد يكون ظنياً... واعلم أنّ مراتب الظنون في فهم المقاصد متفاوتة بحسب تفاوت الاستقراء المستند إلى مقدار ما بين يدي الناظر من الأدلة، وبحسب خفاء الدلالة وقوتها " ابن عاشور: المرجع نفسه، ص 168، 173. وهذا الذي ذكره ابن عاشور يهدم ما أتى على تأسيسه في تعقيبه وردّه على الجويني بإقحام الظنيات في أصول الفقه الذي يقول بقطعيتها، ثم إضافة إلى هذا هل سيتحقق هدف ابن عاشور الذي هو أن تكون المقاصد الشرعية ملجأً للمتازعين والمختلفين، مع أنه انتهى إلى أنها يجري عليها الظن؟

(4) ابن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص 122.

ويقول في موضع آخر: " وإنما أردت أن تكون ثلثة من القواعد القطعية ملجأً نلجأ إليه عند الاختلاف والمكابرة، وأن ما يحصل من تلك القواعد هو ما نسميه علم مقاصد الشريعة، وليس ذلك بعلم أصول الفقه "(1).

بعد ذلك تابع قوله ببيان موقفه من العلماء الذين قالوا بقطعية أصول الفقه، فقال: " وقد حاول بعض النظار من علماء أصول الفقه أن يجعلوا أصولاً للفقه قطعية فطفت بذلك كلمات منهم، لكنهم ارتبكوا في تعيين طريقة ذلك "(2) فعرض كلام العلماء القائلين بقطعية أصول الفقه مناقشاً إياها، ومبيناً ارتباكهم في تعيين طريقة ذلك.

ورغم حرص ابن عاشور الشديد على بناء قواعد قطعية لعلم المقاصد إلا أنه ينتهي في الأخير إلى أن مقاصد الشريعة مرتبتان: قطعية وظنية، حيث يقول: " فالحاصل للباحث عن المقاصد الشرعية قد يكون علماً قطعياً أو قريباً من القطعي، وقد يكون ظناً "(3).

وهذه الثلثة من المقاصد هي التي تمثل عند ابن عاشور ما سماه بعلم المقاصد حيث يقول: " على أننا غير ملتزمين للقطع وما يقرب منه في التشريع، إذ هو منوط بالظن؛ وإنما أردت أن تكون ثلثة من القواعد القطعية ملجأً نلجأ إليه عند الاختلاف والمكابرة، وأن ما يحصل من تلك القواعد هو ما نسميه علم مقاصد الشريعة "(4).

ويعدُّ مفهوم " المقاصد " من أكثر المفاهيم والمصطلحات توارداً وتواتراً في نصوص ابن عاشور، فقلما يعالج موضوعاً سواء كان في مقالة أو كتاب في علوم الشريعة أو في علوم اللغة والأدب دون أن يرد لمفهوم " المقاصد " ذكر أو يكون له دور في بناء فكرته وتطويرها حول ذلك الموضوع، وانطلاقاً من ذلك يمكن القول إن الخيط الذي يسلك فكر ابن عاشور في نسق واحد، والذي يتخلل ثنايا كتاباته هو مفهوم " المقاصد ".

يقول الميساوي: " وقد هيمن على ابن عاشور في إنشاء التفسير والتأليف في غيره من فنون المعرفة الإسلامية نوعٌ من الهيام بفكرة المقاصد لا يخطئه الناظر في كتبه ومقالاته، بما في ذلك

(1) ابن عاشور: المرجع نفسه، ص 170.

(2) ابن عاشور: المرجع نفسه، ص 169.

(3) ابن عاشور: المرجع نفسه، ص 168.

(4) ابن عاشور: المرجع نفسه، ص 170.

ما يتعلق باللغة والأدب. ولعله يجوز لنا القولُ إن فكرة المقاصد تمثل ما يمكن عدُّه منظوراً كلياً وجّه مجمل إنتاجه العلمي وعمله الفكري⁽¹⁾.

إلا أنّ هناك فرقاً في تناول ابن عاشور للمقاصد بين كتاب مقاصد الشريعة الإسلامية، وكتاب أصول النظام الاجتماعي، وبين كتبه الأخرى: التحرير والتنوير، والنظر الفسيح، وكشف المغطى.

فالأول: يتميز بقيامه على التعريف بالجوانب النظرية التأسيسية لقضايا علم المقاصد⁽²⁾. فكانت تلك النظرية محاولة علمية في بيان توجيه المقاصد الشرعية لطرق تفقّه المجتهدين عامة ولطرقهم في الاستنباط خاصة، إنها تمثل نموذجاً ممتازاً في بناء فكر مقاصدي يعمل على تأصيل منهجية التفقّه الشرعي.

والثاني: تناول فيه الجانب التكميلي للمقاصد بما فتحه من آفاق للتنظير الاجتماعي بمعناه الواسع، من حيث هو سعي للتشريع والتخطيط للمستقبل انطلاقاً من استيعاب معطيات الحاضر وتحليلها وتمحيص عناصرها وفق بصائر الوحي، وتوجيهها طبقاً لقيمه وأحكامه، وتوخياً لتحقيق مقاصده وفق أولويات مترتبة متكاملة لا تتناخس فيها ولا تعارض⁽³⁾.

بينما ينهج في مصنفاته الأخرى منهج التطبيق لتلك النظريات، والتوسع في التمثيل لها⁽⁴⁾ ونظراً لانحصار مجال هذا البحث في تفسيره التحرير والتنوير، ووجود دراسات عدة عن الفكر المقاصدي عند ابن عاشور، حيث تناول إسماعيل الحسني أطروحة ابن عاشور في المقاصد من حيث المفاهيم التي قام عليها بناء نظرية المقاصد عنده، ومن حيث تعريف المقاصد نفسها وترتيب أنواعها ودرجاتها، ومن حيث صلة ذلك كله بنصوص الشريعة في كيفية انبثاق المقاصد منها وانبثاقها عليها، أو مسالك الكشف عنها وطرق تحديدها⁽⁵⁾، كذلك ما قام به الدكتور محمد الطاهر الميساوي في مقدمة تحقيقه لكتاب مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور من تنبيه على بعض

(1) محمد الطاهر الميساوي مقدمات تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (تحقيق وتعليق محمد الميساوي، كوالالمبور، ماليزيا، دار التجديد، ط1 2006م) ص15.

(2) انظر ابن الخوجة: محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ج 2، ص 201، 202.

(3) انظر الميساوي: محمد الطاهر ابن عاشور والمشروع الذي لم يكتمل (دراسة صدر بها تحقيقه لكتاب ابن عاشور:

مقاصد الشريعة الإسلامية (عمان: الأردن، دار الفجر ودار النفائس، ط1 1999) مرجع سابق، ص101.

(4) انظر ابن الخوجة: محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ج 2، ص 201، 202.

(5) انظر الحسني: نظرية المقاصد عند الإمام ابن محمد الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، وبالتحديد البابين الثاني والثالث.

المسائل وعرض ومناقشة لبعض الإشكالات التي أثارها ابن عاشور في بحث المقاصد، ووقوفه عند بعض المفاهيم التأسيسية في النظر المقاصدي عند ابن عاشور ومحاولة ربطها بإشكالية التأصيل الإسلامي للدراسات الاجتماعية⁽¹⁾، وأيضاً ما في الدراسة القيمة التي قام بها ابن الخوجة عن ابن عاشور في كتابه (محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة) وبالتحديد في الجزء الثاني بين علمي أصول الفقه والمقاصد التي جعلها بمثابة المقدمة لكتاب (مقاصد الشريعة الإسلامية) الذي قام بتحقيقه، حيث تناول منهجية ابن عاشور في كتاب المقاصد، فبين أسس النظر في المقاصد والأحكام، ومنهجه في تقريراته وفي تناوله لبعض متممات الخطاب، منهياً عمله هذا بإيراد قائمة من القواعد والمقاصد التي استخرجها من كتاب المقاصد⁽²⁾.

نظراً لذلك كله سوف أقنصر في هذا البحث على ما نظره، وأصله ابن عاشور في المقاصد من خلال تفسيره وبالتحديد مقدماته العشر مع الاستعانة بمؤلفاته الأخرى لتوضيح بعض القضايا والمسائل.

– التأسيس والتنظير للمقاصد من خلال مقدماته العشر:

إنّ اهتمام ابن عاشور بقضايا التفسير وتشوفه إلى التجديد فيه، وتقديم رؤية إصلاحية لمواكبة التطور ومجاوبة متطلباته والتصدي لتحدياته، وذلك بما يملكه من عدة معرفية؛ أدّى به إلى محاولة تحقيق القول في مقدمات تفسيره، وبنوع من الحسم في عدد من القضايا والإشكاليات التي لم تزل منذ نشأة علم التفسير مثار جدل وخلاف بين العلماء، وتدور تلك القضايا والإشكاليات حول ثلاثة محاور أساسية:

الأول: مفهوم التفسير ومنهجه ومداده، والثاني: الأدوات والوسائل والمواد التي تتطلبها العملية التفسيرية، والثالث: الغايات والأغراض التي يسعى المفسر لتحقيقها. والناظر في مقدماته العشر يدرك ويلاحظ فيها حضور الفكر المقاصدي بوصفه موضوعاً محورياً في فكر ابن عاشور، ومحاولة توظيف هذا الفكر في فهم آيات القرآن واستجلاء معانيه، ليسري في ثنايا تفسيره، ويبرز فيه بشكل تطبيقي عملي .

كما لا يخفى لدارس هذه المقدمات محاولة ابن عاشور فيها تحديد رؤيته لعلم الأصول وتأسيس رؤية مقاصدية فيها لاستنباط الأحكام الفقهية الفرعية؛ إذ تبدو هذه المقدمات كما لو أنها

(1) انظر الميساوي: مرجع سابق، من: ص 64، إلى: ص 101.

(2) انظر ابن الخوجة: مرجع سابق، أغلب أبواب وفصول الجزء الثاني.

نوع من المشاكلة لمقدمات الشاطبي الاثنتي عشرة في الموافقات، وليس غريباً بعد ذلك أن يعتمد ابن عاشور التحليل المقاصدي في تفسير القرآن.

فقد أفرد ابن عاشور المقدمة الرابعة (فيما يحق أن يكون غرض المفسر) وهي مقدمة بالغة الأهمية للحديث عن أمرين هما بمثابة الأساس لصحة التفسير وصلاحه: الأول: بيان ما ينبغي أن تكون غاية المفسر من التفسير، والثاني: معرفة المقاصد التي نزل القرآن لبيانها.

فهو يرى أنه بمعرفة المقاصد التي نزل القرآن لبيانها تستبين لنا غاية المفسرين من التفسير على اختلاف طرائقهم، فيظهر لنا عند مطالعتها مقادير اتصال ما تشتمل عليه بالغاية التي يرمي إليها المفسر فنزن بذلك مقدار ما أوفى به من المقصد ومقدار ما تجاوزه⁽¹⁾.

يتبين لنا من عبارة ابن عاشور هذه أن عمل المفسر وفهمه إنما يجب أن يدور مع المقصد القرآني، ومع كل ما يمكن أن يسهم في إيضاحه وجلاءه. فيكون هو القطب في حركة المفسر بمختلف نواحيها ومستوياتها.

فابن عاشور يبدأ حديثه عن المقاصد - في هذه المقدمة - بقضية مهمة هي أن القرآن أنزله الله تعالى لقصد صلاح أمر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراده لهم ليصل إلى محورين أساسيين هما صلب الموضوع الذي يسعى لتأصيله هنا، فحدد في الأول المقصد الأعلى من القرآن، وفي الثاني المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لبيانها.

- المقصد الأعلى من القرآن الكريم:

يرى ابن عاشور أن المقصد الأعلى من القرآن الكريم، هو: " صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية"⁽²⁾، وهذا يحيلنا إلى المقصد الذي ذكره ابن عاشور في كتابه (مقاصد الشريعة الإسلامية) حيث اصطلح على تسميته بالمقصد العام من التشريع، فقال: "المقصد العام من التشريع هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيم عليه، وهو نوع الإنسان ويشمل صلاح عقله، وصلاح عمله، وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه"⁽³⁾.

(1) انظر محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير (تونس: الجمهورية التونسية، الدار التونسية للنشر، ط1، 1984) ج1، ص 38.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص 38.

(3) ابن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي (كوالالمبور: ماليزيا، دار الفجر، عمان، الأردن، دار النفائس، ط1، 1999) ص 200.

الصلاح الفردي: ويعتمد على تهذيب النفس وتزكيتها، ورأس الأمر فيه صلاح العقل بالاعتقاد لأنه مصدر الآداب والتفكير، ثم صلاح السريرة الخاصة بالعبادات الظاهرة كالصلاة، والباطنة كالتخلق بترك الحسد والحقد والكبر⁽¹⁾.

ويلحق بهذين القسمين إيجاد الوازع النفساني لحراسة الصلاح المبتوث منها، فيمنعها عن الانحراف عما اكتسبه من الصلاح حتى يصير تخلقها بذلك دائماً وشبيهاً بالاختياري⁽²⁾.

الصلاح الجماعي: لم يقتصر ابن عاشور على صلاح العقيدة والعمل (العبادة)، بل أراد منه صلاح أحوال الناس وشؤونهم في الحياة الاجتماعية، فالصلاح الاجتماعي عنده يحصل بأمرين اثنين الصلاح الفردي، وصلاح ما عبر عنه بعلم المعاملات أو السياسة المدنية ف"الأفراد أجزاء المجتمع، ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه، ومن شيء زائد على ذلك، وهو ضبط تصرف الناس بعضهم مع بعض على وجه يعصمهم من مزاحمة الشهوات وموائبة القوى النفسانية. وهذا علم المعاملات، ويعبر عنه الحكماء بالسياسة المدنية"⁽³⁾، وهي ما فيه صلاح عموم الأمة أو الجمهور، ولا التفات منه إلى أحوال الأفراد إلا من حيث أنهم أجزاء من مجموع الأمة، وهذا هو معظم ما جاء فيه التشريع القرآني، ومنه معظم فروض الكفایات، كطلب العلم الديني والجهاد وطلب العلم الذي يكون سبباً في حصول قوة الأمة، فانتظام أمر الأمة وطلب الصالح إليها، ودفع الضرر والفساد عنها أهم مقصد للشريعة من التشريع⁽⁴⁾، وهذا ما جعله ينبه إلى غفلة الفقهاء عن اعتبار بعض أنواع الرخص أو المشاق الاجتماعية التي قد تعترى مجموع الأمة، فتجعله بحاجة إلى الرخصة، ففرضوها ومثلوها في خصوص أحوال الأفراد، فقال: "غير أنني رأيت الفقهاء لا يمثلون إلا بالرخصة العارضة للأفراد في أحوال الاضطرار. ونحن إذا تأملنا الرخصة فوجدناها ترجع إلى عروض المشقة والضرورة، صح لنا أن ننظر إلى عموم الضرورة وخصوصها. فقد وجدنا من الضرورات ضرورات عامة مطردة كانت سبب تشريع عام في أنواع من التشريعات مستثناة من أصول كان شأنها المنع، مثل السلم والمغارسة والمساقاة فهذه مشروعة باطراد، وكان ما تشتمل عليه من الضرر وتوقع ضياع المال مقتضياً منعها لولا أن حاجات الأمة داعية إليها، فدخلت في

(1) انظر المرجع نفسه، ص 201.

(2) انظر ابن عاشور: أصول النظام الاجتماعي (تونس: الشركة التونسية للتوزيع، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1985) ص 80، 81.

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج1، ص 38.

(4) انظر ابن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، ص 280، 299، 300.

قسم الحاجي⁽¹⁾. وهو ما يعبر عنه الفقهاء بقولهم: الحاجة العامة تنزل منزلة الضرورة الخاصة، وهي من القواعد المندرجة تحت قاعدة: المشقة تجلب التيسير⁽²⁾.

الصلاح العمراني: وهو عنده أوسع من المقصدين السابقين، إذ هو حفظ نظام العالم الإسلامي، وضبط تصرف الجماعات، والأقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع، ورعي مصالح الكلية الإسلامية، وحفظ المصلحة الجامعة عند معارضة المصلحة القاصرة لها، ويسمى هذا بعلم العمران وعلم الاجتماع⁽³⁾، وعدّ ابن عاشور التهاون فيه من أسباب تأخر العلوم عند المسلمين عموماً والفقهاء خصوصاً⁽⁴⁾.

فهو يربط بين الصلاح الفردي وبين الصلاح الجماعي والعمراني، فالإنسان هو المستخلف في هذا العالم، وفي صلاحه صلاح العالم وأحواله. ولذلك عالج الإسلام صلاح الإنسان بصلاح أفراد الذين هم أجزاء نوعه، وبصلاح مجموعته وهو النوع كله. فابتدأ الدعوة بإصلاح الاعتقاد الذي هو إصلاح مبدأ التفكير الإنساني الذي يسوقه إلى التفكير الحق في أحوال هذا العالم، ثم عالج الإنسان بتزكية نفسه وتصفية باطنه لأن الباطن محرّك الإنسان إلى الأعمال الصالحة، وبذلك ينصلح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه⁽⁵⁾.

أراد ابن عاشور من هذا المحور أن يؤصل للبعد الجماعي على مستوى الأمة، فجعله الأعلى والأولى بناء على استقراء موارد الشريعة الدالة على مقاصدها من التشريع بحيث يستطيع

(1) انظر المرجع نفسه، ص 208.

(2) وجاءت بلفظ: الحاجة تنزل منزلة الضرورة عامة كانت أو خاصة، ولفظ الحاجة العامة إذا وجدت أثبتت الحكم في حق من ليس له حاجة، والمراد بالقاعدة: أن الحاجة إذا عمت أكثر الناس فإنها تنزل منزلة الضرورة التي تكون لأحد الأفراد أو عمومهم في جواز الترخيص، وليس معناها أن الحاجة مطلقاً لأي شخص تنزل منزلة الضرورة، وتفترق الحاجة عن الضرورة بأنها مبنية على التوسع والتسهيل فيما يسع العبد تركه. انظر محمد صدقي البورنو، وأبو الحارث الغزي: موسوعة القواعد الفقهية (الرياض: السعودية، مكتبة التوبة، بيروت: لبنان، دار ابن حزم، ط1، 2000) ج 3، ص 67، 86.

(3) انظر ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج1، ص 38.

(4) انظر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي (دار التجديد للطباعة والنشر والترجمة، ط 1، 2002) ص 212، 233، 234.

(5) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ص 200، 202.

هذا الإنسان باتباع تعاليمه، والعمل وفق أحكامه وتشريعاته وتوجيهاته، وتمثل قيمه وإرشاداته أن يقيم مجتمعه على أرسخ أساس، ويشيد حضارته على أديم قوام⁽¹⁾.

وهذا يظهر لنا مدى حرص ابن عاشور على إبراز التكامل بين أجزاء المقصد الأعلى من القرآن؛ ليكون في النهاية صلاحاً عمرانياً⁽²⁾، لا يمكن الوصول إليه دون الصلاح الفردي والجماعي، فتحقق الأدنى شرط لوجود الأعلى، وتعليل ذلك عند ابن عاشور: " أن المجتمع البشري أو الأمة عبارة عن مجموعة من الناس هي كل ملتئم من أجزاء هي الأفراد، فلا جرم كان إصلاح المجتمع متوقفاً بادئ الأمر على إصلاح الأفراد، فإذا صلحت حصل من مجموعتها الصالحة مجتمع يسوده الصلاح، ثم هو محتاج إلى أسباب أخرى من الصلاح زائدة على أسباب صلاح الأفراد، وتلك هي أسباب صلاح نواحي الهيئة الاجتماعية في أحوال علاقات بعض أفرادها ببعض؛ لأن حالات التجمع تبعث عوارض جديدة لم تكن موجودة في أحوال انفراد الأفراد، وقد تطغى بقوتها الاجتماعية على ما تقف عليه الأفراد من الكمالات فتحجبها أو تزيلها بالمرّة بحكم الاضطراب لمسايرة دواعي الأحوال الاجتماعية، فلم يكن بدّ لشرعية الإصلاح من وضع قوانين زائدة على قوانين إصلاح الأفراد"⁽³⁾، فالصلاح العمراني مبني على الصلاح الفردي والجماعي.

وقد اهتدى ابن عاشور إلى هذا التنظير - مقصد الشريعة من الوصول إلى الإصلاح المطلوب ومدى استعداد الإنسان للكمال وسعيه إليه بالتدرج في مدارج تزكية النفس - من خلال تتبعه لمراحل تطور التشريع الإسلامي من ابتداء البعثة إلى ما بعد الهجرة، حيث اهتمت المرحلة الأولى بمكة بالإصلاح الفردي، بينما اهتمت المرحلة الثانية بالمدينة بالإصلاح الاجتماعي، التي

(1) انظر الميساوي: مقاصد الشريعة الإسلامية، ص 53.

(2) ينطلق ابن عاشور في التنظير للمقصد العام من نظرة كونية عالمية تعدّ أوسع نظراً وأفقاً فهي لا تقتصر على حفظ نظام الأمة، بل تتعداه إلى حفظ نظام العالم وضبط تصرف الناس فيه على وجه يعصم من التناقص والتهاك، كما نرى اليوم في الانحباب الحراري ودمار البيئة، وخطر الأسلحة النووية والبيولوجية التي يعم ضررها العالم ولا يقتصر على وطن دون آخر، ولا على أمة دون أخرى فإن مصائر أمة واحدة لا تقره أوضاعها الداخلية فحسب، وإنما يتقرر جزء من مصيرها خارجها من أحداث العالم ومجرياته وقواه الدولية، ولذلك نشأت هيئة الأمم المتحدة وغيرها، ونرى اليوم العولمة، وما تحدثه من الحدّ من السلطات الوطنية وفتح الأبواب للأسواق العالمية والشركات الكبرى والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي، وما إلى ذلك، فحفظ نظام العالم واستدامة صلاحه فيما يرى يتوقف على صلاح الإنسان في عقله وعمله، وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه.

(3) ابن عاشور: أصول النظام الاجتماعي، ص 42، 43.

تكونت فيها جماعة كاملة الأهبة لما يناط بعهدتها من الإصلاح، فكان الإسلام يومئذٍ حقيقاً بأن يسرع في إصلاحه الاجتماعي وتأسيس قواعده وإشادة صروحه⁽¹⁾.

- المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لبيانها.

تمثل المقاصد الأصلية في تصور ابن عاشور الأهداف الأساسية للعملية التفسيرية، والتي يجب على المفسر إدراكها واستحضارها أثناء عملية التفسير حتى لا يصل به الأمر إلى الهدم بدل البناء؛ لذلك انصب اهتمامه على بيان أغراض التفسير، والتي حددها في: بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه، **فالمقصد الأعلى أو العام** عند ابن عاشور هو: الهدف الكلي الذي دلَّ عليه استقراء الأهداف الكلية للموضوعات القرآنية المتمثلة بالمقاصد الأصلية، فهو يرى أن مما أورث التفسير تأخراً وفوّت على المسلمين إدراك جوانب مهمة من هداية القرآن في هذا الشأن الضعف في علوم عدّها المفسرون "بعيدةً عن القرآن، وهي ضرورية لمعرفة عظمتة العمرانية، مثل التاريخ وفلسفة العمران والديانة والسياسة"⁽²⁾.

لذلك يرى ابن عاشور أنه لا بد من استحضار مقاصد القرآن الأصلية* التي أوجزها حسب استقراءه في ثمانية مقاصد⁽³⁾ هي:

الأول: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح. وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق، لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، ويطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك.

الثاني: تهذيب الأخلاق، وهذا المقصد قد فهمه عامة العرب بله خاصة الصحابة.

الثالث: التشريع وهو الأحكام خاصة وعامة، ولقد جمع القرآن جميع الأحكام جمعاً كلياً في الغالب، وجزئياً في المهم.

الرابع: سياسة الأمة وهو باب عظيم في القرآن، القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها.

الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم، والتحذير من مساوئهم.

السادس: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها، وذلك علمُ الشرائع وعلم الأخبار، وقد زاد القرآن على ذلك تعليم حكمة العقول، وصحة الاستدلال في أفانين مجادلاته للضالين، وفي دعوته إلى النظر.

(1) انظر ابن عاشور: التحرير والتنوير، ص 202.

(2) انظر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب، ص 221.

(3) انظر ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج1، ص 40، 41.

السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وهذا يجمع جميع آيات الوعد والوعيد، وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندِين، وهو باب الترغيب والترهيب.

الثامن: الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول ﷺ؛ إذ التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدي، والقرآن جمع كونه معجزةً بلفظه ومتحدّي لأجله بمعناه.

وبالنظر في هذه المقاصد الثمانية يتضح لنا اعتماد ابن عاشور في تصنيفه لها على الموضوعات التي جاء بها القرآن الكريم أصالةً وبدايةً، مع ملاحظة التداخل بين أهداف هذه الموضوعات، وكأنه يسعى إلى تحديد الأهداف الكلية التي جاءت بها هذه الموضوعات⁽¹⁾.

فقد بدأ بالمقصد الأهم إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح، وهو أول ما عالجه القرآن. الذي يعدّ أعظم سبب لإصلاح الخلق، وهو مقصد آيات العقيدة في القرآن رغم تعدد مجالاتها وطرق عرضها، فهي تشمل الكون والإنسان، وقد أهمل ابن عاشور تصنيف هذه الموضوعات ضمن هذه المقاصد؛ نظراً لأنها تصب في هذا المقصد، وأنّ جوهر هذه المقاصد هو الإنسان الذي توجه الخطاب إليه، كما أنّ هذا المقصد أحياناً يتداخل مع مقصد القصص القرآني عندما يكون من مقاصد القصة القرآنية إصلاح الاعتقاد رغم عدم انحصار مقاصد القصص في هذا المقصد وهذا التداخل يسري على بقية المقاصد الأصلية⁽²⁾.

فقد اعتمد ابن عاشور في تصنيفه للمقاصد الأصلية على الموضوعات التي جاء بها القرآن الكريم - التي تعكس التكامل فيما بينها - ابتداءً وأصالةً خاصةً إذا لاحظنا التداخل بين أهداف تلك الموضوعات، فعند بيانه للمقصد الكلي لموضوع العقيدة في القرآن الذي بدأه بإصلاح الاعتقاد، وتعليم العقد الصحيح الذي تناوله عن طريق مجالات متعددة تشمل الكون والإنسان مع تداخلها مع المقاصد الأخرى، فنجد مقصد القصص القرآني رغم عدم انحصاره في المقصد الأول إصلاح الاعتقاد، يتداخل هو ومقصد الترغيب والترهيب - الذي مضمونه آيات الوعد والوعيد والمحاجة والمجادلة للمعاندِين - مع مقصد إصلاح الاعتقاد ومقصد التشريع المتعلق بالأحكام الخاصة والعامّة التي جمعها القرآن جمعاً كلياً في الغالب وجزئياً في المهم⁽³⁾، فهو مقصد شامل وعام لموضوعات القرآن الكريم.

(1) انظر على أسعد: التوجه المقاصدي عند المفسرين ابن عاشور ودرؤزة (رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، نوقشت في جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين، تونس، مرقونة، المكتبة المركزية بجامعة الزيتونة، 2004) ص 51، 52.

(2) انظر المرجع نفسه، ص 53.

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 1، ص 40.

كما نجد تداخلاً بين مقصد تهذيب الأخلاق - الذي يشمل موضوعات متعددة في القرآن، منها ارتكازه على آيات العبادات ؛ بما لها من خصوصية تركية النفس، ومراقبة الخالق، إلى جانب الآيات الداعية إلى مكارم الأخلاق - ومقصد سياسة الأمة - الذي يشمل صلاح الأمة وحفظ نظامها المؤلف لمحور أساسي من محاور المقصد الأعلى، وهو الصلاح الجماعي - وكذلك انصوائهما معاً تحت مقصد التشريع باعتباره شاملاً للأفراد والجماعات إذ لا معنى للتشريع إلا تأسيس قانون الأمة⁽¹⁾ .

ونجد المقصد الرابع سياسة الأمة والذي عدّه ابن عاشور باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها قد صنّفه باعتبار الموضوعات القرآنية فقال: " سياسة الأمة وهو باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها كالإرشاد إلى تكوين الجامعة بقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ [سورة آل عمران: 103]، وقوله: { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ } [سورة الأنعام: 159]، وقوله: ﴿وَلَا تَنَارَعُوا فَنَفْسُكُمُوتٌ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [سورة الأنفال: 46]، وقوله ﴿وَأْمُرُهُمْ سُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الشورى: 38]⁽²⁾ .

وهو مقصد يندرج تحت مقاصدي تهذيب الأخلاق والتشريع؛ وذلك لامتزاج الشريعة بالسلطة في الإسلام؛ لأن من أصول نظام سياسة الأمة ما هو موكول تدبيره وتسييره على ولاة الأمور لصالح الجمهور، وهذا عائد إلى التشريع، ومن أصول ذلك النظام ما هو موكول إلى الوازع الديني الذي عماده مكارم الأخلاق، وهذا عائد إلى مقصد تهذيب الأخلاق، فهو مقصد يشمل صلاح الأمة وحفظ نظامها المؤلف لمحور أساسي من محاور المقصد الأعلى، وهو الصلاح الجماعي. يلاحظ المتتبع للمقاصد التي ذكرها ابن عاشور عند تفسيره للآيات القرآنية ذات الصلة بالمقاصد الأصلية التي عرض لها في مقدمته أنها في الغالب مقيدة بما جاء القرآن الكريم لتبينه في الآيات دون إبراز مقاصدها التي يجمعها موضوع مشترك، يلاحظ أنه لم يصنفها تصنيفاً يتدرج من الأدنى إلى الأعلى، أو من الجزئي إلى الكلي كما فعل في كتابيه مقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي، وإنما اكتفى في تفسيره ببيان مقصد الآية دون الالتفات إلى المحور الذي ينضوي إليه إلا نادراً، فلم يفرّد للمقاصد الجزئية قسماً كما فعل في المقاصد العامة والخاصة: رغم إلحاحه على أهمية استقراء الجزئيات للوصول إلى الكلي، ورغم إلحاحه على أهمية المقام في

(1) انظر ابن عاشور: التحرير والتنوير، ص 124، 129، 130.

(2) المرجع نفسه، ج 1، ص 41.

ضبط مقصود الشارع، وهو منحى أغلب ما تنتجه مقاصد جزئية، وكذلك تقريره أن من طرق إثبات المقاصد استقرار علل الأحكام، وعلى هذا يُعدُّ إهماله للمقاصد الجزئية مأخذاً عليه، ذلك لما لها من الأهمية من حيث ضبط العديد من الأحكام الجزئية وتقليل الخلاف حولها تمهيداً لاستخلاص العلل، ومن ثم استخلاص المقاصد الخاصة أو العامة.

ولتوضيح العلاقة بين هذا العرض المقاصدي، وبين تحديد غرض المفسر من التفسير يقول ابن عاشور: " فغرض المفسر بيان ما يصل إليه، أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأنّ بيان يحتمله المعنى، ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن، أو ما يتوقف عليه فهمه أكمل فهم، أو يخدم المقصد تفصيلاً وتفريعاً كما أشرنا إليه في المقدمة الأولى، مع إقامة الحجة على ذلك إن كان به خفاء، أو لتوقع مكابرة من معاند أو جاهل، فلا جرم كان رائد المفسر في ذلك أن يعرف على الإجمال مقاصد القرآن مما جاء لأجله، ويعرف اصطلاحه في إطلاق الألفاظ، وللتنزيل اصطلاح وعادات.. "(1).

يتبين لنا من عبارة ابن عاشور هذه أن عمل المفسر وفهمه إنما يجب أن يدور مع المقصد، ومع كل ما يمكن أن يسهم في إيضاحه وجلاته. فهو المعيار الذي يحكم عند مطالعة التفاسير لمعرفة مقادير اتصال ما تشتمل عليه بالغاية التي يرمى إليها المفسر، فنُزِنَ بذلك مقدار ما أوفى به من المقصد ومقدار ما تجاوزه(2).

وانطلاقاً من هذه الرؤية المقاصدية يحدد ابن عاشور موقفه ورأيه في كثير من المسائل والقضايا التي تعد من أصول التفسير ومبادئه، فتكون بمثابة الضابط الذي يحدد له الاختيار الصحيح والوجهة الحقّة(3).

فابتداءً باستشكاله اعتبار التفسير علماً عند تعريفه للتفسير في المقدمة الأولى، وعدّه ذلك تسامحاً لا يقرُّ به محاولاً أن يُخرِّج القول بكون التفسير علماً على ستة أوجه، حيث ذكر من بينها وجهاً عقلياً منهجياً هو: " أن حق التفسير أن يشتمل على بيان أصول التشريع وكلياته، فكان بذلك

(1) المرجع نفسه، ج 1، ص 41، 42.

(2) المرجع نفسه، ج 1، ص 38.

(3) سامر عبد الرحمن رشواني: مجلة إسلامية المعرفة (هيرندن، فيرجينيا: الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة السادسة: العدد الثالث والعشرون، 2000) ص 90.

حقيق بأن يسمى علماً، ولكن المفسرين ابتدأوا بتقصي معاني القرآن فطفحت عليهم وحسرت دون كثرتها قواهم، فانصرفوا عن الاشتغال بانتزاع كليات التشريع إلا في مواضع قليلة⁽¹⁾.

- خدمة المقاصد القرآنية هو المعيار المحكم في علوم التفسير.

ذكر ابن عاشور عند حديثه عن طرائق المفسرين في التفسير وبالتحديد في الطريقة الثانية والثالثة بين أن جلب المسائل، وتفاريع العلوم، وبسطها جائز إذا كان لقصد المناسبة بينها وبين المعنى، أو لأن زيادة فهم المعنى متوقفة عليها، أو للتوفيق بين المعنى القرآني وبعض العلوم ممّا له تعلق بمقصد من مقاصد الشريعة لزيادة تنبيه إليها، أو لردّ مطاعن من يزعم أنه ينافيه، لا على أنها مما هو مراد الله من تلك الآية، بل لقصد الوسع، فلا يلام المفسّر إذا أتى بشيء من تفاريع العلوم ممّا له خدمة للمقاصد القرآنية⁽²⁾.

فالمعيار المحكم لديه فيما يصح الاستعانة به من العلوم في التفسير هو "خدمة المقاصد القرآنية" فهو يرى أن الطريقة الثالثة من طرائق المفسرين تقوم على جلب "مسائل علمية من علوم لها مناسبة بمقصد الآية: إما على أن بعضها يومئ إليه معنى الآية، ولو بتلويح ما، كما يفسر أحد قوله تعالى: {وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا} [سورة البقرة (2) 269] فيذكر تقسيم علوم الحكمة ومنافعها.. وكذلك أن نأخذ من قوله تعالى: {كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ} [سورة الحشر (59): 7] تفاصيل من علم الاقتصاد السياسي وتوزيع الثروة العامة ونعلل بذلك مشروعية الزكاة والمواريث والمعاملات المركبة من رأس مال وعمل على أن ذلك تومئ إليه الآية إيماء... وشرط كون ذلك مقبولاً أن يسلك فيه مسلك الإيجاز فلا يجلب إلا الخلاصة من ذلك العلم ولا يصير الاستطراد كالفرض المقصود له⁽³⁾.

وبعد ذكره لآراء العلماء في سلوك هذه الطريقة، عقّب عليهم بأن معاني القرآن ينبغي ألا تبنى على فهم طائفة واحدة، لأنها معان تطابق الحقائق، وكل ما كان من الحقيقة في علم من العلوم وكانت الآية لها اعتلاق بذلك، فالحقيقة العلمية مرادة بمقدار ما بلغت إليه أفهام البشر وبمقدار ما سنبغ إليه. وذلك يختلف باختلاف المقامات ويبني على توفر الفهم، وشرطه أن لا يخرج عما يصلح له اللفظ العربي، ولا يبعد عن الظاهر إلا بدليل، ولا يكون تكلفاً بينا ولا خروجاً

(1) انظر محمد الطاهر الميساوي: محمد الطاهر ابن عاشور والمشروع الذي لم يكتمل، دراسة صدر بها تحقيقه لكتاب ابن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص 33.

(2) انظر ابن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، ج1، ص 94، 95.

(3) انظر الميساوي: محمد الطاهر ابن عاشور والمشروع الذي لم يكتمل، ص 69.

عن المعنى الأصلي، وأما ما قرره الشاطبي من أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها وهم العرب، ولا يصح في مسلك الفهم والإفهام إلا ما يكون عاما لجميع العرب بناء على ما أسسه من كون القرآن لما كان خطاباً لأمة - هم العرب - وإنما يعتمد في مسلك فهمه وإفهامه على مقدرتهم وطاقتهم، وأن الشريعة أمية، فقد بين ابن عاشور أنه أساس وإلجوه سنة⁽¹⁾، كان من بينها ما يرجع إلى مقاصد القرآن، فقال في الوجه الثاني لنقد ما أسسه الشاطبي: " أن مقاصد القرآن راجعة إلى عموم الدعوة، وهو معجزة باقية، فلا بد أن يكون فيه ما يصلح لأن تتناولها أفهام من يأتي من الناس في عصور انتشار العلوم في الأمة"⁽²⁾، وقال في الوجه السادس من ردوده على الشاطبي أن السلف: " قد بينوا وفصلوا وفرعوا في علوم عُثُوا بها، ولا يمنعنا ذلك أن نقف آثارهم في علوم أخرى راجعة لخدمة المقاصد القرآنية أو لبيان سعة العلوم الإسلامية"⁽³⁾.

فابن عاشور يرى بعدم جواز حمل القرآن على خصوصيات جزئية، أو تعميم ما قصد منه التقييد، حتى لا يؤدي إلى إبطال مراد الله أو التخليط في فهمه؛ مما أدى به إلى إعادة النظر في بعض القضايا والموضوعات التي تخدم المقاصد، ومحاولة ربطها بالمقاصد القرآنية، ومن أهمها: **موضوع أسباب النزول**: حيث انتقد ابن عاشور في المقدمة الخامسة ولع المفسرين " بتطليل أسباب نزول أي القرآن " مبيناً أنهم استكثروا منها، وأساءوا بتلفهم روايات ضعيفة أثبتوها في كتبهم وتوسعوا فيها توسعاً ضيق معاني القرآن العليا.. وأن " القرآن جاء هادياً إلى ما به صلاح الأمة في أصناف الصلاح، فلا يتوقف نزوله على حدوث الحوادث الداعية إلى تشريع الأحكام"⁽⁴⁾.

(1) والأوجه هي: الأول: أن ما بناه عليه يقتضي أن القرآن لم يقصد منه انتقال العرب من حال إلى حال. الثاني: أن مقاصد القرآن راجعة إلى عموم الدعوة وهو معجزة باقية فلا بد أن يكون فيه ما يصلح لأن تتناولها أفهام من يأتي من الناس في عصور انتشار العلوم في الأمة.

الثالث: أن السلف قالوا: إن القرآن لا تقتضي عجائب يعنون معانيه ولو كان كما قال الشاطبي لانقضت عجائبه بانحصار أنواع معانيه. الرابع: أن من تمام إعجازه أن يتضمن من المعاني مع إيجاز لفظه ما لم تف به الأسفار المتكاثرة. الخامس: أن مقدار أفهام المخاطبين به ابتداء لا يقضي إلا أن يكون المعنى الأصلي مفهوماً لديهم فأما ما زاد على المعاني الأساسية فقد يتهياً لفهمه أقوام، وتحجب عنه أقوام، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. السادس: أن عدم تكلم السلف عليها إن كان فيما ليس راجعاً إلى مقاصده فنحن نساعد عليه.. انظر ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج1، ص 44، 45.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص 44، 45.

(3) المرجع نفسه، ج1، ص 45.

(4) المرجع نفسه، ج1، ص 46.

وخلص من دراسته لأسباب النزول التي صحت أسانيدُها إلى أنها خمسة أقسام فصل فيها القول مقررًا أنّ القرآن جاء لهداية الأمة والتشريع لها في جميع أحوالها فهو في جميع ذلك قد "جاء بكليات تشريعية وتهذيبية. والحكمة في ذلك أن يكون وعي الأمة لدينها سهلاً عليها، وليمكن تواتر الدين، وليكون لعلماء الأمة مزية الاستنباط... فكما لا يجوز حملُ كلماته على خصوصيات جزئية لأن ذلك يبطل مراد الله، كذلك لا يجوز تعميمُ ما أُصد منه التقييد؛ لأن ذلك يفضي إلى التخليط في المراد أو إلى إبطاله من أصله" (1).

وبهذا يتضح لنا مدى اهتمام ابن عاشور بتمحيص أسباب النزول، وربطها بالمقاصد القرآنية، فلا يختار منها إلا ما توقف على فهم المقصود من الآية، مقررًا بناءً على ذلك قاعدة كلية تكون لها الحكومة على كل نقاش في الموضوع ألا وهي (أنّ القرآن جاء لهداية الأمة والتشريع لها في جميع أحوالها وهو في جميع ذلك قد جاء بكليات تشريعية وتهذيبية) (2).

وهذا ما حاول أن يقرره أيضاً عند تناوله للقصاص القرآني في المقدمة السابعة، فقد عدّ ابن عاشور سرد القرآن للقصاص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم، والتحذير من مساوئهم من المقاصد الأصلية التي جاء بها القرآن الكريم، فإذا كان المقصد الأسمى والأعلى من نزول القرآن هو هداية الخلق وإصلاح البشرية وعمارة الأرض، فإنّ معرفة قصص الأنبياء وأخبارهم مع أمهم، يعدُّ إلى جانب العبرة والعظة من وسائل الهداية والإرشاد للأمة، وتعريفها بتاريخ المشرعين من الأنبياء تكليلاً لهامة التشريع الإسلامي؛ ولذلك فوائده في تاريخ التشريع والحضارة، كما أنه يفتق أذهان المسلمين بفوائد المدنية، فيعرفوا سعة العلم وعظمة الأمم، والاعتراف لها بمزاياها حتى تدفع عنهم وصمة الغرور، وتعرف جوامع الخيرات وملائمات حياة الناس، فتسعى إلى طلب كل ما ينقصها مما يتوقف عليه كمال حياتها وعظمتها، وبذلك تنشئ في المسلمين همة السعي إلى سيادة العالم كما سادهم من قبلهم (3).

وقد وظّف ابن عاشور مفهوم "المقاصد" أيضاً في تحليله للنظم القرآني وخصائصه، فكان له في ذلك نظرات حاذقة مبتكرة كقوله مثلاً: "نرى من أعظم الأساليب التي خالف بها القرآن أساليب العرب أنه جاء في نظمه بأسلوب جامع بين مقصديه وهما: مقصد الموعظة ومقصد

(1) المرجع نفسه، ج1، ص 50.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص 50.

- وانظر الميساوي، محمد الطاهر ابن عاشور والمشروع الذي لم يكتمل، ص 52.

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج1، ص 64، وما بعدها.

التشريع. فكان نظمه يمنح بظاهره السامعين ما يحتاجون أن يعلموه وهو في هذا النوع يشبه خُطَبهم، وكان في مطاوي معانيه ما يستخرج منه العالمُ الخبير أحكاماً كثيرة في التشريع والآداب، وقد قال في الكلام على بعضه ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [سورة آل عمران: 7] هذا من حيث ما لمعانيه من العموم والإيماء إلى العلل والمقاصد وغيرها⁽¹⁾.

ومن خلال ما سبق يتبين أن بُعد الأمة معياراً معتمداً عند ابن عاشور كلما تحدث عن المقاصد، ومما لاشك فيه أن التركيز على مقاصد الشريعة على مستوى الأمة هو الأعلى والأولى، وهو الذي يحتاج أن يأخذ مكانته اللائقة المستحقة⁽²⁾.

فابن عاشور يريد أن يصحح ويوازن ويعدل الكفة؛ لأن مصالح الأفراد أخذت كامل العناية والرعاية من الفقهاء الأصوليين والمقاصديين، بخلاف الأمة ومصالحها ومقاصدها، فهي ضامرة عند عامة المتقدمين منهم⁽³⁾ على حد تعبير الريسوني⁽⁴⁾.

(1) المرجع نفسه، ج1، ص 115، 116.

(2) وذلك نظراً لأن الفرد عادة تشغله مصالحه التي يبنى فيها كل عمره دون أن يشعر أنه اقترب من تحقيقها، ونادراً من يشد عن هذا السلوك. كما أن إنجاز الأغلبية المطلقة من المصالح العامة يتجاوز الإمكانات العرفية والمادية للفرد. وأن تحقيق ما يحتاجه المجتمع من مرافق يتطلب الاستمرارية والتخطيط، وهو ما يتعذر على العمل الفردي، كما أن من المصالح ما يتعارض طبيعته مع إسناد التقرير فيها إلى الفرد مثل القواعد المنظمة للمجتمع. انظر أحمد الخليلشي: جمود الفقه الإسلامي أسبابه التاريخية والفكرية ومحاولة العلاج، سلسلة: وجهة نظر، ج 6، ص 73، موقع الدكتور أحمد الخليلشي (www.ahmed-elkhamlichi.org) 2008.

(3) حصر الأصوليون المخاطب بأحكام الشريعة في الفرد وحده وذلك عندما عرفوا الحكم بأنه خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلف، وسائرهم الفقهاء فاعتبروا جميع الواجبات موجهة إلى الفرد بوصفه المطلوب شخصياً بالتنفيذ بمعزل واستقلال عن الأفراد الآخرين، جزء منها واجبة على كل فرد بصفة عينية، والجزء الآخر واجبة على مجموع الأفراد لكن إذا قام به البعض سقط الوجوب عن الآخرين، وهو ما أطلقوا عليه بفروض الكفاية، وكذلك الأمر بالنسبة لخطاب الوضع فكل ما يميزه عن خطاب التكليف هو كون الفرد المخاطب به قد يكون غير متوفر على بعض شروط المكلف.

- انظر أبو حامد الغزالي: المستصفي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي (بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، 1413هـ) ج 1، ص 45.

- وانظر حسن الترابي: قضايا التجديد نحو منهج أصولي (الخرطوم: السودان، معهد البحوث والدراسات الاجتماعية، 1990) ص 196، 200.

- وانظر أحمد الخليلشي: جمود الفقه الإسلامي أسبابه التاريخية والفكرية ومحاولة العلاج، ج 6، ص 73.

(4) انظر أحمد الريسوني: المقاصد في العصر الحديث (7) موقع أحمد الريسوني 2009/5/5.

المصادر والمراجع:

- أبو حامد الغزالي: **المستصفى**، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، 1413هـ.
- ابن عاشور: محمد الطاهر، **أليس الصبح بقريب**، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، دار التجديد للطباعة والنشر والترجمة، ط 1، 2002م.
- ابن عاشور: محمد الطاهر، **أصول النظام الاجتماعي**، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1985م.
- ابن عاشور: محمد الطاهر، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، كوالالمبور: ماليزيا، دار الفجر، عمان، الأردن، دار النفائس، ط1، 1999م.
- ابن عاشور: محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، تونس: الجمهورية التونسية، الدار التونسية للنشر، ط1، 1984م.
- ابن عاشور: محمد الطاهر، **مقدمات تفسير التحرير والتنوير**، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، كوالالمبور: ماليزيا، دار التجديد، ط1، 2006م.
- أحمد الخمليشي: **جمود الفقه الإسلامي أسبابه التاريخية والفكرية ومحاولة العلاج**، سلسلة: وجهة نظر، ج 6، ص 73، موقع الدكتور أحمد الخمليشي (www.ahmed-elkhamlichi.org) 2008.
- أحمد الريسوني: **المقاصد في العصر الحديث (7)** موقع أحمد الريسوني 2009/5/5.
- جمال الدين دراويل: **مسألة الحرية في مدونة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور**، بغداد: العراق، مركز دراسات فلسفة الدين، وبيروت: لبنان، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2006م.
- حسن الترابي: **قضايا التجديد نحو منهج أصولي**، الخرطوم: السودان، معهد البحوث والدراسات الاجتماعية، 1990م.
- الحسني: **نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور**، هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1995م.
- على أسعد: **التوجه المقاصدي عند المفسرين ابن عاشور ودروزة**، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، نوقشت في جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين، تونس، مرقونة، المكتبة المركزية بجامعة الزيتونة، 2004م.

- محمد الحبيب ابن الخوجة: محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط 1، 2004م.
- محمد صدقي البورنو، وأبو الحارث الغزي: موسوعة القواعد الفقهية، الرياض: السعودية، مكتبة التوبة، بيروت: لبنان، دار ابن حزم، ط1، 2000م.
- محمد الطاهر الميساوي: مقدمات تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (تحقيق وتعليق محمد الميساوي)، كوالالمبور، ماليزيا، دار التجديد، ط1، 2006م.
- المنصف الشنوفي: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، العدد العاشر 1973، حوليات الجامعة التونسية.
- محمد صدقي البورنو، وأبو الحارث الغزي: موسوعة القواعد الفقهية، الرياض: السعودية، مكتبة التوبة، بيروت: لبنان، دار ابن حزم، ط1، 2000م.

الخدمات التعليمية للتعليم الأساسي بمدينة الخمس

د. بشير عمران أبوناجي*

مقدمة

يعد التعليم سمة الحضرة، وهو المرآة التي تعكس صورة المجتمع، فهو العمود الفقري الذي تستمد منه الشعوب منبع التطور في أي مجال، وهذا التطور يتمثل في إنشاء المؤسسات التعليمية، وما يتوافر بداخل هذه المؤسسات من عدد للفصول، والمرافق التابعة لها.

فالخدمات التعليمية من أهم الدراسات الحيوية التي تخدم المجتمع، وقد ازداد الاهتمام بهذا الفرع من العلم مع تزايد التقدم الاقتصادي والاجتماعي بعد الحرب العالمية الثانية، فهذا التخصص يعد من أحدث الاتجاهات الحديثة في الجغرافيا التطبيقية، حيث يهتم بدراسة أنواع الخدمات التعليمية، ومستوياتها، وكذلك توزيعها، وكثافتها، والعوامل المؤثرة فيها، من حيث: نفوذها، وإمكانية الحصول عليها، وقد عرّف البعض الخدمات، والتي خص منها التعليمية، بأنها الدراسة التي تُلبي حاجات السكان في المراكز الحضرية أو المناطق الريفية المحيطة بها على السواء.

كما لا ننسى أن التعليم هو الأداة الرئيسة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وقد أعطت الدولة الليبية اهتماماً بهذا القطاع باعتباره أحد الأدوات الأساسية التي ينبغي أن يتسلح بها المجتمع للوصول إلى ما ينشده من تقدم ورفق.

إن النظام التعليمي يعتبر الوسيلة في رفع مستوى أداء الإنسان باعتباره العنصر الفعال في تنمية المجتمع اقتصادياً، واجتماعياً، وقد عملت الدولة الليبية على تطوير النظم التعليمية بما يوفر للمجتمع كماً وكيفاً من مختلف التخصصات، وقد تركزت إستراتيجية التعليم على تحسين نوعية التعليم ورفع كفاءته دون الاقتصار على نموه الكمي فقط، مع الاهتمام في نفس الوقت بتوصيل الخدمات التعليمية إلى مستحقيها في الحضر والريف والعمل على عدالة توزيعها بشكل متكافئ⁽¹⁾.

لقد أخذت مدينة الخمس - وهي منطقة الدراسة- تتوزع فيها المؤسسات التعليمية التي تخدم مرحلة التعليم الأساسي، فقد بلغ عدد المدارس بهذه المرحلة على مستوى المدينة عام 2014 نحو تسعة عشر مدرسة موزعة على أربعة محلات للمدينة، وقد جاء هذا البحث ليشمل دراسة التعليم الأساسي بمدينة الخمس، ودراسة التوزيع الجغرافي للمدارس، وكذلك كفاءة هذه الخدمة وذلك لمعرفة أوجه القصور بها.

*مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في الآتي:

* عضو هيئة تدريس بقسم الجغرافيا- كلية الآداب- الخمس

اللجنة الشعبية العامة للتخطيط، خطة التحول الاقتصادي والاجتماعي، 1981-1985، الجزء الثاني، 1985، ص 143.

- 1- هل عدد المدارس متوافق مع عدد السكان في مرحلة التعليم الأساسي؟
 - 2- هل تعاني المؤسسات التعليمية من نقص في أعداد المدرسين؟
 - 3- هل تعاني المدارس من سوء كفاءة الخدمة التعليمية بداخلها؟
- * أهمية الدراسة:**

ترجع أهمية هذه الدراسة في إظهار وتطور المدينة عمرانياً وانعكاس ذلك على المؤسسات التعليمية، وكذلك معرفة أعداد الطلاب، وعدد المدارس، والتوزيع المكاني لمواقع المدارس داخل المدينة وإيجاد كثافة الفصول للدلالة على حجم الزيادة في الإقبال على التعليم في المرحلة الأساسية.

*** الفرضيات:**

تتمثل فرضيات الدراسة في الآتي:

- 1- هناك علاقة بين ازدياد عدد الطلبة وبين كفاءة الخدمة التعليمية.
- 2- هناك علاقة بين ازدياد عدد الطلبة في بعض المدارس وبين عدد المدرسين.
- 3- هناك علاقة بين عدد السكان والمؤسسات التعليمية بالمدينة.

*** الأهداف:**

تهدف الدراسة إلى الآتي:

- 1- التعرف على التوزيع الجغرافي للمؤسسات التعليمية بمختلف مستوياتها.
- 2- التعرف على الخصائص الجغرافية للمدينة.
- 3- معرفة كفاءة الخدمة التعليمية بالمدينة.

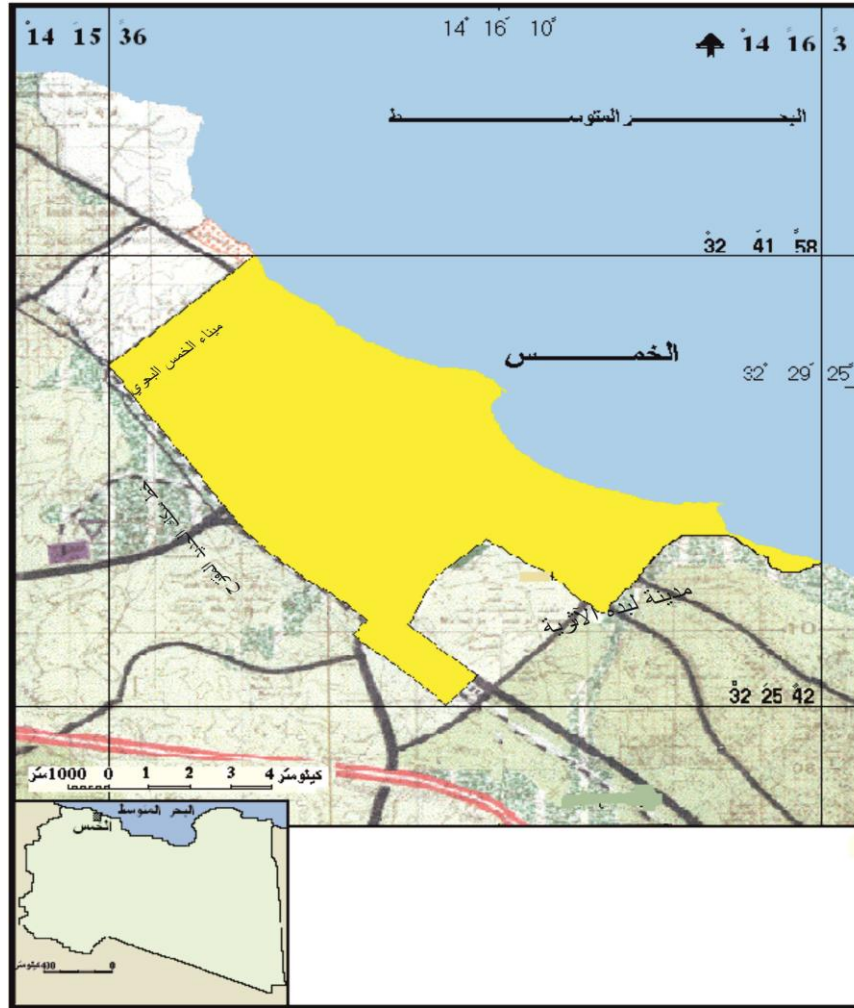
*** مجالات الدراسة:**

أولاً: المجال المكاني:

اقتصر البحث على مخطط مدينة الخمس التي تقع في الجزء الشمالي الغربي من ليبيا، حيث يحدها من الشمال البحر المتوسط ومن الشرق مدينة لبداه الأثرية ومن الجنوب خط السكك الحديدية المقترح ومن الغرب ميناء الخمس البحري، أي أنها تقع بين دائرتي عرض (25 42) و (32) و (58 41 32) شمالاً، وبين خطي طول (36 15 14) و (3 16 14) شرقاً، كما هو موضح بالخريطة رقم (1).

خريطة (1) الموقع الجغرافي والفلكي لمدينة الخمس

المصدر: من إعداد الباحث استناداً إلى إبراهيم مفتاح الدقاق، أثر العوامل الطبيعية والبشرية في قيام الصناعات الغذائية في مدينة الخمس وضواحيها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الخمس، جامعة المرقب، 2004، ص



14.ثانياً: المجال الزمني:

يتمثل هذا المجال في الإطلاع على الخدمة التعليمية للتعليم الأساسي بمدينة الخمس وتطورها منذ فترات سابقة وحتى إجراء هذه الدراسة عام 2015.

* المناهج والأساليب والأدوات:

1- المنهج الموضوعي:

إتباع هذا المنهج كموضوع يتمثل في دراسة الخدمة التعليمية باعتبارها من الخدمات المهمة في نطاق الحيز المكاني الذي تشغله الدراسة.

2- المنهج الإقليمي:

مخطط المدينة جزء من منطقة الخمس اعتبرها الباحث إقليمًا متجانسًا متميزًا في العديد من الخصائص.

3- المنهج الأصولي: اتبع الباحث هذا المنهج وذلك لفهم وتحليل العوامل المؤثرة في توزيع الخدمة التعليمية موضوع الدراسة وتحليل ما يتعلق بها.

* الأساليب وتمثل في:

أ- الأسلوب الكمي: قام الباحث بتحليل البيانات الرقمية والجداول التي تم جمعها من المصادر المختلفة، كما استعان الباحث ببرنامج Excel، وتم تطبيق المعادلات الرياضية التي تخص الدراسة للوصول إلى أدق نتائج صحيحة.

ب- الأسلوب الكرتوجرافي: قام الباحث باستخدام الخرائط والأشكال البيانية التي لا غنى عنها في الدراسات الجغرافية.

ج- أدوات الدراسة:

تم استخدام الأدوات اللازمة التي تخص الموضوع المدروس وهي:

1- المصادر والمراجع المكتوبة في المكتبات العامة والجامعية والتي لها علاقة بموضوع الدراسة.
2- البيانات المتحصل عليها من خلال وزارة التربية والتعليم بالخمسة والتي لها علاقة بموضوع المبحوث.

3- الإحصائيات الصادرة عن أجهزة الدولة التي تخص البحث.

* الدراسات السابقة:

1. دراسة التير (2008) ركزت هذه الدراسة على العلاقة بين عدد الطلبة والسكان، وذلك لمعرفة نسبة الالتحاق والتسرب للطلبة، كما تطرقت الدراسة إلى معرفة كفاءة الخدمة التعليمية، وفق مجموعة من المؤشرات التخطيطية⁽¹⁾.

2. دراسة خلف الله (2006) تطرقت هذه الدراسة إلى دراسة التعليم العام من حيث مراحلها وتطوره وتوزيعه الجغرافي⁽²⁾.

3. دراسة محمد (2006) هدفت الدراسة إلى التوزيع المكاني للخدمات التعليمية للتعليم الأساسي، مع إبراز مدى كفاءة وكفاية الخدمة التعليمية⁽³⁾.

¹ - علي محمد التير، التعليم والصحة في منطقة زليتن دراسة في جغرافية الخدمات، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، 2008.

² - مصطفى خلف الله، الوظيفة التعليمية لشعبية الزاوية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة السابع من إبريل، 2006.

³ - هاني حسني محمد التحليل المكاني لتوزيع مدارس مرحلة التعليم الأساسي بحي المنتزه باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 2006.

4. دراسة الثابت (2005) حيث تناولت هذه الدراسة أهمية هذه الوظيفة ومدى احتياج السكان لها⁽¹⁾.
5. دراسة العتيبي (2005) أبرزت هذه الدراسة تطور التعليم العام بجميع أشكاله وأنماطه خلال فترات تاريخية، كما اهتمت الدراسة بمدى كفاءة وكفاية الخدمات التعليمية، وتوضيح العلاقات المكانية بكل مرحلة⁽²⁾.
6. دراسة البرعصي (2004) تناولت هذه الدراسة التوزيع الجغرافي للخدمات التعليمية على مختلف أحياء المدينة، كما استعرضت هذه الدراسة مستوى كفاءة وكفاية هذه الخدمة باستخدام الأساليب الإحصائية⁽³⁾.
7. دراسة الشركسي (2001) تطرقت هذه الدراسة إلى تطور هذه الخدمة وعددها ومراكز انتشارها وتوزيعها الجغرافي حسب القطاعين الخاص والعام⁽⁴⁾.

أولاً: الخصائص البشرية:

تعتبر دراسة السكان من أهم الدراسات الحيوية، فهي ذات أهمية بالغة في عمليات التخطيط، وخاصة تخطيط الخدمات التعليمية، حيث تتأثر هذه الخدمة بمعدلات النمو السكاني والتي تزداد بزيادة عدد المواليد، وقلة الوفيات، وهذان المتغيران يؤديان إلى تغيير حجم السكان بصفة أساسية مما يؤثر هذا على عدد الملتحقين بالمدارس، ولكل دولة نمط خاص للنمو السكاني، وذلك حسب الظروف الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية⁽⁵⁾. ومن الجدول رقم (1) يتضح أن معدل النمو السكاني من 1995-2013 لم يتجاوز 1.2% على مستوى محلات المدينة، فأعلى معدل نمو نالت به محلة المرقب نحو 1.5%، وأدنى معدل نمو سجل في محلة بن جحا نحو 1.0%،

¹ - وداد الثابت الوظيفة التعليمية في منطقة العجيلات للمدة 1990-2003، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة السابع من إبريل، 2005.

² - سيف محمد العتيبي، التعليم العام بحاضرة الإحساء دراسة في جغرافية الخدمات، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، 2005.

³ - أسامة البرعصي، التباين المكاني للخدمات الصحية والتعليمية بمدينة المرج الجديدة، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة قاريونس، 2004.

⁴ - ونيس عبد القادر الشركسي، التعليم والصحة في بلدية مصراتة، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2001.

⁵ - فتحي محمد أبو عيانه، جغرافية السكان أسس وتطبيقات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط5، 2000، ص 127.

والجدول التالي يتتبع أعداد السكان ومعدلات نموهم على مستوى محلات المدينة خلال فترات زمنية متعاقبة من 1995-2013م.

جدول (1)

أعداد السكان وتوزيعهم حسب محلات المدينة من عام 1995-2013م.

المحلات	1995	2006	2013	معدلات النمو 1995-2013*
البلدية	5129	5794	7720	1.3
بن جحا	11571	13621	15910	1.0
المرقب	4391	6404	7012	1.5
لبده	10644	13034	15509	1.2
المجموع	31735	38853	46151	1.2

المصدر: من عمل الباحث استناداً إلى:

1- الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان 1995، طرابلس، 1996، منطقة النقازة، ص 72-73.

2- لهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان، 2006، طرابلس، شعبية المرقب، 2006، ب.ص .

$$R = \log \left[\frac{\log \frac{pn}{po}}{n} - 1 \right] \times 100$$

حيث $R =$ معدل النمو، \log لوغريتم، و Pn عدد السكان في العام الأخيرة و Po عدد السكان في العام الأولى و N الفارق الزمني⁽¹⁾

ثانياً: التركيب السكاني: ويقصد به دراسة الخصائص المختلفة للمجموعات السكانية، ويقتصر البحث على التركيب العمري والنوعي والذي يعد من أهم التركيبات السكانية التي يمكن من خلاله معرفة أعداد الطلبة الملتحقين والذين سوف يلتحقون خلال السنوات القادمة، كما تأتي أهمية دراسة هذا النوع من التركيب لتوضيح التباين السكاني بين محلات المدينة، وكذلك فإن بياناته تساهم في معرفة العمالة ودورها في تقديم عدد من السكان لتأدية الخدمات التعليمية والصحية⁽²⁾.

¹- Barclay. Georges .Techniques of Population Analysis. John Wiley and Sons. New York. 1970. P28.

⁽²⁾ فتحي محمد أبو عيانة، جغرافية السكان، مرجع سابق، ص397.

أ- التركيب العمري والنوعي:

من خلال الجدول رقم (2) يتضح أن الفئات العمرية من (0-14) بلغت نسبة الذكور (16.5% والإناث 15.9%) وإذا نظرنا إلى هذه الفئة يلاحظ الباحث انخفاض أعداد هذه الفئة، ويرجع السبب في ذلك إلى انخفاض معدلات المواليد وذلك بسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية لأسر المدينة، في حين يلاحظ ارتفاع أعداد الفئة العمرية من (15-64)، ويرجع السبب في ارتفاع نسبة الفئة العمرية إلى تأثير هذه الفئة بعامل الهجرة حيث تمثل هذه الفئة العاملين والمنتجين في مختلف الأنشطة فهي الفئة التي تركز عليها الدولة فقد بلغت نسبة الذكور 32.3% والإناث 31.7%، ويلاحظ انخفاض الفئة العمرية أكثر من 65 فما فوق وتعتبر هذه الفئة الغير منتجة وهي الأكثر عرضة للوفاة فقد بلغت نسبة الذكور والإناث 1.8% لكلا الفئتين، والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول (2)

الفئات العمرية للمدينة عام 2006

فئات السن	14- 0	%	15 -	%	65 فأكثر	%	جملة المدينة	%
الذكور	6399	16.5%	12542	32.3%	709	1.8%	19650	50.6%
إناث	6159	15.9%	12332	31.7%	713	1.8%	19204	49.4%
مجموع	12558	32.3%	24874	64.0%	1422	3.7%	38854	100%

المصدر: من عمل الباحث استناداً إلى:

1- الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان، 2006، طرابلس، شعبية المرقب، 2006، ص.ص 17-27 .

ثالثاً: التوزيع الجغرافي للسكان وكثافتهم في مدينة الخمس:

مما لا ريب فيه أن السكان لا يتوزعون توزيعاً عادلاً فالخصائص الجغرافية تؤثر في خريطة توزيع السكان بشكل إيجابي على مستوى المحلات، وقد اكتسبت العديد من المحلات أهمية متزايدة عما كانت عليه في السابق، كما أن الخصائص الاجتماعية التي تمثل في توزيع الخدمات

بكافة مستوياتها، خاصة التعليمية منها والتي لها دورها الأساسي في توزيع السكان⁽¹⁾، وكلما توافقت التوزيعات كلما دعا الأمر لتمكن المواطنين من الوصول إلى أماكن خدماتهم بسهولة ويسر⁽²⁾.

وإذا تتبعنا التوزيع الجغرافي لسكان المدينة، يلاحظ أن هذا التوزيع يختلف من محلة إلى أخرى، وذلك حسب ظروف وإمكانيات المكان، وقد بلغ سكان المدينة عام 2013م نحو 46151 نسمة، والجدول التالي يوضح دراسة التوزيع الجغرافي للسكان وكثافتهم على مستوى المحلات.

جدول (3)

التوزيع الجغرافي كثافة السكان على مستوى محلات المدينة عام 2013م

المحلات	عدد السكان	%
البلدية	7720	16.7
بن جحا	15910	34.5
المرقب	7012	15.2
لبده	15509	33.6
المجموع	46151	100

المصدر: من عمل الباحث استناداً إلى:

1- الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان، 2013، شعبية المرقب، 2013، ب، ص.

من خلال الجدول يتضح أن محلة بن جحا أعلى عدداً للسكان، فقد وصل عدد السكان بهذه المحلة 15910 نسمة بنسبة 34.5% في عام 2013م، يرد ذلك إلى التوسع العمراني، وكذلك توافر الخدمات بكافة مستوياتها التعليمية، والصحية والأمنية، وغيرها من الخدمات الأخرى وتأتي في المرتبة الثانية محلة لبده فقد وصل عدد السكان بها 15509 نسمة بنسبة 33.6%، بينما سجلت محلة المرقب أدنى عدد للسكان حيث بلغ عددهم 7012 نسمة بنسبة 15.2%. أما عن كثافة السكان التي يعبر عنها بالعلاقة بين عدد السكان والمساحة، فقد أولت عمليات التخطيط

(1) منصور محمد الكيخيا، السكان، الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، تحرير الهادي أبو لقمة، سعد القزيري، دار الجماهيرية، سرت، 1995، ص388.

(2) ونيس عبد القادر الشركسي، التعليم والصحة في بلدية مصراتة، مرجع سابق، ص51.

بالخدمات التعليمية بهذه العلاقة، حيث يتم إنشاء المؤسسات التعليمية وفقاً لحجم مساحة السكان المقيمين في أي رقعة جغرافية.

رابعاً: التركيب التعليمي:

تعتبر دراسة التركيب التعليمي من أهم الدراسات السكانية، التي على أساسها يمكن معرفة تقدم المجتمعات ورفيها، فهو يعد مقياساً ذا أهمية لمعرفة مستوى الأمية المنتشرة في المدينة، ووضع الحلول للنهوض بالمجتمع نحو التعليم، حتى تستمر عجلة التنمية نحو الأفضل، ولقد وضعت الدراسات مؤشرات للمستوى التعليمي، وتشمل التعدادات السكانية هذا النوع من التركيب الذي يوضح المستويات التعليمية المتدرجة من الأمية حتى التعليم العالي، والجدول التالي يوضح الحالة التعليمية للمدينة.

جدول (4) الحالة التعليمية للمدينة عام 2006

الحالة التعليمية	ذكور	%	الإناث	%	المجموع	%
أمية	763	7.1	2533	18.6	3296	12.2
دون الابتدائية	1304	12.2	1353	9.9	2657	9.8
الشهادة الابتدائية	2521	23.6	2393	17.6	4914	18.1
التعليم الأساسي المستوى الأول	2678	25.0	2368	17.4	5046	18.6
التعليم الأساسي المستوى الثاني	1392	13.0	1281	9.4	2673	9.9
الثانوي والمعاهد	1788	16.7	3591	26.3	5379	19.9
التعليم الجامعي	1516	14	1249	9.2	2765	10.2
فوق الجامعي	254	2.4	114	0.8	368	1.4
المجموع	12216	100	14882	100	27098	100.0

المصدر: من عمل الباحث استناداً إلى:

1- الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان (2006، ص55-66).

من خلال الجدول السابق يتضح أن نسبة الأمية بلغت 12.2% أي أن نسبة الأمية مازالت مرتفعة على مستوى المدينة، ويلاحظ أن نسبة الأمية لدى الإناث أكثر من الذكور ويرجع السبب في ذلك للزواج المبكر لدى الإناث أو لربما نتيجة للعادات الاجتماعية لبعض الأسر، كما أن التعليم الجامعي لسكان المدينة لم يتجاوز 10.2%، ويلاحظ على هذا النوع من التعليم أن أعداد الإناث أكثر من أعداد الذكور ويرجع السبب في ذلك إلى أن معظم الذكور يتجهون بعد

المرحلة الإعدادية أو الثانوية نحو سوق العمل بالأنشطة الاقتصادية، وبالتالي يلاحظ أن نسبة الحالة التعليمية بالمرحلة الإعدادية أن نسبة الذكور أعلى من الإناث.

خامساً: التوزيع الجغرافي للخدمات التعليمية لمدينة الخمس:

1- التوزيع العددي والنسبي لرياض الأطفال.

من خلال الجدول رقم (5) يتضح أن مجموع عدد الطلبة لرياض الأطفال وصل إلى (833) على مستوى المحلات، وأعلى نسبة بلغت (58.3%) بمحلة لبده، ويرد ذلك إلى أسباب منها قرب المسافة من المنزل إلى المدرسة، أي قرب المؤسسات التعليمية من أماكن السكن، كما أن هذه المحلة يتركز بها أعلى عدد من السكان، ثم تليها محلة بن جحا في المرتبة الثانية فقد بلغت نسبة الطلبة بهذه المحلة (36.5%) في حين بلغت محلة المرقب أدنى نسبة نحو (5.2%) والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول (5)

التوزيع العددي والنسبي لعدد طلبة رياض الأطفال عام 2014م

المحلة	عدد الطلبة				المجموع	
	ذكور	%	إناث	%	المجموع	%
المرقب	20	5.1	23	5.3	43	5.2
بن جحا	145	36.7	159	36.3	304	36.5
لبده	230	58.2	256	58.4	486	58.3
المجموع	395	100.0	438	100.0	833	100.0

المصدر: من عمل الباحث استناداً إلى بيانات مدارس التعليم الأساسي بالخمس ، بيانات غير منشورة، 2014.

2- التوزيع العددي والنسبي لعدد مدارس رياض الأطفال:

وصل عدد مجموع رياض الأطفال على مستوى المحلات (9) روضات، وأن أعلى عدد رياض للأطفال بلغت في محلة لبده بنحو (5) روضات، وبالتالي احتلت المرتبة الأولى بنسبة (55.5%)، ثم تليها محلة بن جحا في المرتبة الثانية بعدد (3) روضات بنسبة (33.3%)، بينما سجلت روضة واحدة في محلة المرقب بنسبة (11.1%)، ويرجع السبب في ارتفاع رياض الأطفال

بمحلة بن جحا ولبده، نتيجة التركيز السكاني في هاتين المحلتين أكثر من محلة المرقب، والجدول التالي يوضح هذا التوزيع.

جدول (6)

التوزيع العددي والنسبي لعدد المدارس والفصول والمدرسين عام 2014

المحلات	عدد مدارس الرياض	%	عدد الفصول	%	عدد المدرسين	%
بن جحا	3	33.3	22	55	57	57.5
لبده	5	55.5	15	37.5	30	30.3
المرقب	1	11.1	3	7.5	12	12.1
المجموع	9	100	40	100	99	100

المصدر: من عمل الباحث استناداً إلى بيانات مدارس التعليم الأساسي بالخمسة، بيانات غير منشورة، 2014.

3- التوزيع العددي والنسبي لعدد الفصول:

مما لا شك فيه أن دراسة متوسط أعداد الفصول في الرياض من أهم المقاييس التي من خلالها معرفة مستوى كفاءة الخدمات التعليمية، فكلما ازدادت أعداد الفصول في المدرسة، كلما أدى هذا إلى انخفاض كثافة الطلبة في الفصل، وبالتالي يؤدي هذا إلى استيعاب الطلبة بدرجة أكبر، وقدرتهم على الفهم والإدراك، بعكس ما إذا كانت أعداد الفصول منخفضة، وارتفاع عدد الطلبة، مما يجعل الأداء التعليمي بطيئاً لدى المدرسين، فمن خلال الجدول يتضح أن عدد الفصول على مستوى المحلات بلغ عددها (40) فصلاً، وبذلك يلاحظ ارتفاع أعلى نسبة لها في محلة بن جحا بنسبة (55%)، ثم تأتي أدنى نسبة في محلة المرقب بنحو (7.5%)، ويرجع السبب في ذلك إلى انخفاض التوزيع السكاني بهذه المحلة مقارنة بالمحلات الأخرى .

4 . التوزيع العددي والنسبي لعدد المدرسين:

يمثل هذا المؤشر أحد مؤشرات مستوى كفاءة الخدمة التعليمية، فعلى أساس هذا المعدل يمكننا معرفة مدى نجاح النظام التعليمي في تحقيق التوازن بين أعداد الطلبة وأعداد المدرسين، ويترتب على عدم تحقيق هذا التوازن تحميل المدرسين عبء التدريس، ويصبح منهكاً، مما يترتب على ذلك عدم توصيل المعرفة إلى كافة الطلبة المقيدون بالفصل الدراسي، فارتفاع مستوى كفاءة هذه الخدمة يدل على توافر نجاح العملية التعليمية وهو المعلم، وكفاءة هذه الخدمة لا تستند إلى

الكم فقط، ولكن تعتمد كذلك على مدى مقدرة هؤلاء المعلمين على إعداد النشيء، من حيث تحفيزهم، وإنشاء الدورات التدريبية لهم⁽¹⁾، وقد بلغ المعدل العام على مستوى المحلات لهذا المؤشر (99) مدرس، ومن خلال الجدول يتضح أن أعلى نسبة لعدد المدرسين في محلة بن جحا (57.5%) ثم تليها محلة لبدته بنسبة (30.3%)، وأدنى نسبة سجلت بمحلة المرقب بـ(12.1%).

ثانياً: التوزيع الجغرافي للخدمات التعليمية للتعليم الأساسي:

1- التوزيع العددي والنسبي لعدد الطلبة:

من خلال الجدول رقم (7) يلاحظ أن عدد الطلبة يختلف من محلة لأخرى، فقد وصل عدد الطلبة على مستوى محلات المدينة (6311) طالباً منهم (3262) طالباً من الذكور، و(3049) من الإناث، فقد احتلت محلة بن جحا المرتبة الأولى من حيث عدد الطلبة عام 2014م، فقد بلغ عددهم (3279) طالباً، بنسبة بلغت (52%)، وتأتي محلة لبدته بالمرتبة الثانية من حيث ارتفاع عدد الطلبة البالغ عددهم (1611) طالباً، بنسبة (25.5%)، ويرجع ارتفاع نسبة عدد الطلبة في هاتين المحلتين إلى ارتفاع عدد السكان، وتطورهما عمرانياً، وتوافر الخدمات بهما، وتحتل محلة المرقب المرتبة الثالثة من حيث عدد الطلبة البالغ عددهم (601) طالباً بنسبة (9.5%)، في حين سجل أدنى عدد الطلبة في محلة البلدية بنحو (820) طالباً بنسبة (13%)، والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول (7)

التوزيع العددي والنسبي لطلبة مرحلة التعليم الأساسي خلال عام 2014م

المجموعة	عدد الطلبة				المحلة
	العدد	%	إناث	ذكور	
9.5	601	10.1	307	294	البلدية
52.0	3279	52.8	1611	1668	بن جحا
13.0	820	13.3	407	413	المرقب
25.5	1611	23.7	724	887	لبدته
100.0	6311	100.0	3049	3262	المجموع

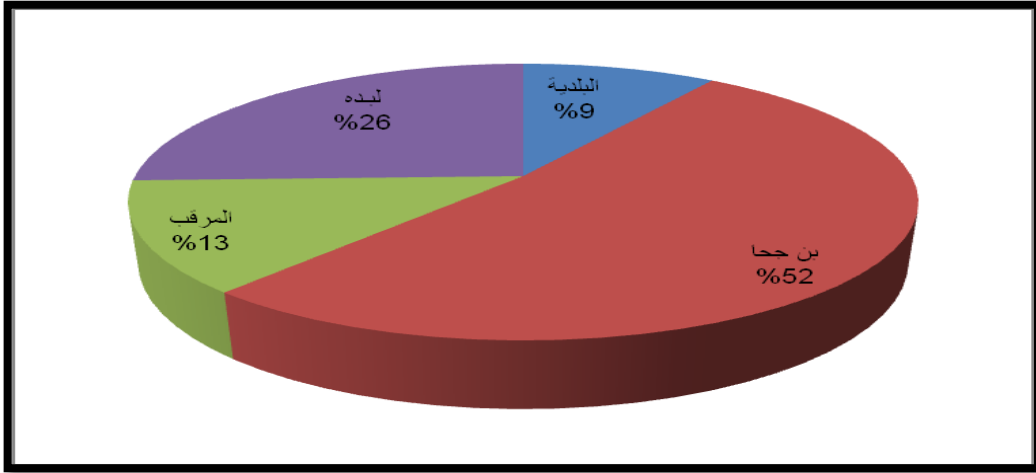
(1) علي محمد النير، التعليم والصحة في منطقة زليتن، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، 2008، ص 136-137.

المصدر: من عمل الباحث استناداً إلى بيانات مدارس التعليم الأساسي بالخمسة ، بيانات غير منشورة، 2014.

كما يلاحظ من الجدول أن أعداد الطلبة من الذكور والإناث لا توجد بينهم فوارق واضحة بهذه المرحلة التعليمية. والشكل رقم (1) يوضح التوزيع النسبي لطلبة مرحلة التعليم الأساسي.

شكل (1)

التوزيع النسبي لطلبة مرحلة التعليم الأساسي على مستوى محلات المدينة عام 2014م



من عمل الباحث استناداً للجدول رقم (7)

2- التوزيع العددي والنسبي لعدد المدارس:

بلغ عدد المدارس على مستوى المحلات (19) مدرسة، عام 2014م، نالت محلة بن جحا أعلى عدد لهذه المدارس بنحو (8) مدارس، بنسبة (42.1%)، ثم تأتي محلة لبدده في المرتبة الثانية من حيث عدد المدارس فقد بلغ عددها (7) مدارس بنسبة (36.8%)، ثم تعادلت محلتا البلدية والمرقب بعدد مدرستين لكل محلة بنسبة (10.5%)، والجدول التالي يوضح التوزيع العددي والنسبي للمدارس والفصول والمدرسين لمرحلة التعليم الأساسي عام 2014.

جدول (8)

التوزيع العددي والنسبي للمدارس والفصول والمدرسين لمرحلة التعليم الأساسي عام 2014

المحلة	عدد المدارس	%	عدد الفصول	%	عدد المدرسين	%
البلدية	2	10.5	15	10.6	441	42.0
المرقب	2	10.5	21	14.9	116	11.1
بن جحا	8	42.1	70	49.6	300	28.6

18.3	192	24.8	35	36.8	7	لبدہ
100.0	1049	100.0	141	100.0	19	المجموع

المصدر: من عمل الباحث استناداً إلى بيانات مدارس التعليم الأساسي بالخمسة ، بيانات غير منشورة، 2014.

3- التوزيع العددي والنسبي لعدد الفصول:

بلغ إجمالي عدد الفصول عام 2014م على مستوى المحلات نحو (141) فصلاً، احتلت بن جحا العدد الأكبر من هذه الفصول البالغ عددهم (70) فصلاً، بنسبة (49.6%)، ثم تليها محلة لبدہ تأتي في المرتبة الثانية بنحو (35) فصلاً بنسبة (24.8%)، ثم تليها محلة المرقب في المرتبة الثالثة بنحو (21) فصلاً، بنسبة (14.9%)، وأدنى عدد للفصول بلغت (15) فصلاً بمحلة البلدية بنسبة (10.6%).

4- التوزيع العددي والنسبي لعدد المدرسين:

يتضح من الجدول السابق أن عدد المدرسين بلغ على مستوى المحلات (1049) مدرساً في عام 2014م، احتلت محلة البلدية المرتبة الأولى فقد بلغت نسبتهم (42%)، وتأتي في المرتبة الثانية محلة المرقب بنسبة (28.6%)، ثم تليها محلة لبدہ في المرتبة الثالثة بنسبة (18.3%)، في حين بلغ أدنى عدد للمدرسين بمحلة بن جحا فقد بلغت نسبتهم (11.1%)، ومما سبق يلاحظ أن أعلى عدد للمدرسين بلغ بمحلة البلدية على الرغم من أنها تعد أقل عدداً لعدد الفصول ويرجع السبب في ذلك إلى سوء توزيع عدد المدرسين مع عدد الفصول وذلك بما يتوافق مع الأسس التخطيطية التي تضعها الدولة.

ثالثاً: كفاءة الخدمات التعليمية للتعليم الأساسي:

تعد دراسة كفاءة الخدمات التعليمية من أهم الموضوعات في مجال الدراسة، لأنها تكشف لنا طبيعة هذه الخدمة، وأهم هذه المشاكل التي تواجهها، ومدى تطبيق خطط التنمية التي أنشأتها الدولة في جانب هذه الخدمة، وهل هي متوافقة مع المعايير التي وضعتها الدولة، أم أن هناك قصوراً في تلك المعايير التي من خلالها يتم فهم ما هو حاصل في هذه المؤسسات التعليمية، التي هي من شأنها الرقي بمستوى الدولة والنهوض بها، فالتعليم هو المقياس الذي يقاس به تقدم الشعوب، فهو الدعامة الأولى والركيزة الأساسية. وفيما يلي دراسة لأهم المعايير التي يمكن من خلالها معرفة كفاءة الخدمة التعليمية بالمدينة.

1- متوسط أعداد الفصول في المدرسة:

مما لا شك فيه أن دراسة متوسط أعداد الفصول في المدارس من أهم المقاييس التي يتم من خلالها معرفة مستوى كفاءة الخدمات التعليمية، فكلما ازدادت أعداد الفصول في المدرسة كلما أدى إلى انخفاض كثافة الطلبة في الفصل، وبالتالي يؤدي هذا إلى استيعاب الطلبة بدرجة أكبر، وقدرتهم على الفهم والإدراك، بعكس ما إذا كانت أعداد الفصول منخفضة، وارتفاع عدد الطلبة، مما يجعل الأداء التعليمي بطيئاً لدى المدرسين، ومن خلال الجدول (9) يتضح أن متوسط عدد الفصول لكل مدرسة على مستوى المحلات بلغ (7.4) فصول/مدرسة وبذلك يلاحظ انخفاض متوسط عدد الفصول بكل مدرسة عن المعيار الذي وضعته الدولة على مستوى محلات المدينة خلال عام 2014م باستثناء محلة المرقب، والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول (9)

متوسط أعداد الفصول في المدرسة على مستوى المحلات عام 2014م

المحلات	عدد الفصول	عدد المدارس	فصل/مدرسة
البلدية	15	2	7.5
بن جحا	70	8	8.8
المرقب	21	2	10,5
لبده	35	7	5
المجموع	141	19	7.4

المصدر: من عمل الباحث استناداً إلى بيانات مدارس التعليم الأساسي بالخمس ، بيانات غير منشورة، 2014.

يتضح من الجدول رقم (9) أن متوسط أعداد الفصول على مستوى المحلات اختلفت من محلة إلى أخرى في عام 2014م، فقد بلغ أعلى متوسط لعدد الفصول لكل مدرسة (10.5) فصول/مدرسة بمحلة المرقب، وسجل المتوسط بمحلة بن جحا (8.8) فصول/مدرسة، ووصل متوسط عدد الفصول لكل مدرسة أدناه بمحلة لبده بنحو (5) فصول/ مدرسة .

2- كثافة الفصول:

يقصد بالكثافة: معدل الطلاب في الفصول، وبعد هذا المؤشر أحد المؤشرات التي توضح مدى الضغوط التي تتعرض لها مراحل التعليم الأساسي، ويذكر علاء محمود: "أنه كلما انخفضت كثافة الفصل، ازدادت الاستفادة من التعليم، وازدادت قدرة الطلاب على التحصيل والفهم، والعكس صحيح"⁽¹⁾، واعتماداً على أهمية ذلك فقد وضعت الدولة المعيار لعدد الطلبة في الفصول لهذه المرحلة البالغ (24.6) طالباً/فصل، وتمت دراسة الكثافة داخل الفصول خلال (2014) حسب المحلات كما هو مبين بالجدول التالي.

جدول(10)

متوسط كثافة الفصول على مستوى محلات المدينة عام 2014م

المحلات	عدد الطلاب	عدد الفصول	طالب/فصل
البلدية	601	15	40.1
بن جحا	3279	70	46.8
المرقب	820	21	39.0
لبده	1611	35	46.0
المجموع	6311	141	44.8

المصدر: من عمل الباحث استناداً إلى بيانات مدارس التعليم الأساسي بالخمسة ، بيانات غير منشورة، 2014.

من الجدول (10) يتضح أن متوسط كثافة الفصول على مستوى المحلات ذات مستوى كفاءة وكفاية غير مرضية، حيث تجاوزت كثافة الفصول على مستوى محلات المدينة (44.8) طالباً/فصل، وبذلك فهي أعلى من المعدل العام، فقد بلغت كثافة الفصول بمحلة بن جحا (46.8) طالباً/فصل و بمحلة لبده (46.0) طالباً/فصل، وسجل معدل الكثافة في محلة البلدية بنحو (40.1) طالباً/فصل، وفي محلة المرقب بنحو (39.0) طالباً/فصل.

3- متوسط أعداد الطلاب في المدرسة:

(1) علاء سيد محمود عبد الله، التعليم الابتدائي في مصر، دراسة في جغرافية الخدمات، المجلة الجغرافية العربية، العدد السابع والثلاثون، الجزء الأول، الجمعية الجغرافية المصرية، القاهرة، 2001، ص121.

تعد دراسة متوسط عدد الطلاب في المدرسة مؤشراً ومقياساً آخر لدراسة مستوى كفاءة الخدمة التعليمية، علماً بأن المتوسط العام على مستوى الدولة بلغ (268) طالباً/مدرسة، ويوضح هذا المقياس مدى قدرة استيعاب المؤسسات التعليمية لأعداد الطلبة، والجدول التالي يوضح متوسط أعداد الطلاب في المدرسة على مستوى المحلات عام 2014م

جدول (11)

متوسط أعداد الطلاب في المدرسة على مستوى المحلات عام 2014م

المحلات	عدد الطلاب	عدد المدارس	طالب/مدرسة
البلدية	601	2	301
بن جحا	3279	8	410
المرقب	820	2	410
لبده	1611	7	230
المجموع	6311	19	332

المصدر: من عمل الباحث استناداً إلى بيانات مدارس التعليم الأساسي بالخمسة، بيانات غير منشورة، 2014.

من خلال الجدول السابق يتضح عند دراسة هذا المتوسط على مستوى المحلات بشكل عام يلاحظ أن هذه المحلات جاء متوسط عد الطلبة لكل مدرسة أعلى في بعض المحلات من المعدل الذي وضعته الدولة كمؤشر لقياس كفاءة هذا المعيار، فأعلى متوسط لعدد الطلبة في المدرسة بلغا أعلاهما بمحلتني بن جحا والمرقب ب(410) طالباً/مدرسة، أما محلة لبده جاء معدلها أدنى من المعدل العام بنحو (230) طالباً/مدرسة، ويرجع السبب إلى ارتفاع عدد المدارس بهذه المحلة.

4- متوسط عدد المدرسين لكل فصل:

يتضح من الجدول رقم (12) أن هناك زيادة في أعداد المدرسين لكل فصل تزداد عن المعدل العام الذي يبلغ 2.5 مدرس/فصل، حيث يلاحظ على محلات المدينة أن معدلاتها تزداد عن المعدل العام، فقد بلغ المعدل العام للمدينة (3.9) مدرسین/فصل، ويرتفع المعدل إلى (6.1)

مدرسين/فصل بمحلة المرقب، و(4.5) مدرسين/ فصل بمحلة بن جحا، ويستثنى من محلات المدينة محلة لبده الذي بلغ معدلها (2.2) مدرس/فصل، والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول (12)

متوسط عدد المدرسين لكل فصل على مستوى محلات المدينة عام 2014

المحلة	عدد المدرسين	عدد الفصول	مدرس/فصل
البلدية	83	25	3.3
المرقب	116	19	6.1
بن جحا	190	42	4.5
لبده	64	29	2.2
المجموع	453	115	3.9

المصدر: من عمل الباحث استناداً إلى بيانات مدارس التعليم الأساسي بالخمس، بيانات غير منشورة، 2014.

5- متوسط ما يخدمه المدرس من الطلاب (طالب/مدرس):

يمثل هذا المؤشر أحد مؤشرات مستوى كفاءة الخدمة التعليمية، فعلى أساس هذا المعدل يمكننا معرفة مدى نجاح النظام التعليمي في تحقيق التوازن بين أعداد الطلاب وأعداد المدرسين، ويترتب على عدم تحقيق هذا التوازن تحميل المدرس عبء التدريس، ويصبح منهكاً، مما يترتب على ذلك عدم توصيل المعرفة إلى كافة الطلبة المقيدون بالفصل الدراسي، فارتفاع مستوى كفاءة هذه الخدمة يدل على توافر عناصر نجاح العملية التعليمية وهو المعلم، وكفاءة هذه الخدمة لا تستند إلى الكم فقط، ولكن تعتمد كذلك على مدى مقدرة هؤلاء المعلمين على إعداد النشء، من حيث تحفيزهم، وإنشاء الدورات التدريبية لهم⁽¹⁾، وقد بلغ المعدل العام على مستوى الدولة لهذا المؤشر 8.2 طالب/مدرس، والجدول التالي يوضح معدل الطلاب لكل مدرس على مستوى محلات المدينة عام 2014.

¹ - علي محمد النير، التعليم والصحة في منطقة زليتن، رسالة دكتوراه غير منشورة، مرجع سابق، ص 136-137.

جدول (13)

معدل الطلاب لكل مدرس على مستوى محلات المدينة عام 2014.

المحلة	عدد الطلاب	عدد المدرسين	طالب/ مدرس
البلدية	601	83	7.2
المرقب	3279	116	17.3
بن جحا	820	190	7.1
لبده	1611	64	25.2
المجموع	6311	453	14.0

المصدر: من عمل الباحث استناداً إلى بيانات مدارس التعليم الأساسي بالخمسة ، بيانات غير منشورة، 2014.

يتضح من خلال الجدول أعلاه، أن معدل الطلاب لكل مدرس على مستوى المدينة بلغ (14.0) طالباً/مدرس، وعلى مستوى محلات المدينة هناك محلتين تجاوزتا المعدل العام هما المرقب ولبده بمعدل (17.3) طالباً/مدرس بالمحلة الأولى، ومعدل (25.2) طالباً/مدرس بالمحلة الثانية، ويرجع السبب في ذلك إلى نقص أعداد المدرسين لهاتين المحلتين، وهذا يدل على سوء الخدمة التعليمية بهاتين المحلتين، وهذا الانخفاض في أعداد المدرسين يؤدي إلى عرقلة سير العملية التعليمية نحو الأفضل، وذلك من خلال الاهتمام بعدد الطلبة خاصة في المرحلة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي (الشق الأول)، أما بالنسبة لمحلتى البلدية وبن جحا فهما أقل من المعدل العام.

6- متوسط ما تخدمه المدرسة من السكان.

إن هذا التوزيع يبين معدل ما تخدمه المدرسة من السكان، فهذا مؤشر يوضح ما يمكن أن تخدمه المدرسة من السكان، ويعبر عنه نسمة/ مدرسة، فهذا المؤشر يوضح مدى التوازن بين كثافة الخدمات التعليمية وتوزيعها، وبين كثافة السكان وتوزيعهم⁽¹⁾، هذا وتعتبر البيانات السكانية هي

¹ - علي محمد التير، التعليم والصحة في منطقة زليتن، مرجع سابق، ص 177.

القاعدة الرئيسية والأساسية التي تنطلق منها باقي الدراسات الأخرى خاصة الخدمة التعليمية⁽¹⁾، بلغ متوسط ما تخدمه المدرسة من السكان على مستوى محلات مدينة الخمس نحو 2429 نسمة/مدرسة، وبالتالي يرتفع معدل ما تخدمه المدرسة من السكان عن المعدل العام البالغ 1624 نسمة/مدرسة، وعلى مستوى المحلات يلاحظ ارتفاع معدلات ما تخدمه المدرسة من السكان في كافة المحلات وبلغت أعلاها بمحلة البلدية نحو 3860 نسمة/مدرسة، وتليها محلة المرقب بنحو 3506 نسمة/مدرسة، والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول (14)

معدل ما تخدمه المدرسة من السكان حسب محلات مدينة الخمس عام 2014

المحلات	عدد السكان	عدد المدارس	ما تخدمه المدرسة من السكان
البلدية	7720	2	3860
بن جحا	15910	8	1989
المرقب	7012	2	3506
ليده	15509	7	2216
المجموع	46151	19	2429

المصدر: من عمل الباحث استناداً إلى بيانات مدارس التعليم الأساسي بالخمس ، بيانات غير منشورة، 2014.

النتائج والتوصيات:

من أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ما يلي:

1- اختلاف معدلات النمو السكاني من محلة لآخرى حيث بلغ أعلى معدل نمو 1.5% بمحلة المرقب.

¹ - سيف محمد العتيبي، التعليم العام بحاضرة الإحساء، دراسة في جغرافية الخدمات، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، 2005، ص 227.

2- انخفاض الفئة العمرية من (0-14) سنة وهي المرحلة التي سوف تلتحق بمرحلة التعليم الأساسي.

3- أكثر السكان يتوزعون بمحليتي بن جحا بنحو 34.5% و 33.6 بمحلة لبد.

4- يلاحظ أن نسبة الأمية مازالت مرتفعة بالمدينة فقد بلغت 12.2%.

5- ارتفاع عدد طلبة رياض الأطفال وطلبة التعليم الأساسي بمحليتي لبد وبن جحا بسبب ارتفاع أعداد السكان بهاتين المحلتين.

6- ارتفاع عدد المدرسين بمحلة البلدية أكثر من غيرها بالمحلات الأخرى على الرغم من انخفاض عدد الطلبة والمدارس بهذه المحلة.

7- لوحظ انخفاض معدل كفاءة الخدمة التعليمية حسب كل من: متوسط أعداد الفصول بالمدرسة، وكثافة الفصول، وارتفاع معدل الطلبة بالمدارس، وارتفاع معدل ما تخدمه المدرسة من السكان على مستوى محلات المدينة.

التوصيات:

1- إنشاء رياض للأطفال بمحلات المدينة لأنها تفتقر إلى هذه الخدمة بل إن محلة البلدية لا تتوفر بها خدمة لرياض الأطفال.

2- إعادة بناء مدارس إضافية لمرحلة التعليم الأساسي، وإتباع الطرق التخطيطية لكي تخدم أكبر قدر ممكن من السكان من جانب، وتقلل من كثافة الفصول من جانب آخر

3- وأخيراً نوصي الجهات ذات الاختصاص وصناع القرار في الدولة عند تخطيط وتنفيذ أي مخطط للخدمات التعليمية مراعاة معايير المحلية والدولية.

4- إنشاء مدارس لمحو الأمية التي مازالت منتشرة على مستوى المدينة.

5- توزيع عدد المدرسين على مستوى المحلات وفق المعايير التخطيطية حتى تكون الخدمة التعليمية ذات كفاءة عالية.

المصادر والمراجع:

1- البرعصي، أسامة، التباين المكاني للخدمات الصحية والتعليمية بمدينة المرج الجديدة، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة قاريونس، 2005.

- 2- التير، علي محمد، التعليم والصحة في منطقة زليتن، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، 2008.
- 3- الثابت، وداد الوظيفة التعليمية في منطقة العجيلات للمدة 1990-2003، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة السابع من إبريل، 2004.2005
- 4- الشركسي، ونيس عبد القادر ، التعليم والصحة في بلدية مصراتة، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2001.
- 5- العتيبي، سيف محمد، التعليم العام بحاضرة الإحساء، دراسة في جغرافية الخدمات، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، 2005.
- 6- أبو عيانة، فتحي محمد ، جغرافية السكان أسس وتطبيقات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط5، 2000.
- 7- خلف الله مصطفى، الوظيفة التعليمية لشعبية الزاوية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة السابع من إبريل، 2006
- 8- عبد الله، علاء سيد محمود، التعليم الابتدائي في مصر، دراسة في جغرافية الخدمات، المجلة الجغرافية العربية، العدد السابع والثلاثون، الجزء الأول، الجمعية الجغرافية المصرية، القاهرة، 2001.
- 9- محمد، هاني حسني، التحليل المكاني لتوزيع مدارس مرحلة التعليم الأساسي بحي المنتزه باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 2006.
- 10- الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان، 2006، طرابلس، شعبية المرقب، 2006.
- 11- Barclay. Georges .Techniques of Population Analysis. John Wiley and Sons. New York. 1970.

الخليج العربي (دراسة في التنافس الإنجليزي والعثماني خلال التاريخ الحديث)

د. محمود العارف قشقش

المقدمة :

بدأ الاهتمام الإنجليزي بمنطقة الخليج العربي والهند اقتصادياً، منذ أوائل القرن السابع عشر. وقد تحول ذلك إلى اهتمام سياسي ، بعد أن نشطت المنافسة الأوروبية الإنجليزية من جهة، وبعد أن تمكنت إنجلترا من المنطقتين؛ ورسخت أقدامها، من جهة أخرى، إلى درجة أنها كانت تسعى جاهدة، إلى احتكار السيطرة عليهما والاستئثار بخيراتها ومواردهما الأولية وتجارتها .

وبمجيء الحملة الفرنسية إلى مصر بقيادة نابليون عام 1798م، اتضحت خطة نابليون من أجل السيطرة على طرق تجارة الشرق وصولاً إلى الهند.

قامت الحكومة الإنجليزية بالتحرك السريع؛ لتأمين مصالحها الإستراتيجية في منطقة الخليج العربي والهند، وبالوقوف بوجه أية قوة تحاول السيطرة على طرق تجارة الشرق، فزاد تمسك إنجلترا بمنطقة الخليج ، (1)

وعلى أية حال فقد كان للتحويلات الكبرى التي حدثت في الهند ، منذ منتصف القرن التاسع عشر ، أثرها وانعكاساتها على منطقة الخليج العربي ، مما أدى إلى تغيرات سياسية على يد إنجلترا في أعقاب ثورة 1857 م في الهند ، (2) وهي الثورة التي أرغمت الحكومة الإنجليزية عن إعادة تنظيم إدارتها خارج المملكة. فبعد تلك الثورة بعام واحد، حلت شركة الهند الشرقية ، وأصبحت السلطة بيد حكومة الهند الإنجليزية. وعندها بدأ عهد وزارة شؤون الهند ، وكانت في الحقيقة ، عنصراً جديداً للاستعمار الإنجليزي الذي كان يتطلع إلى خلق دولة منظمة في شبه القارة الهندية، تستطيع أن تخدم مصالحها ، ليس في شبه القارة الهندية وحدها فقط ، ولكن في المناطق القريبة منها أيضاً؛ التي لإنجلترا، مصالح حيوية فيها. وبما أن الهند مرتبطة بمنطقة الخليج العربي، وأن إستراتيجية

1 - كانت تجارة شركة الهند الشرقية الإنجليزية أرباحها قليلة، مقارنة إلى أرباحها في أماكن أخرى من العالم، إلا أن تلك التجارة كانت ذات أهمية، حيث وجدت الشركة، في منطقة الخليج العربي سوقاً رائجة لصادراتها ، ومنطقة جذب مهمة لسلع ذات أهمية اقتصادية لتجارة الشركة مثل الحرير الخام والصوف الكرمانى وغيرهما من السلع التجارية المهمة التي تدخل فى الصناعات الإنجليزية.

2 - ثورة الاستقلال الهندي، حيث أعلن الهنود في هذه الثورة، من مسلمين وهندوس، الثورة ضد شركة الهند الشرقية. وتزامنت مع انهيار شركة الهند الشرقية البريطانية فى عامي 1857 - 1858. وبسبب هذا التزامن، فسرت كتابات عديدة انهيار الشركة على انه إحدى النتائج الكبرى لتلك الثورة . على عبد الله فارس ، شركة الهند الشرقية البريطانية 1600 - 1858 ، المسار للدراسات والنشر ، الشارقة 1997 ، ص 265

إنجلترا واحدة في المنطقتين، فإن منطقة الخليج العربي، قد شملها ذلك التطور في الأساليب الاستعمارية، حيث بذلت السلطات الإنجليزية، جهوداً لربط المنطقة بالهند.

وبما أن شركة الهند الشرقية، قد أدت دوراً مهماً في تاريخ كل من الهند والخليج العربي، فإن إعطاء فكرة موجزة عن نشأتها وتطورها، مهم عند بحث السياسة والإدارة الإنجليزية في الخليج العربي. فقد كانت المهام التي اضطلعت بها الشركة، أكبر وأوسع من مهام شركة تجارية، مهما كانت إمكاناتها، إلا أنها كانت أشبه بدولة تديرها سياسة منضبطة ومحكمة.

أولاً : شركة الهند الشرقية الإنجليزية :

قامت شركة الهند الشرقية الإنجليزية، بدور مهم وبارز في تنمية وتوجيه اهتمام الحكومة الإنجليزية بمنطقة الخليج، وتمكنت من الانتشار التجاري في المنطقة، وإقامة عدة مراكز تجارية مهمة لإنجلترا، على امتداد منطقة الخليج العربي.

إن تأسيس شركة الهند الشرقية، جاء نتيجة للتوسع التجاري الذي شهدته إنجلترا في النصف الثاني من القرن السادس عشر، بعد انتصار بريطانيا على الأسطول الإسباني في معركة أرمادا عام 1588 م،⁽¹⁾ حيث اندفع الإنجليز للبحث عن أسواق جديدة لتجاريتهم المتنامية. وكانت عمليات الاستغلال الناجحة التي قام بها البرتغاليون في الشرق قد هيأت المزيد من الدوافع والمحفزات للإنجليز، لأنّ يستغلوا فرص توسيع تجاريتهم. ففي عام 1599 م، تقدم عدد من التجار الإنجليز، بطلب إلى الملكة إليزابيث،⁽²⁾ للموافقة على تخويلهم حق ممارسة التجارة في الشرق .

1 - الأرمادا: تطلق على الأسطول البحري الإسباني، الذي أبحر ضد إنجلترا تحت قيادة دوق مدينا سيدونا في 1588. وكلمة أرمادا تدل على الأسطول العظيم أو الذي لا يهزم وسماه الإنجليز بهذا الاسم تهكماً. تم إرسال الأرمادا في عصر الملك الإسباني فيليب الثاني من أسبانيا، وقد تكون من 130 سفينة حربية، وقد اصطدمت بالأسطول البحري الإنكليزي الذي سانده الأسطول الهولندي (200 سفينة)، اصطدم الأسطولان في بحر الشمال ولاقى الأسطول الإسباني خسائر فادحة قدرت بحوالي 50 سفينة بالمقارنة بسبع سفن فقط من الطرف الإنكليزي. تعدّ هذه الموقعة أكبر معركة حصلت بين الطرفين بالحرب الأنجلو - إسبانية ، للمزيد انظر : الموقع الالكتروني : ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة / <http://ar.wikipedia.org> . wiki

2 - إليزابيث الأولى (1533 - 1603 م) : هي ملكة إنجلترا وأيرلندا (1558 - 1603 م) ، ابنة الملك " هنري الثامن " و " آن بولين " ، تنتمي إلى أسرة التيودر ذات الأصول الويلزية . تولت إليزابيث الحكم بعد شقيقتها ماري الأولى ، التي كانت كاثوليكية المذهب ، فيما تبنت هي المذهب البروتستانتي المعتدل . عُرفت بحيويتها الدائمة ، كما تميز حكمها بالطابع الاستبدادي . كانت الملكة آخر الحكام من أسرة التيودر . خلفها على العرش " جيمس الأول " ابن " ماري ستيوارت للمزيد انظر : الموقع الالكتروني : ويكيبيديا الموسوعة ستيوارت <http://ar.wikipedia.org> . .

فصدر مرسوم ملكي ، بالموافقة عام 1600 م ، عدّ بمنزلة الحجر الأساسي لقيام شركة الهند الشرقية ، تحت اسم ، شركة حكام وتجار لندن للعمليات التجارية في الهند والأقطار المجاورة، وأعطى الحق للشركة في احتكار التجارة في الشرق، مدة خمسة عشر عاماً. (1)

وقد اتجهت أنظار الشركة في هذا التاريخ ، لتطوير علاقاتها مع منطقة الخليج العربي، (2) وعملت على فتح طرق تجارية جديدة لها. وكان أول اتصال لها مع المنطقة ، قد تمّ عن طريق فارس ، حيث اندفعت الشركة لمبادلة فائض الصوف الإنكليزي بالحرير الفارسي ، وبذلت من أجل ذلك جهوداً مكثفة ، في إقناع حكومة الشاه، بمنحها امتيازات تجارية، وتشجيع التجار الإنكليز على التبادل التجاري مع فارس .

أما انعكاسات تلك التطورات على منطقة الخليج العربي، فقد هيأت الظروف للشركة الموحدة مناخاً إيجابياً، لتوسيع نشاطها لا على فارس وحدها، بل على معظم السواحل العربية في الخليج العربي أيضاً. فقد نظمت السلطات الإنجليزية عمليات صيد اللؤلؤ، ووقفت ضد التكتلات في المنطقة. (3)

وقد كان للشركة، منذ ذلك الحين، ثلاثة مراكز رئيسة هي كلكتا ومداس وبومباي، استطاعت بواسطتها أن تنتشر سلطانها تدريجياً، على جميع أرجاء جنوب غرب آسيا، ولاسيما الخليج العربي؛ فلم تكن تتحرك سفينة فيه إلا عرف الإنجليز خط سيرها.

1 - التميمي ، مرجع سابق ، ص 361 .

2- ترجع علاقة شركة الهند الشرقية الإنجليزية، بمنطقة الخليج العربي إلى العام 1616، عندما استطاعت الشركة أن تؤسس لها وكالة تجارية في جاسك على الساحل الفارسي للخليج العربي ، وفي عام 1617 تطورت علاقة الشركة بالشاه، واستطاعت أن تحصل منه على فرمان بتبادل التمثيل الدبلوماسي بين فارس وإنجلترا. وقد تضمن بالإضافة إلى ذلك، منح امتيازات خاصة للتجار الإنجليز ووجوب احترام شعائرهم الدينية، وحقهم في الدفاع عن النفس وإعطائهم امتيازات قانونية. وقد أعطي لممثل الشركة صلاحية تعيين الوكلاء التجاريين في فارس، وذلك بفضل الصداقة التي ربطت بين الشركة والشاه عباس الأول (1587 - 1629) وكانت هذه الصداقة تهدف إلى مواجهة البرتغاليين الذين كانوا قد نجحوا في احتلال مواقع كثيرة في منطقة الخليج العربي منذ عام 1507، وجاء هذا التحالف الإنجليزي الفارسي لطرد البرتغاليين من الخليج العربي ، كسياسة إنجلترا تمثلت في رغبة إنجلترا للمشاركة في تجارة الشرق المربحة. وعلى هذا الأساس استمرت علاقات شركة الهند الشرقية الإنجليزية بالخليج حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، يغلب عليها الطابع الاقتصادي أكثر من الطابع السياسي، كما أن المراكز الإنجليزية التي وجدت منذ قدوم الإنجليز إلى المنطقة، كانت مراكز تجارية أكثر منها مراكز سياسية أو عسكرية، على الرغم من تجهيزها بقوات مسلحة لتمكينها من الوقوف أمام المنافسات الأوروبية الشديدة التي كانت تتعرض لها من قبل البرتغاليين والهولنديين والفرنسيين انظر: فارس، شركة الهند الشرقية، مرجع سابق، ص 99 - 100.

3 - سعت إنجلترا تدريجياً إلى تدمير القوة البحرية العُمانية. فبعد أن شلت قوة الفواسم بالحملة العسكرية الكبيرة عام 1820، استخدمت ذات الذرائع لتدمير الأسطول العُماني، تحت حجة مكافحة تجارة الرقيق والسلاح. كما عملت على تقسيم عُمان عام 1761 (زنجانر ومسقط). للمزيد: صلاح العقاد. التيارات السياسية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1992، ص 155.

بالإضافة إلى أن الشركة، قد جعلت مدينة البصرة محطة لنقل البريد الذي تتسلمه عن طريق البحر وترسله غرب الفرات، حيث ينقل من حلب إلى أوروبا.⁽¹⁾

كما توسعت التجارة الإنجليزية مع فارس والعراق، وصارت السفن الإنجليزية ترسل إلى موانئ الخليج العربي، محملة بالمنتجات الصوفية والقطنية والسكر والتوابل وغيرها، لتغطي أسواق البلاد المحيطة بالخليج العربي. واستطاعت الشركة إضعاف منافستها - شركة الهند الشرقية الهولندية - التي أخذت تتراجع أمام التوسع البريطاني في الخليج العربي.⁽²⁾

وهكذا، أصبح الميزان التجاري في منطقة الخليج العربي، لصالح شركة الهند الشرقية الإنجليزية، وأصبحت المناطق المطلة على الخليج العربي، من الأسواق الرئيسية للشركة، وصارت العملات الذهبية تخرج من مناطق الخليج العربي، من دون قيود، بما فيها اللؤلؤ.

وعدت شركة الهند الشرقية، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، من دون أي منافسة أجنبية تذكر في الخليج. وقد حلت البصرة محل " بندر عباس "، إذ أصبحت مركزاً رئيساً للشركة في الخليج العربي،⁽³⁾ اعتباراً من عام 1763. ثم خفضت إلى مقيمة عام 1778م توازي مقيمة بوشهر، واستمرت إدارتها من قبل حكومة بومباي، مباشرة.⁽⁴⁾

وهكذا، وقبل أن ينتهي الربع الأول من القرن التاسع عشر، كانت شركة الهند الشرقية قد أصبحت السيد الفعلي لإمبراطورية شاسعة، تمتد عبر الهند المترامية الأطراف، حتى الإمارات العربية التي لم تكن تحت السيطرة المباشرة للشركة، وإنما اعترفت بتفوق السيادة البريطانية التي سعت إلى السيطرة على الخليج، من خلال محاربة قبائل القواسم، والبدء في فرض المعاهدات غير المتكافئة على مشيخات المنطقة.

ثانياً: الإدارة الإنجليزية في الخليج العربي:

1 - ج - ج. لوريمر. دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي الدوحة، 1969 / ص 250.

2 - العقاد، مرجع سابق، ص 30 - 35. أيضاً: إبراهيم، مرجع سابق، ص 189 - 190.

3 - على الرغم من عدم الاستقرار السياسي في البصرة في تلك الفترة، نتيجة للصراع العماني - الفارسي عليها واحتلال كريم خان لها، فإن المقر التجاري للشركة استمر يخدم الأهداف التي وجد من أجلها؛ ولم يتأثر بالتغيرات الجديدة إلا في نطاق محدود.

4 - فارس، مرجع سابق، ص 137 - 142.

كانت السياسة الإنجليزية في الخليج، من اختصاص حكومة الهند الإنجليزية من جهة، ووزارة الخارجية من جهة ثانية، وذلك من خلال المقيم السياسي العام، ومقره بوشهر، على الساحل الفارسي. وكان للمقيم البريطاني، وكلاء سياسيون في كل من الكويت والبحرين ومسقط وبندر عباس برتبة قنصل، أما في المحمرة، فكان هناك مساعد وكيل سياسي برتبة نائب قنصل، بينما كان هناك وكلاء وطنيون في ساحل عُمان متّصلون بوكيل سياسي بريطاني في الشارقة. وكان المقيم البريطاني العام في بوشهر على اتصال تام مع القوات البحرية في الهند، لمجابهة المواقف الطارئة.⁽¹⁾

كانت العلاقات السياسية بين الإمارات العربية والحكومة الإنجليزية، تمارس بواسطة وكلائها السياسيين في الإمارات العربية وغيرها من إمارات ومدن الخليج العربي،⁽²⁾ بالإضافة إلى الضباط والمستشارين الذين زرعتهم في الإدارة، والذين كان مهمهم الأساسي الحفاظ على الوضع الراهن، ومحاولة الإفادة القصوى منه، لتحقيق مصالح إنجلترا الإستراتيجية.

وكان المقيم السياسي في الخليج العربي، ومقره بوشهر، يمثل أعلى سلطة إدارية، منذ أوائل القرن التاسع عشر. وكانت صلاحياته تشمل الأمور التي تتعلق بالخليج العربي.⁽³⁾

وحينما زادت المصالح الإنجليزية، أخذت حكومة الهند الإنجليزية، تعين معتمدين تابعين للمقيم في المشيخات العربية، التي عقدت معها اتفاقيات. أما عن اختصاصاتهم على الصعيد السياسي، فكانت مسؤولياتهم عن العلاقات الخارجية التي تربط الإمارة بالعالم الخارجي، وكانوا يقومون بالاتصالات المباشرة مع حكام الإمارات. وكان الكثير من المشكلات، يُسوّى، مباشرة مع الحكام

1 - محمود على الداود. الخليج العربي والعلاقات الدولية (1890-1914) دار المعرفة، القاهرة 1961، ص 24 - 25.

2 - بدأت إنجلترا وجودها الفعلي في الخليج، باعتمادها على ممثل مقيم لها في دار الإمارة Residency في بوشهر، ثم أُضيفت له كلمة Political في عام 1822، حيث أصبحت كلمة British Resident أو المقيم الإنجليزي، مرادفة للمقيم السياسي. أمل إبراهيم الزباني. البحرين دراسة في محيط العلاقات الدولية 1783 - 1973، دار الفكر، بيروت 1973، ص 43.

3 - ج - ج - لوريمر. دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، الدوحة 1969، ص 284.

المحليين، دون اللجوء إلى الاتفاقيات أو الاجتماعات الرسمية. ويمكن تلخيص اختصاصات المقيم السياسي في الخليج، في أنها اختصاصات سياسية إدارية ثم قضائية.⁽¹⁾ لذا، فإن الإدارة الإنجليزية في الإمارات العربية، كانت تدار من قبل المقيم السياسي، ثم الوكلاء أو المعتمدين السياسيين الإنجليز، وهم يتبعون للإدارة السياسية للمقيم الإنجليزي في بوشهر. وكثيراً ما كان الوكلاء السياسيون،⁽²⁾ يرفعون تقاريرهم، عن الأمور والقضايا التي كانت تحدث في الإمارات العربية، إلى المقيم السياسي في الخليج أولاً بأول، وبالتالي، فإن المقيم الإنجليزي في بوشهر، والذي كان المسؤول الأول عن كل ما يجرى في الخليج العربي، كان يرفعها إلى حكومة الهند الإنجليزية.⁽³⁾

ثالثاً : مشكلة القرار السياسي الإنجليزي في التنافس العثماني الإنجليزي:

في الوقت الذي كان القرار السياسي العثماني واضحاً إلى حد ما، نظراً لعدم وجود جهات مختلفة في اتخاذ القرار السياسي، سواء أكانت إدارية أم سياسية، إذ كان يرجع بدرجة أكبر إلى السلطان العثماني والباب العالي، حسب قوة كل منهما.

واجه القرار السياسي الإنجليزي، مشكلة وجود إدارتين متباينتين لا متعارضتين، إحداهما في المستعمرات الشرقية، وهي حكومة الهند الإنجليزية،⁽⁴⁾ والثانية وزارة الخارجية الإنجليزية في لندن. ونتج عن ذلك، ظهور بعض الإشكاليات في اتخاذ القرار السياسي بين الإدارتين الإنجليزيتين، حول مدى تعارض وجهات النظر واختلافها وتباينها، فيما يتعلق بالتنافس العثماني - الإنجليزي في

1 - وجدير بالذكر أنّ المقيمة، كانت تتبع وزارة المستعمرات الإنجليزية إلى عام 1949 أي إلى ما بعد استقلال الهند، وبعدها أصبحت تابعة لوزارة الخارجية البريطانية مباشرة. أمل الزباني، البحرين، مرجع سابق، ص 73.

2 - لا بد من الإشارة إلى أن بعض الوكلاء السياسيين، كانوا من العرب المسلمين، إلا أنهم كانوا ضد العرب ومخلصين لأسيادهم الإنجليز، مثل محمد رحيم بن عبد النبي صفر وكيل إنجلترا في البحرين الذي شهد توقيع اتفاقية 1899 بين الكويت وإنجلترا.

3 - محمد حسن العيدوس، التطورات السياسية في الإمارات العربية المتحدة 1962 - 1971، دار الكتاب الحديث، دبي 2002، ص 111.

4 - في الحقيقة لم تتأسس شركة الهند الشرقية، من أجل تحقيق أهداف في منطقة الخليج العربي؛ إنما كان الهدف الرئيسي من تأسيسها، هو المتاجرة في توابل جزر الهند الشرقية. أما اتجاه نشاط الشركة الإنجليزية نحو منطقة الخليج العربي، فلم يحدث إلا بعد أن وطأت أقدام الإنجليز، أرض شبه الجزيرة الهندية واقتربهم جغرافياً من منطقة الخليج العربي، وما مثلته منطقة الخليج آنذاك استراتيجياً وعسكرياً وتجارياً بالنسبة للمصلحة الإنجليزية.

غرب الخليج العربي، وتأثيره في المصالح الإنجليزية، وتفسير كل من الإدارتين حسب وجهة نظرها لهذا النزاع، واختلاف وجهات النظر. ومن الممكن أن نرجع ذلك إلى عدة أسباب منها:

1- بُعد المسافة بين كل منهما عن منطقة الأحداث. فإدارة الهند أقرب إليها من وزارة الخارجية الإنجليزية، بحكم الموقع الجغرافي، إلى منطقة العمليات، أو منطقة التماس المباشر في غرب الخليج العربي، بينما وزارة الخارجية المتمثلة في قنصلها في البصرة وبغداد وسفيرها في استانبول قريبة من مراكز القرار السياسي، ولكنها بعيدة عن المنطقة التي ينفذ فيها القرار، منطقة النزاع.

2 - الممارسة والخبرة اللتان يتمتع بهما موظفو حكومة الهند⁽¹⁾ أقرب إلى الواقع في وجهة نظرهم من وزارة الخارجية، التي تعتمد في قرارها المبدئي، على تقارير موظفي حكومة الهند في الخليج العربي، بحكم معاملتهم لحكام المنطقة مباشرة، وبالتالي فمعرفة المصالح الإنجليزية أكثر من معرفة وزارة الخارجية.

3 - نظرة وزارة الخارجية الإنجليزية أكثر شمولية، وليست سطحية أو إقليمية مثل حكومة الهند، في مجال تخصصها السياسي، في الهند والمناطق المجاورة لها، مثل الخليج العربي، في حين تنظر وزارة الخارجية بنطاق أوسع، بحكم إمبراطوريتها الاستعمارية الواسعة في الشرق والغرب، وحسب مصالحها (وأهميتها الآتية والمستقبلية)، ليس فقط في مناطق النزاع الإقليمية، مثل غرب الخليج العربي، وإنما في أقاليم أخرى مثل البحر الأسود والبحر المتوسط وبلاد الشام والعراق ومصر، أي مختلف أقاليم الدولة العثمانية، وليس في غرب الخليج العربي فحسب.

وتتضح هذه الإشكالية، من خلال المراسلات، ووجهات النظر، لكل من الإدارتين في الموضوعات المهمة والمتعلقة بالتنافس العثماني البريطاني، في غرب الخليج العربي. وسوف نورد بعض الموضوعات المهمة، ومنها:

1 - الاعتداءات والأعمال البحرية في الخليج:

كانت إنجلترا تعزف دائماً على وتر انعدام الأمن في الخليج العربي. وعندما كانت الدولة العثمانية تبادر إلى إرسال إحدى سفنها الحربية، لمراقبة أعمال الاعتداء، كانت محاولاتها تلك تقابل باستتكار شديد من قبل القنصل البريطاني العام في بغداد، والمقيم في الخليج العربي وحكومة الهند ووزارة الخارجية الإنجليزية وكانت السلطات الإنجليزية تعارض أيضاً، أية محاولة من الدولة العثمانية، لفرض سيادتها، أو مباشرتها في بناء حصن عسكري لها أو عند الإكثار من نقاط الحجر الصحي

1 - يعد نائب الملك هو المرجع في اتخاذ القرار السياسي لحكومة الهند، ومن ثم موافقة الحومة البريطانية في لندن، وغالباً يتم اتخاذ القرار عن طريق وزارة الخارجية البريطانية، التي قد توافق أو تعارض حسب وجهة نظرها.

لمنع انتشار الأوبئة وامتدادها إلى العراق، بل عارضت باستمرار مبادرات السلطات المحلية في البصرة.

ومما يجدر ذكره، أنّ كل الاحتجاجات الإنجليزية، كانت تؤقت دائماً، مع محاولة الدولة العثمانية في تثبيت نفوذها في منطقة الخليج العربي، وبإشارة من الشركات العاملة في المنطقة وبتحريك من القناصل الإنجليز، الذين كانوا يضعون كل إمكانياتهم في خدمة تلك المصالح، وبنشاط من الدبلوماسية الإنجليزية في استانبول، في صياغة المسوّغات القانونية والسياسية للتدخل في شؤون الدولة العثمانية ومناطق سيادتها، تارة باسم القرصنة، وأخرى باسم تجارة الأسلحة وتجارة العبيد أو المعوقات في دوائر الحجر الصحي، وهي أسلحة الدول الاستعمارية ذلك العصر، للحصول على مناطق النفوذ.

فقد شجع مجيء القوات العثمانية، بعض أفراد القبائل العربية، على مقاومة النفوذ الإنجليزي، وذلك عن طريق الاعتداءات على مصالح إنجلترا أو مصالح رعايا الكيانات الواقعة تحت حمايتها، وقد يرجع سببها إلى تساهل الحكومة العثمانية، أو عدم اتخاذ أية إجراءات فعالة لمنعها، أو أنّ السلطات العثمانية، كانت تغض نظرهما، إن لم تكن تشجعها، لتضايق الوجود الإنجليزي في المنطقة، بطريقة غير مباشرة.⁽¹⁾ وحتى لا تدخل في صراع أو صدام مباشر مع إنجلترا، التي كانت تطلق عليهم لفظ القرصنة أو القرصنة، هي لم تكن كذلك، وإنما اعتداءات فردية ومتفرقة وقليلة.

استغلت إنجلترا تلك الاعتداءات لصالحها، وذلك لمقاومة السيادة العثمانية وعدّها غير قادرة على منعها، ولذا فإنها تريد اتخاذها ذريعة لتتدخل في السيادة العثمانية وتعمل على تقويضها. ونجد اختلافاً في وجهات النظر، بين الإدارتين، حكومة الهند الإنجليزية والخارجية الإنجليزية، حول قضية الاعتداءات والأعمال البحرية، وكيفية اتخاذ القرار السياسي.⁽²⁾ فعندما اقترح روس المقيم السياسي الإنجليزي في الخليج العربي، القيام بمسح شامل للمناطق التي يعتقد أنّ بعض أفرادها يقومون بالاعتداءات البحرية منها، كان رد وزارة الخارجية الإنجليزية، أنّ مقترحات روس مبالغ فيها، لأنّها تعد تدخلاً في السيادة العثمانية. وبعثت وزارة الخارجية الإنجليزية رسالة إلى لايارد السفير الإنجليزي في استانبول في أندار عام 1879م، جاء فيها أنّ روس، عندما اقترح مطاردة الأفراد الذين يقومون بالاعتداءات البحرية في مياه الخليج العربي، لم يكن يضع مسألة السيادة العثمانية في حسابه.

1 - محمد العيدوس، مرجع سابق، ص 260.

2 - جون كيلي، بريطانيا والخليج، ترجمة محمد أمين، وزارة التراث القومي، سلطنة عمان 1974، ص 715.

ويُعدّ هذا اعترافاً من الخارجية الإنجليزية، والمتمثلة في موظفيها، مثل القنصل الإنجليزي في بغداد أو سفيرها في استانبول، في الوقت الذي ينكر فيه ليتون نائب الملك في الهند، وإدارته السيادة العثمانية على تلك المناطق، مما خلق إشكالية في اتخاذ القرار السياسي الإنجليزي، حيث إن الجهة الرئيسية في اتخاذ القرار هي الخارجية الإنجليزية، ولكن حكومة الهند، تؤدي دوراً أساسياً بالرغم من أنه استشاري، ولكنه أكثر ارتباطاً واختصاصاً بمنطقة الخليج العربي، إضافة إلى أنه في مجال اختصاصها، ومن هنا تأتي الإشكالية، فلابد من اقتناع حكومة الهند بقرارات الخارجية الإنجليزية، التي تنتمي إليها من الناحية الإدارية.

ومما زاد في هذه الإشكالية، طلب نيكسون (القنصل الإنجليزي في البصرة) من السفير الإنجليزي في استانبول، إصدار التعليمات إلى المقيم السياسي الإنجليزي في الخليج العربي، بإحالة أي خلاف مع السلطات العثمانية في الإحساء، بشأن الاعتداءات البحرية في مياه سواحل شرق الجزيرة العربية، إليه، وعدّ العثمانيين مسؤولين مسؤولية كاملة عما يقع من اضطرابات أو إخلال بالأمن في الجزيرة العربية، وأن يتحاشى المقيم البريطاني اتخاذ إجراء منفرد.⁽¹⁾

لكن الدولة العثمانية اتخذت سياسة اللامبالاة أحياناً، ضد المطالب الإنجليزية وادعاءاتها عن القرصنة وتجارة الرقيق، وأحياناً أخرى المقاومة لتلك الادعاءات وعدم السماح للقوات البحرية الإنجليزية بالاقتراب إلى مياهها الإقليمية، تحت ستار ملاحقة القرصنة في المياه العثمانية، على سواحل الإحساء وقطر.

2 - تخوف إنجلترا على مصالحها من الوجود العثماني:

بوصول الحملة العثمانية على الأجزاء الغربية من الخليج العربي، أصبحت الحدود العثمانية متلاصقة مع الحدود الإنجليزية، ولا سيما في البحرين وساحل عُمان، مما أثار شكوكاً وقلقاً إنجليزياً من الوجود العثماني، وخوفاً من تغلغل السياسة العثمانية إلى مناطق نفوذها، مما يعني ضياع تلك المناطق التي سعت إنجلترا منذ دخولها إلى الخليج العربي، إلى الحفاظ عليها من أية قوة منافسة. فقد صرح مدحت باشا في عام 1871م، بأنّ السيادة العثمانية أصبحت ممتدة على نجد. وفي الوقت نفسه، عدّ البحرين تابعة لنجد،⁽²⁾ وبالتالي للسلطة العثمانية. وهنا شعرت حكومة الهند بقلق شديد، أنّ أقصى ما كانت تخشاه هو امتداد الحملة العثمانية إلى البحرين. وأتضح لها أيضاً

1 - جون كيلي. مصدر سابق، ص 717.

2 - صدرت لائحة تنظم المناطق التابعة للسيادة العثمانية، وقد شملت "جزيرة البحرين ونحو عشرة مناطق في عُمان الساحلية بما فيها الشارقة ودبي وأبو ظبي" مما أثار القلق لدى حكومة الهند.

أنه في حال تحرك الحملة، فإنها ستسير لضم كل من قطر وساحل عُمان. إلا أن وزارة الخارجية الإنجليزية، كانت ترى أنه لا مسوّغ لتلك المخاوف والشكوك.⁽¹⁾

لم تعترض حكومة الهند على الحملة، وإنما استاءت من تصرفات وزارة الخارجية الإنجليزية، لعدم منعها، لأنها هي جهة الاختصاص من الناحية التنفيذية، وليس حكومة الهند. ولهذا وافقت على مضمّن، ولكنها حددت السيادة العثمانية من جانبها، وعدّتها تمتد من شط العرب إلى نقطة قريبة من العقير، واعتزّضت بقوة على ما صرح به مدحت باشا وتفسيره للسيادة العثمانية على قطر والبحرين وساحل عُمان.

ولهذا، كانت هناك آراء مختلفة لدى كبار المسؤولين الإنجليزي، عن الوجود العثماني في الإحساء وقطر، وكيفية التعامل معه، ففي الوقت الذي يرى فيه البعض السماح والاعتراف بالسيادة العثمانية⁽²⁾ هناك آراء أخرى تعارض تجاوز انتشار القوات العثمانية إلى نقطة أبعد من مدينة القطيف، وخارج حدود مدينة البدع القطرية.

السبب الآخر في تخوف الإنجليز، أن تتبع سياسة حذرة، تجاه الوجود العثماني، وألا نحاول إثارتهم بقدر الإمكان، مع التلويح بعدم الاعتراف بالسيادة العثمانية على المناطق الجنوبية من مدينة القطيف، وعدم السماح لها بأي اقتراب من منطقة خور العديد، التي أصبحت النقطة الفاصلة بينهما في عام 1888م، وإنّ أي تجاوز عثماني لهذه النقطة، معناه أنه سوف يؤدي إلى قيام الحرب بين الدولتين.

وعلى أية حال، شغلت مسألة السيادة العثمانية على غرب الخليج العربي، اهتمام حكومة الهند ووزارة الخارجية الإنجليزية من عام 1871م حتى عام 1913م، وأصبحت من أهم الإشكاليات التي حالت دون اتخاذ قرار سياسي إنجليزي محدد، لاسيّما أنّ الخارجية الإنجليزية وموظفيها، مثل لايدار السفير البريطاني في استانبول، وقنصله في كل من بغداد والبصرة، كانوا يعترفون ضمناً، من خلال رسائلهم، بالسيادة العثمانية على شرق الجزيرة العربية من دون تحديدها أو امتدادها، في الوقت الذي كان موظفو حكومة الهند الإنجليزية، ينكرون ذلك ويعدّون السيادة العثمانية تمتد إلى العقير، تقريباً.

وعليه، يمكن أن نحدد التخوف الإنجليزي في التالي:

1 - جون كيلي. مصدر سابق، ص 603.

2 - نفسه ص 603.

-التخوف من التقدم العثماني تجاه ساحل عُمان والبحرين. ولذا، كانت إشكالية القرار السياسي الإنجليزي، حول تحديد السيادة العثمانية في غرب الخليج، فقد سعت إنجلترا، إلى تحجيم السيادة العثمانية وتحييد قطر عنها، حتى تكون فاصلاً بينهما وألا تتعدى الحدود العثمانية جنوب العقير. -نظراً للاعتداءات والأعمال البحرية، انطلاقاً من المياه الإقليمية العثمانية، كان يجب تحديد هذه السيادة، وإلزام الدولة العثمانية بحفظ النظام في مياهها الإقليمية. وإذا لم تستطع ذلك، فيطلب من الدولة العثمانية تفويض إنجلترا بهذه المسؤولية. وهذا ما كانت تسعى إليه حكومة الهند الإنجليزية، بجعل الدولة العثمانية في الخليج، مثلها مثل ساحل عُمان والبحرين الواقعة تحت حمايتها.

وبذلك تتدخل حكومة الهند في الشؤون الداخلية، عن طريق سيادة المياه الإقليمية العثمانية في شرق الجزيرة العربية، وهذا ما دفع الباب العالي إلى رفضها أو تجاهلها أحياناً، بل عمل على تحريض بعض أفراد القبائل على الاعتداءات والأعمال البحرية أحياناً، لكي يكون الوضع العام غير مستقر ذلك حتى مجيء الاتحاد والترقي، وعقد اتفاقية عام 1913م. من هنا جاءت الإشكالية في وجهات النظر بين المسؤولين الإنجليز في اتخاذ القرار السياسي حول السيادة العثمانية في غرب الخليج العربي بين الإدارتين، حكومة الهند الإنجليزية، ووزارة الخارجية. على الرغم من أن العثمانيين كانوا قد حددوا سياستهم وسيادتهم في غرب الخليج العربي، إلا أن حكومة الهند الإنجليزية كانت ترفض تلك الحدود والسيادة، محاولة تحجيم حدود العثمانيين قدر الإمكان.

3 - الضغط الإنجليزي على العثمانيين :

مارست إنجلترا الضغط الدبلوماسي والسياسي، ضد الباب العالي وسلطاته في شرق الجزيرة العربية، عن طريق إدارتها في الخليج العربي، التي تتبع حكومة الهند مثل المقيم السياسي الإنجليزي في الخليج العربي، والوكيل المعتمد الإنجليزي في البحرين وفي ساحل عُمان وكذلك وزارة الخارجية الإنجليزية، عن طريق سفيرها في استانبول وقناصلها في بغداد والبصرة.

المفاوضات الإنجليزية العثمانية عام 1913

شهدت السنوات التي سبقت نشوب الحرب العالمية الأولى، سنة 1914م، مفاوضات ومباحثات بين إنجلترا من جهة، وكل من ألمانيا والدولة العثمانية من جهة أخرى،⁽¹⁾ وتمخضت هذه

1- ارتبطت الدولة العثمانية مع ألمانيا باتفاقية وقعت في 1903، كانت تنص على عدم عقد معاهدة من جانب الدولة العثمانية مع أية دولة أخرى دون الحصول على موافقة من ألمانيا. ولذلك احتج السفير الألماني في استانبول لدى الباب العالي، على اتجاه الدولة العثمانية إلى التفاوض مع إنجلترا. جمال زكريا قاسم. دراسة لتاريخ الإمارات العربية، ط 2، دار البحوث العلمية، الكويت 1974، ص 331.

المفاوضات عن مشروعات واتفاقيات بين هذه الدول الثلاث، وكانت شؤون الخليج وما يتصل بها الموضوع الرئيسي الذي دارت حوله هذه المفاوضات، ونصت عليه تلك الاتفاقيات.

ذلك أنّ منطقة الخليج، خلال السنوات القليلة، ولاسيما بعد وصول الاتحاديين إلى الحكم في الدولة العثمانية عام 1908م، شهدت نشاطاً عثمانياً غير عادي، كما أنّ مشروع سكة حديد بغداد، مرّ خلال هذه الفترة، بتطورات جعلت من الضروري الوصول إلى تفاهم حوله، بين الدول الثلاث المعنية، إنجلترا وألمانيا والدولة العثمانية.

فقد اتجهت سياسة الاتحاديين نحو تقوية السيطرة العثمانية في الخليج، فأوفدوا أعوانهم للعمل على إضعاف سلطة الشيوخ هناك، وتحمسوا لتدعيم النفوذ العثماني في العراق. إلا أنّ إنجلترا، سارعت إلى العمل بكل جهد، لتطويق العثمانيين في الخليج، تمهيداً لإخراجهم من هذه المنطقة الحيوية، ذات الأهمية الاستراتيجية للمصالح الإنجليزية. وبقيت تعمل على هذا المنوال حتى وصلت إلى بداية الطريق، لتحقيق ما كانت تصبو إليه. وذلك في عام 1911م، حين اضطرت الدولة العثمانية، تحت وطأة ظروفها الداخلية والخارجية، إلى فتح باب التفاوض مع إنجلترا لإنهاء المشكلات المتعلقة بينهما في الخليج،⁽¹⁾ ولاسيما مسألة خط حديد بغداد، ومناطق النفوذ المتنازع عليها. ولقد طال أمد هذه المفاوضات، حيث استمرت من عام 1911 إلى 1913م.

عكست المفاوضات التي جرت بين الحكومتين العثمانية الإنجليزية، التي تكلفت بعد سنتين، بتوقيع اتفاقية التسوية في عام 1913م، الضعف الواضح في الموقف العثماني الذي استغلته إنجلترا لتكريس سيطرتها على مناطق الخليج، وتجريد العثمانيين من أيّ سند مادي في المنطقة.

وتضافرت عوامل مختلفة على دفع العثمانيين، إلى البدء، بسلسلة من المفاوضات مع الحكومة الإنجليزية، فيما يخص منطقة الخليج العربي. ويبدو أنّ الدول العثمانية كانت مدركة لطبيعة الظروف الدولية والداخلية التي تحيط بها آنذاك، بعد احتلال إيطاليا لليبيا، وتطور المشاكل في

1- لا شك أنّ الدولة العثمانية كانت على استعداد للتساهل في ذلك الوقت، لاسيما وأنها كانت تخشى أن تصل كل من ألمانيا وإنجلترا إلى تقرير الأوضاع في الخليج من دون الرجوع إليها، كما حدث في مؤتمر بوتسدام (1910) بالنسبة لروسيا. فقد ناقش مؤتمر بوتسدام الأوضاع بين قيصر روسيا وألمانيا، دون استشارة ألمانيا للدولة العثمانية. وكان هدف ألمانيا الوصول إلى تسوية مع روسيا، حتى تستطيع مواجهة إنجلترا بمفردها، وكان من أهم نتائج المباحثات موافقة القيصر الروسي في 1911 على عدم التعرض لسكة حديد بغداد، مقابل تعهد القيصر الألماني بعدم التدخل في شؤون إيران. للمزيد راشد أبو زيد، دراسات في تاريخ الخليج العربي، دار راشد توفيق، القاهرة 2002، ص 55.

البلقان في غير صالحها⁽¹⁾ لهذا حذب الساسة العثمانيون تسوية مشاكلهم مع الحكومة الإنجليزية أملاً في الحصول على مسانبتها في أوروبا⁽²⁾ إلى جانب ضعف الجيش العثماني ومن ثم فإنّ النتائج المرجوة من تكليفه بالقيام بالمهام الموكلة إليه يتطلب الانتظار مدة ليست بالقصيرة.⁽³⁾ وحتى نتمكن من فهم المعاهدة التي تمت بين الدولة العثمانية وإنجلترا عام 1913م، يجب علينا أن نعيد تقييم الأحداث التي ظهرت حتى ذلك التاريخ. ففي عام 1902م مُنح امتياز خط سكة حديد بغداد، إلى شركة سكة حديد الأناضول التي كانت تتكون من مستثمرين ألمان.⁽⁴⁾ وكانت إنجلترا تخشى من أن هذا الامتياز قد يهدد وضعها في الهند، كما أنه سيخالف في الخليج العربي. وظهر خوفها هذا واضحاً في كل تصرفاتها التي قامت بها، تجاه الدولة العثمانية، بدءاً من عام 1903م.

أدركت إنجلترا، أنّ ألمانيا التي كانت تتطور من الناحية التجارية والسياسية، قد تكون منافساً لها بواسطة هذا الخط، بل إنها قد تشكل قوة عسكرية تنافس قوتها في الخليج. فسعت لمنع تطبيق بنود

1 - في عام 1909 تنازلت الدولة العثمانية عن ولايتي البوسنة والهرسك للنمسا، علماً بأن إدارة النمسا لهذين الإقليمين كان قد بدأ عام 1878، وذلك في أعقاب مؤتمر برلين، حيث اتفقت الدول الكبرى آنذاك (إنجلترا - فرنسا - النمسا - روسيا) على اقتسام أملاك الدولة العثمانية بينهما، وسمحوا خلال المؤتمر للنمسا احتلال البوسنة والهرسك، ولكن دون فصلها رسمياً عن جسد الدولة، حيث بقي اسم السلطان يذكر في المساجد في البوسنة والهرسك، واستمر رئيس العلماء فيها تابعاً لشيخ الإسلام في استانبول ويتم تعيينه بفرمان سلطاني حتى عام 1909، حينما تنازل البرلمان العثماني عنهما لصالح النمسا. كما حاولت روسيا مساندة الصرب بالمطالبة بالولايتين، حينما عملت الدبلوماسية الروسية على تنظيم اتحاد دول البلقان، وأعلنت كريت انضمامها لليونان. للمزيد: أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، دار الشرق، بيروت 1982، ص 244 - 246.

2- جمال زكريا قاسم، دراسة لتاريخ الإمارات، مرجع سابق، ص 329 - 330.

3- في عام 1913 طلبت الحكومة العثمانية، من ألمانيا المساعدة لتطوير الجيش، فاستجابت لذلك، وأرسلت بعثة برئاسة الجنرال ليتمان فون ساندرز، الذي ما لبث أن تولى قيادة الجيش العثماني المكلف بالدفاع عن استانبول، ثم أصبح مفتشاً عاماً لهذا الجيش، للمزيد من التفاصيل: أحمد مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، مرجع سابق، ص 282.

4- كان من أهداف سياسة التقارب بين الدولة العثمانية وألمانيا، التي وطدها الإمبراطور غليوم الثاني في زيارتين قام بهما إلى الدولة العثمانية في العقد التاسع والعاشر من القرن التاسع عشر، أنّ تحصل ألمانيا على احتكارات تجارية في الأراضي العثمانية، وأن تفتح الدولة العثمانية أسواقها للصناعة الألمانية. للمزيد: أحمد مصطفى أبو حاكمة. تاريخ الكويت الحديث، منشورات دار السلال، الكويت 1984، ص 325.

اتفاقية خط سكة حديد بغداد، أو على الأقل تغيير بنودها لصالحها إن أمكنها ذلك. وجعلت إنجلترا هذا الموضوع هو الأساس لسياستها في الشرق، بدءاً من عام 1903م. من ناحية أخرى، كانت الدولة العثمانية تعيش ظروفًا اقتصادية صعبة، وكان الباب العالي يبحث عن وسائل تنفذ الدولة من الامتيازات الأجنبية والاتفاقيات المرتبطة بها. ففي كل مرة كانت الحكومة العثمانية تطلب من لندن زيادة الضرائب الجمركية المحددة بالاتفاقيات الدولية، كانت تقابل بالرفض. حتى أن إنجلترا ربطت بين مطلب الدولة العثمانية بعقد اتفاقية، وبين حصولهم على امتياز من الحكومة العثمانية، بإنشاء خط حديد آخر في بغداد غير الخط الذي سيمده الألمان.⁽¹⁾ ولما رفضت الحكومة العثمانية هذا المطلب، ألقى الإنجليز على الساحة، بمشكلة الكويت، وضموها إلى المشكلات القديمة الموجودة في الخليج العربي، وأظهروا وجهاً جديداً لسياستهم تجاه الشرق.

وأمام هذه الضغوط الإنجليزية، تباحثت الدولة العثمانية مع الألمان لتنظيم بعض بنود اتفاقية خط سكة حديد بغداد من جديد، لتكون في صالح الإنجليز. وعندما جرت مباحثات بين الباب العالي ولندن في أواخر 1909م سأل الباب العالي عن المطالب الإنجليزية، لتكون على جدول أعمال المباحثات التي ستتم مع الألمان في هذا الشأن. وبذلك يكون قد تم وضع أول خطوة في الاتفاقية التي ستوقع في عام 1913م.

وفي حقيقة الأمر أن قيام الدولة العثمانية بتلك المساعي، هدفه حل المشكلات الاقتصادية الصعبة التي كانت تعيشها، إلا أن المباحثات أخذت مساراً مختلفاً، حيث تناولت تلك المباحثات المشكلات السياسية في الخليج العربي، إلى جانب المشكلات الاقتصادية. وكان حل هذه المشكلات تتمثل في البحث عن الحلول للدعوات البريطانية، وحق السيادة العثمانية على الكويت والبحرين وقطر.

بدأت المفاوضات بين الحكومتين العثمانية الإنجليزية، في عام 1911م، من أجل تسوية القضايا المعلقة بينهما في منطقة الخليج العربي. فقد أعطت إنجلترا أوامرها لبدء المباحثات، لحل المشكلات المذكورة سابقاً، إلا أنها اشترطت بعض الشروط لبدء تلك المباحثات ولهذا أرسلت مطالبها إلى استانبول ببدء المباحثات بشكل رسمي، على شكل مذكرة، عن طريق توفيق باشا السفير العثماني في لندن، وكان من أهم مطالبها، عدم اعتراف حكومة إنجلترا بالحقوق السيادية للدولة العثمانية على الأراضي التي تدنو من العقير (جنوب ميناء العقير). واستندت إنجلترا في ذلك، إلى الضمانات الشفوية التي أعطاها وزير الخارجية العثماني زيور باشا، إبان حملة الإحساء في عام

1 - زكريا قورشون. قطر في العهد العثماني، ترجمة حازم سعيد منتصر، الدار العربية للموسوعات، بيروت 2008، ص

1871م، للسفير الإنجليزي، التي تتعلق بعدم وجود نوايا للدولة العثمانية في بسط نفوذها على القبائل المستقلة الموجودة في البحرين ومسقط وسواحل الخليج العربي.⁽¹⁾ كما جددت المسائل التي لا يمكن لحكومتها، التعامل مع أي منها، على نحو مستقل عن الأخرى، وهذه المسائل هي:

- مسألة سكة حديد بغداد التي كانت مدار بحثٍ بين ألمانيا وإنجلترا والدولة العثمانية.⁽²⁾
- المصالح الإنجليزية - العثمانية في منطقة الخليج العربي.

- مسألة زيادة الرسوم الجمركية في ولاية بغداد من 66 % إلى 15 %.⁽³⁾

كما أعادت المذكرة التأكيد على العلاقة الخاصة التي تربط الحكومة الإنجليزية، بإمارات الساحل العربي للخليج، على أسس تعاهدية، ابتداءً من معاهدة عام 1820م. وقد حاولت المذكرة التعليق على الاتفاقيات السابقة من باب حرص حكومة إنجلترا على إنهاء الاضطرابات (القرصنة) وتجارة الرقيق وحماية البحرين من أي اعتداء، للحفاظ على حماية مهنة صيد اللؤلؤ، التي تتركز في البحرين، إضافة إلى الاتفاقيات الأخرى التي أبرمتها مع سلطان مسقط وشيخ ساحل عُمان وقد عُقدت للحفاظ على الأمن في البحر، وضمان وجود أسواق مفتوحة لجميع الدول إلى جانب المحافظة على مصالح رعاية بلادها في المنطقة. ولم تغفل المذكرة الإشارة إلى التنازلات التي قدمتها إنجلترا في سبيل إقرار نفوذها في المنطقة، ومعارضتها لأية اتفاقات قد تؤثر في نفوذها في المنطقة الواقعة جنوب العقير، ولا سيما المناطق الواقعة جنوب العقير: قطر والبحرين وساحل عُمان، ليكون تخلي الدولة العثمانية عن هذه الأقاليم أساساً لأي اتفاق بين الحكومتين.⁽⁴⁾

أما فيما يتعلق بالكويت، فقد أعربت المذكرة، عن رغبة إنجلترا في إقامة العلاقات الكويتية - العثمانية، على أساس احترام المصالح الإنجليزية، وعدم تعريضها للخطر، والمحافظة على اتفاقية الوضع الراهن لعام 1901م، والاعتراف بجميع المعاهدات التي عقدتها إنجلترا مع شيخ الكويت،

1 - قورشون، قطر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 191. أيضاً: مصطفى عبد القادر النجار. التاريخ السياسي لعلاقات العراق السياسية، مطبعة جامعة البصرة، العراق 1975م، ص 106. وكان إصرار الحكومة الإنجليزية على اعتبار العقير نقطة نهاية النفوذ العثماني في الخليج، وعدم اعترافها بالسيادة العثمانية في قطر، عاملاً في تعثر المفاوضات بين الطرفين، وفي الكثير من مراحلها.

2 - حول الفوائد التي ستترتب على افتتاح سكة حديد بغداد بالنسبة للدولة العثمانية. أحمد مصطفى أبو حاكمة، مرجع سابق، ص 325 - 329.

3 - كانت مسألة زيادة الرسوم الجمركية حسب نظام الامتيازات الأجنبية السائدة، تتطلب موافقة الحكومات الأجنبية التي يعينها الأمر. جمال زكريا قاسم، مرجع سابق، ص 331.

4 - قورشون، مرجع سابق، ص 191 - 192. أيضاً: قاسم، دراسة لتاريخ الإمارات العربية، مرجع سابق، ص 332.

والاعتراف بتمتعه بأملكه الواقعة ضمن الأراضي العثمانية،⁽¹⁾ مقابل اعتراف إنجلترا بحاكم الكويت قائمقاماً عثمانياً، يتمتع بحكم ذاتي تحت السيادة العثمانية.⁽²⁾ أثار ما جاء المذكرة الإنجليزية، ولاسيما ما يتعلق بالكويت، وزير الخارجية العثماني توفيق باشا، فطالب في رده الموجه إلى الحكومة الإنجليزية، في عام 1912م، بتحديد مفهوم الوضع الراهن، واسترسل في الإشارة إلى العديد من الدلائل، لتأكيد تبعية الكويت للدولة العثمانية، ومنها اعتراف آل الصباح جميعهم بالتبعية العثمانية وحملهم لقب قائمقام عثماني، واشترك الشيخ عبد الله الصباح في حملة مدحت باشا على الإحساء، ورفع العلم العثماني على الكويت، واعتراف شيوخ الكويت في مراسلاتهم إلى السلطات العثمانية في البصرة، بإخلاصهم للسلطان العثماني، وتوقيعهم لتلك المراسلات تحت لقب قائمقام، وقبوله رفع العلم العثماني على دار الإمارة والسنن الكويتية. ودفع الشيخ لحصة الإمارة من الضرائب لموالي البصرة؛ دليل على استمرارية السيادة العثمانية على الكويت من دون انقطاع. كما فند توفيق باشا الادعاءات الإنجليزية، بخلو الكويت من قوة عسكرية عثمانية، حينما أشار إلى انتفاء الحاجة لوجود هذه القوة، مادامت هناك حاميات عثمانية، بالقرب من الكويت، متمركزة في القطيف والدوحة.⁽³⁾ كما رفض ما جاء في المذكرة حول حدود الكويت، وعد سلطة شيخ الكويت من ناحية الشمال، لا تتجاوز كاظمة والجهرة⁽⁴⁾ التي تعد جزءاً من قائمقامية الكويت التابعة لولاية البصرة، وهي جزء من الأقاليم العثمانية. كما تضمن رد عام 1912، ضرورة اعتراف إنجلترا بتبعية الكويت للدولة العثمانية، واستمرارية الوجود العثماني في جزيرتي وربة وبويان، مقابل تمتع إنجلترا بالامتيازات الاقتصادية والسياسية في الكويت.⁽⁵⁾ مما يعني أن الدولة العثمانية قد سلمت بالأمر الواقع، على أساس أن الكويت دخلت مرحلة جديدة من العلاقات الدولية، أصبح من الصعب على الدولة العثمانية، أن تقاومها.

1 - اتفاق الوضع الراهن، بين إنجلترا والدولة العثمانية: وفيه اعترفت الدولة العثمانية بالوضع القائم في الكويت بما فيه

الاتفاقيات المعقودة بين إنجلترا وشيخ الكويت. مصطفى عبد القادر النجار، ص 106.

2 - عرضت حكومة الهند رأي وزارة الخارجية في الاعتراف بشيخ الكويت قائمقاماً عثمانياً، وتمثل ذلك برأي هاردينج حاكم الهند، الذي رأى أن وجود العثمانيين في الخليج أشد خطورة من روسيا أو فرنسا لأن لهم تأثيراً على بعض الحكام العرب تحت ستار الجامعة الإسلامية، ولذلك ذهب على المطالبة بإسقاط سيادتهم عن الكويت. صلاح العقاد، مرجع سابق، ص 189.

3 - مصطفى النجار، مرجع سابق، ص 107.

4 - الجهرة: إحدى مدن الكويت، تقع قرب ساحل الخليج إلى الشمال الغربي من مدينة الكويت، وتبعد عنها ثمانية عشر ميلاً، وهي على مرتفع يطل على البحر، وكانت سابقاً محطة يقصدها التجار القادمون من الحفر إلى العراق ونجد. ولطيب تربتها وكثرة آثارها، تعد من أهم المواقع الزراعية في الكويت. لوريمر، مصدر سابق، ج 3، ص 700.

5 - جمال زكريا قاسم، مرجع سابق، ص 336.

وفيما يتعلق بالبحرين، فقد أبدت الدولة العثمانية، من خلال وزير خارجيتها، استعدادها للتنازل عنها، مقابل تعهد الحكومة الإنجليزية بعدم تدخل قناصلها في شؤون البحارنة الموجودين في ولايات الدولة العثمانية، وتخفيض شيخ البحرين للضرائب على مصائد اللؤلؤ للرعايا العثمانيين، إلى جانب اعتراف الحكومة الإنجليزية بالزحونة، جزءاً من الأقاليم الخاضعة للسيادة العثمانية، لارتباطها بالبر الرئيس للإحساء ولكونها جزءاً من متصرفية نجد.⁽¹⁾

عند ما رفعت المطالب العثمانية إلى اللجنة التي شكلت من السير آرثر هرتزل ممثلاً عن حكومة الهند، وباركر ممثلاً عن وزارة الخارجية، لدراستها وتقديم تقرير بشأنها؛ أعربا في تقريرهما في عام 1912م عن رفضهما للمطالب العثمانية في الكويت. وبين التقرير عدم رغبة إنجلترا الدخول في نقاش عقيم مع الباب العالي، حول المطالب التاريخية في الكويت. كما دعا الحكومة الإنجليزية إلى فض أي تسوية أو اتفاق مع الدولة العثمانية، مادامت تحتفظ بحامياتها العسكرية في جزيرتي وربة وبوبيان وغيرهما من الأماكن التي اقتطعتها الدولة العثمانية من الحدود الشمالية للكويت. أما فيما يخص قطر، فقد أشارت اللجنة إلى أن المفاوضات العثمانيين أعربوا عن الصعوبة التي تواجههم في إقناع مجلس المبعوثان العثماني، بتنازل الحكومة العثمانية عن هذه الإمارة؛ وإن ذلك سيثير الرأي العام العثماني، في الوقت الذي لم تكف تفيق فيه الدولة من فقدانها لليبيا. على الرغم من اقتناع الحكومة الإنجليزية بوجهة النظر هذه، إلا أن موافقتها على الاعتراف بالسيادة العثمانية سيثير من ناحية أخرى، ثائرة حكومة الهند والسلطات الإنجليزية في الخليج. ولكن يجب، تحت هذه الظروف، الأخذ بوجهة نظر العثمانيين والاعتراف بتبعية المشيخة للدولة، على أن تؤكد الحكومة العثمانية من جانبها، ما سبق أن أدلت به من تأكيدات سابقة، بأنها لا تنوي مطلقاً، الحصول على سيادة على البحرين أو مسقط أو القبائل المرتبطة بمعاهدات على الساحل العربي للخليج.

أما فيما يخص البحرين، فقد رفضت اللجنة المطالب العثمانية، فيما يتعلق بالرعايا البحارنة، في أقاليم الدولة العثمانية، ودعت إلى ضرورة إخضاعهم لحماية القناصل الإنجليزيين.

وعلى ضوء قرارات هذه اللجنة، أجابت الحكومة الإنجليزية، بمذكرة في عام 1912م، رداً على مذكرة توفيق باشا، أكد فيها السير ادوارد جراي⁽²⁾ خضوع الكويت للسيادة العثمانية والاعتراف

1 - قورشون، مرجع سابق، ص 195. أيضاً صلاح العقاد، مرجع سابق، ص 189.

2 - السير ادوارد جراي (1862 - 1933) وزير خارجية بريطانيا بين سنتي 1905 - 1916 ، كان له دور رئيسي في دخول بريطانيا الحرب العالمية الأولى . ولد في لندن ودرس في جامعة أكسفورد ، وانتخب نائباً في مجلس العموم عن حزب الأحرار واحتفظ بمقعده واحداً وثلاثين عاماً (1885 - 1916) عين وزيراً للخارجية وقضى في هذا المنصب حوالي عشر سنوات كان خلالها الموجه الرئيسي لسياسة إنجلترا الخارجية في كثير من القضايا الدولية المهمة. اعتزل وزارة الخارجية بسبب مرض في عينه ولكنه عين بعد ذلك سفيراً لإنجلترا في واشنطن (1919 - 1920) ثم انتخب محافظاً لجامعة أكسفورد،

بشيخها قائماً عثمانياً، يتمتع بحكم ذاتي ضمن السيادة العثمانية.⁽¹⁾ مع التأكيد على أن تكون جزيرتا وربة وبوبيان ضمن حدود الكويت، وانسحاب الحاميات العثمانية منهما.⁽²⁾ والواقع أن موضوع حدود الكويت وتقسيم الجزر التابعة لها وتلك التابعة للعثمانيين، كان أكثر الموضوعات إثارة للجدل. فقد طالب العثمانيون بتضييق حدودها من جهتي العراق والإحساء،⁽³⁾ والاعتراف بها كجزء من ولاية البصرة، وسريان القوانين العثمانية فيها، وبقاء كثير من الجزر في يد العثمانيين إلا أن إنجلترا رفضت، ولم توافق على أن تشرف الدولة العثمانية على شؤون الكويت الخارجية أو تنظيم الوراثة فيها، وإنما سلمت فقط بسيادة رمزية.⁽⁴⁾

الاتفاق العثماني - الإنجليزي لسنة 1913 - 1914:

كانت نتيجة مباحثات لندن، عقد اتفاق اشتمل على نقاط مختلفة، تخص عدة مسائل تتعلق بالعلاقات الإنجليزية - العثمانية، أهمها مسألة النزاع حول مناطق الخليج العربي، وتسوية الخلافات بشأن سكة حديد بغداد. لقد تم توقيع هذه الاتفاقية من قبل المفاوض العثماني إبراهيم حقي باشا، ووزير خارجية الحكومة الإنجليزية في عام 1913م، وهي تنقسم إلى خمسة محاور تتمثل في التالي:

1 - المحو الأول يتعلق بالكويت: أصبحت الكويت قضاءً مستقلاً ذاتياً ضمن الدولة العثمانية، أي أن يمارس شيخ الكويت في إمارته إدارة مستقلة تحت السيادة العثمانية.⁽⁵⁾

نشرت مذكراته في سنة 1925، وتوفي في الحادية والسبعين من عمره نجدة صفوة. الجزيرة العربية، دار الساقى؛ بيروت 1996، ص 113.

1 - لا بد من الإشارة إلى أن الاعتراف البريطاني بالسيادة العثمانية - الاسمية - على الكويت، جاء تعويضاً عن تنازل الدولة العثمانية عن ادعاءاتها في قطر والبحرين.

2 - جمال زكريا قاسم، مرجع سابق، ص 337 - 338.

3 - خشيت الدولة العثمانية أن تستخدم الكويت مستودعاً لتجارة الأسلحة وتهريبها للقنابل في جنوب العراق مصطفى النجار مرجع سابق، ص 112.

4 - صلاح العقاد، مرجع سابق. ص 190.

5 - بقيت الكويت على الرغم من الاتفاقية بعيدة حتى عن نفوذ العثمانيين، فبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى 1914، وقفت الكويت إلى جانب إنجلترا ضد الدولة العثمانية، ووقع شيخ الكويت مبارك الصباح تعهداً بأن يقوم بمهاجمة بعض المواقع العثمانية في الخليج العربي وجنوبي العراق، وإغلاق ميناء الكويت لإحكام الحصار على العثمانيين في العراق. سيد نوفل، الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي، جامعة الدول العربية القاهرة 1960، ص 154.

كما أصبح الحق لشيخ الكويت في رفع العلم العثماني، وباستطاعته أن يضيف إلى زاويته كلمة " كويت " إذا رغب في ذلك، وأن يتمتع باستقلال إداري ذاتي تام، داخل المنطقة المحددة التي تم تحديدها في الاتفاقية، وأن تمتع أيضاً الحكومة العثمانية عن التدخل في شؤون الكويت بما فيها مسألة الوراثة، كما تمتع عن أي احتلال عسكري للأراضي الكويتية، وعن أي تدخل، وخاصة في فترة خلو مقعد الإمارة، بل تكفي فقط في هذه الحالة، بإصدار فرمان بتعيين قائمقام يخلف الشيخ المتوفى، كما يحق للحكومة العثمانية أن توفد لدى الشيخ مبعوثاً، لحماية مصالح ومواطني مقاطعات الدولة العثمانية الأخرى.

واعترفت الدولة العثمانية بصحة جميع المعاهدات والاتفاقيات التي عقدها شيخ الكويت مع إنجلترا في عام 1900 / وعام 1904، كما اعترفت الحكومة العثمانية بصحة تنازل الشيخ عن بعض الأراضي لإنجلترا ورعاياها.⁽¹⁾ ويتضح من هذه الاتفاقية، أن السلطة الفعلية للدولة العثمانية، قد انتقلت بطريقة غير مباشرة إلى الحكومة الإنجليزية، ولم تعد الدولة العثمانية تمتلك سوى الشكليات السياسية.⁽²⁾

أظهرت اتفاقية التسوية، ولا سيما في الجانب المتعلق بالكويت، تناقضاً واضحاً في السياسة التي كانت تنتهجها كل من الدولتين، تجاه الكويت، ففي عام 1899م وبموجب الاتفاقية الموقعة مع شيخ الكويت، سعت الحكومة الإنجليزية إلى رفض أي محاولة تدخل عثمانية تجاه الكويت. لكنها عادت في عام 1913م إلى الاعتراف بها قائمقامية عثمانية، وإلى الاعتراف بالسيادة الاسمية للباب العالي عليها.

2 - المحو الثاني يتعلق بقطر :

اختلف الوضع فيما يتعلق بقطر عن وضع الكويت. فإذا كانت إنجلترا قد سمحت بأن تكون الكويت تحت السيادة العثمانية الاسمية، فإنها أصرت على تنازل الحكومة العثمانية عما كان لها من حقوق ومطالب في قطر، ورضيت الحكومة العثمانية بذلك، وتعهدت بسحب كل ما كان لها من موظفين وقوات عسكرية في قطر.⁽³⁾

3 - المحو الثالث يتعلق بالبحرين :

1 - جمال قاسم، مرجع سابق، ص 339.

2 - مصطفى النجار، مرجع سابق، ص 116.

3- ساطع الحصري. الدولة العثمانية والبلاد العربية، دار العلم للملايين، بيروت 1960، ص 205.

تخلت الدولة العثمانية عن جميع مطالبها السابقة في البحرين وفي جزر لبينة العليا⁽¹⁾ والسفلى⁽²⁾، واعترفت باستقلال البحرين، مقابل أن تعلن الحكومة الإنجليزية عن حسن نواياها بعدم ضم تلك الجزر إلى سيادتها. وتعهدت إنجلترا للعثمانيين، بموجب هذه الاتفاقية، بعدم قيام شيخ البحرين بفرض ضرائب جديدة أو زيادتها على رعايا الدولة العثمانية القادمين لصيد اللؤلؤ، بالقرب من مصائد اللؤلؤ في البحرين. وأكدت الاتفاقية انفصال البحرين عن الدولة العثمانية، بأن نصت على أن رعايا شيخ البحرين يعاملون كأجانب في أقاليم الدولة العثمانية، وأن حمايتهم سيضمنها قناصل إنجلترا.

4 - المحور الرابع يتعلق بمصالح إنجلترا في مياه الخليج العربي:

عاجت الاتفاقية، وضع إنجلترا في مياه الخليج العربي. وبموجبها أعطت الدولة العثمانية إنجلترا، حرية تبني إجراءات الملاحة في الخليج العربي لحماية مصالحها. كما أخذت إنجلترا، بموجب هذه الاتفاقية، على عاتقها، إجراءات الشرطة البحرية في المياه الدولية للخليج العربي، والحدود العائدة إلى الشيوخ المستقلين، من جنوب قطر حتى المحيط الهندي. وتعهدت الحكومة العثمانية بعدم معارضة قيام السفن الإنجليزية بالعمليات الاستطلاعية، والمسح البحري والإرشاد وإجراءات الشرطة، لضمان أمن التجارة العالمية واستقرارها، إلى جانب إجراءات الحجر الصحي، مقابل احتفاظ الدولة العثمانية بجميع حقوقها كقوة إقليمية، على الشواطئ والمياه الإقليمية العائدة لها.⁽³⁾

5 - المحور الخامس يهتم بتسوية الحدود:

تم الاتفاق على تكوين لجنة تقوم بمهمة تسوية للحدود التي تضمنتها بنود المعاهدة، على أن تقدم اللجنة تقريراً وافياً، وخارطة توضيحية مفصلة ليتم إقرارها. كجزء هذه الاتفاقية. تعد الاتفاقية أول محاولة مهمة لتسوية الحدود في الخليج العربي. وعلى الرغم من أنه لم يتم التصديق عليها نظراً لاندلاع الحرب العالمية الأولى، إلا أنها كانت من الأهمية بمكان، حيث وضعت أسس الحدود بين العراق والكويت ونجد وقطر. ولقد اعتمد عليها المفاوضون في تحديد وتخطيط الحدود بين تلك الدول.

مما تقدم، يتضح كيف كان القرار السياسي الإنجليزي في ظل التنافس العثماني - الإنجليزي، يمر بعدة قنوات، ولاسيما عن طريق إدارة حكومة الهند المتمثلة في موظفيها في الخليج العربي. فقد

1- لبينة العليا: على يد ثمانية أميال غرب الشمال الغربي للبحرين. هي جزيرة صغيرة ذات أرض ترتفع قدمين عن سطح البحر لوريمر، مصدر سابق، ج1، ص295.

2- لبينة السفلى: على بعد ثمانية أميال غرب الجنوب الغربي للبحرين. لوريمر المصدر السابق، ص 295.

3- صلاح العقاد، مرجع سابق، ص 192.

وجدنا المقيم السياسي الإنجليزي في بوشهر الذي كان يراقب النشاط العثماني عن كتب، يكتب رسائله ويرفع تقاريره إلى حكومته في الهند، وكذلك على السفير الإنجليزي في استانبول الذي كان يرفعها إلى وزارة الخارجية التي تستفسر عن تلك المواضيع من حكومة الهند، ثم تتخذ بعدها القرار السياسي المناسب.

أي إن عملية اتخاذ القرار الإنجليزي، كانت تمر بعدة مراحل، ليتهاً له أن يكون مدروساً بعناية من جميع الجوانب، ولهذا فإن إنجلترا استمرت منذ عام 1870م تراقب الأوضاع في المنطقة، وخاصة التحركات العثمانية، ثم دخلت في مفاوضات معها لعدة سنوات، حتى أسفرت عن توقيع اتفاقية عام 1913م، التي عرفت بالاتفاقية الانجلو عثمانية، والتي تم بموجبها تقسيم النفوذ بينهما، بحيث يتركز النفوذ العثماني في كل من الإحساء ونجد والحجاز في حين أصبح نصيب إنجلترا المناطق الشرقية والجنوبية الشرقية من الجزيرة العربية. وهي الكويت قطر والبحرين وساحل عُمان واليمن الجنوبية.

المصادر والمراجع

1. أبو حاكم، أحمد مصطفى. تاريخ الكويت الحديث، منشورات دار السلال، الكويت 1984م.
2. أبوزيد، راشد. دراسات في تاريخ الخليج العربي، دار راشد توفيق، القاهرة 2002م.
3. التميمي، عبد المالك خلف. الكويت والخليج العربي المعاصر، مؤسسة الشراع العربي، الكويت 2000م.
4. الحصري، ساطع. الدولة العثمانية والبلاد العربية، دار الملايين، بيروت 1960م.
5. الداود، محمد علي. الخليج العربي والعلاقات الدولية 1890 - 1914م، دار المعرفة القاهرة 1961م.
6. الزباني، أمل إبراهيم. البحرين دراسة في محيط العلاقات الدولية، دار الفقر، بيروت 1973م.
7. صفوة، نجدة. الجزيرة العربية، دار الساقى، بيروت 1996م.
8. العقاد، صلاح. التيارات السياسية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1962م.
9. العبدوسى، محمد حسن. التطورات السياسية في الإمارات العربية المتحدة 1962 - 1971م، دار الكتاب الحديث، دبي 2002م.

10. فارس، علي عبد الله. شركة الهند الشرقية البريطانية 1600 - 1858م، المسار للدراسات والنشر، الشارقة 1997م.
11. قاسم، جمال زكريا. دراسة لتاريخ الإمارات العربية، ط2، دار البحوث العلمية، الكويت 1974م.
12. قورشون، زكريا. قطر في العهد العثماني ترجمة حازم سعيد منتصر، الدار العربية للموسوعات، بيروت 2008م.
13. كيلي، جون. بريطانيا والخليج العربي، ترجمة محمد أمين، وزارة التراث القومي، سلطنة عمان 1974م.
14. لوريمر، ج، ج. دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، الدوحة 1969م.
15. مصطفى، أحمد عبد الرحيم. في أصول التاريخ العثماني، دار الشرق، بيروت 1982م.
16. النجار، مصطفى عبد القادر، التاريخ السياسي لعلاقات العراق السياسية مطبعة جامعة البصرة، العراق 1975م.
17. نوفل، سعيد. الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي، جامعة الدول العربية، القاهرة 1960م.

شبكة المعلومات الدولية

1. [http : //ar . wikip edua . org / wiki .](http://ar.wikipedia.org/wiki)

القلق العصابي (أسبابه وأعراضه وأساليبه علاجه)

د: عبدالسلام عماره اسماعيل

المقدمة:

يعتبر القلق العصابي من أشد الاضطرابات والأمراض النفسية التي يتعرض لها الإنسان في هذا العصر المتغير بسرعة كبيرة في جوانب الحياة الاجتماعية والنفسية والمادية، وأكثرها انتشاراً، إذ يمثل ما نسبته 30-40% من بين الاعصبة النفسية الأخرى، وأشيع عند الإناث أكثر منه لدى الذكور. ومما لاشك فيه أن القلق يلعب دوراً فعالاً في خلق استجابات واضطرابات جسمية ونفسية وقد يؤثر على بعض الأجهزة والأعضاء مما يؤدي أحياناً إلى القضاء على الطاقة الإنسانية المبدعة، والقلق يعني إصابة الشخص بالتوتر وعدم الارتياح النفسي والجسمي ويؤدي إلى التشاؤم والانطواء والابتعاد عن أداء الفعاليات الاجتماعية والنشاط العام، وقد يؤدي القلق إلى معاناة الفرد به معاناة ظاهرة وأحياناً قد يختفي ويتستر كخبرة انفعالية ولا يظهر إلا حين تظهر أعراض القلق على سطح الحياة الوجدانية والشعورية.

ويعرّف "أحمد عبد الخالق" (1994) القلق : بأنه شعور بالخشية أو أن هناك مصيبة وشيكة الوقوع أو تهديداً غير معلوم المصدر مع شعور بالتوتر وخوف لا مبرر له من الناحية الموضوعية وغالبا ما يتعلق هذا الخوف بالمستقبل والمجهول كما يتضمن القلق استجابة مفرطة مبالغاً فيها لمواقف لا تمثل خطراً حقيقياً وقد لا تخرج في الواقع عن إطار الحياة العادية، لكن الفرد الذي يعاني من القلق يستجيب لها غالباً كما لو كانت تمثل خطراً ملحاً أو مواقف تصعب مواجهتها. (حسين، 2010:37).

وهذا ما يعرف بالقلق الموضوعي الذي يمكن للفرد معرفة أسبابه ومصادره. وموضوع هذا البحث يتعلق بالقلق النفسي أو القلق العصابي والذي لا يمكن للفرد الذي يعاني منه ان يعرف أسبابه ولا مصادره، ويعرفه "بيير داکو" بأنه أحساس متعب جداً ترافقه مظاهر جسمية ونفسية تتمثل في شحوب الوجه وارتجاف في الأطراف ولزيمات عصبية وخفقان في القلب وتعرق في باطن القدم والكفين وتشنجات في الأحشاء (أحياناً تكون مؤلمة جداً بحيث تجبره على الانطواء على نفسه) وإحساس بالاختناق وتيبس في الفم وأرجل متعبة. (داكو، 2002: 27)

مشكلة البحث :

نظراً لان القلق العصابي أصبح السمة السائدة لدى الكثير من الأفراد في الوقت الحاضر، ولأنه يقلل من فاعليتهم الاقتصادية والاجتماعية ويجعل منهم شخصيات مترددة فاقدة الثقة بنفسها وبالناس، ونظرا لتعدد عوامل نشوء القلق العصابي لدى هؤلاء الأشخاص فقد تحددت مشكلة البحث لتحقيق الأهداف التالية:

1. التعرف بالقلق العصابي.
 2. التعرف على الأسباب المؤدية للقلق العصابي و أعراضه.
 3. التعرف على الأساليب المختلفة لعلاج القلق العصابي.
 4. الخروج ببعض التوجيهات لتفادي القلق أو التخفيف من حدته.
- أهمية البحث :

تتبع أهمية البحث من الآتي :-

1. اعتبار مشكلة القلق العصابي من المشكلات النفسية التي تتسبب في تدهور الصحة النفسية للفرد والحاجة الملحة لتوعية طالب المعرفة بهذا الاضطراب.
 2. يضيف البحث بعضاً من المعرفة النظرية حول موضوع القلق العصابي.
- الأسلوب المنهجي المتبع في البحث:

يتبع الباحث أسلوب البحث المكتبي الذي يعتمد علي المصادر والمراجع العلمية في الحصول على المعرفة النظرية وتحليلها وإعادة صياغتها بطريقة تخدم المعرفة العلمية في جانب من جوانب الصحة النفسية وتبسيطها للقارئ في البيئة اللبية.

المبحث الأول : تعريف القلق العصابي

تعريف القلق :

يعرفه "حامد زهران" (1977) القلق : "بانه حالة من التوتر الشامل المستمر نتيجة توقع تهديد خطر فعلي او رمزي قد يحدث، ويصحبها خوف غامض، واعراض نفسية وجسمية. (زهران، 1977: 397)

ويعرف "سيد صبحي" (2003) القلق بأنه "شعور يصيب صاحبه بالتوتر والاضطراب، فإذا زاد القلق عن الحد فإنه يجعل صاحبه غير متكيف اجتماعياً، فيعطل إنتاجه وتناثر فعاليته وتقل سعادته وشعوره بالاطمئنان". (صبحي، 2003: 272)

ويعرف "حامد زهران" (1977) القلق العصابي بأنه "داخلي المصدر، وأسبابه لا شعورية مكبوتة غير معروفة، ولا مبرر له ولا يتفق مع الظروف الداعية إليه ويعوق التوافق والإنتاج والتقدم والسلوك العادي". (زهران، 1977: 398).

أي انه حالة نفسية تظهر على شكل توتر بشكل مستمر نتيجة شعور الفرد بوجود خطر يتهدهده، ومثل هذا الخطر قد يكون موجود فعلاً أو يكون في خيال الفرد لا وجود له في الواقع. ويذكر "مجدي احمد عبدالله" (2000) عن القلق العصابي بأنه حالة من الشعور بالقلق في مواقف كثيرة جداً بالرغم من عدم تحديد موضوع بذاته يثير القلق. (عبدالله، 2000: 148).

القلق العصابي من وجهات نظر مختلفة:

القلق العصابي في مدرسة التحليل النفسي : هو داخلي المصدر لا يمكن تجنبه أو تجنب مصدره فأسبابه لا شعورية، دوافع مكبوتة غير معروفة، وهذا النوع من القلق يكون شديداً غير محتمل وقد يظهر دون وجود أسباب خارجية أو نتيجة لوجود أسباب خارجية واهية لا تتناسب مع شدته، أي إن القلق العصابي هو نتاج الصراع بين الدوافع المكبوتة في الهوى، وبين قوي الكبت (الحيل الدفاعية اللاشعورية) في الأنا وعادة ما تقف الأنا العليا (المثل والقيم) في جانب الأنا ضد الهوى في هذا الصراع.

القلق العصابي في المدرسة السلوكية : يتفق علماء المدرسة السلوكية مع فرويد وتلاميذه على أن القلق العصابي عرض رئيسي في جميع الاضطرابات النفسية والعقلية والانحرافات السلوكية إلا أن السلوكيون اختلفوا مع فرويد في نشأة القلق حيث اعتبره السلوكيون سلوكاً متعلماً مع تكرار هذا السلوك بتكرار المواقف. (شقير، د.ت: 323)

إن الإحساس بالقلق والخوف هو رد فعل طبيعي وذو فائدة في المواقف التي تواجه الإنسان بتحديات جديدة. فحين يواجه الإنسان بمواقف معينة مثل المقابلة الأولى للخطوبة أو الزواج، أو المقابلة الشخصية الهامة للحصول على عمل، أو يوم الامتحان، فإنه من الطبيعي أن يحس

الإنسان بمشاعر عدم الارتياح والتوجس، وأن تعرق راحتي اليدين، والإحساس بالآلام في فم المعدة. كل تلك الأعراض تخدم هدفاً هاماً حيث أنها تنبئه للاستعداد لمعالجة ذلك الموقف المتوقع.

ولكن أحاسيس القلق العصابي تختلف اختلافاً كبيراً عن أحاسيس القلق الموضوعي المرتبطة بموقف معين.

فالقلق الموضوعي يشير إلي حالة نفسية تحدث حين يشعر الفرد بوجود خطر يتهدهده، وينطوي على توتر انفعالي تصاحبه اضطرابات فسيولوجية مختلفة، والقلق العصابي يعبر عن حالة من التوتر الشديد غير معروفة المصدر، ولما كان الخوف كذلك حالة توجد عند الفرد حين يتهدهده خطر ما ينطوي على توتر انفعالي واضطرابات فسيولوجية مختلفة، عليه هناك أوجه شبه بين كل من القلق العصابي والخوف، فأعراض القلق العصابي تشبه أعراض الخوف ورغم هذا فهناك فروق بينهما يمكن أن نلخصها فيما يلي :

(أ) فروق في الناحية الحيوية وتتلخص في الآتي :

في الخوف الشديد يلاحظ :

1 . نقص في ضغط الدم وضربات القلب.

2 . ارتخاء في العضلات مما يؤدي أحيانا إلي حالة إغماء.

في القلق الشديد يلاحظ :

1 . زيادة في ضغط الدم وضربات القلب.

2 . توتر في العضلات مع تحفز وعدم استقرار وكثرة في الحركة.

(ب) فروق في الناحية النفسية ويمكن تلخيصها في الآتي :

1 . من حيث السبب أو الموضوع فهو في حالة القلق العصابي يكون مجهولاً وفي الخوف يكون معروفاً.

2 . في القلق العصابي يكون التهديد مصدره داخلي وفي الخوف يكون التهديد مصدره خارجي.

3 . القلق العصابي من حيث التعريف يكون غامضاً أما الخوف فهو محدد.

4 . في القلق العصابي يكون الصراع موجود بينما لا يوجد صراع في الخوف.

5 . في القلق العصابي تكون المدة مزمناً أما في الخوف فتكون المدة حادة.

نتائج الأبحاث والدراسات حول القلق العصابي

- 1 . توصلت بعض الدراسات الى أن الوراثة تلعب الدور الأساسي في الاستعداد لهذا المرض فقد دلت النتائج أن نسبة القلق في التوائم المتشابهة أو المتماثلة تصل الى 50 % بينما تصل إلي حوالي 4 % في التوائم غير المتشابهة وحوالي 15 % في آباء وإخوة مرضى القلق العصابي . كما دلت النتائج أيضاً أن نسبة من يعانون من (سمات القلق) من بين حالات التوائم المتشابهة بلغت حوالي 65 % بينما وصلت إلي 13 % حالات التوائم غير المتشابهة (وكل هذا يؤكد أهمية الوراثة في الاستعداد لهذا الاضطراب) .
 - 2 . أن نسبة القلق في النساء تزيد عنها في الرجال، وذلك لضعف الأنثى الجسمي والنفسي وعدم قدرتها على مواجهة أعباء الحياة وإحداث تغييرات ملموسة في واقعها .
 - 3 . كذلك اتضح من تلك الدراسات أن عمر الفرد له علاقة بنشأة القلق، وذلك تبعاً لحالة الجهاز العصبي فيزيد المرض في الطفولة نتيجة لعدم نضج الجهاز العصبي في الطفولة ويقل في سن الرشد ثم يظهر ثانياً في سن اليأس والشيخوخة (بسبب خمود الجهاز العصبي لدي المسنين) .
- المبحث الثاني: أسباب القلق العصابي

- 1 . الاستعداد الوراثي : في بعض الحالات تكون السمات الموروثة التي تساهم في نشوء القلق العصابي، وقد تختلط العوامل الوراثية بالعوامل البيئية .
- 2 . الاستعداد النفسي " الضعف النفسي " : الشعور بالتهديد الداخلي والخارجي الذي تفرضه بعض الظروف البيئية والتوتر النفسي الشديد والأزمات والمتاعب والخسائر المفاجئة والصدمات والشعور بالذنب والخوف من العقاب والشعور بالعجز والنقص وتعود الكبت، ومن الأسباب النفسية كذلك الصراع بين الدوافع والاتجاهات والإحباط والفشل اقتصادياً و اجتماعياً أو مهنيًا .
- 3 . مواقف الحياة الضاغطة والضغط الحضارية والثقافية والبيئية .
- 4 . مشكلات الطفولة والمراهقة والشيخوخة ومشكلات الحاضر التي تنشط ذكريات الصراعات في الماضي والطرق الخاطئة في تنشئة الأطفال مثل القسوة والتسلط والحماية الزائدة والحرمان المادي والعاطفي، واضطرابات العلاقات الشخصية مع الآخرين .

5 . سوء التنشئة الاجتماعية : أن البيت الذي ضم بين جدرانه افراد صبغت حياتهم بالقلق وأحيطت بالحيرة والاضطراب يترك شعوراً بعدم الاطمئنان في نفوس الصغار الذين ينشئون فيه وقد يتأتى الشعور بعدم الاطمئنان أيضاً من بيت لم يكن فيه الزوجان على وئام تام دائم، وأن الوالدين اللذين يبالغان في تصوير صعوبات الحياة وشدتها فأنهما يغرسان بذلك بذور الخوف في أطفالهما وما الخوف إلا بداية القلق.

6 . ضعف الشخصية : إن شعور الفرد بعدم جدوى اعتماده على نفسه يقوده إلى القلق فهو يشعر أنه وحيد ضعيف في هذا العالم الواسع القاسي ونتيجة لانعدام ثقته بنفسه فإنه لا يجابه صعوبات الحياة بل يكتفي بالقلق والخوف على نفسه منها لأنه لا يستطيع مجابتهها، وقد يقود التذليل المبالغ فيه إلى هذه النتيجة.

7 . شدة اهتمام الفرد بكل صغيرة وكبيرة : الصحة، الأرق أو قلة النوم، أعمال أو أقوال الآخرين، أعمال لم تنجز كما يجب . كل هذه الأمور من الممكن أن تكون مبعثاً للقلق، فطبيعة الإنسان تقوده إلى يتمنى أن يكون كل شيء يؤدي لراحته وسائراً حسب هواه، إن هذا النوع من القلق يقود إلى التعب الذهني حيث يكون الفكر في انشغال دائم بمثل هذه العبارات " إنني لا أستطيع عمل هذا "، " إنني أستقبح ذلك "، إن كل فرد يتأمر ضدي " وكلما اشتد ضغط هذه الأفكار على القوى العقلية تصبح أكثر وخزاً وإيلاماً.

8 . شدة محاسبة الضمير : وذلك حين يسعى الفرد دائماً من اجل الكمال في عالم غير كامل، وعمل غير كامل وبين أناس غير كاملين فينهك جسمه ويشغل فكره لفقده روح المرح والصبر، إن محاسبة الضمير للإنسان أمر عظيم يساعده في سلوك الطريق المستقيم ولكن التطرف والمبالغة في ذلك بدرجة عالية يسبب للإنسان القلق وعدم الارتياح.

9 . الخوف : تنتج أغلب أنواع القلق بسبب الخوف فهناك كثيرون هم فريسة لشتى أنواع المخاوف مثل الخوف من فقدان العمل، الخوف من المرض، الخوف من المستقبل وما يخفيه من أشياء مجهولة، الخوف من الموت.

10 . ذكريات الماضي : يقلق الكثيرون لضياح بعض ما آتاهم من الفرص أو من أعمال سيئة قاموا بها وهم يحاولون في أغلب الأحيان حصرها وإخفائها في ذاكرتهم.

آراء العلماء حول أسباب نشو القلق العصابي

- 1 . رأي فرويد : ينشأ القلق النفسي نتيجة للتعارض والصراع بين مطالب الهو (قوة الغرائز) ومطالب الأنا العليا (قوة المعايير الأخلاقية) وعجز (الأنا) عن التوفيق وحل الصراع بينهما .
- 2 . رأي الدر : ينشأ القلق النفسي نتيجة لشعور الشخص بأنه ناقص في نظر نفسه فيزيد شعوره بعدم الأمن، ومن ثم ينشأ لديه القلق ويشمل مفهوم القصور (المصدر العضوي وأيضاً القصور بمعناه المعنوي والاجتماعي) .
- 3 . رأي هندرسون : ينشأ القلق النفسي بسبب تعرض الفرد لمواقف إيجابية متكررة تؤدي إلى الصراع النفسي ثم إلى القلق وتشتمل هذه المواقف الإيجابية (أمور عادية . عائلية . نفسية) .
- 4 . رأي راتك : ينشأ القلق النفسي بسبب عملية الولادة القاسية وانفصال الطفل عن عالمه المليء بالأمن والطمأنينة ودخوله عالماً مليئاً بالضجة والضوضاء (عقدة الميلاد) .
- 5 . رأي كارن هورني : ينشأ القلق العصابي أو المرضي نتيجة الصراع بين رغبة الطفل في احترام الوالدين لاعتماده عليهم ولأنهم مصدر الحنان والعطف ورغبته في التمرد عليهما (نتيجة لما يصيبه منهم من مقاومات و احباطات) ويعجز الطفل عن حل هذا الصراع فيكبت العدوان في نفسه ولا يوجهه إلى مصدر الخطر (علاقته المتصارعة بالديه) ثم تصبح هذه العادة استجابة يقابل بها كل خطر يواجهه فيكون خنوعاً ميالاً إلى الانصياع مسالم في المواقف التي ينبغي له فيها أن يكون غير ذلك لان العداء في نظره قد يترتب عليه الحرمان من عطف الشخص الذي اعتدى عليه والذي كان في بداية الأمر (والديه) ومن هنا يشعر بالقلق من فقدان العطف والحنان .
- 6 . رأي المدرسة السلوكية الجديدة : يرى رواد هذه المدرسة أن القلق العصابي استجابة مكتسبة تنتج عن :

(ا) تعرض الفرد لمواقف وظروف معينة .. ليس فيها إشباع مثل التعرض لمواقف خوف أو تهديد مع عدم التكيف الناجح لها فيترتب عليها اضطرابات انفعالية من أهمها عدم الارتياح الانفعالي والشعور بالتوتر وعدم الاستقرار .

(ب) إشراف الوالدين في حماية الأطفال (التربية الاعتمادية) فنكون النتيجة شعور الأطفال بالخطر عندما يتعرضون للمواقف الخارجية البعيدة عن مجال الأسرة .

(ج) الضعف العام في الجهاز العصبي والخطأ في التركيب العضوي مثل اختلال الأوعية الدموية .

7 . رأي بودلسكي : ويرى أن أساس القلق هو إدراك الفرد بأن حياته محدودة ولا بد أن تنتهي بالموت مما يهدد خطته المستقبلية.

أعراض القلق العصابي

أ) الأعراض الجسمية وتشمل :

- 1 . الضعف العام ونقص الطاقة الحيوية والنشاط والمثابرة.
- 2 . توتر العضلات والنشاط الحركي الزائد واللازمات القطبية الحركية.
- 3 . التعب والصداع المستمر الذي لا يهدئه الأسبرين.
- 4 . تصبب العرق وعرق الكفين وبرودة الأطراف.
- 5 . ارتعاش الأصابع وشحوب الوجه وسرعة النبض والخفقان.
- 6 . آلام الصدر والإحساس بالنبضات في أجزاء مختلفة من الجسم.
- 7 . ارتفاع ضغط الدم واضطراب التنفس وعسرة نوبات التنهيد.
- 8 . الشعور بضيق الصدر والدوخان والغثيان والقي والإسهال وزيادة مرات الإخراج وتكرار التجشؤ.
- 9 . الانتفاخ وعسر الهضم وجفاف الفم والحلق وفقد الشهية.
- 10 . نقص الوزن وإرهاق الحواس. مع شدة الحساسية للصوت والضوء.
- 11 . اضطراب الوظيفة الجنسية.

ب) الأعراض النفسية وتشمل :

- 1 . القلق العام والقلق علي الصحة والعمل والمستقبل.
- 2 . التوتر العام والشعور بعدم الراحة والحساسية النفسية الزائدة.
- 3 . سهولة الاستثارة والهيياج وعدم الاستقرار والخواف بصفة عامة.
- 4 . التردد في اتخاذ القرارات والهم والاكتئاب العابر والتشاؤم.
- 5 . الخوف الذي قد يصل إلي درجة الفزع والشك والارتباك.
- 6 . الانتغال بأخطاء الماضي وكوارث المستقبل.
- 7 . توهم المرض والشعور بقرب النهاية والخوف من الموت.
- 8 . ضعف التركيز وشروذ الذهن واضطراب قوة الملاحظة.
- 9 . ضعف القدرة علي العمل والإنتاج والانجاز.

10 . سوء التوافق الاجتماعي والمهني قد يصل الحال إلى السلوك العشوائي غير المضبوط.

المبحث الثالث: أساليب علاج القلق العصابي

القلق العصابي أكثر الأمراض النفسية استجابة للعلاج ومن أهم الأساليب العلاجية ما يلي :-

1 . العلاج النفسي : يهدف إلى دعم شخصية المريض وزيادة بصيرته وتحقيق التوافق النفسي باستخدام التنفيس، والإيحاء، والإقناع والتدعيم، والمشاركة الوجدانية، والتشجيع، وإعادة الثقة في النفس، وقطع دائرة المخاوف المرضية، والشعور بالأمن النفسي، ويفيد التحليل النفسي في تحديد أسباب القلق الدفينة في اللاشعور وإظهار الذكريات المكبوتة (المؤلمة والمحزنة والمخجلة) والتي قامت آليات الدفاع النفسي بإبعادها عن محتوى الشعور إلى منطقة اللاشعور وتنفيس الكبت وحل الصراعات الأساسية ومن المفيد في العلاج النفسي التحليلي أو العلاج المعرفي المناقشة والشرح والتفسير والتعليم والإقناع وكشف الأسباب.

2 . الإرشاد النفسي : بحل مشكلات المريض وتعليمه كيف يحلها ويهاجمها دون الهروب منها ويشمل الإرشاد الزوجي.

3 . العلاج البيئي : أي تعديل عوامل البيئية ذات الأثر الملحوظ مثل تغيير العمل، وتخفيف أعباء المريض، وتخفيف الضغوط البيئية، ومثيرات التوتر والعلاج الاجتماعي والرياضي والرحلات والتسلية والعلاج بالموسيقى والعلاج بالعمل.

4 . العلاج الطبي : للأعراض الجسمية المصاحبة وطمأنة المريض أنه لا يوجد لديه مرض جسيمي واستخدام المسكنات والمهدئات والعقاقير المضادة للقلق وهنا يجب تعريف المريض أن هذه مسكنات ومهدئات حتي لا يعتقد أن مرضه عضوي المنشأ ويجب الحرص في استخدام العقاقير المهدئة خشية حدوث الإدمان.

وقد وجد أن العلاج النفسي المختصر مع استخدام العقاقير النفسية الوهمية كان فعالاً، كذلك يستخدم التنبيه الكهربائي في بعض الأحيان.

توجيهات

هناك بعض التوجيهات يقدمها الباحث لكل من يشعر بأنه يعاني من حالة القلق والتي قد تساعده في تخفيفه لديه إذا كان من أولئك الأفراد الذين يستجيبون للعلاج النفسي وهي كما يلي:

1 . واجه مشكلتك : إذا صادفك أي وضع يدعو إلي الاضطراب فلا تجزع أو تحاول الابتعاد عنه أو تتظاهر بعدم وجوده "شهر سلاحك بوجه المزعجات وصددها وقائلتها وستجهز عليها " فالقلق يتلاشى أمام الفعالية.

2 . اتخذ قراراً حازماً : إذا كان الموقف يستدعي قراراً حازماً فأدرس الظروف التي تستطيع بواسطتها الاستفادة من قابليتك ثم قرر حتى إذا كان من الجائز أن يكون قرارك مغلوطاً، ولكنه سيكون خيراً من أن تقضي وقتك في حيرة لا طائل منها، إن قرارك بالطبع سيكون خيراً ما تستطيع التوصل اليه في ذلك الظرف الخاص، اعمل وسيغلب العقل أثناء فترة العمل على ارتياكه وعجزه، وإنه لمن الافضل لك أن تعمل بعقل مرتبك من أن تعيش بعقل مشغول لا يتوصل إلى قرار فيسبب اضافه إلى عدم الانجاز، القلق لصاحبه.

3 . اظهر قواك وقدراتك : لكي تسيطر على وضع جديد مر بك وعليك أن تفسح المجال أمام قواك وقابليتك للظهور والعمل، وحتى إذا لم يكن لديك ما تفعله، ولو أنك لن تعترف بذلك حاول أن تجد ما تفعله لكي تنسى قلقك وتشعر بمتعه العمل، وتذكر أنه كلما عشت بعيداً عن حب الذات والانانية كنت قريباً من السعادة.

4 . تقبل القضاء والقدر : تقبل ما يسوقه القضاء والقدر وتقبل الأشياء التي لا تستطيع لها تغييراً أو الأعمال التي لا تستطيع لها أداء، بروح من المرح وعدم الجزع منها ما دام الأمر خارجاً عن نطاق قوتك، اعرف العالم كما هو وتقبله كما هو، اعرف حدودك وقابليتك وكن شاكراً لله وللآخرين ممن لهم فضل عليك، اما موقفك من الناس فإنك إما أن تجزع من أعمالهم وأقوالهم المغلوطة أو أن تقابلها بروح من المرح فمن الأفضل مادمت لا تستطيع تغيير خلق البشر جميعاً، أن ترسم الابتسامة علي شفتيك لمفعولها السحري في أبعاد تهيجك واضطرابك من ناحيتهم ودفعهم إلى تغيير سلوكهم بروح من الود.

5 . الاسترخاء : تعلم أن تسترخي . دع ذهنك يسترخي ولكي تكون نتيجة استرخائه حسنة عليك أن تحيطه بروح من المرح والتفاؤل ولا تقابل الحياة بفكر متوتر مشدود وإنك لا تكون قد أدركت فن الحياة ما لم تعرف كيف تلعب مع الحياة لأن ذلك يجعل قواك تنطلق بحرية وسهولة لمقابلة متطلباتها، عين وقتاً تترك فيه كل عمل لكي ينال جسمك وعقلك قسطاً من الراحة وطبق ذلك قدر إمكانك، إذا كان وقت عملك قد انتهى وبقي جزء من العمل لم ينته فدعه وقل لنفسك " سأنتهيه غدا

وليس الآن "ثم امنح نفسك الراحة والمتعة ولا تنسى أن " التفاوض أساس النجاح وسر السعادة " عش في حاضرك وانظر إلى ماضيك بعين الحكمة لتستخلص منه العبر وتطلع إلى مستقبلك بعين الأمل فهو دعامة النجاح.

6. تفهم أن الغد مليء بالمفاجآت : بنظرة متفهمة سليمة للمستقبل عش في حاضرك لأن اليوم مهم بأهمية الغد وعود نفسك أن تنتظر الحالات الطارئة التي لا تستطيع أن تحدد نوعيتها أو تتكهن بوقوعها والتي قد لا تصادفك وعلى أية حال فإنها مشاكل الغد الذي لم يأتي بعد، فلماذا تشغل نفسك بها اليوم الذي له ما يكفيه من المشاكل ؟ وعندما يأتي الغد سيكون اليوم قد انتهى وكذلك متاعبه، وبهذه الطريقة ستكون لديك دائما مشاكل يوم واحد لتقابلها.

7. اترك أمور حياتك بيد الخالق : أن الإيمان بالله يزرع الطمأنينة في النفس ويبعد الكثير من القلق وما بيوت الله ألا منابر للعلاج النفسي ودواء للنفس العلية عندما نعرف كيف نستفيد منها لأن المفروض بالدين أن يدفع الحياة إلى الكمال وينقذنا مما نعانيه من قلق وحيرة لكثرة وشدة تعقيداتها وتفصيلاتها، فإن الله يريد بنا الخير والرحمة وهو الذي يقدر لنا أسلوب الحياة الذي كتبه لكل مخلوق فثق برحمته وحكمته ومشيبته (سبحانه وتعالى) في ما هو خير للجميع.

فإذا كنت تريد أن تحيا بعقل يسوده السلام فضع نفسك أمامك دائماً، لكي تعرف حقيقة ذاتك، فإن الشخصية المنظمة هي نعمة من الله عز وجل، وإن أردنا أن نكون على مثل هذه الشخصية أمر في مقدورنا أن نحققه.

8. تعلم أن تقرر وتعمل : اغرس في نفسك روح المرح، وعش بقلب منفتح للحياة، واترك ما لا قدرة لك عليه إلى حكمة الله وعنايته، إنك إن اتبعت هذا فستجد متعة في الحياة ما كنت لتحلم بها، أو ربما كنت تعتقد أنها أمر مستحيل ومع هذا فهو أمر مستطاع دائماً. (بتصرف من كتاب القلق أسبابه وعلاجه لكنيدي، 2001).

وما توفيقي إلا بالله رب العالمين

المراجع

1. حسين، طه عبد العظيم، الصحة النفسية ومشكلاتها لدي الأطفال، دار الجامعة الجديدة، الازارطة، 2010 م.

2. داکو، بیبر ترجمه رعد اسکندر وارکان بیثون . العصاب والأمراض الذهانية . مكتبة التراث الإسلامي . القاهرة . ودار التربية . بغداد . 2002 م .
3. زهران، حامد عبد السلام . الصحة النفسية والعلاج النفسي، دار عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1977 م .
4. شقير، زينب محمود، الشخصية السوية والمضطربة، دار مكتبة النهضة المصرية، القاهرة
5. صبحي، سيد . الإنسان وصحته النفسية، دار المصرية اللبنانية المكتبة الأسرة، طبعة خاصة، 2003 م .
6. عبد الله، مجدي احمد، علم النفس المرضي، دار المعرفة الجامعية، الازرطة، 2000 م .
7. كينيدى، جون - ترجمة إبراهيم المهدي الشبلي، القلق أسبابه وعلاجه، الطبعة الثالثة، 2001 م .

الموارد الاقتصادية ونشأة مدينة مسلاتة في العصرين الفينيقي والروماني أ / علي عبدالله علي الفنتي

المقدمة INTRODUCTION

يكمن الهدف من دراسة هذا الموضوع ، إلقاء الضوء على الموارد الاقتصادية بمختلف دعائمها ودورها في إنشاء مدينة مسلاتة كظهير زراعي لمدينة لبد الكبرى ، إذ تعتبر الحياة الاقتصادية من الجوانب المهمة في أي حضارة من الحضارات قديماً وحديثاً ، وربما تكون في غالب الأحيان هي الدافع في تسيير دفة الحياة السياسية وأسباب الحروب وقيامها.

ومن خلال ذلك برزت أهمية دراسة هذا الموضوع لإيجاد شئ ملموس من آثار هذه المدينة والمناطق الزراعية المحيطة بها التي تصدرت أشجار الزيتون والنخيل وكروم العنب مختلف أشجارها التي تغذيها مصادر المياه المنتشرة في أرجاء المدينة المتمثلة في العيون والآبار ناهيك عن مياه الأمطار التي تُعد رافداً آخر من روافد لإستمرار الزراعة وغيرها.

ونظراً لما تمثله الحياة الاقتصادية من دور مهم في قيام المدن وانهارها فتتمثل مشكلة الدراسة في معرفة ما إذا كان للموارد الاقتصادية دور في قيام المدن أم لا إذ تتمحور حول تعدد الموارد الاقتصادية وغازرتها ونشأة مدينة مسلاتة في العصرين الفينيقي والروماني نمودجاً ، ومن هنا إختص هذا البحث بدراسة الحياة الاقتصادية كجانب منفرد وعامل خاص في تأثيره لقيام المدن، وذلك ندرسه من خلال الفرضية (كلما زادت الموارد الاقتصادية وتعددت كلما زاد عدد السكان ونشأة التجمعات السكانية وتطورت تلك التجمعات حتى صارت مدن) الأمر الذي يفرض بعض التساؤلات التي نسعى للإجابة عنها . هل كان الاقتصاد العامل المؤثر لقيام المدن والحضارات أم هناك عوامل مشتركة ؟ وهل كان لمدينة مسلاتة دور في دعم مدينة لبد الكبرى اقتصادياً ؟ وما أهمية دراسة منطقة مسلاتة ؟ إلا أن هذا يأتي ضمن إستدلالات بالصور لبعض المواقع الأثرية التي التقطتها كميرا الباحث كمعاصر الزيتون المنتشرة ومختلف المنسوجات والصناعات الغذائية المختلف وصناعة الفخار

كذلك بما تميزت به من اعتدال المناخ ، لذلك يرجح أن مدينة مسلاتة كان لها دور ريادي منذ الأزل في الإنتاج الزراعي وربما ما نحن بصدهه خلال العصر الفينيقي والروماني سواء من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية وستحاول الدراسة إيجاد شئ من هذه الآثار أما من حيث التسمية لم يذكر لها اسم ولم يذكرها المؤرخون القدامى حسب اعتقادي إن صح التعبير بشكل صريح ، وإنما كانت بعض الإشارات مرتبطة بتبعيتها بمدينة لبد باعتبارها عاصمة الإقليم لإطلاعها

على الساحل ولكن من المرجح أن لبده الكبرى كانت تعتمد في صادراتها من المنتجات الزراعية على ضواحيها وربما كانت مسلاته وضواحيها من المناطق التي لها دور سيأتي ضمن الإشارات والاستدلالات التي سنعتمد عليها خلال تتبعنا لهذا الموضوع من خلال دراسة المدينة المدينة وأهمية موقعها بالقرب من مدينة لبدة وطبيعتها الجغرافية ومناخها والذي لعب دور كبير في الزراعة ومقوماتها الزراعية ومصادر المياه المنتشرة في المنطقة وعلى نطاق واسع ، كذلك الصناعة التي تمثلت في وجود المنتجات الزراعية وغيرها مما تحويه هذه المنطقة من المقومات فانتشرت الصناعات الغذائية والتي منها صناعة الزيت واستغلاله إلى حد كبير ، وربما يدعم ذلك انتشار معاصر الزيتون بشكل كبير في المنطقة ، أيضا صناعة النبيذ من أشجار كروم العنب وثمار اللوتس والذي يعد الشراب اليومي لمن لهم شأن أو يملكون ريع من الأراضي ناهيك عن ثمار النخيل والتي ربما كانت تستخدم كطعام راقى يشبه المقبلات إلى حد كبير وصناعة الخبز وغيرها من الحبوب مثل القمح والشعير . كذلك صناعة المنسوجات الصوفية وصباغتها . ناهيك عن الصناعات الفخارية ، التي تبدو واضحة وجلية من خلال بقايا الفخار والمحاجر والأفران التي كانت تقوم فيها عملية الصناعة .

ولم تكن المباني العمرانية من القصور والتحصينات والسدود والحمامات أقل أهمية مما سبق الإشارة إليه ، حيث نجد السدود التي أخذت من دقتها أشكال مختلفة وذلك حسب وجودها في مجاري المياه وقوة تحملها لحجز المياه للاستفادة منها أكبر قدر ممكن والعيون والصهاريج لتسهيل عمليات الري . ونتيجة لكل ذلك يعطي لنا صورة واضحة وجلية ، أن بوجود كل هذا لا بد أن هناك حياة رفاهية من أعيان الإقليم ، لربما اختاروا هذه المنطقة الجبلية لإقامة بعض القصور والقلاع للاستمتاع بمناظرها الخلابة وكان ذلك من خلال ما وجدناه في بعض المناطق من فسيفساء وأنقاض الحمامات تدل على درجة عالية من الدقة والتصميم في جمالها وانطلاقاً من كل ذلك سأعمل جاهداً على إبراز كل هذه المعالم والأنقاض التي تدل على رقي المدينة ومشاركتها لمدينة لبده الكبرى في السراء والضراء ، ونقول ونؤيد بأن لا تاريخ بلا مصادر ن ولكن عندما يُجهد في حق هذه المنطقة وهي تحوي كل هذه الأدلة لن أقف مكتوف الأيدي وإنما سأطلق العنان للبحث في تاريخ هذه المنطقة من خلال الشواهد الأثرية التي لازالت شاهد أعيان على حضارتها ولن أجزم أن هذه الدراسة ستعطي المدينة وضواحيها حقها في البحث والدراسة ، ولكن ربما تكون هذه خطوة في فتح الباب على مصرعيه للبحث في أعماق هذه المدينة .

الموارد الاقتصادية بمسلاته في العصر الفينيقي والروماني .

- مسلاته من حيث التسمية .

لم تشتهر المنطقة وضواحيها في تلك الفترة بأي إسم أو مدلول واضح ، وربما راجع ذلك إلى أن المنطقة تلك الفترة كانت منطوية تحت لواء مدينة لبدّة بإقليم الأمبوري ، لأنها بطبيعة الحال كانت ضمن المناطق التابعة لها ، ولذلك لم يعثر على أي دليل مادي أو أثري أو من خلال المؤرخين المعاصرين لتلك الفترة بخصوص التسمية ، باستثناء بعض الإشارات منها إسم وادي النمر ، وتل الحسان ، وهذا المدلول في اعتقادي يرفع من شأن المنطقة من الناحية الاقتصادية ودورها في استيطان الأهالي ، ذلك لآبد من أنها كانت من المناطق المهمة والتي تزخر بالثمر ، ربما ، أما بالنسبة لتسمية " مسلاته " فلم يطلق عليها الإسم قديماً ، وإنما من وجهة نظري من خلال المسلات التي بنيت بها خلال فترات متأخرة أو باسم القصبات التي لا تخالف ترجيح الرأي نفسه .

- موقع المنطقة وتضاريسها الجغرافية :

تقع منطقة مسلاته في شمال غرب ليبيا عند نهاية الحافة الشمالية الشرقية للجبل الغربي ، وتحدها من الشمال منطقة الخمس " مدينة لبدّة الكبرى " ومن الجنوب الشرقي منطقة زليتن ، وجنوباً منطقة ترهونه أما من الغرب فتحدها منطقة القربولي ، حيث تبعد عن سال البحر بحوالي 15 كم¹ .

وتقع المنطقة بين خطي طول 49 - 13 - 30 - 14 شرقاً ودائرتي عرض 25 - 32 - 36 شمالاً .

والمنطقة بشكل عام يغلب عليها الطابع الجبلي ذو الانحدار البسيط الذي يساعد على تكوين الأودية بالمنطقة ، كما صنفها بعض المؤرخين على أنها تتكون من حزام من التلال التي يصل عرضها من 20 - 25 كم وتندمج في جنوبه مع الهضبة الصحراوية² ، وبمعنى أن المظهر العام ما هو إلا هضاب متوسطة الارتفاع متناثرة وهي امتداد طبيعي لسلسلة الجبل الغربي وتتحدر من هذه الهضاب مجموعة من الأودية والتي تمثل مسارات طبيعية تشكلها المياه إلى البحر وهي التي

¹ هلال ، جميل ، دراسة في الواقع الجغرافي الليبي ، مكتبة الفكر طرابلس ، 1967 ، ص 17

² Kanter . H . 1967 . Libya . Berlin . P 79 - 81 _ D espoisand Raynal 1967 . Geographiedel
Alrged Nove . oust . Pans P 252 .

تكونت أثناء العصر المطير حيث تتجه مساراتها من الشمال والشمال الشرقي إلى الجنوب والجنوب الشرقي كاتجاه عام في معظمها ¹ .

أما بالنسبة للتربة بصفة عامة فهي خصبة إذ تناسب جميع أنواع المحاصيل الزراعية تقريباً ، أما على صعيد مناخها ، فقد أثبتت الحقائق العلمية أن مناخ شمال أفريقيا بشكل عام في العصور القديمة لم يختلف كثيراً عن مناخها اليوم ، ربما نتحدث بشكل عام على شمال أفريقيا أو بمدلول ليبيا القديمة لكون منطقة مسلاته وضواحيها تدخل ضمن هذا الإطار ، وربما وصف بعض الكتاب والمؤرخين " ليبيا القديمة " بأنها جافة وصحراء جدباء ² ، وليس فيها أية وسيلة لقيام الحياة ، كما ذكر سالوست * أن أفريقيا من المناطق الجذبة ³ . إلا أن هذا التعميم من وجهة نظري لهؤلاء المؤرخين على حالة البلاد متناهيًا تماماً مع إقليم الأمبوري عامة ومدينة لبدة والأراضي التابعة لها كظهير زراعي خاصة ، لأن الشريط الساحلي الممتد من صبراته حتى منطقة كيفلاي ، والمناطق المجاورة لها من أخصب الأراضي الزراعية التي لاشك وأن الرومان كانوا يعتمدون على إنتاج القمح ⁴ من لبدة الكبرى وظهيرها الزراعي ⁵ بما فيها مسلاته وضواحيها ناهيك عن الشعير وأشجار الزيتون وكروم العنب وغيرها الذي سيأتي المجال لذكره لاحقاً إذ أن كل هذا لاشك وأنه يحتاج إلى كميات مناسبة من الأمطار .

وهناك دليل آخر عن مظاهر الخصب والنماء فيها وهو ما وصفه بليني عن أنهارها ⁶ وكل هذا يدل دلالة واضحة على خصوبة المنطقة وثراءها الاقتصادي ، وذلك لأن مناخها ضمن مناخ المنطقة المتوسطة والذي هو حار جاف صيفاً دفيء ممطر شتاءً ، ومما لاشك فيه أن شمال

¹ أبو عائشة ، محمد محمود ، الأبعاد الجغرافية للأنشطة الريفية ، بمنطقة مسلاته ، رسالة ماجستير غير منشورة ، 2005 ص

² مقيلي ، محمد عياد ، المناخ " الجماهيرية " دراسة في الجغرافيا " ، الدار الجماهيرية ، 1995 ، ص 147 .
* سالوست 861 - 35 ق . م ، وهو مؤلف تاريخي روماني ، وساند الإمبراطور يوليوس قيصر في حربه على أفريقيا كرجل سياسي ، وألف العديد من المؤلفات منها ، كتاب تاريخ الحرب البوغثرية ، وتاريخ الجمهورية الرومانية وغيرها .
³ حجازي ، روما وأفريقيا من نهاية الحرب البونية الثانية إلى عصر الإمبراطور أغسطس (202 ق.م - 14 م) القاهرة ، 1980 ، ص 14 .

⁴ بولقمة ، الهادي محمد ، مدخل عام " الجماهيرية " دراسة في الجغرافيا ، دار الجماهيرية ، 1995 ، ف ، ص 21 .
⁵ إنديشه ، أحمد محمد ، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث ، الدار الجماهيرية ، مصراتة ، 1993 ، ص 22 .
⁶ Pliny . Natural History , L . c . L

أفريقيا يقع في نطاق المنطقة المعتدلة بما فيها منطقة مسلاته وضواحيها ، حسب ما تؤكد كتابات الجغرافيين والمؤرخين عندما تتحدث عن موارد أفريقيا في العصور القديمة ، إلا أن اختلاف المناخ وتعاقب فترات الجفاف وتذبذب سقوط الأمطار من فترة إلى أخرى جعل هذا الاختلاف واضحاً وجلياً بالنسبة للوقت الحاضر¹.

- أهمية المنطقة الجغرافية :

لعل من الميزات التي تتمتع بها المنطقة من الناحية الاقتصادية ، لكونها منطقة زراعية ذات أراضي خصبة كما ذكر هيرودوت بأن منطقة مسلاته (تل الحسان)⁽⁹⁾ تتنوع بها العديد من الأشجار والنباتات الطبيعية وعندما استغلت أراضي المنطقة للزراعة ، زرعت فيها العديد من الأشجار المثمرة لعل أهمها أشجار الزيتون التي تصدرت زراعتها المنطقة ناهيك عن أشجار النخيل وكروم العنب وغيرها المتمثلة في الحبوب من القمح والشعير ومما لاشك فيه الذي دعم هذا بشكل كبير هي وفرة المياه بجميع مصادرها . كما برع السكان في استغلالها إلى حد كبير ، إذ لا يخفى أن حياة أي مجتمع قديم يعتمد في اقتصاده ومعيشته على الزراعة والرعي والصناعة ، وربما هنا نتحدث عن المنطقة بشكل عموم إلا أننا نصل إلى أن المنطقة وفيرة الاقتصاد سواء في العصر الفينيقي أو الروماني وما ترتب عنها من استقرار السكان من أهل المنطقة وعلاقتهم مع الفينيقيين إذ كانت علاقة ودية حيث تعاونوا فيما بينهم وكونوا حضارة مشتركة وتصارهوا إذ كان نتاج ذلك عنصر الليبو فينيقي ولاشك أنهم تبادلوا الثقافات ولو أنها بدائية ، على عكس ذلك فيما بعد عند دخول مدن الإقليم بما فيها المنطقة تحت السيطرة الرومانية ، أصبحت العلاقات عدائية وأخذت طابعاً جديداً إبان العصر الروماني ، وربما يأتي بشئ من التفصيل خلال التطرق إلى بعض الإشارات خلال الحديث عن الحياة الاقتصادية كما يلي :-

- مصادر المياه في منطقة وادي الثمر " مسلاته " القصبات "

إن معلوماتنا عن الري في المنطقة ضئيلة جداً ونكاد تكون مخفية وإن كان لا بد فإن إلى جانب الأمطار كانت توجد وسائل يتم بواسطتها توصيل المياه إلى الأراضي الصالحة للزراعة ونظراً لأن المنطقة تفتقر إلى الأنهار التي تغذيها بالمياه اللازمة للشرب والاستخدام اليومي

¹ أبو عائشة ، محمد محمود ، الأبعاد الجغرافية ، المرجع السابق ، ص 7

(2- Herodot . iv . p . 198 .

واستصلاح الأراضي ؛ كانت الأمطار هي المصدر الرئيس للحصول على المياه على مدار العام بغزارة ، فينصرف جانب منها إلى البحر إذا لم توقفها حواجز وسدود ، ويتسرب جانب آخر إلى باطن الأرض فيكون بحيرات من المياه الجوفية تظهر على هيئة ينابيع أو تبقى في باطن الأرض، ولذلك رأى الرومان بأن لا بد من استخدام طرق للاحتفاظ بالمياه التي تجري على سطح الأرض وذلك بإنشاء الخزانات وبناء السدود وإقامة الصهاريج وحفر الآبار واستغلال العيون ¹ .

ربما بدل الفينيقيون والرومان جهوداً جبارة من أجل الاستفادة من المياه ونقلها إلى الأراضي الصالحة للزراعة مستغلين بذلك الأيدي العاملة من أهل المنطقة من أجل ازدهار الزراعة وتوسيع أصقاعها . كذلك من أجل سد الحاجات اليومية لهؤلاء من المنتجات الزراعية خصوصاً في العصر الروماني بزيادة أعدادهم ² .

ونظراً لاعتماد الزراعة بالمنطقة على مياه الأمطار ، دعت الحاجة إلى البحث عن وسائل كافية للحفاظ على أكبر قدر ممكن من المياه ، ناهيك عن استخراج المياه الجوفية ونقلها إلى الأماكن المستصلحة ، وبذلك أقيمت الخزانات والأحواض والسدود والآبار والقنوات والعيون والتي لا يزال معظمها قائماً إلى يومنا هذا كما هو في الشكل (1) وتشير القرائن إلى أن الكثير من أعمال الري ³ ترجع إلى زمن سابق للإحتلال الروماني ⁴ .

وقد حافظ الرومان على ما وجدوه بل وطوروه إلى جانب أنهم أقاموا عدداً كبيراً منها ، فمخلفات هذه الأعمال لا تعد ولا تحصى ويدل ذلك على تفوقهم في أعمال الري حيث أنهم استطاعوا التحكم في الطبيعة إلى حد كبير بأن حافظوا على قدر كبير من مياه الأمطار واستخرجوا المياه الجوفية وأوصلوا المياه إلى أي مكان يتطلب وجود هذا المصدر المهم ⁵ ولم يكن هدفهم

¹ سرقين ، سعدية ، أهمية نوميديا الاقتصادية بالنسبة للرومان 46 ق .م إلى نهاية القرن الثاني الميلادي ، جامعة عين شمس ، رسالة ماجستير غير منشورة ، 1983 ، ص 109 .

² سرقين ، سعدية ، المرجع نفسه ، ص 142 .

³ كتيبي ، حميده ، المنشآت الاقتصادية الزراعية والتجارية في مدينة لبدة الكبرى خلال العصر الروماني ، (47 . ق . م 305 م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، 2005 ، 2006 ص 92 .

⁴ يذكر استرابون أن ليبيا منذ القدم تعتبر من المناطق الخصبة المزودة بموارد المياه فيما عدا المناطق الصحراوية الواقعة جنوبها ودليل على ذلك الهجرات سكان الصحراء إلى المناطق الشمالية وأنهم عند عودتهم إلى مناطقهم كانوا يحملون معهم المياه . للمزيد من المعلومات ينظر الحجازي

⁵ سرقين ، سعدية ، المرجع السابق ، ص 142 .

توفير المياه اللازمة للزراعة فحسب بل أيضاً للجيش وكذلك للحمامات والقصور التي أنشئوها بالمنطقة وغيرها التي عُدت بمثابة الظهير الزراعي لمدينة لبدّة والتي لاشك أنها لعبت دوراً مهماً في حياة الرومان¹ .

ومن المشاكل التي واجهتها منطقة مسلاته ضمن غيرها من المناطق لا تكمن في قلة تساقط الأمطار وإنما سوء توزيعها ، حيث تسيل في فيضانات مفاجئة ، الأمر الذي يجعل الأمر أكثر تعقيداً انجراف التربة للأراضي الزراعية إضافة إلى هذا طبيعية المنطقة الجبلية ، وبذلك فإن هذه الظروف دفعت الرومان إلى اتخاذ التدابير اللازمة لأمرين : الأول محاولة الاستفادة لأكبر قدر ممكن من مياه الأمطار وذلك بإنشاء السدود والخزانات و الأحواض والصهاريج لحفظ هذه المياه كما في الشكل (2) وعملوا لها قنوات تنقلها من الخزانات والسدود إلى المزارع والمراكز السكنية ، وثانياً في الوقت ذاته المحافظة على التربة من الانجراف .

ولأن المياه كانت تمثل أهم المشاكل في العصور القديمة وحتى الحاضر ، فقد بذل الفينيقيون والرومان جهوداً كبيرة للحفاظ على هذا المصدر بطرق منها :

*- المياه الجوفية وطرق المحافظة عليها :-

1- الآبار : في الوقت الذي لا تستطيع أن تخرج فيه المياه الجوفية من باطن الأرض عن طريق العيون والينابيع يمكن حفر حُفر عميقة إما أن تكون دائرية الشكل أو مستطيلة مختلفة الأعماق حسب قرب المياه وبعدها ويكون موقع هذه الآبار في المناطق المنخفضة والوديان لسهولة الوصول إلى مصادر تلك المياه .

2- السواني : وربما تكون أقل عمقاً من الآبار إذ تتراوح أعماقها تقريبا من 20 - 50 متراً وهذا النوع منتشر بكثرة بمنطقة مسلاته وضواحيها بالوديان الجبلية ؛ ومن أمثلة ذلك سانية مراده وسانية جلابو وسانية طبقو وسانية مزيتن وسانية الطويلة بمنطقة المطائبة بالشعافيين . ناهيك عن غيرها التي تقع بالمنطقة² .

3- الثمد : وهي عبارة عن حفر دائرية أو مربعة الشكل مختلفة الأعماق بحيث تصل إلى مستوى مياه الأمطار المخزنة في جوف الوادي ، وتعتمد في رشح مياه قليلة تستخدم في الشرب وسقي

¹ كتيبي ، حميدة ، المرجع السابق ، ص 92 .

² مقارنة بما وجد بمنظومة المياه في ورقاته ، بمتحف بن وليد نقلا عن حميدة كتيبي .

المواشي وتنتشر بكثرة في الوديان الجبلية وعلي سبيل المثال ما هو موجود بالمنطقة بمكان يسمى " الزعفرانية " أو القبو " بقرية مؤمن . وهي لا تزال شاهداً حتى الآن تغزر بالمياه وهذه العين يوجد بجانبها صهريج لتوزيع المياه كذلك توجد بجانبها مزرعة محصنة و بها قصر وبجانبها حمام وجدت به فسيفساء أرضية وربما دلت على أن هذا المكان مكان ترفية لأحد أعيان الدولة أو من الحاشية وكبار الموظفين والأعيان بالدولة بمدينة لبدّة كما هو في الصور التي التقطتها كميرا الباحث شكل (3) .

أما بالنسبة لمياه الشرب فقد بني الفينيقيون والرومان العديد من مواجن المياه التي منها .
1- المواجن " الآبار " وهي عبارة عن مبان دائرية أو مستطيلة " بئر أو فسكية " تحت سطح الأرض لها سقف على شكل فجوة بها فتحة تدخل منها مياه الأمطار وفتحة أخرى تؤخذ منها ، وهذه المواجن تستعمل للشرب وتوجد في المدن كمدينة لبدّة وغيرها وفي الأودية بالقرب من القصور ومن أهم هذه المواجن : الموجودة في مدينة لبدّة وفيلا سيلين¹ ، وخير دليل الموجودة بمنطقة مسلاته وضواحيها بئر موجود بمنطقة الشباعنة وآخر موجود بمنطقة المطائبة بالشعافيين والتي لا تزال حتى الآن ؛ وربما عمل سكان المنطقة في منازلهم صهاريج وذلك بتجميع مياه الأمطار واستغلالها بالإضافة إلى وجود آبار المياه الجوفية ، هذه الصهاريج حفرت في الأرض على شكل اسطواني عمقها حوالي 14 متراً تقريباً ثم فتحت بها تجاويف بشكل حجرات تتجاوز أطوالها في بعض الأحيان 10 أمتار كما توضحه الصور التي التقطتها كميرا الباحث شكل (4) .²

ويتضح من خلال زيارة الباحث لبعض هذه المواقع أن كل ما استخدم لحفظ المياه ، طليت بمادة الجير المخلوط بالحصى الصغير والكسر الفخارية الصغيرة التي تمنع تسرب المياه ، على خلاف حفر الصهاريج الاسطوانية فقد بنيت بقطع حجرية صغيرة وقطع القرميد المخلوط بمادة الجير ، ثم طليت بطبقة من البلاط المتكون من الكسر الفخارية والجير ، وغالباً ما نشاهد في الآبار وبعض مواجن المياه وجود فتحات داخلها تشبه السلم إذ كان الغرض منها النزول والخروج إليها لغرض تنظيفها وكانت توجد لها أغطية بها فتحة مربعة أو دائرية الشكل تستخرج منها المياه

¹ إنديشه ، أحمد محمد ، الحياة الاجتماعية في المرافئ الليبية الغربية وظهرها في ظل السيطرة الرومانية ، جامعة عين شمس القاهرة ، 2000 ، ص 135 .

² زيارة ميدانية لبعض مناطق مسلاته . الباحث

عن طريق بكره من الخشب ويسحب الماء بواسطة حيوان ويسكب الماء في الجنادل والقنوات إلى المكان المراد نقله إليه شكل (5)¹.

2- الصهاريج " الخزانات " : وتعد الصهاريج والخزانات ضمن الوسائل الحيوية التي أدت دوراً مهماً في جمع المياه وتخزينها من أجل استخدامها في المنازل والزراعة.² وهذه الطريقة لحفظ المياه عرفها الفينيقيون قبل الرومان فقد قاموا باستخدامها بالطرق الجيدة لحفظ المياه والتي عثر على العديد منها بالمنطقة وضواحيها استناداً إلى ما ذكره الميار³ كذلك أشار المؤرخ استرابون إلى وجود خزان فينيقي بالقرب من مصب وادي لبدّة القريب من المدينة ، وهذا يعطي لنا دلالة واضحة بأن منطقة مسلاته تعج بمثل هذه الخزانات لكونها ضمن الظهير الزراعي لهذه المنطقة⁴ .

أما بالنسبة لطريقة عمل هذه الصهاريج " الخزانات " فكانت عبارة عن أبنية تحفر في الأرض وتغطي بأسقف على هيئة قباب أو تبني بجدران والغرض منها حفظ المياه لاستخدامها وقت الحاجة واختلفت هذه الصهاريج من التي بنيت في المدن مثل مدينة لبدّة* عن غيرها التي خصصت للزراعة بالمناطق الزراعية⁵ . حيث بنيت هذه الصهاريج بشكل قبوات مطلية بطلاء معمول من خليط الحجارة الصغيرة معجون بالمياه ، حيث كانت تقام تحت سطح الأرض وتغطي بأسقف على هيئة قبور تختلف مساحتها من مكان إلى آخر مثل ما عثر عليه في منطقة الزعفرانية

¹ زيارة ميدانية للباحث ، كذلك ينظر المجسم الموجود بمتحف السرايا زيارة الباحث يوم الثلاثاء بتاريخ 3-1-2011 برفقة طلاب قسم الآثار والأساتذة بالقسم .

² إنديشه ، أحمد محمد ، التاريخ السياسي الاقتصادي للمدن الثلاث ، المرجع السابق ، ص 141 .

³ الميار ، عبدالحفيظ فضل ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 2001 ، ص 165 .

⁴ محمود الصديق أبو حامد ، مظاهر الحضارة الفينيقية في طرابلس ، مجلد ليبيا في التاريخ ، الجامعة الليبية ، بيروت ، 1968 ، ص132

* مثل الخزانات الذي يقع جنوب مبنى الكلكليديوم وهو مبنى مستطيل الشكل طولية من الشرق إلى الغرب حوالي 59.15 م . وعرضه حوالي 8 أمتار وبالمنتصف صف من الأعمدة بلغ عددها 17 عموداً وربما كان الغرض منها تخفيف ضغط المياه على الجدران .

⁵ إنديشه ، أحمد محمد ، التاريخ السياسي الاقتصادي للمدن الثلاث ، المرجع السابق ، ص 141

بمنطقة مسلاته ، خلال الزيارة الميدانية للباحث شكل (6) . وذلك يشير ما وجد في غيرها من المناطق التابعة للرومان تلك الفترة .¹

3- **السدود** : من الوسائل الملحوظة بمدينة لبدّة وظهرها الزراعي بما فيها منطقة مسلاته وضواحيها في الفترة الرومانية وسابقتها ، بناء السدود على نطاق واسع على طول الوديان وإيصال المياه إلى جهات بعيدة * .

وقد تم بناء السدود من الحجارة واستخدمت حواجز من الأخشاب لتوجيه مياه الفيضانات إلى السهول والأراضي المراد زراعتها ولا تزال أثارها باقية إلى الآن ومن خلال الزيارات الميدانية للسدود الرومانية بمنطقة مسلاته وضواحيها بما فيها الشعافيين قد تم العثور على سدود مختلفة الإنشاء حسب الغرض من السد وكمية المياه ونوع الوادي فمنها :

أولاً : سدود تخزين المياه : وهي سدود كبيرة وسميكة وتبنى على أراضي صخرية ومنها سد وادي لبدّة الذي يعود بناءه إلى القرن الثاني الميلادي² ، حيث توجد بهذه السدود إدراج من أعلى حتى أسفل القاعدة .

ثانياً : السدود التعويضية : وهذه السدود صغيرة الارتفاع ويبلغ سمكها حوالي ما بين متر ومترين بنيت على طول الوديان على مسافات ما بين 80 م ، 100 م وبها فتحات تصريف المياه الزائدة إلى الحوض الذي يليه وذلك لتخفيض جريان المياه بالوديان ، وكان الغرض من بناؤها هو حجز المياه في مجرى الوادي والمساعدة على ترسب الطين بكميات محدودة وتشبع التربة بالمياه في مجرى الوادي ، التي تستغل بعد ذلك في زراعة الحبوب والخضروات والفواكه وبفضل منظومة السدود الدقيقة هذه المنتشرة في أودية المنطقة وضواحيها جعل سكان هذه الأودية قديماً يضمنون

¹ المؤتمر الثالث للآثار ، النقائش والرسوم الصخرية في الوطن العربي ، المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، طرابلس ، ليبيا ، 1997 ، ص 166 .

* عمل الرومان للاستفادة من ثروات المنطقة وتطبيق طرق متطورة لحفظ المياه عن طريق السدود وقنوات الري فيما أدى إلى زيادة مساحة الأراضي الزراعية وخاصة في المناطق الداخلية من ظهير المدينة .

² كتيبي ، حميده ، المرجع السابق ، ص 100 ، لناديو فنياواولين بروغان ، السدود الرومانية في وادي المجينين ، ليبيا القديمة ، المجلد الثاني ، روما ، 1965 ، ص 20 .

إنتاجاً كبيراً من الحبوب لسد حاجاتهم وبيع الباقي في المدن الساحلية مثل لبدة وصبراته ومنها يُصدّر إلى جنوب أوروبا ومثل هذه السدود وادي قرزة ووادي المردوم¹ .

ثالثاً : السدود التوجيهية : وهذه السدود صغيرة أيضاً ومختلفة الارتفاعات أحياناً بنيت لتحويل مياه الأمطار من الهضبة أو سطح الجبل إلى المزارع أو مجرى الوادي ، شيدت من الأحجار الكبيرة تتخللها قنوات بأحجام مختلفة تفتح وتغلق حسب الحاجة لتوجيه المياه إلى الأراضي الزراعية والأشجار ، حيث بنيت متفاوتة الارتفاع والسماك والقوة حسب شدة انحدار المياه وغزارته ولا يختلف الرأي في أهميتها لكونها توجه المياه إلى الأراضي الزراعية السهلية والأشجار المثمرة ناهيك على الحفاظ على التربة من الانجراف وسقوط الأحجار في مجرى الوادي خصوصاً زمن الفينيقيين وحتى العصر الروماني² . وربما نضيف نوع آخر من السدود التوجيهية من خلال الزيارات الميدانية للباحث وملاحظه شكل السدود الرومانية بالوديان بمنطقة مسلاته وبمنطقة العكاريت والشعافيين وأوعيني والزعفرانية وغيرها . نلاحظ من خلال ذلك عثر على هذه السدود بأشكال تعترض الوديان بشكل عرضي مستطيل الشكل يكون شكل بناءه قاعدة عريضة من الأسفل ثم يقل السمك في الثانية ويقل في الدرجة الثالثة العليا وتكون به فتحات ملتوية ربما كان الغرض منها تخفيف ضغط المياه كما أسلفنا الذكر .

أما النوع المقصود هنا هو العنور على نوع من السدود شبه نصف دائري يربط الوادي من الجانبين وبه فتحات ملتوية وهذا التصميم يختلف عن سابقه . ربما كانت هذه الطريقة متطورة عن سابقتها لأنها من خلال ذلك ترجح أنها تعمل عدة وظائف في الوقت ذاته تقلل من ضغط المياه ثم توجهه حسب الحاجة في الوقت ذاته . وهذا النوع عثر عليه خلال زيارة ميدانية بمنطقة القبو بمنطقة مؤمن ولا يزال شاهداً حتى الآن حسب ما التقطت له صور كميرا الباحث شكل (7) .

وبمجممل عام فإن هذه السدود حققت العديد من الأغراض المرجوة منها . حيث المحافظة على التربة من الانحراف ومنع تأكلها وذلك بضبط قوة السيول والمحافظة على التربة الخصبة القادمة من الوادي للاستفادة منها في الزراعة³ . جميع مياه الأمطار وتصريفها إلى حافة الوادي

¹ المؤتمر الثالث عشر للآثار ، المرجع السابق ، ص 169 .

² المؤتمر الثالث عشر للآثار ، المرجع نفسه ، ص 169 .

³ - إنديشه ، أحمد محمد ، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث ، المرجع السابق ، ص 140 .

¹؛ كذلك حجز المياه خلف السد يتيح الفرصة لتسرب المياه إلى باقي الأراضي مما يزيد من مخزون المياه الجوفية .² ناهيك عن حجز الطمي للاستفادة منه في الزراعة وحماية المدن والمزارع التي بجوار السد³ .

إن استخدام النظم الرومانية في ري المزارع عن طريق فائض مياه الوديان كان ناجحاً للعديد من القرون وباستقرار متواصل لوجود شبكة الري الضخمة المتكونة من السدود والقنوات والصهاريج والخزانات والآبار والقنوات واستغلالها على الوجه الأمثل وبدرجة عالية من التنظيم أدى إلى زيادة الأراضي المستصلحة للزراعة بشكل كبير في المنطقة إضافة إلى تكاتف جهود المواطنين الأصليين من أهل المنطقة مع الرومان للتمييز بين الأراضي الصالحة من عدمها للزراعة .

- مسلاته في العصر الفينيقي والروماني :

- مسلاته في العصر الفينيقي :-

لاشك أن منطقة مسلاته وضواحيها عاصرت فترة دخول مدن الإقليم تحت سيطرة الفينيقيين لكونها تمثل الظهير لمدينة لبد الكبرى ، ورغم كل ذلك لم يكن الفينيقيون ليكونوا لبنة الاستقرار الأولى كمحطات تجارية " أمبوريا emporia"⁴ وفي بادئ الأمر اختاروا المناطق الساحلية وذلك لما تمتع به ساحل المنطقة من ميزات التي أغرتهم ليحولوا نشاطهم من مرحلة لكونها مرافئ تجارية إلى مرحلة تأسيس مدن مهمة مع مرور الزمن⁵ وربما لأنهم لم يتوغلوا في الظهير الزراعي ، والمناطق الداخلية لمدينة لبد وما تخفيه من أراضي زراعية وأشجار مثمرة ، لأن بضائع أواسط أفريقيا المتمثلة في العاج وجلود الحيوانات وريش النعام وبيضه والأحجار الكريمة والعقيق كانت تصلهم عن طريق القبائل الليبية القديمة وعلى رأسها الجرامنت التي لعبت دور الوسيط في التبادل

¹ د . ي ، هاينز ، دليل تاريخ وأثار منطقة طرابلس ، دار الفرجاني ، طرابلس ، 1965 ، ص62.

² إنديشه ، أحمد محمد ، التاريخ السياسي الاقتصادي للمدن الثلاث ، المرجع السابق ، ص 140.

³ هاينز ، المرجع السابق ، ص 62 .

⁴ إنديشه ، أحمد محمد ، الحياة الاجتماعية في المرافئ الليبية الغربية وظهرها في ظل السيطرة الرومانية ، المرجع السابق ، ص 7 .

⁵ عبدالعزيز طريح شريف ، جغرافية ليبيا ، الإسكندرية ، 1963 ، ص 375 ، وكذا ، الميار ، عبدالحفيظ ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ، ص 35

التجاري قبل حتى استقرار الفينيقيين بالمنطقة¹ لمعرفة الجيدة بطرق ومسالك الصحراء² حيث استمرت هذه القبائل في دور الوساطة حتى العصر الروماني كما سيأتي الحديث عنها ، رغم محاولة الفينيقيين الجادة الوصول إلى هذه البضائع والحصول عليها دون هؤلاء الوسطاء إلا أنهم ظلوا ولفترات عديدة لم يتمكنوا من عبور الصحراء بأنفسهم³ وبذلك لا بد وأن منطقة مسلاته وضواحيها كانت تمر بها القوافل التجارية للوصول إلى مدينة لبدّة والعكس تماماً إلى أواسط أفريقيا مروراً بواحة مرزق⁴ .

لم تكن الزراعة أقل أهمية من التجارة عند الفينيقيين ، بل ويرجع الفضل لهم في الاهتمام بها وإدخالهم عدة أنواع إلى منطقة الإقليم من أشجار الفاكهة و زراعة الكروم وأشجار الزيتون التي لا شك بأنها قد تميزت بها منطقة مسلاته حتى الوقت الحاضر وأشجار التين التي كانت تزخر بها المنطقة نظراً لملائمة مناخ المنطقة⁵ .

ومما دعّم هذا الجانب في الحياة اهتمامهم بالري وإنشاء المشاريع من الخزانات والصحاريح والآبار واستغلال العيون ناهيك عن استغلال مياه الأمطار في الأودية والسيول بإقامة السدود⁶ كما أشار استرابو إلى خزان المياه بالقرب من مصب وادي لبدّة⁷ . وانطلاقاً من هذه الإشارة بوجود السدود وخزانات المياه وغيرها في المدينة لا بد وأن تكون موجودة بالمثل ذاته في منطقة مسلاته وضواحيها لكونها الظهير الزراعي لهذه المدينة ، وربما الأمر الذي يجعل من العثور عليها أمراً صعباً هو خوف الأهالي من هلاك الأراضي بالوقت الحاضر من الاستيلاء عليها لكونها مواقع أثرية وهذا الأمر يقف حاجزاً وسداً منيعاً أمام الكشف على آثار المنطقة والنهوض بها وشهرة مواقعها الأثرية . وبذلك ستبقي آثار المنطقة مخفية عن الأعين وصامته كصمت أهل القبور .

¹ عبدالعليم ، مصطفى كمال ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم ، منشورات الجامعة الليبية ، بنغازي ، 1968 ، ص 67 - 68 .

² أبو حامد ، محمود الصديق ، المرجع السابق ، ص 121 .

³ صفر ، أحمد ، مدينة المغرب العربي في التاريخ ، ج 1 ، أبوسلامه ، تونس ، 1959 ، ص 138 .

⁴ أبو حامد ، محمود الصديق ، المرجع السابق ، ص 181 .

⁵ شريف ، عبدالعزيز طريح ، المرجع السابق ، ص 376 .

⁶ د . ي ، هاينز ، المرجع السابق ، ص 35 .

⁷ أبو حامد ، محمود الصديق ، المرجع السابق ، ص 132 .

وعلى الرغم من أن المدينة كانت بطيئة في تطورها خلال العصر الفينيقي بسبب سياسة العزلة التي فرضها عليها قرطاج وفي الوقت عينه سببت في عدم ازدهار المدينة¹ إلا أنها تمتعت بقسط من الحرية فيما يخص شؤونها الداخلية للمدينة وكان لأهلها قوانينهم الخاصة بهم² وهذا الأمر يعطي لنا تحليلاً على أن المدينة استهدفت للسيطرة عليها من الناحية الاقتصادية لا من الناحية الاجتماعية أو ربما السياسية .

وبنهاية السيطرة الفينيقية على مدينة لبدّة وظهيرها الزراعي من المناطق الداخلية بما فيها مسلاته عقب نهاية الحرب البونية الثانية* 202 ق.م دخلت المنطقة تحت سيطرة المملكة النوميديّة³ وامتعت لبدّة من دفع الجزية التي كانت تدفعها لقرطاج وأضحت تدفعها لنوميديا ، حيث منحت حرية إدارة شؤونها بنفسها لطالما التزمت بدفع الجزية أو ربما لبعدها عن عاصمة نوميديا كرتا Cirta وبعد فترة من الزمن دخلت مدينة لبدّة وضواحيها بما فيها منطقة مسلاته في ظل السيطرة الرومانية⁴ بموت ميكبسا عام 118 ق.م على أثر الحرب الأهلية التي اندلعت بين ولديه وابن عمهما يوغرثا الذي استولى على مقاليد الحكم ، وفي تلك الغضون أظهر أهالي المدينة وضواحيها موقفهم بجانب الرومان لغرض التخلص من التبعية النوميديّة⁵

- مسلاته في العصر الروماني :

إثر تخلص مدينة لبدّة وظهيرها بما فيها منطقة مسلاته ، من السيطرة القرطاجية والنوميديّة ودخولها في فلك الإمبراطورية الرومانية وبظهورها في الساحة التجارية الرومانية انطلقت إلى إقامة علاقات تجارية مع مختلف أنحاء العالم الروماني ، لاشك وأن مدينة لبدّة كانت تشكل مصدراً رئيساً في تصدير المنتجات الزراعية ، مثل زيت الزيتون والشعير والقمح والذي لعبت فيه منطقة مسلاته دوراً كبيراً في دعم المدينة بهذا النوع من العوائد كذلك وكانت منطقة مسلاته وضواحيها

¹ الأثرم ، رجب عبدالحميد ، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم ، جامعة قاريونس ، 1994 ، ص 199 .

² إنديشه ، أحمد محمد ، التاريخ السياسي و الاقتصادي للمدن الثلاث ، المرجع السابق ، ص 42 .

* الحروب البونية وقعت بين قرطاج وروما على ثلاث مراحل ، بدأت الأولى في 264 ق.م واستمرت حتى 241 ق.م ، فيما بدأت الثانية في 218 - 202 ق.م وجاءت الثالثة في 149 ق.م وانتهت نهائياً في 146 ق.م بسقوط قرطاج .

³ جوليان ، شارل اندريه ، تاريخ أفريقيا الشمالية ، ترجمة ، البشير أبوسلامه ، محمد مزالي ، الدار القومية ، 1969 ، ص 141 .

⁴ إنديشه ، أحمد محمد ، التاريخ السياسي الاقتصادي للمدن الثلاث ، المرجع السابق ، ص 47 .

⁵ البرغوثي ، عبداللطيف ، التاريخ الليبي القديم ، الجامعة الليبية ، بيروت ، 1971 ، ص 334 .

مسلكاً لمرور التجار بالسلع التجارية التي كانوا يحملونها من أواسط أفريقيا مثل العاج والأحجار الكريمة والجلود وريش النعام وبيضه والرقيق والحيوانات المفترسة التي لعبت دوراً مهماً في المسارح الدائرية الرومانية¹ .

ازداد الاهتمام بالزراعة بشكل كبير من قبل الرومان في مدينة لبدّة وظهيرها من المناطق الداخلية لما ابتدأه الفينيقيون وعمل الرومان على الانتقال من الزراعة لكونها كوسيلة لكسب الرزق وسد الحاجة إلى التصدير والتجارة . وبطبيعة الحال فإن مهنة الزراعة كانت تتم في الأراضي بالمناطق المحيطة بها ، وبذلك لاشك وأن منطقة مسلاته وضواحيها المتمثلة في الشعافيين والبركات والعمامرة وبني مسلم وغيرها كانت ضمن الأراضي الزراعية التي تعتمد عليها المدينة في الإنتاج الزراعي . وما يدعّم هذا الرأي هي النقوش المجلوبة من مدينة قرزة والمعروضة في متحف المدينة التي تشير إلى حراثة الأرض وأنواع من الفواكه من الرمان وكروم العنب وغيرها²

وإن كانت قرزة وأراضيها الزراعية هي ضمن ظهير مدينة لبدّة للأراضي الزراعية فلا بد وأن مسلاته تشكل البؤرة الأولى المستهدفة في عملية الزراعة ودعمها للمدينة ، الأمر الذي يدعم ذلك هو وجود العديد من المزارع المحصنة بالمنطقة وضواحيها وعلي سبيل المثال لا للحصر المزرعة التي وجدت في منطقة القبو ولا تزال شاهداً حتى الآن وبها قصر روماني وحوله مجموعة حجرات كما هو بالصورة التي التقطتها كاميرا الباحث شكل (8) .

حيث كان هذا النوع من المزارع تسمى بالمزارع المحصنة وهي ملك للجند الليبيين المسرحين من الجيش حيث أعفيت هذه المزارع من الضرائب ومجهزة بالماشية والعبيد مقابل قيامهم بالدفاع عن مناطقهم ضد الهجمات الداخلية³ .

وقد وجدت عدة أنواع للمزارع فمنها المزارع المفتوحة وهي كبيرة ومميزة بمعاصر الزيتون وغيرها حسب تقسيمات الأراضي من قبل أباطرة ذلك العصر⁴ . وأخرى احتفظت بها الدولة كأماكن عامة . تديرها عن طريق التأجير للفلاحين الرومان والأسر الليبية المترومنة . والفلاحين من القبائل الليبية بصفتهم رقيق ، أو بأجر يومي . أو بأجر السخرة . ناهيك عن الأراضي العسكرية

¹ الميار ، عبدالحفيظ فضيل ، المرجع السابق ، ص 358 – 362 .

² إنديشه ، أحمد محمد ، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث ، المرجع السابق ، ص 135 – 136 .

³ باقر ، طه ، لبدّة الكبرى ، منشورات مصلحة الآثار ، طرابلس ، د.ت ، ص 29 .

⁴ إنديشه ، أحمد محمد ، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث ، المرجع السابق ، ص 135 .

والمعابد ، كما عمل الرومان على تشجيع زراعة الأراضي البور واستغلالها والاهتمام بها والعناية التامة مقابل منحهم الأمان بإعفائهم من الضرائب وخاصة أشجار الزيتون وكروم العنب والرمان حتى يكتمل نموه باستثناء أشجار التين ، وربما شجع هذا السكان على التوسع في زراعة أشجار الزيتون بالمنطقة .

الزراعة :

تعتبر أشجار الزيتون في مدينة لبدّة الكبرى ومنطقة مسلاته وضواحيها من أهم مواردها الطبيعية إذ كان لذلك أهمية كبرى لدى الرومان ، واستغلت ثمار الزيتون إلى أقصى قدر ممكن¹ الأمر الذي سهل من انتشار زراعته في الدواخل حيث طبيعة الأرض وملائمتها لها² ، وربما لأنها تعيش زمناً طويلاً³ ومما يدل على كثرة حب الرومان لهذه الشجرة حتى خصصوا لها الإلهة منيرفا (Minerva) لرعايتها وحمايتها⁴ ، وعلى وجه الخصوص انتشرت أشجار الزيتون في المنطقة الممتدة من ترهونة حتى مسلاته امتداداً إلى مدينة لبدّة⁵ وخير دليل على ذلك المعاصر الرومانية الموجودة في منطقة مسلاته والشعافيين التي لا تزال شاهداً حتى الحاضر والتي زارها الباحث شكل (9).

ونظراً لما يشكله الزيت من أهمية فقد أستخدم زيت العصرة الأولى للأكل والثانية للاستحمام والتدليك والعلاج والثالثة كوقود للإنارة ودليل ذلك كثرة المسارج والمصابيح الفخارية التي تعج بها المنطقة أما للمخلفات فتستخدم كوقود والتدفئة وبذلك استغلت أشجار الزيتون وثمارها أكبر قدر ممكن في الحياة اليومية⁶ ، ومن خلال طبيعة المنطقة ومناخها وقربها من مدينة لبدّة لا بد وأن كان لها الدور الأكبر في عملية أنتاج الزيت وغيرها من الأشجار وكانت ضمن المناطق المستهدفة

¹ ب . هـ . ورمفتن ، تاريخ ولايات شمال أفريقيا الرومانية من عهد الإمبراطور دوقلديانوس حتى الاحتلال الوندالي ، ترجمة عبدالحفيظ فضيل الميار ، طرابلس 1994 ، ص 92 .

² جيبون ، إدوارد ، إطمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، ترجمة ، محمد علي أبو ذرة ، ج 1 ، النهضة المصرية ، 1997 ، ص 76 .

³ مناع ، محمد عبدالرزاق ، إفريقيش فاتح القارة الإفريقية ، د . ت ، ص 23 .

⁴ سارتون ، جورج ، تاريخ العلم ، ترجمة : مصطفى زيادة ، ج 5 ، مؤسسة فرانكلين ، القاهرة ، 1971 ، ص 304 .

⁵ قديدة ، رمضان أحمد ، ليبيا في عهد الأسرة السيفيرية ، مجلد ليبيا في التاريخ ، الجامعة الليبية ، مجلة الأولى دار المشرق ، بيروت ، 1968 ، ص 153 .

⁶ ديورانت ، ول ، قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، ج 9 - 10 - 11 ، دار الجبل ، بيروت ، 1988 ، ص 229

بالدرجة الأولى لمدينة لبددة في عملية التصدير ، ربما يستدل بالجزية السنوية التي فرضها القائد الروماني يوليوس قيصر على مدينة لبددة والتي قدرت بحوالي ثلاثة ملايين رطل من الزيت ، في حروبه ضد بومبي بشمال أفريقيا على أثر احتضان المدينة للأخير ، حيث ذكر بعض المؤرخين أن الجزية كانت مدينة لبددة الكبرى لوحدها ولم تشترك فيها مدينتي أوبا وصبراته ، وبذلك ليس من المعقول أن تكون المزارع القريبة من المدينة وحدها من تغطي احتياجات المدينة من الزيت ، ومن هنا نرجح أن مسلاته وضواحيها كانت على رأس المناطق التي ساهمت لاشك إسهاماً كبيراً في توفير القدر الأكبر من زيت الزيتون¹ ناهيك عن الهدية التي قدمها أهالي المدينة من الزيت إلى الإمبراطور سبتيوس أثناء زيارته إلى المدينة² .

أما بالنسبة لأشجار النخيل فقد تمتعت المنطقة بزراعة هذا النوع من الأشجار وربما لكثرة هذه الأشجار أجبرت المؤرخين على تسمية المنطقة باسم وادي الثمر³ حيث كانت ثماره تعد الغذاء الجيد الذي يعتمد عليه البدو في حياتهم الأمر الذي جعلهم يجتهدون في زراعته ويحرصون على جني ثماره في مواسمه ، من خلال الصور التي ألتقطها الباحث شكل (10).

ولم تكن زراعة الحبوب من القمح والشعير أقل أهمية من أشجار الزيتون والنخيل ، بل أنها دعامة من الدعائم الأساسية للحياة الاقتصادية في مسلاته بصفة خاصة والإقليم بصفة عامة ، لكونها تشكل المصدر المهم والرئيس للغذاء⁴ ، فقد اشتهرت منطقة مسلاته وضواحيها بزراعة الحبوب مثلها مثل غيرها من المناطق ، إلا أنه لم تتوفر لدينا المعلومات الكافية عن مقدار إنتاج المنطقة من هذه الزراعة وإنما أشار المؤرخين القدامى أن أفريقيا تحتل مركز الصدارة في تصدير الحبوب إلى روما دون تحديد كميات إنتاج كل منطقة⁵ .

¹ الميار ، عبد الحفيظ فضيل ، المرجع السابق ، ص 316 .

² إنديشه ، أحمد محمد ، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث ، المرجع السابق ، ص 133 .

³ Herodotus . iv . p . 173 .

⁴ نصحي ، إبراهيم ، تاريخ الرومان ، الجزء الثاني ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1998 . ص 726

⁵ إنديشه ، أحمد محمد ، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث ، المرجع السابق ، ص 145 .

ومما يؤكد هذه الزراعة في المنطقة فقد أشار هيرودوت بأن المنطقة المحيطة بوادي كينوبس (Cinups) ، تميزت بتربة خصبة صالحة لزراعة جميع أنواع الحبوب¹ ودعم الميار هذا الرأي بقوله إن إنتاجها كان يعادل إنتاج منطقة بابل² ، ونتيجة الاهتمام بالزراعة فقد أدخلت العديد من التحسينات على المعدات الزراعية ، ولأن طبيعة المنطقة الجبلية وصعوبة استغلالها فقد استبدل المحراث الخشبي بالسكة الحديدية³ الأمر الذي زاد من فرص استغلال الأراضي الزراعية ووسع من مساحتها بالمنطقة ، حيث استغلت بعض الحيوانات في حراثة الأرض من ذوات الأظلاف التي تتحمل الأحجار . ومن الدلائل على وجود هذه الزراعة بالمنطقة وجود العديد من مطاحن الحبوب اليدوية الصغيرة ، والتي يستخدمها السكان في كافة أرجاء المنطقة والتي استمرت حتى فترات متأخرة بين أهاليها ، وأنها لا تختلف في شكلها تماماً عما كان في السابق ، حيث سيأتي الحديث عنها بشيء من التفصيل عند الحديث عن الصناعة .

ولم تكن منطقة مسلاته فقيرة النباتات الطبيعية المثمرة واعتمدت على ما زرعه الأهالي والفينيقيون والرومان ، بل ساهمت إسهاماً كبيراً في اقتصاد المنطقة وتوفير الغذاء ، مثل أشجار أو نباتات شوكيه أطلق على ثمارها اللوتس والتي تعد من ألد الثمار وتعد من الأغذية التي اعتمد عليها السكان إلى حد كبير، ومما يؤيد هذا ، وصف هيرودوت لهذه النباتات ، وكثرتها بالمنطقة لكثرة سقوط الأمطار وأن ثمارها تشبه الرطب وذكر من يأكل اللوتس ينسى بلدة ويبقى في بلاد اللوتس حيث كان قوام طعام اللوتساجيين على حد قوله ويصنعون منه الخمر كما سيأتي الحديث عن الصناعات بالمنطقة⁴ .

ولا يمكن أن نخفي زراعة أشجار اللوزيات وأشجار الفاكهة بالمنطقة ، فلا بد وأنها كانت تزخر بها المنطقة في تلك الفترة ناهيك عن أشجار التين وغيرها من الأشجار التي تتلاءم وطبيعة

¹ هيرودوت ، الكتاب الرابع ، الكتاب السكيتي ، ترجمة ، محمد المبروك الذويب ، جامعة قاريونس ، بنغازي ، 2003 ، ص 133 .

² EL MAYER . A . f . TRIPITANOIA AND THE ROMAN EMPIRE (B . C 47 – D . 235)
MARKAZ JIHAD AL LIBYIN – STUDIES CENTRE . SOCIALIST PEOPLE'S LIBYAN ARAB
JAMAHIRIYA Series . No . 8 . 1997 . p . 189

³ - دي . سانج ، البربر الأصليون ، تاريخ أفريقيا العام ، ج 2 ، ص 434 .

⁴ - Herodotus . ITI . p . 177

المنطقة ومناخها ، ويصف هيرودوت تل الحسان مسلاته بأنه عامر بالغابات⁵، ما يؤكد ذلك لوكان بأن الأشجار الخضراء توجد في كل أنحاء ليبيا⁶، كما توجد بعض النباتات الأخرى في الإقليم ومنها نبات الطرفا*، كذلك السفت وهو يشبه الرتم ، ونبات ألاس وهو نبات عطري⁷ ، ناهيك عن الزيتون البري والعرعار⁸، وحب العزيز وهو من أنواع الفاكهة التي تنمو تحت الأرض لها مذاق يشبه اللوز⁹ .

- **حرفة الرعي** : لعبت حرفة الرعي وتربية الحيوانات دوراً كبيراً في حياة السكان واقتصادهم تلك الفترة ، وربما الذي ساعدهم على ذلك هو طبيعة المنطقة الجبلية وكثرة مراعيها ووفرة طبقات المراعي و الحشائش التي تعيش عليها حيوانات الرعي . كما ذكر هيرودوت أن ساحل ليبيا من مصر وحتى بحيرة ترنتيوس سكنه قوم رحل رعاة يعيشون على اللحم والحليب¹⁰ غير أن بعض الباحثين ، الميار ومحمد المزالي ، يروا أن القبائل الليبية أراضيها وحدودها المعروفة لم تكن رحل إلا بصورة محدودة وأنهم عاشوا حياة الاستقرار وعرفوا الزراعة والرعي قبل مجي الفينيقيون إلى المنطقة¹¹، وقد كانت من بين الحيوانات التي ترعى في المنطقة لا للحصر ، البقر الوحشي والضباء والأغنام والماعز والخنزير البري والنعام¹²، ناهيك عن الدواب من نوات الأظلاف أو الحوافر التي لاشك وأنها كانت الوسيلة الأساسية لعملية التنقل داخل المنطقة وذلك لصعوبتها

⁵ - هيرودوت ، تاريخ هيرودوت ، منشورات جيل الغضب ، د . ت ، ص 361 ص 367 .

⁶ Lucan . ix . p . 530 .

* - وهو نوع من الأكل كان يخلط مع القمح لإنتاج العسل الصناعي ، ينظر ، صالح يونس عبد النبي ، ليبيا وجدورها الحضارية والثقافية الموعلة في القدم ، مجلة آثار العرب ، العددان 7-8 ، مصلحة الآثار ، طرابلس ، 1993 . ص 38 .
⁷ - هيرودوت ، الكتاب السكيثي ، المرجع السابق ، ص 132 .

⁸ - هلمون ، كانتر ، ليبيا دراسة في الجغرافية الطبيعية ، ت ، عبد القادر مصطفى المحيشي ، مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية ، 2002 ، ص 89 - 91 .

⁹ - ليو الأفريقي ، وصف أفريقيا ، ت ، محمد صبحي ، ج2 ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، 1982 ، ص 91 .
¹⁰ - I bid . p . 186 .

¹¹ - الميار ، عبد الحفيظ فضيل ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ، ص 55 ، وكدا ، أندريه شارل جوليان ، المرجع السابق ، ص78.

¹² - هيرودوت ، الكتاب السكيثي ، المرجع السابق ، ص 130 .

الجبلية وربما استخدمت أيضاً في عمليات نقل البضائع ، ومن المؤكد أنها استخدمت في الزراعة وفلاحة الأراضي¹ .

كما ذكر هيرودوت في الوقت ذاته أن منطقة ليبيا مشهورة بتربية الأغنام ووصفها بأنها تلد ثلاث مرات في العام² حيث كانت تربي الأغنام من أجل لحومها وألبانها وأصوافها³ لأن الرومان فضلوا نسيج الصوف عن غيره من المنسوجات.⁴ في الوقت الذي تربي فيه الأبقار والماعز من أجل ألبانها وجلودها. في الوقت الذي استخدمت فيه الثيران والحمير من أجل الحرث والنقل وغيرها⁵ ، ولم يكن في وسع الرومان المفاضلة بين حرفتي الزراعة والرعي بل عملوا جاهدين على استغلال كلاً منها إلى أقصى حد لأن الواحدة منها مكتملة للأخرى في الحياة الاقتصادية ، فقد عمل الرعاة والملاك على تربية الكلاب وذلك لعدة أغراض منها الصيد والرعي كحراسة القطعان خوفاً من الحيوانات المفترسة التي كانت تعج بها المنطقة وضواحيها⁶ ، وربما كثافة الغطاء النباتي كان سبباً في وجود الحيوانات المفترسة التي اعتمد عليه الرومان في الفرجة واللهو⁷ ،

- **حرفة الصيد** : وهي الحرفة المكتملة للرعي ، ولطبيعة المنطقة الجبلية ، لا بد وأن ممارسة حرفة الصيد البري في هذه المنطقة والتي عُدت مصدراً مهماً من مصادر الثروة الاقتصادية في العصر الروماني .

وقد مارس أصحاب الضياع في المنطقة صيد بعض الحيوانات البرية كالأرانب والطيور وغيرها⁸ . وربما استخدمت حرفة الصيد عند كبار الأعيان للتسلية والاستمتاع أوقات الفراغ . وقد تفنن هؤلاء الصيادون في طريقة الصيد بعدت طرق أما بالرمح أو بالسهم وأخرى بكلاب الصيد .

¹ - Herodotus . ITI . p . 192

² - إنديشه ، أحمد محمد ، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث ، المرجع السابق ، ص 127 .

³ - نصحي ، إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 209 .

⁴ ديورانت ، ول ، قصة الحضارة ، المرجع السابق ، ص 159 .

⁵ - نصحي ، إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 209 .

⁶ النمس ، محمود عبدالعزيز ، محمود الصديق أبو حامد ، دليل متحف الآثار بالسرايا الحمراء ، طرابلس ، الدار العربية للكتاب ، 1977 ، ص 111 .

⁷ - كسيل اسطيفان ، حيوانات ونباتات شمال أفريقيا في العهود العتيقة ، ترجمة ، محمد التازي مسعود ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، العدد 8 ، جامعة سيدي حمد بن عبد الله ، فاس ، 1986 ، ص 128 .

⁸ - إنديشه ، أحمد محمد ، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث ، المرجع السابق ، ص 152 .

واستخدام الشباك وتوجد العديد من الأدلة على أهمية وطرق الصيد ولعل من بينها منحوتات قرزة التي توضح فارساً ممتطياً جواداً وأمامه كلب الصيد يطارد أرنباً وفي الجهة اليسرى أرنباً لآد بالفرار⁹ وبذلك لا بد أن منطقة مسلاته وضواحيها حضت بمثل ذلك لاشك .

- **بعض الصناعات التي ازدهرت في المنطقة:** هذا إلى جانب الزراعة والرعي وتربية الحيوانات والصيد ازدهرت في المنطقة عدة صناعات مارسها السكان ، شملت الصناعات الغذائية والفخارية وغيرها .

- **صناعة زيت الزيتون :** لاشك أين ما وجدت أشجار الزيتون ؛ لا بد من وجود معاصر للزيت والتي لازالت آثار هذه المعاصر منتشرة في الإقليم وخاصة في منطقة مسلاته وضواحيها وترهونه حيث يربو عددها حوالي 1500 معصرة تقريباً¹⁰ ، وربما زاد عددها في المناطق التي لم تكتشف . وخير دليل على ذلك معصرة الزيتون التي عثر عليها بمنطقة الشعافيين كما في الشكل (9) .

وقد استغلّت ثمار الزيتون في الطب لعلاج آلام الرأس وتقلص العضلات وتخفيف درجة الحرارة وغيرها من الأمراض التي استخدم الزيت لعلاجها ، كذلك للتدليك¹¹ وغيرها كما سبق الإشارة إليه وبذلك جاءت هذه الصناعة التي لاشك وأن الرومان اعتمد عليها اعتماداً كلياً .

أما بالنسبة لصناعة الخبز وغيرها فأرجح أنها كانت موجودة في المنطقة كيف لا ؟ والمواد الخام لها يزرع في المنطقة ذاتها من الحبوب والشعير ، حيث تتم هذه الصناعة بعد حصاد المحاصيل من القمح والشعير ويتم درسها بواسطة الدواب حتى ينفصل الحب من سنبله¹² ، وخير دليل على ذلك ما أوضحته فسيفساء دار بوك عميرة "رجلاً يقود ثورين ورجلين يقودان حصانين " ¹³ وبعد الانتهاء من هذه العملية توضع الحبوب في مطاحن يدوية صغيرة صنعت من حجر البازلت الأسود مكون من طبقتين دائرية ، حيث توجد بالطبقة السفلى وتد مثبتة بالمنتصف أما الطبقة العليا فيكون

⁹ - إنديشه ، أحمد محمد ، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث ، المرجع السابق ، ص 152 .

¹⁰ الميار ، عبدالحفيظ فضيل ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ، ص 188 .

¹¹ - المرجع نفسه .

¹² - عيسى ، محمد علي ، الحياة العامة في المدن الليبية القديمة أثناء الاستعمار الروماني ، من خلال بعض نماذج

الفسيفساء ، ص 107

¹³ النمس ، محمود عبدالعزيز ، محمود الصديق أبو حامد ، المرجع السابق ، ص 83 .

فيها ثقب من المنتصف بحيث يسهل تثبيتها على الأخرى ومثبت على العليا وتد يسهل عمليه دورانها على السفلى.

كذلك صناعة النبيذ الذي يعد الشراب اليومي لشعوب العالم القديم ولا بد أن هذه الصناعة لاقت رواجاً كبيراً ذلك الوقت ومما دعم ذلك وجود المواد الأولية لازدهار هذه الصناعة مثل أشجار كروم العنب التي انتشرت زراعتها في مناطق الظهير الزراعي لمدينة لبد¹ وربما جاء هذا التشجيع من الأباطرة الرومان لتوسيع زراعة كروم العنب نظراً لشغفهم وحبهم للنبيذ . ودليل هذا كميات النبيذ الكثيرة التي تصدر إلى روما والذي يعد من أجود الأصناف الممتازة² . حيث كان للنبيذ عدة أنواع ، منها ما يصنع من كروم العنب ومنها ما يصنع من ثمار اللوتس ، ومنها ما يصنع من حب الرمان الذي يعرف بالخمير السكري³ .

أما بالنسبة لصناعة النسيج وغيره واستناداً إلى أن المنطقة جبلية وبها غابات وتوجد بها حيوانات ، لا بد وأن تكون هناك صناعة النسيج من صوف الأغنام الذي فضله الرومان عن غيره من المنسوجات ، والتي لاشك بأن استخدموا لصباغتها نبات النيلة الذي اشتهرت قبيلة الجرامنت بزراعته ، كذلك استخدموا لدباغة الجلود قشرة الرمان الغير ناضجة وصباغة الأقمشة كما استخدمها الأطباء في العلاج⁴ .

أما على صعيد الصناعة الفخارية فلا بد من أنها كانت منتشرة بالمنطقة وضواحيها ؛ كيف لا والمواد الخام للصناعة موجودة في المنطقة ، والدليل على ذلك بقايا مصانع الفخار والقطع الفخارية التي عثر عليها بالمنطقة بمختلف أنواعها مند العصر الفينيقي وحتى فترات متأخرة من العصر الروماني ، ناهيك عن الصناعات الحجرية والخشبية ، وبعض الصناعات المستعملة في الزراعة والتي صنعت من نبات الحلفة المنتشر في المنطقة وضواحيها .

الخاتمة

¹ الشريف ، عمران محمد ، إقليم المدن الثلاث في العصر الروماني ، دراسة تاريخية لتطور الإنتاج الزراعي ، من سنة 47 ق.م - 235 م ، رسالة ماجستير غير منشوره ، 2006 ، ص 69 .

² - نصحي ، إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 726 .

³ - plinu . lvxxx .

⁴ - I dem .

من خلال هذا العرض لهذه الدراسة يتضح أن الموارد الاقتصادية بمختلف مواردها كانت أساس الإستقرار للتجمعات السكانية التي بدورها أقامت الحضارات وأنشئت المدن وعلى الرغم من أن مدينة مسلاتة كانت كظهير زراعي لمدينة لبدية ويغلب على طبيعتها الهضاب والجبال إلا أنه كان لها دور ريادي حسب ما تطرقت إليه الدراسة في مساندة مدينة لبدية عند محنتها باعتبارها لعبت دوراً مهماً في الحياة الاقتصادية من خلال موقعها الذي أعطى لها المقدرات الطبيعية وترتبتها الخصبة التي تماشت وطبيعة النباتات المثمرة ناهيك عن الحبوب وغيرها ، كذلك وقد أعطاهم مركزاً يربط بين لبدية عاصمة الإقليم والمناطق الجنوبية التي تعج بما تحتاج إليه العاصمة ، ناهيك عن الموارد الاقتصادية التي لا شك أنها اختلفت من صنف إلى آخر، من أشجار تمثلت في الزيتون والنخيل والرمان وكروم العنب وغيرها ، كذلك الحبوب من القمح والشعير أيضاً ؛ وفرت أكبر قدر ممكن من المراعي التي كانت سنداَ لانتشار حرفة الرعي في المنطقة والذي بدوره وفر الماء والكأ لانتشار مختلف الحيوانات التي أصبحت مورداً مهماً للحوم عن طريق الصيد ، كذلك الفرجة واللهم عند الرومان.

ونظراً لما تميزت به المنطقة من غطاء نباتي ، ذلك راجع إلى مناخ المنطقة المعتدل الذي ينطوي ضمن مناخ المتوسط . وهذه الخاصية جعلت المنطقة تحظى بأكثر قدر من مياه الأمطار الأمر الذي وطد الأهالي للسكن وساعد على الزراعة انطلاقاً من مبدأ ؛ لاستمرار الحياة لابد وأن تكون مصادر المياه موجودة .

وهذا الأمر يحدو بنا إلى أن هذا المورد دفع السكان من الأهالي ومن الفينيقيين والرومان معاً في التفكير بشكل جدي للاستفادة من هذا المصدر وإقامة المشاريع الزراعية عليها وتوسيع أراضيها. ولم تكن الصناعة أقل أهمية بالمنطقة حيث تعددت فيها الصناعات وهذا لم يأت من محض الصدفة أو من بنات الأفكار وإنما اعتماداً على اللقي الأثرية وبقايا مصانع الفخار والطين والأحجار من مصاطب لمعاصر الزيتون والقوارير والمصابيح التي تعج بها المنطقة وضواحيها ، ناهيك عن صناعة الأواني سواء أكانت من الفخار والطين أو من نبات الحلفاء والديس وسعف النخيل ، كذلك الصناعات الغذائية مثل زيت الزيتون والدقيق وغيرها وصناعة النسيج والأدباغ وغيرها .

قائمة المصادر والمراجع

- أولاً : المصادر :

- المصادر الكلاسيكية :

Herodot . History

Pliny . Natural History L C.L

- المصادر العربية المترجمة :

- هيروdot ، تاريخ هيروdot ، منشورات .

- هيروdot ، الكتاب الرابع ، "الكتاب السكتي" ، ترجمة ، محمد المبروك الذويب ، جامعة قاريونس ، بنغازي ، 2003.

- طه باقر ، لبدة الكبرى ، منشورات مصلحة الآثار، طرابلس ، د.ت.

- ليو الأفريقي ، وصف أفريقيا ، ت، محمد صبحي ، ج2 ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، 1982.

- المراجع العربية :

- إبراهيم نصحي ، تاريخ الرومان ، ج2 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1998.

- أحمد صفر ، مدينة المغرب العربي في التاريخ ، ج1 ، أبو سلامة ، تونس، 1959.

- أحمد محمد إنديشة ، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث ، دار الجماهيرية ، مصراتة ، 1993.

- إدوارد جيبون ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، ت، محمد علي أبو درة ، ج1 ، النهضة المصرية ، 1999.

- البرغوثي ، عبد اللطيف أحمد ، التاريخ الليبي القديم ، الجامعة الليبية ، بيروت ، 1971.

- الهادي محمد بولقمة ، مدخل عام ، الجماهيرية دراسة في الجغرافية ، الدار الجماهيرية ، 1995.

- ب.ه ، ورمنقتن ، تاريخ ولايات شمال أفريقيا الرومانية من عهد الإمبراطور دقلديانوس حتى الاحتلال الوندالي ، ترجمة ، عبد الحفيظ فضيل الميار، طرابلس ، 1994.

- جميل هلال ، دراسة في الواقع الجغرافي الليبي ، مكتبة الفكر، طرابلس 1967

- جورج سارتون ، تاريخ العلم، ت، مصطفى زيادة ، ج5 ، مؤسسة فرانكلين ، القاهرة ، 1971.

- دي . هاينز ، دليل تاريخ وآثار منطقة طرابلس ، دار الفرجاني ، طرابلس، 1965.

- دي سانج ، البربر الأصليون ، تاريخ أفريقيا العام ، ج2 ، د.ت.
 - رجب عبد الحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم ، جامعة قاريونس ، 1994.
 - رمضان أحمد قديدة ، ليبيا في عهد الأسرة السيفيرية ، مجلد ليبيا في التاريخ ، الجامعة الليبية ، بيروت ، 1968.
 - شارل أندريه جوليان ، تاريخ أفريقيا الشمالية ، ت، البشير أبو سلامة ، محمد مزالي ، الدار القومية ، 1969.
 - عبد الحفيظ فضيل الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 2001.
 - عبد العزيز طريح شريف ، جغرافية ليبيا ، الإسكندرية ، 1963.
 - عبد العزيز حجازي، روما وأفريقيا من نهاية الحرب البونية الثانية إلى عصر الإمبراطور أغسطس (202 ق.م - 14م)، القاهرة 1980م.
 - كانتر هلمون ، ليبيا دراسة في الجغرافية الطبيعية ، ترجمة ، عبد القادر مصطفى المحيشي ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 2002ف.
 - للافيو فينياواولين بروغان ، السدود الرومانية في وادي المجينين ، ليبيا القديمة ، مج 2 ، روما 1965.
 - محمد عياد مقلبي ، المناخ (الجماهيرية دراسة في الجغرافية) ، الدار الجماهيرية ، 1995.
 - محمود الصديق أبوحامد ، مظاهر الحضارة الفينيقية في طرابلس ، مجلد ليبيا في التاريخ ، الجامعة الليبية ، بيروت ، 1968.
 - مصطفى كمال عبد العليم ، دراسات في تاريخ ليبيا القديمة ، منشورات الجامعة الليبية ، بنغازي 1968.
 - محمود عبد العزيز النمى ، محمود الصديق أبو حامد ، دليل متحف الآثار بالسرايا الحمراء ، طرابلس ، الدار العربية للكتاب ، 1977.
 - ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ت ، محمد بدران ، ج 9-10-11 ، دار الجبل بيروت ، 1988.
 - كسيل اسطيفان ، حيوانات ونباتات شمال أفريقيا في العهد العتيقة ، ت ، د . ت .
- ثالثاً الدوريات :**
- محمد عبد الرزاق مناع ، إفريقيش فاتح القارة الإفريقية ، د. ت .

- محمد التازي مسعود ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، العدد 8 ، جامعة سيدي حمد بن عبد الله ، فاس ، 1986.
- المؤتمر الثالث للآثار ، النقائش والرسوم الصخرية في الوطن العربي ، المجلة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، طرابلس ، 1997.
- محمد علي عيسى ، الحياة العامة في المدن الليبية القديمة أثناء الاستعمار الروماني ، من خلال بعض نماذج الفسيفساء ، مجلة آثار العرب ، العدد الأول ، 1990
- صالح يونس عبد النبي ، ليبيا وجذورها الحضارية والثقافية الموهلة في القدم ، مجلة آثار العرب العددان 7- 8 ، مصلحة الآثار ، طرابلس ، 1993.
- الرسائل العلمية :
- أحمد محمد انديشة ، الحياة الاجتماعية في المرفئ الليبية الغربية وظهرها في ظل السيطرة الرومانية ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، 2000.
- حميدة كتيبي ، المنشآت الاقتصادية الزراعية والتجارية في مدينة لبداء الكبرى خلال العصر الروماني ، "(47 ق.م ، 305 م) رسالة ماجستير غير منشورة ، 2005-2006 ف.
- سعدية سرقين ، أهمية نوميديا الاقتصادية بالنسبة للرومان ، 46 ق.م إلى نهاية القرن الثاني الميلادي ، جامعة عين شمس ، رسالة ماجستير غير منشورة ، 1983.
- عمران محمد الشريف ، إقليم المدن الثلاث في العصر الروماني ، دراسة تاريخية لتطور الإنتاج الزراعي من سنة 47 ق.م . 235 م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، 2006..
- محمد محمود أبو عائشة ، الأبعاد الجغرافية للأنشطة الريفية بمنطقة مسلاته، رسالة ماجستير غير منشورة 2005 ف.
- المراجع الأجنبية :
- kanter. H1967. Libyan – Libya . Berlin .p.78-81 D espeisand , Raynal
1967 Geogra phiedel Alrrgeda Nord. Oust , paris .p.252.
- EL Mayaeear , A, F, Triplt AnoA and The Roman Empire (B. C47 – D235) Markaz Jihadal Libyan – Studie Centre , soclaist peoples Libyan Arab Jamahiriya series No8,1997.

الملاحق



شكل (1- أ)



شكل (1- ب)

يوضحان مجموعة من الآبار والعيون والقنوات التي اعتمد عليها كجزء من مصادر المياه





شكل (2)

يوضح مجموعة من عيون المياه الموجودة بمنطقة وادي بن تاجوراء والمنتشرة في
مختلف أنحاء المنطقة



شكل (3 - أ)

يوضح خزان من المياه وصهريج مقامان على عين مياه موجودة بمنطقة الزعفرانية





شكل (3 - ب)

يوضح سعة الخزان و فوهته والمواد التي استخدمت في هذا تصميمه



شكل (4)

يوضح مجموعة من آبار المياه الجوفية



شكل (5)

يوضح الآبار الاسطوانية التي طليت بمادة مخلوطة من الحصي الصغيرة والكسر الفخارية الصغيرة وقطع القرميد التي تمنع تسرب المياه والاحتفاظ بها لفترة طويلة



شكل (6)

يوضح نوع من بناء صهاريج الري على شكل قبوات مبنية بالحجارة ومطلية بطبقات من الفخار والطين المعجون بالماء حيث تختلف مساحتها من مكان إلى آخر وتوجد بها العديد من الفتحات الغاية والغرض منها تصريف مياه الري



شكل (7)

يوضح نوع من السدود النصف دائرية التي تمثل درجة متقدمة من البناء المعماري في طريقة إنشاء السدود التي تعمل على تقليل ضغط المياه وتوجيهها حسب الحاجة



شكل (8)

يوضح مزرعة رومانية محصنة وبها قصر روماني وحوله مجموعة من الحجرات المنهارة مع
تداول فترة الزمن





شكل (9)

يوضح معصرة رومانية موجودة بمنطقة الشعافيين وهذا المنظر يدل على الدقة المعمارية لطريقة
عصر ثمار الزيتون التي تشتهر بها المنطقة وقريناتها





شكل (10)

يوضح مزارع أشجار النخيل التي لا تزال حتى الآن بمناطق قصر الجديد والزعفرانية وبن تاجوراء وربما من هنا جاءت تسمية المنطقة بوادي التمر

توزيع السكان وكثافتهم في منطقة سوق الخميس

د. أنور عمر عبد السلام أبوشينة

المقدمة

تعد دراسة توزيع السكان من أكثر عناصر الدراسة السكانية قربا إلى الجغرافيا، وبعدا عن الديموجرافيا، كما تعد خريطة توزيع السكان واحدة من أهم ثلاث خرائط في الدراسات الجغرافية إلى جانب خريطة المطر والتضاريس⁽¹⁾، ولذلك يولى الجغرافيون اهتماما خاصا في دراساتهم السكانية بهذا العنصر الذي يبرزون من خلاله العلاقة بين السكان والبيئة التي يعيشون فيها⁽²⁾ مستخدمين في ذلك الخرائط التي توضح نمط الانتشار السكاني وتباينه مكانيا وزمانيا.

وتأسيساً على ما تقدم، فقد تم في هذا البحث تحليل الصورة التوزيعية للسكان في منطقة سوق الخميس وإبراز تبايناتها المكانية والزمانية، وذلك بتطبيق العديد من المقاييس الكمية، منها التوزيع النسبي للسكان، ونسبة التركيز السكاني، ودليل التركيز، و دليل إعادة توزيع السكان، ومركز الثقل السكاني، وأخيرا دراسة الكثافة الحسابية والزراعية والاقتصادية.

وتعد دراسة توزيع السكان وكثافتهم من الموضوعات المهمة في دراسة جغرافية السكان لما تعكسه من حقائق جغرافية وديموغرافية بما يخدم التخطيط والتنمية، وتهدف دراسة توزيع السكان بالمدن الى الكشف عن سبل تنظيم السكان داخل المساحة العمرانية المتاحة لهم، كما توضح دراسة الكثافة العلاقة بين أحجام السكان والمساحة العمرانية التي يشغلونها وتتأثر صورة هذا التوزيع - خاصة داخل المناطق الحضرية- باستخدام الأراضي وأسعارها ومدى توافر الخدمات.

منهجية الدراسة:

تعتمد الدراسة على المناهج الحديثة في الدراسات المكانية، وهي منهج التحليل المكاني باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، ومن ثم إجراء التمثيل الكارتوغرافي لنتائج التحليل المكاني،

¹ - محمد السيد غلاب، محمد صبحي عبد الحكيم، السكان ديموغرافيا وجغرافيا، الطبعة الرابعة مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1978م، ص 195.

² - عبد الحميد غنيم، التوزيع الجغرافي لسكان الإمارات العربية المتحدة، المجلة الجغرافية الكويتية، العدد (97)، الكويت، ١٩٨٧ م، ص ٥.

والمنهج الرياضي التحليلي، فضلاً عن المناهج التقليدية المعروفة مثل المنهج الوصفي الاستقرائي والمنهج التاريخي.

أهداف الدراسة:

- يهدف هذا البحث إلى إعطاء فكرة عن سكان منطقة سوق الخميس.
- تحليل التوزيع الجغرافي للسكان من حيث توزيعهم العدديّ، والنسبيّ، والكثافيّ، ومدى تغير هذا التوزيع من 1973 إلى 2006م.
- إعداد مجموعة من الخرائط والرسوم البيانية التي توضح بشكل يسير للقارئ الصورة التي عليها السكان في المنطقة .
- إبراز أهم المشكلات السكانية بالمنطقة ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة لها.

تساؤلات الدراسة:

- وفي ضوء هذه الأهداف أمكن صياغة التساؤلات الآتية التي حاول البحث الإجابة عنها:
- س1/ ما النمط الذي يتوزع به السكان في منطقة الدراسة؟، وأين توجد المناطق التي تتميز بالكثافات السكانية المرتفعة؟، وما الظواهر المكانية المؤثرة في ذلك التوزيع؟
- س2/ هل تغير التوزيع الجغرافي للسكان خلال الفترة من 1973 إلى 2006م في منطقة سوق الخميس؟ وهل تمت إعادة توزع السكان بشكل متوازن؟؟
- س3/ هل بقيت محلات الشمال تضم أكبر نسبة من سكان سوق الخميس؟

منطقة الدراسة (الحدود المكانية) :-

تتطابق الحدود المكانية للدراسة مع الخريطة الادارية لمنطقة سوق الخميس فتمتد فلكياً ما بين دائرتي عرض 32.26 - 32.37 درجة شمالاً بين خطي طول 14.13 - 14.26 شرقاً، وجغرافياً يحدها من الشمال البحر المتوسط، ومن الجنوب الحدود الطبيعية للعمامرة . أما من الشرق فوادي كعام، ومن الغرب وادي لبدة، وبذلك فهي تشغل مساحة تقدر بحوالي (446 كم²) وتوضح الخريطة رقم (1) موقع المنطقة.

خريطة رقم (1) الموقع الجغرافي لمنطقة سوق الخميس



المصدر: من إعداد الباحث استناداً إلى المخطط التنظيمي لشركة بولسيرفس رقم 33، 2000، ص1.

اولا- توزيع السكان:

1- تطور التوزيع العددي والنسبي لسكان منطقة سوق الخميس:

يوضح الجدول رقم (1) التوزيع العددي للسكان في محلات المنطقة للتعدادات (1973-1984-1995-2006 م)، ويمكن إبراز بعض اتجاهات التغيير في توزيع السكان والتي يمكن تلخيصها في الآتي:

جدول رقم (1) التوزيع العدد للسكان في منطقة الدراسة للسنوات 1973-2006م

2006		1995		1984		1973		المحلة
%	عدد السكان	%	عدد السكان	%	عدد السكان	%	عدد السكان	
10.1	8182	10.1	6741	11.4	5316	14.1	4053	الحمام
13.5	10884	12.5	8297	12.2	5692	11.1	3273	سيدي خليفة
15.1	12231	15.6	10376	15.7	7305	14.1	4050	المعقولة
16.7	13521	16.4	10916	15.0	6980	13.8	3957	الوادي
15.1	12246	16.6	11047	17.2	8028	17.4	4989	بندار
21.7	17530	19.0	12685	19.6	9132	19.5	5578	كعام
7.8	6289	9.2	6453	8.9	4117	9.6	2747	قوقاس
%100	80883	%100	66515	%100	46570	%100	28647	المجموع

المصدر:-

- مصلحة الإحصاء والتعداد، النتائج النهائية لتعدادي 1995 - 2006م.

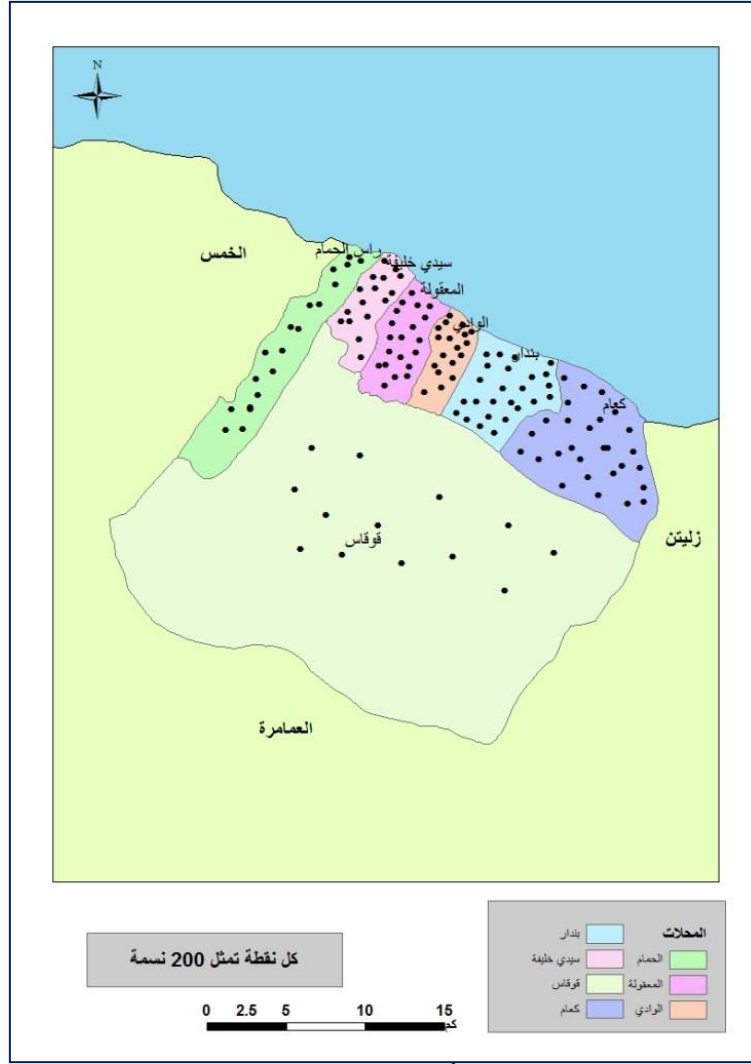
- تم حساب النسب المئوية من قبل الباحث.

1- يتفاوت توزيع السكان بين المحلات العمرانية بالمنطقة، فنجد سيطرة محلة كعام وبندار بالمرتبة الأولى من حيث نسبة عدد السكان إذ تبلغ كل منها (19.5% - 17.4%) على التوالي من جملة عدد السكان المنطقة حسب تعداد 1973م، وفي نفس الوقت احتلت المحلات (الحمام - المعقولة - الوادي - سيدي خليفة) المرتبة الثانية حيث بلغت نسبة كل منها (14.1% - 14.1% - 13.8% - 11.4%) على التوالي من إجمالي عدد السكان بالمنطقة.

واحتلت محلة قوقاس المرتبة الثالثة فكانت نسبتها (9.6%) من جملة سكانها، أنظر

الخريطة رقم (2).

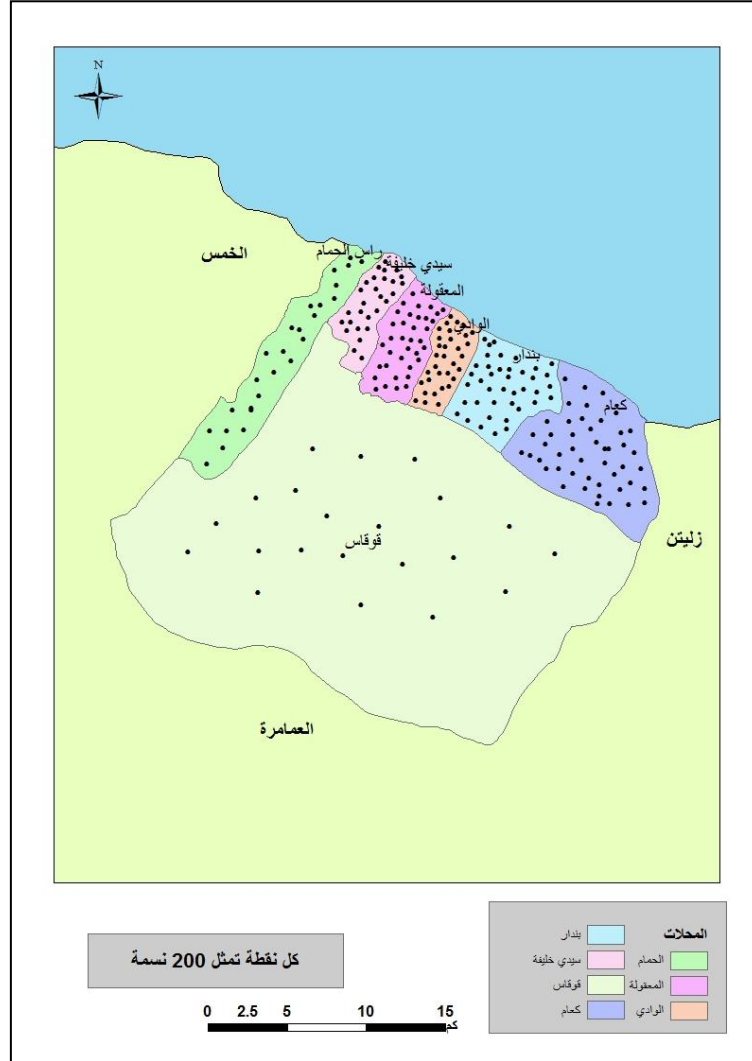
خريطة رقم (2) توزيع السكان في منطقة الدراسة لعام 1973م



المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على بيانات الجدول رقم (1)

أما التوزيع العددي للسكان على مستوى محلات المنطقة لتعداد 1984م، فيوضحه الجدول رقم (1) وفيه يبين أن جميع محلات المنطقة تميزت بنمو سكاني ما عدا (الحمام و قوقاس)، حيث انخفضت نسبتهم (11.4%، 8.9%) على التوالي عما كانت عليه عام 1973م، حيث نجد أن محلة كعام وبندار احتلت المرتبة الأولى وشكلت نسبة (19.6%، 17.2%) على التوالي.

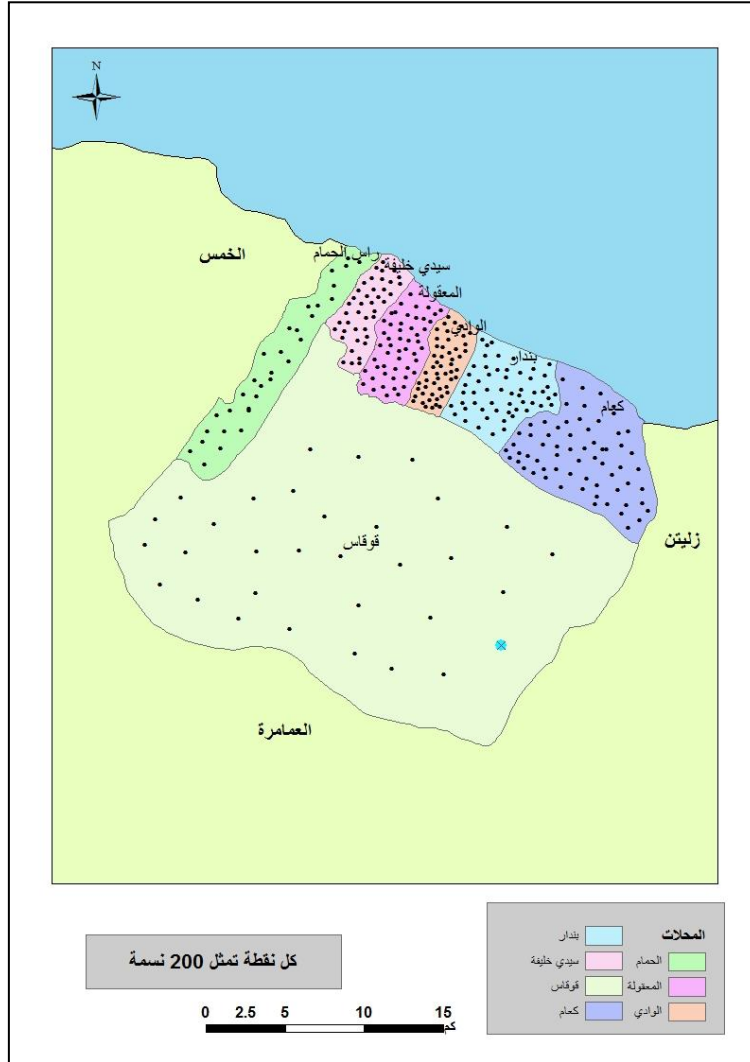
خريطة رقم (3) توزيع السكان في منطقة الدراسة لعام 1984م



المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على بيانات الجدول رقم (1)

بينما احتلت محلات الوادي، المعقولة، سيدي خليفة، المرتبة الثانية وبنسب (15.0%، 15.7%، 12.2%) على التوالي، أما محلنا رأس الحمام وقوقاس احتلتا المرتبة الثالثة وبنسب (11.4%، 8.9%) على التوالي، أنظر الخريطة رقم (3) مما يتطلب وضع الإجراءات اللازمة لتوفير فرص العمل والخدمات بما يتناسب مع الزيادة السكانية.

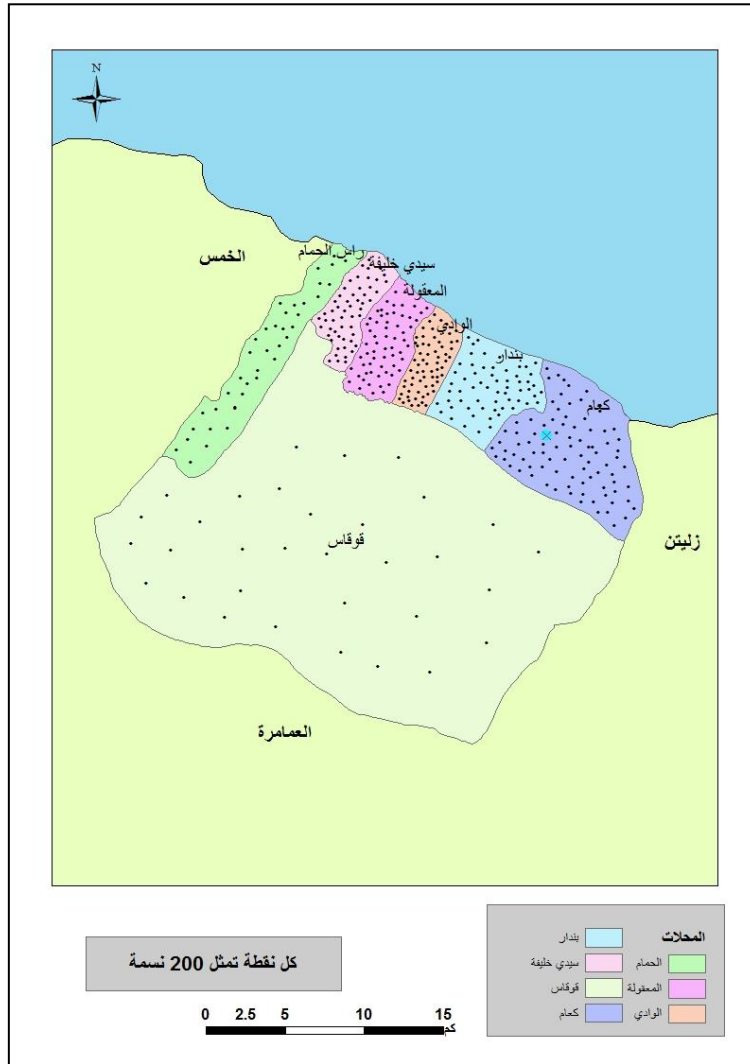
خريطة رقم (4) توزيع السكان في منطقة الدراسة لعام 1995م



المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على بيانات الجدول رقم (1)

أما في التوزيع العددي للسكان في تعداد 1995م، فقد احتفظت محلة كعلم بالمرتبة الأولى بنسبة (19.0%) بينما احتلت المحلات (بندار، الوادي، المعقولة، سيدي خليفة، رأس الحمام) المرتبة الثانية بنسب (16.6%، 16.4%، 15.6%، 12.5%، 10.1%) على التوالي، وبقيت محلة قوقاس في المرتبة الثالثة، كما هو موضح في الخريطة رقم (5).

خريطة رقم (5) توزيع السكان في منطقة الدراسة لعام 1995م



المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على بيانات الجدول رقم (1)

ومن خلال خارطة التوزيع الجغرافي للسكان في عام 2006م كما في الجدول رقم (1) نلاحظ أن هذه النسب أصبحت متفاوتة نسبياً حيث مازالت محلة كعام تحتل المرتبة الأولى بنسبة 21.7% بينما احتلت محلة الوادي 16.7% المرتبة الثانية وجاءت المحلات (بندار - المعقولة - سيدي خليفة - رأس الحمام - فوقاس) في المرتبة الثانية بنسب (15.1%، 15.1%، 13.5%، 10.1%، 7.8%) على التوالي، وهذا الأمر يتطلب تنفيذ خطط تنموية تمكن المنطقة من وضع الإجراءات اللازمة لاستيعاب السكان وبالتالي زيادة الطلب على السكن والخدمات الصحية والتعليمية وبذلك نستخلص أن الظروف ساعدت على زيادة

مركز الاستقرار البشري في المنطقة خلال تطورها العددي إضافة إلى أن التطور الاقتصادي و الاجتماعي الذي شهدته المنطقة لم يكن متساوياً في كل محلات المنطقة الأمر الذي يتطلب وقفة جادة من قبل الباحثين وذلك من أجل تحديد المناطق والمحلات التي تحتاج حتماً إلى تنمية اقتصادية واجتماعية تواكب هذا النمو السكاني المتسارع، وبالتالي نستطيع القول أن غالبية محلات المنطقة يوجد فيها مظهر للحياة البشرية المستقرة ومساحة بالسكان .

2- توزيع السكان وعدد الأسر حسب المحلات السكنية .

تضم منطقة سوق الخميس سبع محلات عمرانية تختلف فيما بينها من حيث المساحة وعدد السكان، ولدراسة توزيع السكان على هذه المحلات تم إعداد جدول رقم (2) والذي يبين عدد السكان لكل محلة ونصيب كل محلة من نسبة عدد السكان بالمنطقة كذلك عدد الأسر ومتوسط حجم الأسرة بكل محلة، من خلال النتائج النهائية لتعدادي السكان عن العام 1995- 2006م.

جدول رقم (2) أعداد ونسب السكان وعدد الأسر ومتوسط حجم الأسرة حسب المحلات

لمنطقة سوق الخميس عام 1995 - 2006م.

2006				1995				المحلة
متوسط حجم الأسرة	عدد الأسرة	النسبة المئوية %	عدد السكان	متوسط حجم الأسرة	عدد الأسرة	النسبة المئوية %	عدد السكان	
5.9	1386	10.1	8182	6.66	1012	10.1	6741	الحمام
5.9	1844	13.5	10884	6.83	1214	12.5	8297	سيدي خليفة
5.5	2213	15.1	12231	7.39	1404	15.6	10376	المعقولة
6.1	2211	16.7	13521	7.13	1532	16.4	10916	الوادي
5.7	2133	15.1	12246	6.87	1609	16.6	11047	بندار
5.6	3103	21.7	17530	6.75	1879	19.0	12685	كعام
5.4	1161	7.8	6289	6.52	990	9.2	6453	قوقاس

المصدر:-

- مصلحة الإحصاء والتعداد، النتائج النهائية لتعدادي 1995 - 2006م.
- تم حساب النسب المئوية من قبل الباحث.

ومن خلال دراسة هذا الجدول برزت الملاحظات التالية:

أ) هناك تفاوت بين المحلات بشكل واضح حيث تتقدم (كعام، بندار، الوادي، المعقولة) بمعدل 16.9% في تعداد عام 1995م. أما المحلات (سيدي خليفة، الحمام، قوقاس) فكان معدلهم 10.6%، أما مجموع عدد الأسر بمحلات المنطقة 9640 أسرة لنفس التعداد، بينما بلغ متوسط حجم الأسرة الواحدة حوالي 6.9%، أي 7 أفراد تقريباً، ولذلك في عام 1995م فنجد أن متوسط حجم الأسرة متقارب بين المحلات السكنية فهو يتراوح بين (6 - 7) أفراد.

ويرجع السبب في عدم التباين الواضح نسبياً في حجم الأسرة بين المحلات السكنية إلى أن مجتمع الدراسة متجانس إلى حد كبير من حيث المستوى الاقتصادي والاجتماعي، الأمر الذي انعكس على تقارب متوسط عدد أفراد الأسر.

ب) أما توزيع السكان بين المحلات العمرانية في منطقة الدراسة لتعداد 2006 م فنجد أن معدل نسبة السكان يتراوح 17.2% للمحلات (كعام، الوادي، بندار، المعقولة) على التوالي، بينما بلغ المعدل العام للمحلات الباقية وهي (الحمام، سيدي خليفة، قوقاس) على التوالي بمعدل 10.5% من مجموع السكان، أما مجموع عدد الأسرة فقد بلغ 14051 أسرة لنفس العام .

أما على مستوى متوسط حجم الأسرة الواحدة فقد بلغ حوالي (5.7) أي 6 أفراد تقريباً في نفس السنة ولذلك يمكن القول أن حجم الأسرة متقارب بين المحلات السكنية، وقد انخفض هذا المعدل نسبياً في تعداد عام 2006م مقارنة مع متوسط حجم الأسرة في تعداد عام 1995م. ويمكن تفسير هذا التراجع الذي حصل في حجم الأسرة خلال الفترة ما بين 1995 إلى 2006م إلى تراجع معدلات الخصوبة الناجم عن تأخر سن الزواج من معدل 21 سنة في التعداد الأول إلى 32 سنة في آخر تعداد.

توزيع السكان الريفي والحضري:

إن التوزيع الريفي والحضري للسكان يعني توزيع السكان حسب البيئة التي يعيشون فيها سواء كانت بيئة ريفية أم حضرية، ولا شك أن معرفة هذا التوزيع لأي منطقة تعكس معرفة نوع الأنشطة ونمط الحياة السائدة فيها، غير أن المشكلة التي تواجه الباحث في هذا المجال هي عدم وجود اتفاق حول تعريف دقيق لهذا الموضوع، فالبعض يفرق بين سكان الريف والحضر على أساس العلاقات الاجتماعية والأسرية ومدى اتساع وتقارب هذه العلاقات التي تتسع عند سكان

الريف وتتنقص عند سكان الحضر، والبعض الآخر يفصل بين سكان الريف والحضر ومن خلال نوع المهنة وطرق الإنتاج الاقتصادي وأسلوب استغلال الأراضي، وبذلك يعرف سكان الريف بأنهم تلك المجتمعات التي تقتصر على مزاوله مهنة الزراعة وما يتصل بها من أنشطة التي تمد المدن بالقوى العاملة وتوفر لهم الغذاء وتستهلك ما تنتجه المدينة من صناعات⁽¹⁾.

كما إن هناك نمطاً حسابياً للتمييز بين سكان الريف والحضر وذلك بوضع رقم يوضح الفاصل العددي بين الريف والحضر، فالمجتمع الذي يقل عدد سكانه عن الفاصل العددي يصنف بأنه مجتمع ريفي، والمجتمع الذي يزيد عدد سكانه على الفاصل العددي يصنف بأنه مجتمع حضري.

غير أن هذا الفاصل العددي ليس ثابتاً وموحداً فهو يختلف من دولة إلى أخرى (ففي أيرلندا يبلغ 1500 نسمة، وفي الولايات المتحدة الأمريكية يبلغ 2500 نسمة، وفي هولندا يبلغ 5000 نسمة، وفي مصر يبلغ 1100 نسمة⁽²⁾).

وبشكل عام فإن الفاصل العددي بين الريف والحضر صغير في الدول قليلة السكان وكبير في الدول كثيرة السكان الشيء الذي يحول دون عقد مقارنة دقيقة بين الدول. ويختلف هذا الرقم داخل الدولة الواحدة من زمن إلى آخر أو داخل المنطقة الواحدة.

ففي ليبيا يرى بعض الباحثين أن المجتمعات الحضرية هي تلك التي يسكنها 2000 نسمة فأكثر وأن يكون 50% من السكان النشطين اقتصادياً يعلمون في المهن غير الزراعية، وعند دراسة التعداد العام للسكان لعام 1973م يلاحظ أن تصنيف السكان فيها إلى ريف وحضر لدى مصلحة الإحصاء والتعداد يعتمد على وجود مقر رئاسة البلديات وفروعها، بغض النظر عن حجم السكان الذين يعيشون في هذه المناطق وطبيعة نشاطاتهم، وما عدا ذلك فقد اعتبر ريفاً⁽³⁾. أما في تعداد عام 1984م فقد عرفت المناطق الحضرية بأنها تلك المناطق التي وصل عدد سكانها إلى 2500 نسمة وتتميز بوجود مخطط عمراني في حين اعتبرت المناطق الأخرى مناطق

¹ - إسماعيل عبد الغني احمده، التغيرات السكانية بمنطقة الكفرة، 1954 - 2000م، دراسة السكان، رسالة ماجستير، جامعة ناصر، كلية الآداب والعلوم - زليتن - قسم الجغرافيا، عام 2001م، ص 110.

² - جمال حمدان، الجمهورية العربية الليبية: دراسة في الجغرافيا السياسية، عالم الكتاب، القاهرة، 1973، ص 5، ص 6.

³ - مصلحة الإحصاء والتعداد، نتائج التعداد العام للسكان (1973 - 1984 - 1995 - 2006م).

ريفية، وكما يوضح ذلك من خلال الجدول رقم (3) حسب تصنيف مصلحة الإحصاء والتعدادات السابقة الذكر .

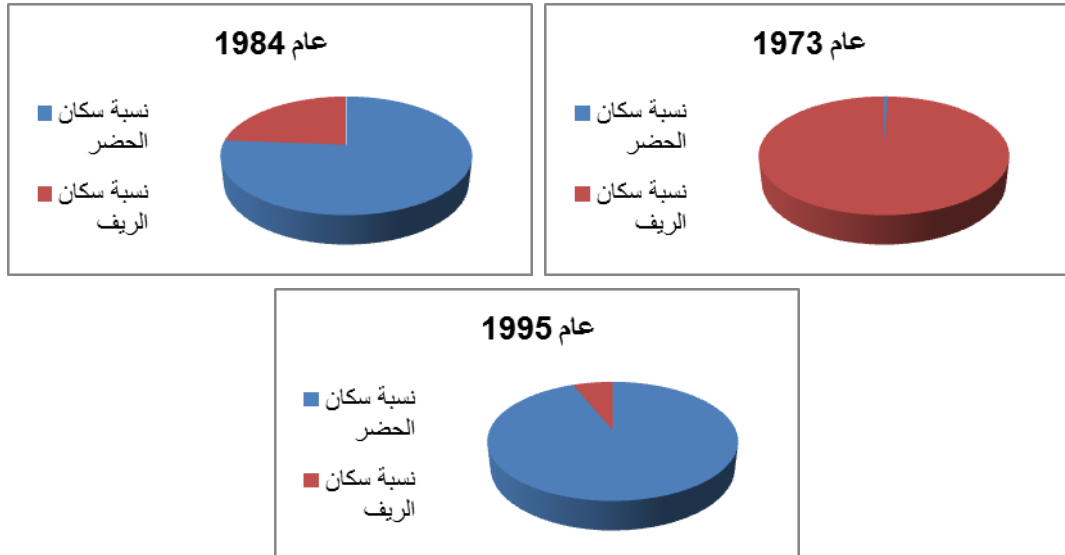
**جدول (3) توزيع السكان حسب (ريف - حضر) بمنطقة سوق الخميس
للسنوات (1973-1984-1995-2006م)**

سنة التعداد	الحضر	النسبة %	الريف	النسبة %
1973	456	1.6	28191	98.4
1984	42453	91.2	4117	8.8
1995	65143	97.9	1372	2.1

المصدر: نتائج التعدادات السكانية للسنوات (1973-1984-1995-2006م) وتم حساب أرقام الجدول بناء على نتائج التعدادات المذكورة أعلاه.

وبالنظر إلى أرقام هذا الجدول يبدو أن النسبة العالية كانت تمثل سكان الريف حيث وصلت نسبتهم 98.4% من جملة السكان خلال عام 1973م، ثم تغيرت هذه النسبة تماماً في تعداد 1984م، حيث انخفضت نسبة سكان الريف إلى 8.8% وارتفعت نسبة سكان الحضر إلى 91.2% من جملة السكان، واستمرت نسبة الحضر في الارتفاع لتبلغ في عام 1995م حوالي 97.9% من جملة السكان، في الوقت الذي انخفضت فيه بالمقابل نسبة سكان الريف لتصل إلى 2.1% من جملة السكان، الأمر الذي توضحه لنا الأشكال رقم (1)

**شكل رقم (1) تطور نسبة السكان بين الريف والحضر في منطقة الدراسة
للسنوات 1973، 1984، 1995م. 2006م.**



المصدر: من إعداد الباحث استناداً إلى بيانات الجدول رقم (3).

والتطور الذي شهده كل من الحضر والريف بمنطقة الدراسة يرجع إلى الارتفاع المتواصل في نسبة السكان بشكل مضطرد بالإضافة إلى ميل السكان للسكن في المدن نتيجة لتحسن المستوى الاقتصادي والتنمية المكانية من حيث تشييد المساكن وبناء المدارس و ارتفاع المستوى الصحي واتجاه السكان إلى العمل في قطاع الخدمات وتعدد مجالات العمل المختلفة على حساب الحرف الريفية⁽¹⁾.

ثانياً: كثافة السكان:

إن مبدأ كثافة السكان الذي يربط عدد الناس بالمكان الذي يشغلون يعتبر من العلاقات التي تنطوي على شيء من الإثارة التي يستخدمها الجغرافيون.

وأول ما استخدمت هذه العلاقة كان في عام 1837م من قبل هنري هانس Henry Drury Hanes في سلسلة من الخرائط ومن تم تطور لتقييم الاكتظاظ السكاني Over Population أو النقص السكاني Under Population مقارنة الكثافات الموجودة والكامنة والتي اعتبرت وسيلة للحصول على معيار لأغراض المقارنة المكانية وهناك صعوبات تعترض عند استخدام معايير الكثافة منها :

أ- توفر البيانات السكانية والمساحية .

ب- الاعتماد على تصميم خرائط كثافة المعايير المستخدمة لهذا الغرض وتضليلها لأجل المقارنة . بالرغم من هذه الانتقادات فإن الكثافة السكانية أداة نافعة ومساعدة في تحليل اختلاف الإنسان في المكان⁽²⁾.

1- الكثافة الحسابية:

من المعروف أن الكثافة السكانية الحسابية هي العلاقة النسبية بين عدد سكان المنطقة محددة ومساحة تلك المنطقة، وهذا يعني أنه كلما اتسعت المساحة انخفضت الكثافة السكانية، المناطق

¹ - مفتاح عبدالسلام البرطاع ،منطقة زليتن دراسة في جغرافية السكان، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المرقب- كلية الآداب والعلوم بزلتين، قسم الجغرافيا ، 2001م، ص 147.

² - جون كلارك،ترجمة، محمد شوقي إبراهيم مكي، جغرافية السكان، دار المريخ الرياض،1984م، ص60، ص61.

ذات الكثافة السكانية المنخفضة هي تلك المناطق التي تتميز باتساع في المساحة وتتميز أيضاً بصعوبة العوامل الجغرافية وهي في الغالب مناطق صحراوية أو شبيه صحراوية⁽¹⁾.

وتبلغ الكثافة السكانية العامة في المناطق حوالي 64 نسمة في الكيلو متر المربع الواحد وذلك حسب تعداد 1973م، وبالنظر إلى أن الكثافة العامة للسكان هي عبارة عن نسبة عدد السكان إلى مساحة الأرض الكلية للمنطقة لذلك فإن فائدتها تتناسب تناسباً عكسياً مع حجم المساحة الأرضية فكلما كبرت المساحة كان مدلول الكثافة الخام سطحياً وعماماً.

أما الكثافة السكانية العامة لعام 1984م فقد بلغت 104 نسمة في الكيلومتر المربع الواحد، فهذا يوضح أن الكثافة العامة للسكان قد زادت نتيجة لزيادة عدد السكان ونموهم، وتواصلت هذه الكثافة في الارتفاع إلى أن وصلت عام 1995م إلى 149 نسمة في الكيلومتر المربع الواحد وهذا دليل على استمرار زيادة ونمو سكان المنطقة، ومن هنا يمكن مقارنة هذه المناطق من حيث المساحة غير المتجانسة والسكان المتباينة في ظروفها الطبيعية والاقتصادية⁽²⁾ وقد بلغت الكثافة السكانية العامة لعام 2006م، حوالي 167 في الكيلو متر المربع الواحد، مما يدل على زيادة هذه الكثافة عن سابقتها نتيجة زيادة ونمو السكان في المنطقة في هذه الفترة.

2- التطور الكثافة السكان على مستوى المحلات :

تعتبر الكثافة السكانية مؤشراً ديموغرافياً للتعبير عن العلاقة بين السكان والبيئة التي يعيشون فيها⁽³⁾. ويهتم دارس السكان بمعرفة حجم السكان في مساحة محددة وذلك بهدف تحليل صورة التوزيع السكاني في الدولة أو في الإقليم أو الوحدة الإدارية (المحلات)، وذلك لأن توزيع السكان لا يتوزع بانتظام في المجتمعات المختلفة، ويرتبط ذلك بعدد من العوامل الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والتي يختلف كل منها في أهميته النسبية من مكان لآخر. وتتداخل هذه العوامل مع بعضها في شكل مترابط ومعقد في معظم الأحوال في تحديد تركيز السكان في مجتمع ما، وتشتتهم في مجتمع آخر حتى يبدو سكان منطقة ما نتاجاً للتفاعل بين النظم الحضارية وباقي النظم الأخرى في المجتمع ويلجأ الباحث السكاني في محاولة للوصول إلى تحديد رقم معين يبين العلاقة العددية

¹ - مفتاح محمد البرطاع، مصدر سابق، ص83.

² - فتحي محمد أبو عيانه، جغرافية سكان، أسس وتطبيقات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989م، ص46.

³ - على سالم حميدان، ومحمود الحبيس، مصدر سابق، ص167.

بين السكان والمساحة التي يعيشون فيها إلى استخدام بعض المقاييس البسيطة منها الكثافة الحسابية والفيزيولوجية⁽¹⁾. ومن هذا المنطق يمكن إيجاز التطور الزمني لكثافة السكان في المنطقة من خلال الاعتماد على تعدادات السكان لأجل اعتمادها وتصميم خرائط الكثافة على المعايير المستخدمة في اختيار الفواصل وتفسير مثل هذه الخرائط معتمداً على طرق التظليل وتفاوتته التي تعكس كثافة السكان في المنطقة. لذلك نجد أن الكثافة السكانية هي أداة نافعة ومساعدة في تحليل اختلاف توزيع السكان في المكان لأن كثافة السكان هي تقييم مكاني أكثر من أن تكون تقييماً نقطياً. وعموماً فإن الكثافة العامة للسكان في كل وحدة مكانية ترتبط ارتباطاً عكسياً مع حجم المنطقة⁽²⁾.

ولإبراز مقدار التطور الذي حدث على الكثافة العامة للسكان فيما بين 1973-2006م على مستوى المحلات السكنية بالمنطقة نستعرض الجدول رقم (4) والذي يمثل تطور الكثافة السكانية بالمنطقة خلال الفترة المذكورة حسب المحلات السكنية.

جدول رقم (4) تطور الكثافة السكانية على مستوى محلات منطقة الدراسة

للسنوات (1973 - 1984 - 1995م)

المحلة	1973 نسمة /كم ²	1984 نسمة /كم ²	1995 نسمة /كم ²	2006 نسمة /كم ²
الحمام	92.1	120	153	236
سيدي خليفة	211	367	535	723
المعقولة	192.8	347	489	541
الوادي	395.7	698	1091	930
بندار	249	401	552	608
كعام	210	344	478	514
قوقاس	8.8	13	20	30
المجموع	1359.4	1893.1	3318	3582

المصدر: بيانات التعدادات العامة للسكان (1973-1984-1995-2006م).

¹ - فتحي محمد أبو عيانة، مصدر سابق، ص45، 46.

² - جون كلارك، مصدر سابق، ص61.

ومن خلال تحليل الجدول رقم (4) يمكن الخروج بمجموعة من الملاحظات الهامة حول تطور مستوى الكثافة بالمنطقة نوجزها فيما يلي:

- يبدو واضحاً من خلال أرقام الجدول أن محلة الوادي تعتبر أعلى المحلات كثافة، حيث وصلت كثافة السكان فيها عام 1973م 395.7 نسمة/كم²، كما أنها ظلت محافظة على مركزها طوال الفترة المذكورة، ويرجع السبب إلى كونها أصغر المحلات من حيث المساحة، والتي بلغت 10 كيلومترات، لذلك ظهرت هذه المحلة بكثافة مرتفعة مقارنة بالمحلات الأخرى.

- إذا كانت الوادي تمثل أعلى محلات المنطقة كثافة فإن محلة فوقاس تعد أدنى محلة كثافة بسبب كبر مساحتها مقارنة بعدد سكانها.

- تليها محلة الحمام تشكل 92.1 نسمة/كم² المربع الواحد في عام 1973م، وارتفعت هذه النسبة إلى 120 نسمة/كم² 1984م وتسمنر في الارتفاع إلى 153 نسمة/كم² الواحد و 236 نسمة /كم² للسنوات 1995، 2006م. وهاتان المحلتان تقعان في الطرف الجنوبية والشمالية من المنطقة، كما يمتازان باتساع مساحتهما، حيث تعتبران أكبر محلات المنطقة مساحة، فقد بلغت مساحة الأولى 309 كم²، والثانية 44 كم².

- ومن الملاحظات الهامة التي تبرز من خلال تحليل الجدول المذكور أعلاه أن كل المحلات قد تميزت بزيادة ملحوظة في الكثافة السكانية، وقد تضاعفت الكثافة في أغلب المحلات أكثر من مرة خلال الفترة بين 1973 و 2006م، وسجلت محلة الوادي أعلى معدل حيث كادت أن تضاعف كثافة السكان فيها إلى أكثر من ثلاثة أضعاف مقارنة بالمحلات الأخرى.

3-الاتجاه المكاني لتطور نطاقات الكثافة بمنطقة الدراسة :

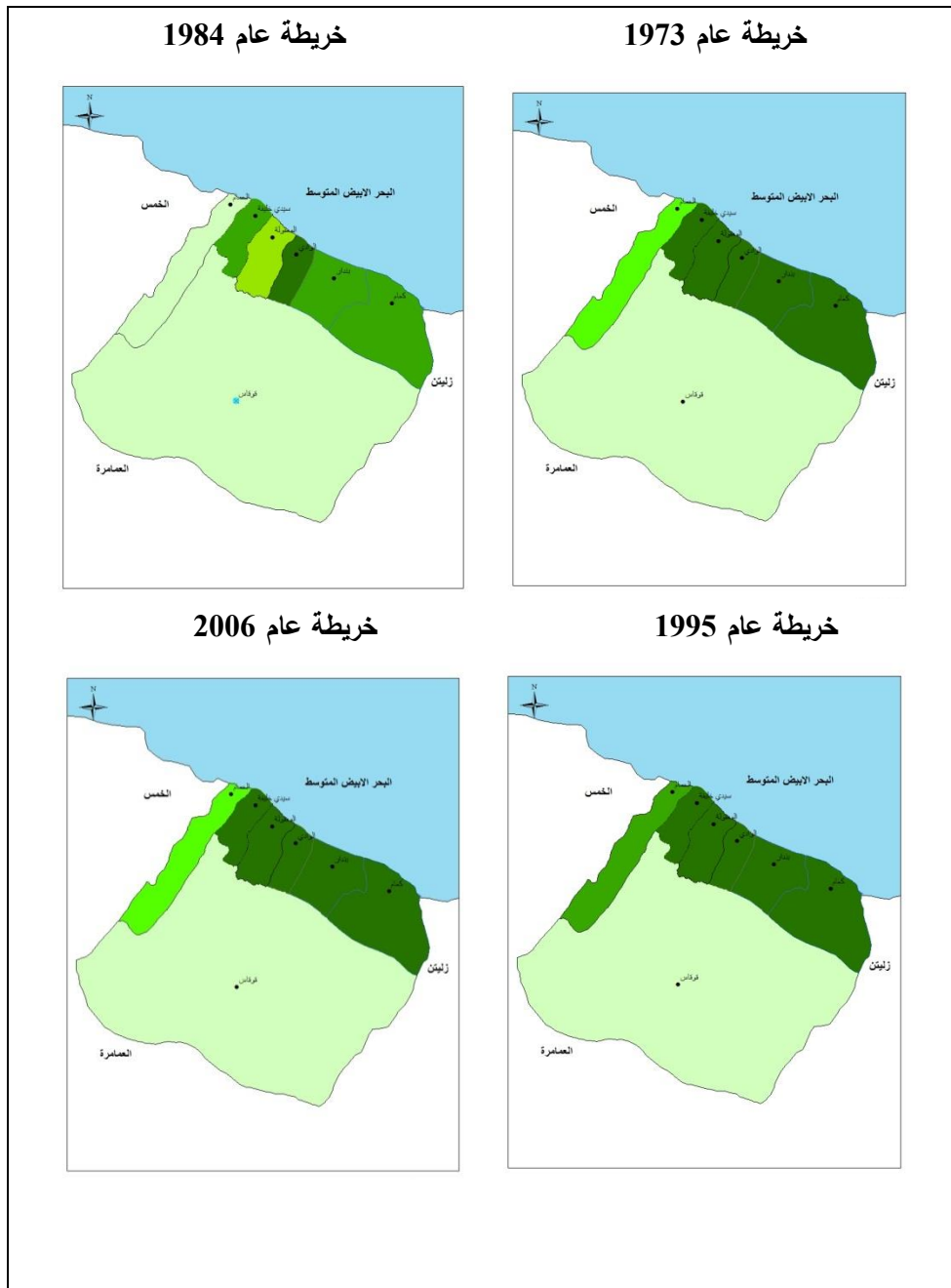
من خلال دراسة الجدول رقم (4) السابق الذكر والخرائط رقم (6) التي تمثل تطور نطاقات الكثافة الرئيسية بالمنطقة يمكن تحديد الاتجاه المكاني لتطور نطاقات الكثافة السكانية بالمنطقة خلال الفترة الممتدة بين 1973 و 2006م في النقاط التالية:

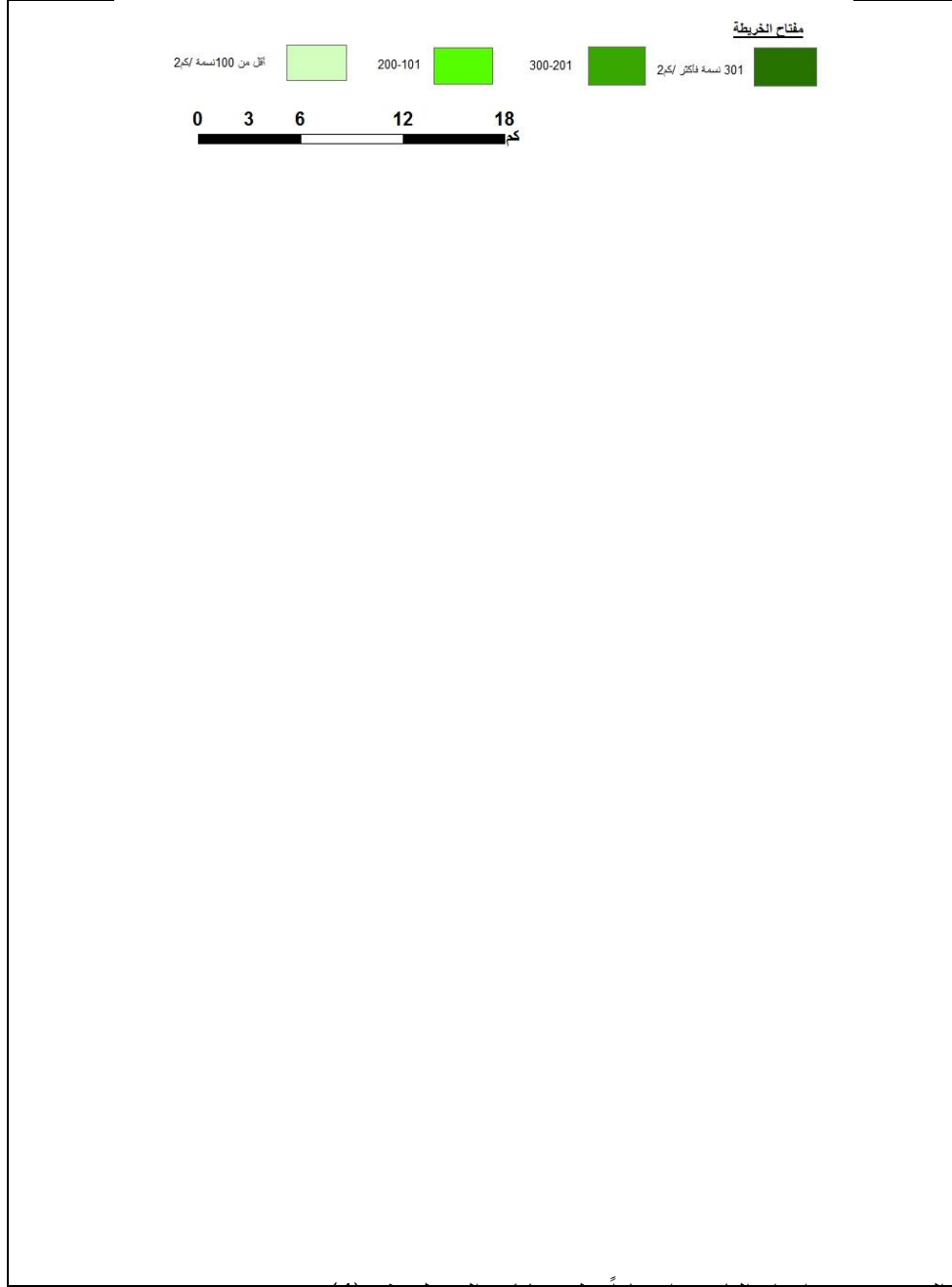
- أخذ نطاق الكثافة في الاتساع باضطراد فبعد أن كان مقتصرًا على محلة الوادي فقد أصبح هذا النطاق يضم محلات (سيدي خليفة، المعقولة، بندار، كعام) في عام 1984م.

- وارتفعت هذه النسبة عام 1995م لتشمل محلات (سيدي خليفة، المعقولة، الوادي، بندار، كعام) على التوالي.

- أما عام 2006م فقد شملت المحلات (سيدي خليفة، المعقولة، الوادي، بندار، كعام) على التوالي.

خريطة رقم (6) توزيع الكثافة السكانية بمنطقة الدراسة خلال الفترة 1973، 1984، 1995، 2006م.





المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على بيانات الجدول رقم (4)

- إن الكثافة العامة التي تتجاوز أكثر من 200 نسمة/كم² في عام 1973م، باستثناء محلة الوادي فقط التي بلغت الكثافة بها حوالي 3957 نسمة/كم² خلال تلك السنة.
- وبالنسبة لنطاق فئة الكثافة (201 - 300) نسمة/كم²، فقد كان يتمثل في محلات (سيدي خليفة، بندار، كعام) عام 1973م.

- أما السنوات 1984 و 1995م لم تشمل محلات بهذه الفئة . أما في عام 2006م فقد شملت محلة الحمام فقط ضمن هذه الفئة .
- وعن نطاق فئة الكثافة (101 - 200) نسمة /كم2 فقد كانت تضم محلة المعقولة في عام 1973، ومحلة الحمام في عام 1984م، و1995م فقط.
- وفي نطاق فئة الكثافة (أقل من 100) نسمة /كم2 فقد تضم محلة الحمام وقوقاس في عام 1973، ومحلة قوقاس في السنوات 1984 و 1995 و 2006م.
- والملاحظة الهامة والجدير بالذكر أن تيار الكثافة العالية كان محصوراً في محلة الوادي ثم أخذ ينتشر في المحلات المجاورة الأخرى، وكذلك نطاق الكثافة المتوسطة فهو يزحف بالتدرج من الوسط إلى اتجاه الأطراف ويمكن ملاحظة هذه التطورات بشكل أوضح عند مقارنة خرائط الكثافة السكانية بالمنطقة خلال السنوات المذكورة.

4-الكثافة الفيزيولوجية (الإنتاجية):

إن العيوب المرتبطة بالكثافة الحسائية أدت إلى محاولة تنقية كل من البسط أو المقام في هذه النسبة أو تنقيتها معاً ومن ثم محاولة قصر المقام على الأراضي الزراعية بالسكان فقط دون الأخذ في الاعتبار للأراضي غير المنتجة كالأراضي الصحراوية وأراضي البور التي لم تستغل بعد، ولهذا فالكثافة السكانية لا تعطي صورة دقيقة عن درجة ازدحام السكان داخل إقليم معين أو تشتتهم داخل هذا الإقليم. وبذلك يمكن حساب الكثافة الفيزيولوجية وفقاً للصيغة الآتية :

جملة عدد السكان في منطقة ما (1)

الكثافة الفيزيولوجية =

مساحة الأراضي الزراعية في هذه المنطقة

وعلى أساس ذلك يمكن حساب الكثافة الفيزيولوجية لمنطقة الدراسة لعام 1995م.

إذ علمنا أن مجموع مساحة الأراضي المستثمرة في مجال الزراعة يبلغ 19845 هكتار/مربع. أي أن الكثافة السكانية بلغت 149 نسمة /كم2 الواحد.

¹ - فتحي محمد أبو عيانة، جغرافية السكان، مصدر سابق، ص47.

وبطبيعة الحال فإن الكثافة الفيزيولوجية تفوق الكثافة الحسابية للسكان دائماً. وبالرغم من أهمية الكثافة الفيزيولوجية فإنه ينبغي التعامل معها بحذر لأن الأراضي غير الزراعية التي لا تدخل في المقام قد تكون مستغلة في أوجه نشاط اقتصادي آخر مثل التعدين أو الغابات أو المراعي أو طرق المواصلات أو السكن، كذلك فإن السكان يختلفون مهنيًا وثقافيًا وحضاريًا مما يصعب معه الوصول إلى صورة دقيقة للعلاقة بين توزيع السكان والأراضي الزراعية، ومع ذلك فإن الكثافة الفيزيولوجية تعد تطوراً للكثافة الحسابية وتعطي صورة أفضل لهذه العلاقة لمدى تركيز السكان أو تشتتهم (1).

ومن خلال الجدول رقم (5) يمكن استعراض الكثافة الفيزيولوجية في المحلات العمرانية بمنطقة سوق الخميس لعام 1995م.

جدول رقم (5) مساحة الأراضي الزراعية وكثافة السكان الفيزيولوجية حسب المحلات السكنية لعام 1995م في منطقة الدراسة

اسم المحلة	مساحة الأراضي الزراعية بالهكتار	الكثافة الفيزيولوجية (الإنتاجية)
الحمام	3336	2.0
سيدي خليفة	1463	5.6
المعقولة	2001	5.1
الوادي	2938	3.7
بندار	3416	3.2
كعام	2964	4.2
قوقاس	3727	1.7

المصدر: حسب الكثافة الفيزيولوجية استناداً إلى :

– النتائج النهائية للتعداد العام للسكان 1995م.

– نتائج حصر الحائزين الزراعيين وحيازاتهم الزراعية بالبيبا 1995م.

¹ – جودة حسنين جودة، فتحي أبوعيانه، قواعد الجغرافيا العامة، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، 1986م، ص 370، ص 371 .

يتضح أن الكثافة العالية تمثلها المحلات (سيدي خليفة، المعقولة، كعام) بكثافة (5.6 - 5.1 - 4.2) على التوالي. وتمتاز الكثافة الفيزيولوجية المتوسطة للمحلات (الوادي، بندار، الحمام) بنسب (3.7 - 3.2 - 2.0) على التوالي. وتتنخفض هذه الكثافة في محلة قوقاس بسبب كبر مساحتها وقلّة المساحة الزراعية.

: التقييم الجغرافي لتوزيع السكان وكثافتهم :

تعد مقاييس كثافة السكان وتوزيعهم ذات أهمية لدارسي السكان لمعرفة حجم السكان في مساحة محددة، وذلك بهدف تحليل صورة التوزيع السكاني⁽¹⁾، ومن بين هذه المقاييس التركيز السكاني، ومنحنى لورنز، ومركز الثقل السكاني، وذلك على النحو التالي :

أ- التركيز السكاني * .

يرتبط بدراسة توزيع السكان في منطقة سوق الخميس دراسة التركيز السكاني بها، أي ميل السكان إلى التركيز أو التشتت والانتشار والتبعثر داخل الحدود الإدارية للمنطقة، لأن العبرة في دراسة التوزيع السكاني ليست بدراسة التوزيع العددي المطلق للسكان فحسب، ولكن بدراسة توزيع الكثافة والتي تلقى الضوء على مدى العلاقة بين التوزيع العددي ومساحة الرقعة المأهولة⁽²⁾. ويمكن معرفة هذه العلاقة باستخدام عدة طرق إحصائية منها نسبة التركيز، ومنحنى لورنز. ومن دراسة اتجاهات تغير نسبة التركيز السكاني في المنطقة في الفترة ما بين عامي 1973، 2006 يلاحظ أن نسبة التركيز السكاني تزيد عبر جميع التعدادات، وهذا ما توضحه دراسة الشكل رقم (10)، حيث بلغت (59.6%) في عام 1973 مما يدل على أنها بعيدة عن التوزيع المثالي، مما يعني أن سكان المنطقة لا يتوزعون على جميع المحلات توزيعاً متجانساً أو متوازياً، وقد استمر نفس النمط حتى عام 1995، ثم بدأت النسبة ترتفع ولكن ببطء حتى وصلت إلى (61.5%) في عام 2006م، وهذا يعني أن سكان المنطقة يتمركزون في بعض محلاتها.

¹ - فتحي محمد أبو عيانة، مصدر سابق، ص45.

* نسبة التركيز = $\frac{1}{2}$ مج | س - ص |

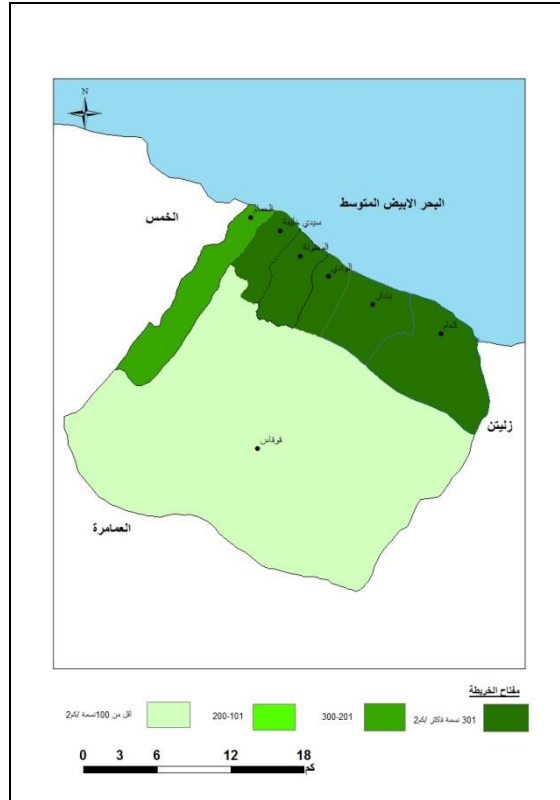
حيث س = النسبة المئوية لمساحة المنطقة إلى جملة مساحة الإقليم الكلية .

ص = النسبة المئوية لعدد سكان المنطقة إلى جملة سكان الإقليم الكلية .

مج = مجموع الفرق الموجب بين هذه النسب و بعضها البعض، أي مجموع القيم دون النظر للإشارات السالبة .

² - فتحي محمد أبو عيانة، مصدر سابق، ص85-84 .

خريطة رقم (10) العلاقة بين التوزيع النسبي للسكان والتوزيع النسبي للمساحة
بمحلات منطقة سوق الخميس عام 2006



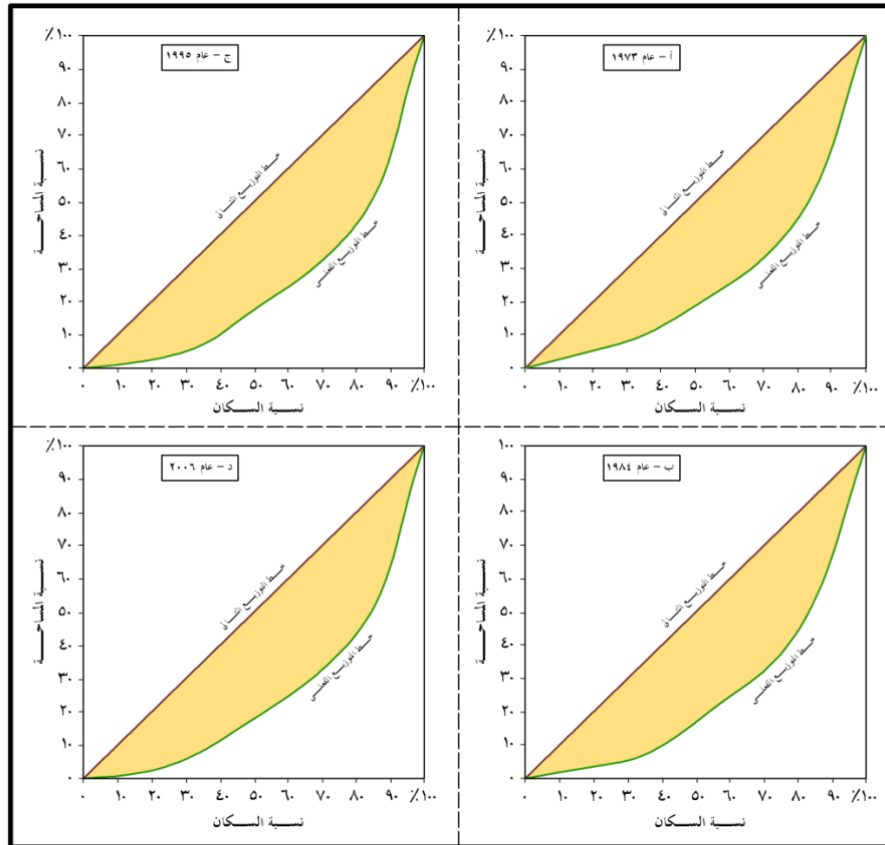
المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على بيانات الجدول رقم (5)

ويلاحظ أن تشتت السكان كان بمحلات (فوقاس، كعام) ليبلغ أقصاه بمحلة القوقاس، حيث انخفض الفارق بين نسبة السكان والمساحة إلى نحو -26% خلال عام 2006. أما محلة الحمام فصورتها التوزيعية تكاد تكون مثالية، إذ بلغ الفارق بين نسبة السكان والمساحة 0.2%، كما يميل السكان للتركز بمحلات (الوادي، سيدي خليفة، بندار، المعقولة)، وقد بلغ التركيز أقصاه بمحلة الوادي، وكان الفارق بين نسبة السكان والمساحة حوالي 14.5% خلال العام المذكور، ويرجع ذلك إلى أن جميع المحلات هذه المجموعة تطل على البحر المتوسط، و بها مساحات صغيرة من الأراضي الزراعية المستغلة، وبها مراكز عمرانية وتجمعات سكانية.

جـ منحنى لورنز.

يعد منحني لورنز أسلوباً جغرافياً مفيداً لفحص النطاق الذي يكون فيه السكان متركزين أو مشتتين عبر مجموعة من الوحدات الجغرافية⁽¹⁾. وقد تمت دراسة العلاقة بين التوزيع الجغرافي للسكان ومساحة المنطقة في الفترة ما بين 1973-2006، كما يوضحها الشكل رقم (2)، ويتبين من مقارنة منحنيات توزيع السكان بالمنطقة خلال الفترة المذكورة أنها تبتعد عن خط التوزيع المثالي (خط التعادل)، وأن أكثر من ثلث سكان منطقة سوق الخميس يتركزون في عُشر مساحتها، وهذا يعني زيادة نسبة السكان على نسبة المساحة بتلك المناطق، وبالتالي زيادة الكثافات السكانية بها، وتتمثل هذه المناطق في الوادي وسيدي خليفة و بندار، ومن ثم أصبحت من مناطق الجذب السكاني، وهي من المحلات صغيرة المساحة، وإذا أضفنا إلى هذه المحلات الثلاث محلة المعقولة تزداد نسبة التركيز السكاني إلى أكثر من نصف سكان المنطقة يتوزعون على أقل من ربع مساحة المنطقة، ومع تزايد نسبة السكان لتصل إلى ثلاثة أرباع تنخفض درجة التركيز انخفاضاً طفيفاً، إذ يتركزون على 20.8% من جملة مساحة منطقة سوق الخميس، وتواصل درجة التركيز انخفاضها عندما تصل نسبة السكان إلى 90.3%، إذ يتركزون على أكثر من ثلث مساحة المنطقة.

1- أشرف زكريا محمد العبد التغيرات السكانية في مدينة المحلة الكبرى في الفترة من 1927-1996، دراسة في جغرافية السكان، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 2001، ص 76.



شكل (2) العلاقة بين توزيع السكان ومساحة الفروع في شعبية الجفارة خلال المدة ما بين 1973-2006 باستخدام منحنى لورنز

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

- بلغ عدد سكان منطقة سوق الخميس 80883 ألف نسمة عام 2006، وقد جاءت محلة كعام في المرتبة الأولى بين المحلات، في حين جاءت محلة قوقاس في المرتبة الأخيرة حيث انخفض نصيبها المئوي من جملة السكان.

- بلغت الكثافة العامة 52 نسمة /كم² عام 2006، ومن الملاحظات الهامة أن كل المحلات قد تميزت بزيادة ملحوظة في الكثافة السكانية، وقد تضاعفت الكثافة في أغلب المحلات أكثر من مرة خلال الفترة بين 1973 و 2006م، وسجلت محلة الوادي أعلى معدل حيث كادت أن تضاعف كثافة السكان فيها إلى أكثر من ثلاثة أضعاف مقارنة بالمحلات الأخرى.

- يتجه السكان إلى التركيز على الرقعة التي يعيشون عليها، ويؤكد ذلك اتجاه مؤشر التركيز السكاني إلى الارتفاع من 59.6 عام 1973 إلى 61.5 عام 2006م، وهذا يعني أن سكان المنطقة يتمركزون في بعض محلاتها.

- ومن دراسة توزيع السكان الريف والحضر يتضح أن النسبة العالية كانت تمثل سكان الريف حيث وصلت نسبتهم 98.4% من جملة السكان خلال عام 1973م، ثم تغيرت هذه النسبة تماماً في تعداد 1984م، حيث انخفضت نسبة سكان الريف إلى 8.8% وارتفعت نسبة سكان الحضر إلى 91.2% من جملة السكان، واستمرت نسبة الحضر في الارتفاع لتبلغ في عام 1995م حوالي 97.9% من جملة السكان، في الوقت الذي انخفضت فيه بالمقابل نسبة سكان الريف لتصل إلى 2.1% من جملة السكان.

- بلغ متوسط حجم الأسرة 5.4 فرد/أسرة، وقد حقق أعلى مستوياته بمحلة الوادي بمتوسط (6.1 فرد/أسرة)، بينما جاءت أدنى مستوياته بمحلة المعقولة (5.5 فرد/أسرة).

وعليه توصى الدراسة :

- يجب مراجعة توزيع السكان في منطقة سوق الخميس بهدف إيجاد وضع بديل يعمل على إزالة الطابع السكاني المتمركز في بعض المحلات وذلك عن طريق إنشاء مركز تجاري جديد في محلة قوقاس الواقعة جنوباً خصوصاً تكون بديلاً عن المحلات الواقعة في شمال منطقة سوق الخميس .

- العمل على تشجيع التوسع الرأسى المتعدد الطوابق بالمحلات الواقعة في الشمال، والحد من التوسع الأفقي الذي يلتهم الأراضي الخضراء، وهذا يتطلب من الدولة التركيز على المشاريع السكانية العامة المتمثلة في الأحياء المجمعمة بمرافقها المتكاملة .

- الاعتماد على سياسات محددة لتنظيم وضبط سلوك السكان بصفة عامة، أو أحد المناطق الداخلية بصفة خاصة، وذلك من خلال مجموعة من الخطط والبرامج بل والإجراءات التي تهدف إلى التأثير في المتغيرات الديموغرافية والسكانية لتلبية متطلبات التنمية.

- الاهتمام بالمشكلات السكانية وهي أكثر المشاكل تعقيداً؛ لأنها لا تنحصر أساساً في معدل الزيادة، - كما هو معروف - أو ما يسمى بالانفجار السكاني، ولكن المشكلة في ارتفاع بطالة الليبيين والتوزيع السكاني غير المتجانس على رقعة المنطقة، وكذلك في تأثير زيادة العمالة العربية

والأجنبية على العمالة الوطنية، والضغط على الموارد الطبيعية ذات الإمكانيات المحدودة فى التنمية الطبيعية خصوصاً فيما يتعلق بإمكانات الموارد الزراعية والمائية.

المراجع :

- 1- جمال حمدان، الجمهورية العربية الليبية : دراسة فى الجغرافيا السياسية ، عالم الكتاب ، القاهرة، 1973 .
- 2- أحمد على إسماعيل، دراسات فى جغرافية المدن، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، القاهرة، 1993.
- 3- فتحي محمد أبوعيانة، جغرافية السكان، أسس وتطبيقات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989.
- 4- محمد السيد غلاب، محمد صبحي عبد الحكيم، السكان ديموغرافيا وجغرافيا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1978م.
- 5- إسماعيل عبد الغني احموده، التغيرات السكانية بمنطقة الكفرة، 1954 - 2000م، دراسة السكان، رسالة ماجستير، جامعة ناصر، كلية الآداب والعلوم - زليتن - قسم الجغرافيا، عام 2001 م .
- 6- مصلحة الإحصاء والتعداد، نتائج التعداد العام للسكان (1973 - 1984 - 1995 - 2006م).
- 7- عبد الحميد غنيم، التوزيع الجغرافي لسكان الإمارات العربية المتحدة، المجلة الجغرافية الكويتية، العدد (97)، الكويت، ١٩٨٧ م، ص ٥.
- 8- أشرف زكريا محمد العبد التغيرات السكانية في مدينة المحلة الكبرى فى الفترة من 1927 - 1996، دراسة فى جغرافية السكان، رسالة دكتوراه غير منشورة ،قسم الجغرافيا ،كلية الآداب ،جامعة الإسكندرية ، 2001 .
- 9- مفتاح عبدالسلام البرطاع ،منطقة زليتن دراسة فى جغرافية السكان، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المرقب - كلية الآداب والعلوم بزليتن، قسم الجغرافيا ، 2001م.

- 10- مصلحة الإحصاء والتعداد، نتائج التعداد العام للسكان (1973- 1984 -1995-2006م).
- 11- جون كلارك، ترجمة، محمد شوقي إبراهيم مكي، جغرافية السكان، دار المريخ الرياض، 1984م، ص60.
- 12- جودة حسنين جودة، فتحي أبوعيانه، قواعد الجغرافيا العامة، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، 1986م.
- 13- مصلحة الإحصاء والتعداد، نتائج التعداد العام للسكان(1973- 1984 - 1995 -2006م).
- 1- Pal, S.K., Statistical Techniques , A basic Approach to Geography , McGraw- Hill , New Delhi, 1982

والله ولي التوفيق

مظاهر السلوك العصابي لدى عينة من أبناء الأسر النازحة وعلاقته بإدراك الذات

د. مفتاح محمد عبد الرحمن الشكري

ملخص: تحدد هدف الدراسة في التعرف على مدى التفاعل بين مظاهر السلوك العصابي وبعض مكونات الذات. وذلك من خلال الوقوف على مدى الارتباط ومدى الاختلاف في تلك المتغيرات لدى أفراد عينة الدراسة من الأطفال النازحين من الجنسين. وقد تكونت هذه العينة من التلاميذ الدارسين بمرحلة التعليم الأساسي من أبناء الأسر النازحة إلى منطقة الخمس بسبب المعارك الدائرة في مناطقهم، أو بسبب خلافات في التوجهات السياسية، وتم اختيارهم بالطريقة العمدية بمساعدة المرشدين النفسيين والأخصائيين الاجتماعيين، حيث بلغ حجم العينة من التلاميذ الذكور (60) تلميذاً بمتوسط عمر 12.76 عاماً، وانحراف معياري 2.25 عاماً، ومن الإناث (38) تلميذة، بمتوسط عمر 11.53 عاماً، وانحراف معياري 2.28 عاماً. واستخدم الباحث قائمة تقدير لقياس مظاهر السلوك العصابي وأخرى لقياس مكونات الذات، وتطبيق معادلة الانحدار الخطي تم التوصل إلى وجود علاقة تفاعلية بين بعض مظاهر السلوك العصابي ومكونات الذات، حيث أشارت النتائج إلى أن الأعراض الاكتئابية والوساوس القهرية ومظاهر القلق لها إسهام معنوي في إدراك الأطفال النازحين لذواتهم واقعياً، في حين لم تسهم المخاوف المرضية بمستوى معنوي. وتبين أن مظاهر القلق والأعراض الاكتئابية تسهمان بشكل معنوي في إدراك الأطفال لذواتهم اجتماعياً، في حين لم تسهم بقية المتغيرات بدلالة معنوية. وتطبيق اختبار (ت) اتضح وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في المخاوف المرضية والوساوس القهرية لصالح عينة الإناث، وجاءت الفروق لصالح عينة الذكور في المعاناة من مظاهر القلق أما بالنسبة لإدراك الذات واقعياً فقد جاءت الفروق لصالح عينة الذكور في حين لم تظهر نتائج الدراسة فروقاً بين الجنسين في مستوى الإدراك الاجتماعي للذات.

مقدمة:

طُرأت على حياة الإنسان في مطلع القرن الحادي والعشرين تغيرات جذرية؛ جعلته يحمل عبأً ثقيلًا من المشكلات الاقتصادية، والبيئية، والاجتماعية، والثقافية. ولعل تزايد حجم هذه المشكلات كان نتيجةً طبيعيةً للتغيرات المعقدة التي شهدتها العالم عبر التاريخ الطويل، وعلى الرغم من أن كثيراً من هذه المشكلات قد تكون غير مألوفة، ولا يحكمها قانون معياري ثابت، إلا أن الإنسان قد لعب دوراً رئيساً في كثيرٍ منها، وفي الوقت نفسه صار يمتلك طرقاً أكثر فاعلية لمواجهة الجزء الأكبر منها. والملاحظ أن تنشئة الأطفال في المجتمعات النامية تتصف ببعض التناقضات، فنشاهد مثلاً بعض الأطفال الذين يزداد طموحهم وتتباعد أهدافهم بسبب الانفتاح الكبير على العالم وتطورات العولمة وثورة المعلومات، غير أن الطريق صعب لتحقيق تلك الغايات في مجتمعات كالمجتمع الليبي الذي تزايدت فيه حدة الصراعات والخلافات، وأصبح سكانه يعيشون ظروفًا لا تشجع على البحث والرقي، ومن جهة أخرى فإن النظام الاجتماعي، وتركيبية الأسرة في المجتمع الليبي لازالت تحمل في طياتها كثيراً من التناقضات التي تعد مصدراً للصراع المرهق والمضر بالصحة النفسية، وذلك مثل التآرجح بين الاستبداد والتسلط من جهة، والانفتاح والتحرر من جهة أخرى، وكذلك المحافظة على الموروث كما هو، وفي الوقت نفسه محاولة إتباع نمط حياة متأثر بالانفتاح دون توفر الاستعداد لتحمل نتائجه، وعندما تتغلب التأثيرات السلبية في البيئة، فإنه يصعب تجنب ظهور مظاهر السلوك العصابي.

وظروف القتال والحروب التي مر بها المجتمع الليبي منذ العام 2011 لم ينجُ أحد من آثارها سواءً على مستوى الأفراد أو المؤسسات، وتجدر الإشارة هنا إلى الآثار التي لا تظهر إلا بعد انتهاء حرب السلاح، فالحرب التي انتهت عام 2011 وضعت ليبيا أمام حروب أخرى أشد وأعنف وهي حروب قبلية وحرزبية وتوجهات سياسية مختلفة مع تواجد السلاح في أيدي غير مسئولة، ويقول تشرشل بعد نهاية الحرب العالمية الثانية: إن إزالة ما تركته حرب السلاح من آثار أصعب وأشد من آثار الحرب، وهكذا كان واقع الحروب ولا يزال دائماً، فما أن تنتهي حرب إلا وتستلزم حرباً أخرى لإزالة آثارها، فالآثار المنظورة تتمثل في الخراب الذي لحق بالأبنية والمؤسسات والمصانع والممتلكات الشخصية...؛ بل إن الصعوبة تكمن دائماً في بناء النفوس التي تتجاوز إلى حد بعيد صعوبة بناء الحجارة وذلك بشهادة علماء وخبراء في مجال الحروب. (Rasor, Eugene L, 2000)

وتجاوز هذه الصعوبات ليس بالأمر السهل. فالبناء المادي الذي تهدم كان ملكاً لأشخاص تعبوا لبيئته؛ لذا لا بد أن يترك دمار ما جنوه بعرق الجبين طيلة سنوات عمرهم شكلاً من مشاعر التهديد

لحياتهم و حياة أطفالهم وذويهم.

والاهتمام بالطفل هو في واقع الأمر مفتاح مستقبل الأمة وأمانها؛ فقد بات من المسلم به أن اللحاق بركب التقدم والارتقاء أمر يتطلب إعداد جيل قوي متوافقاً ومستنيراً، لا تعوقه علة في بدنه، أو قصوراً في عقله، أو خللاً في شخصيته، ويبدو السلوك العصابي وضعف تقدير الذات في هذا العصر جزءاً من طبيعة المرحلة التي نعيشها، غير أن البعض قد يكونون أكثر استهدافاً لنمو أشكال بعض مظاهر السلوك العصابي وخاصة في الظروف التي يوجد فيها من العوامل ما يسبب في عرقلة نمو الذات ويعيق تقبل الآخرين في المجتمع. (منى حسين وآخرون، 2007: 174)

ويرى بالدوين Baldwin 2001 أن أنماط المعاملة التي لا تسمح بالتقييم الإيجابي للذات، وتعرقل بناء تصورات استقلالية لها، ستصبح مخزونة في ذاكرة الشخص، ويكون التنظيم والتقييم الذاتي وفقاً لمستويات أقل من المطلوب، وبالتالي تنتج ردود فعل ملازمة مثل: احترام الذات المنخفض، والأعراض الاكتئابية، والرهاب الاجتماعي. (Baldwin,2001: 26)

وفي مرحلة الطفولة المتأخرة وبداية المراهقة تتعدد ارتباطات الفرد وتزداد علاقاته، ويبدأ في إدراك مطالب المجتمع له، وبالتالي تظهر الرغبة في تحمل المسؤولية نحو مواجهة المستقبل وتحقيق الأهداف التي قد تكون صعبة المنال. وتزداد الحاجات النفسية والاجتماعية مع امتداد مرحلة المراهقة، وتظهر خلالها أنماطاً معينة من المشاعر والانفعالات، وتبدأ بعض المشكلات في الظهور، وخاصة عندما يجد الفرد نفسه في مجتمع لا يتقهم تلك الحاجات ولا يتفاعل معها بما تقتضيه من اهتمام، فأبناء الأسر النازحة يمرون بمرحلة صعبة تغيرت فيها أغلب مظاهر حياتهم وسبل معيشتهم، فبعضهم يفتقر للمسكن الذي تتوفر فيه المطالب الضرورية للحياة ناهيك عن الاحتياجات المادية والابتعاد عن الأقارب والتغير في الصداقات، وكل ذلك يحتاج إلى طاقات نفسية ومهارات اجتماعية وتدعيم نفسي واجتماعي من المحيطين به، والافتقار لهذه السبل قد يؤدي إلى نشأة حالة من القلق والتوتر النفسي بشكل عام.

ويتأثر الأطفال بنوع المشكلات التي يعانون منها، وهي تتنوع تبعاً للمستوى الاجتماعي والثقافي السائد في البيئة المنقل منها والتي انتقل إليها، وتعد نشأة سوء التوافق من أهم القضايا التي ناقشها "روجرز" في نظريته عن الذات، التي يُرجع فيها التوافق النفسي إلى التجانس Congruence والاتفاق بين الذات والخبرة، ويرى أن المتوافقين نفسياً يدركون أنفسهم وعلاقاتهم مع الآخرين والموضوعات في بيئتهم كما هي في حقيقتها في الواقع، وكما يراها الآخرون أيضاً، والتوافق النفسي يتطلب تجانساً بين الخبرة الذاتية والواقع الخارجي. (محمد قاسم، 2000: 352)

والفرد يُضفي قيمة سالبة على الخبرات التي لا تتفق مع فكرته عن ذاته، والخبرات المهددة للذات

تؤدي إلى إحباط مركز الذات والتوتر وسوء التوافق. (عثمان أميمن، 2000: 247)

وإذا كانت الضغوط البيئية، والمعايير الاجتماعية التي يخضع لها الأطفال والمراهقين في هذه المرحلة تجعلهم أكثر استعداداً للإصابة ببعض مظاهر السلوك العصابي، فإن فهم طبيعة مكونات الذات لديهم تعد من الأمور الجديرة بالبحث، وذلك للوقوف على بعض الجوانب من تركيبية شخصيتهم.

ودراسة هذا الموضوع لها عدد من المبررات، أهمها:

- 1 . الحاجة ملحة في المجتمع الليبي لدراسات تسهم في فهم شخصية الطفل الليبي بشكل عام وشخصية الأطفال النازحين على وجه الخصوص، وذلك لتسليط الضوء على بعض مظاهر السلوك العصابي في هذه المرحلة العصبية التي تمر بها البلاد.
- 2 . عدم توفر معلومات عن مستوى الحياة النفسية لهذه الفئة من أبناء المجتمع ومدى معاناتهم من بعض مظاهر السلوك السلبي الناجم عن الظروف التي تمر بها البلاد والتغيرات التي نتجت عنها.
- 3 . نتائج الدراسة قد تسهم في التخطيط لخفض معدل انتشار بعض مظاهر السلوك العصابي ودعم برامج التنمية البشرية التي يسعى المجتمع لتحقيقها لمواجهة التغيرات السريعة التي يمر بها العالم.

وبناءً على ما سبق يمكن بلورة مشكلة البحث في الإجابة على الأسئلة الآتية:

أولاً: ما مدى إسهام بعض مظاهر السلوك العصابي في التأثير على إدراك الفرد الواقعي والاجتماعي للذات لدى أبناء الأسر النازحة؟

ثانياً: ما مدى الاختلاف بين الذكور والإناث من أبناء الأسر النازحة في مستوى مظاهر السلوك العصابي الآتية: المخاوف المرضية، مظاهر القلق، الوسواس القهري، الأعراض الاكتئابية؟

ثالثاً: ما مدى الاختلاف بين الذكور والإناث من أبناء الأسر النازحة في مستوى الإدراك الواقعي والاجتماعي للذات؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في كون نتائجه تفيد في تحقيق الآتي:

- 1 . يعد مجالاً السلوك العصابي ومكونات الذات من المجالات المهمة للمختصين في الإرشاد والتوجيه والعلاج النفسي، وتزداد أهمية هذين المجالين إذا سلمنا بأن الأطفال النازحين يمرون بظروف معيشية صعبة وفي مرحلة عمرية تعد بداية لفترة انتقالية يمر خلالها الطفل إلى عالم الرجولة، وبالتالي فإن نتائج هذه الدراسة تعد مؤشراً نفسياً واجتماعياً يمكن من خلاله فهم الشخصية، والتنبؤ بسلوك الأفراد، وضبطه بالطريقة المناسبة، وتوجيهه نحو الأفضل.

2 . يسهم البحث في الكشف عن بعض جوانب شخصية الطفل الليبي، ويعمل على إثراء الدراسات العربية التي تسعى إلى تحقيق التوافق النفسي من خلال تنمية إدراك الذات.

3 . تقدم الدراسة استمارتين تقويميتين باللغة العربية لهما خصائصهما السيكومترية، الأولى: لتقدير مدى شيوع مظاهر السلوك العصابي لدى الأطفال، والثانية لتقدير مستوى إدراك الذات واقعياً واجتماعياً.

4 . دراسة العلاقة التفاعلية بين متغيرات البحث يسهم في زيادة الفهم والوعي بتأثير كل منها في الآخر، ومن ثم العمل على تزويد المهتمين برعاية الأطفال بالمعرفة النفسية التي تساعد في تحسين مستوى إدراك الذات لدى الأطفال، والتغلب على الأسباب التي قد تجعلهم مضطربين نفسياً وتبعدهم عن سوء التوافق.

أهداف البحث:

في ضوء ما تقدم فإن البحث يهدف إلى التعرف على الآتي:

1 . مدى إسهام مظاهر السلوك العصابي لدى الأطفال في التأثير على إدراكهم لذواتهم واقعياً واجتماعياً.

2 . مدى الاختلاف بين الأطفال النازحين من كلا الجنسين في مستوى مظاهر السلوك العصابي الآتية: المخاوف المرضية، القلق، الوسواس القهري، مظاهر الاكتئاب.

3. التعرف على الفروق بين الأطفال النازحين من كلا الجنسين في مستوى إدراكهم لذواتهم واقعياً واجتماعياً.

محددات البحث:

تحدد نتائج البحث بالأدوات، ومدى صدقها وثباتها، والمعالجات الإحصائية المستخدمة في التعامل مع البيانات، وتحدد كذلك بطبيعة المجتمع الذي طبقت فيه الأدوات وسحبت منه العينة، ولا يمكن تعميم نتائجه إلا على المجتمعات المشابهة له في الخصائص، وبهذا فقد تحددت نتائجه بالأطفال النازحين مع أسرهم إلى مدينة الخمس بسبب الظروف التي تعرضت لها مناطقهم بعد أحداث الثورة في العام 2011م.

مفاهيم البحث:

وردت في البحث بعض المفاهيم التي تحتاج إلى توضيح منها:
الأسر النازحة: يقصد بها في هذه الدراسة " جميع الأسر اللببية التي تركت مكان إقامتها الأصلي وانتقلت إلى مكان آخر بسبب ظروف الحرب في موطنهم الأصلي أو بسبب الخوف من المطاردة أو نتيجة تدمير مقر سكنهم.

. السلوك العصابي: وهو يتضمن السلوك المبالغ فيه والاستجابات الانسحابية ولوم الآخرين ونوبات الغضب والقلق والمخاوف الشاذة وجميع مظاهر عدم الاستقرار الانفعالي وهو "اتجاه الفرد إلى الإحساس بضعف الاتزان أو الخلل الانفعالي، ويسمى بالضعف الوجداني أو ضعف الأنا أو الميول العصابية". (مصري حنورة، 1998: 26)

أما العصابية فيعرفها أحمد عبد الخالق بأنها: قابلية أو تهيؤ للإصابة بالعصاب Neurosis أي الاضطراب النفسي، وهو اضطراب وظيفي بسيط لا يحتاج صاحبه إلى عزل، ولا يحدث فيه خلل في استبصار المضطرب بحالته، فهو يدرك غالباً سوء توافقه، ويضيق بأعراضه ويشكو منها. (أحمد عبد الخالق، 2003: 48)

ويتضمن السلوك العصابي محل اهتمام الدراسة الحالية المظاهر الآتية:

أ . مظاهر القلق: Anxiety وهي تعبر عن حالة مستمرة تجعل الفرد يميل خلالها إلى الشعور بالضيق والتهديد بطريقة غامضة، ويميل إلى الانزعاج بسهولة من شيء غير واضح المعالم في العالم الخارجي، ويميل لوضع قيود صارمة على ما يجب أن يفعله وما لا يجب أن يفعله. (مروان أبو حويج وآخرون، 2001: 104)

وهو بشكل عام حالة نفسية وفسولوجية تتركب من عناصر إدراكية وجسدية وسلوكية تتضافر لخلق شعور غير سار يرتبط بعدم الارتياح.

ب . الوسواس: obsession وهي تفكير غير مرغوب يجعل الفرد يميل إلى أن يكون منظماً تنظيمياً جيداً، ويثقل نفسه بالتفاصيل غير المهمة، بينما يميل الأفراد منخفضي الوسواس إلى الإهمال والافتقار إلى النظام. (فؤاد الدواش، 2004: 102)

ج . الأعراض الاكتئابية: Depression ويقصد بها الميل للشعور بالأسى، واليأس، والعجز عن التركيز، مع الإحساس بالذنب، وعدم الرضا. (مصري حنورة، 1998: 34)

د . المخاوف المرضية: Phobia وهي تعبر عن ميل للخوف المرضي الدائم من أوضاع أو مواضيع غير مخيفة بطبيعتها، ولا يستند الخوف منها إلى أساس واقعي، وهذه المخاوف غالباً

تكون مرتبطة بموضوعات، أو مواقف ليس بها تهديد أو خطر أو أذى ظاهر. (أشرف عبد الغني، 2001: 244)

. مكونات الذات: وهي عدد من الطرق التي يدرك بها الشخص ذاته، وهذه الطرق قد تكون إيجابية، أو سلبية، وذلك وفقاً لإدراك الفرد لنفسه بأنه شخص مستقل عن الآخرين، وما يعتقد في إدراك الآخرين له. (Mwamnenda, 1991: 41)

ويهتم البحث بمكونين فقط من مكونات الذات هما:

أ. الإدراك الواقعي للذات: Perceived Self وهي مجموع الاستجابات المتعلقة بوصف الفرد لذاته ومظهره من النواحي النفسية، والعقلية، والجسمية، على حقيقتها وليس كما يرغبها. (سحر طه، 2001: 76)

ب الإدراك الاجتماعي للذات: Social Self وهي مجموع الاستجابات المتعلقة بالتقبل الاجتماعي، وتقبل الآخرين، والجاذبية الشخصية، التي تعكس علاقات موجبة معهم في المواقف الاجتماعية من خلال تصور الفرد لتقويم الآخرين له، معتمداً على أقوالهم وأفعالهم. (سحر طه، 2001: 77)

المنطلقات النظرية للبحث:

مظاهر السلوك العصابي:

يعيش الليبيون بشكل عام مرحلة تزخر بالعديد من الصراعات والتناقضات وتموج بالعديد من التغيرات المتلاحقة والسريعة، ونظراً لأن هذه التغيرات لا تقابلها تغيرات موازية تمكن الإنسان البسيط من مواجهة آثارها السلبية، فإنها تجعله يشعر بالعجز والخوف والقلق على المستقبل وغيرها من مظاهر السلوك العصابي التي تتفاعل مع العديد من العوامل النفسية، ويعبر السلوك العصابي عن مؤشر لوجود المرض النفسي، ولكل مظهر من مظاهره سبب وهدف، فالمظهر عرض لسلوك، وسلوك الإنسان غائي (أي له غاية). والعرض يختلف في شدته من شخص لآخر، ولا يوجد إنسان خال من الأعراض، والاختلاف بين الأسوياء والمرضى في الأعراض هو اختلاف في درجة وجود العرض، وليس في نوعه. والعرض رمز يعبر عن الحالة النفسية، فالقيء مثلاً قد يرمز إلى رفض الواقع أو طرد محتويات الجسم، وعادة ما يعبر العرض عن معنى، فالتبول اللاإرادي مثلاً: قد يعبر عن رغبة الطفل في استعطاف الأم، ولكل عرض وظيفة، فمريض الوسواس القهري عندما يكرر غسل يديه فهو يخفض توتره، ويزيل قلقه. (فوزي جبل، 2000: 118).

العوامل المؤدية للسلوك العصابي:

1. العامل الوراثي والتكوين البيولوجي: لا يوجد دليل حاسم يؤكد دور الوراثة في الإصابة بالسلوك العصابي؛ إلا أن هذا لا ينفي أن هناك عوامل تكوينية معينة في الجهاز العصبي تعمل بمثابة

العوامل المهيّنة للإصابة بالاضطراب.

2 . النمو النفسي غير السوي: يحدث ذلك من خلال التعرض لأنماط التنشئة غير السوية التي يظهر فيها الصراع والقلق والتردد والخوف وهي في مجملها تعمل على إعاقة النمو السوي للفرد، وتضعف إرادته.

3 . المواقف المساعدة على ظهور الاستجابة العصابية: في بعض الحالات يتم استدراج الشخص إلى الاستجابات الخاطئة أو غير المقبولة؛ وذلك من خلال التحريض، أو التهريب، أو الإغراء، أو التعرض لمواقف الفشل والإحباط.

4 . العامل الحضاري: ويتمثل في أنماط القيم السائدة، وأشكال الحياة السياسية، والفكرية، والثقافية، وغير ذلك من أمور الحياة التي تؤدي إلى تعجيل ظهور الاضطراب بشكل معين وفي ظروف محددة.

وقدم كوفيل وزملاؤه 1986 تصنيفاً للاستجابات العصابية يعتمد بشكل أساسي على تصنيف الجمعية الأمريكية للطب النفسي، وبعد هذا التصنيف موضع اتفاق بين جمهرة الباحثين، وهو محل الاهتمام في البحث الحالي، ويشمل هذا التصنيف المظاهر الآتية:

1 . القلق Anxiety: وأعراضه تكون نفسية مثل: ضعف القدرة على الانتباه والتركيز، وتكون جسدية مثل: ارتفاع ضغط الدم وجفاف الحلق. (Sehha.Comwww.)

وترجع أسبابه إلى سوء التربية كتخويف الطفل. أو الشذوذ في تكوين الطفل البدني مما يشعره بالنقص في قدرته على المشاركة. وكذلك الإيحاء الذي قد يكون ذاتياً (ما يترتب في مخيلة الفرد من أفكار تبعث في نفسه القلق)، وقد يكون مكتسب أو خارجي المصدر، مثل: السماع عن حوادث الوفاة المفاجأة، وكذلك المشكلات الحالية التي تترك في الإنسان آثارها، مثل: الحروب والكوارث. (فوزي جبل، 2000: 132)

وعلى الجانب الآخر فإن درجة من القلق تعد صحية وإيجابية لأنها تدفع الإنسان نحو العمل ومواجهة الأخطار الممكنة أو المحتملة التي قد يتعرض لها في صراعه مع الحياة، فالقلق باعث إيجابي يساعد في الحفاظ على الذات والنجاح في سيرة الحياة. (WWW.Sehha.Com)

2 . المخاوف المرضية Phobia: ومن أبرز أعراضها أن الشخص يكون مهموماً قلقاً يصرف طاقاته النفسية والجسمية في تجنب الأشياء والمواقف التي تخيفه بشتى الوسائل، وإذا اضطرب لمواجهة هذه المواقف، انتابه الهلع والفرع وشعر بالعجز وتوقع الشر وظهرت عليه أعراض مثل: اضطراب التنفس، والعرق، وربما القيء والإسهال. (www.galam.com)

وترجع أسبابه غالباً إلى خبرات الخوف المروعة التي يكون المريض في معظم الحالات قد

نسيها، وقد يتكون من خلال الاستجابات الشرطية لحالات الخوف التي حدثت في الطفولة المبكرة، وفي بعض الحالات يكون ناتجاً عن إسقاط رمزي لخوف عام أو لصراع عام، وفي معظم الحالات ينسب المريض السبب الحقيقي. (www.toubibonline.com)

3 . الاكتئاب Depression: والشخص الذي لديه ميول اكتئابية تظهر عليه أعراض الانطواء والانسحاب والجدية والانغلاق والخجل وقلة الأصدقاء وقلة الاهتمامات ونمطية العادات وتجنب الملذات. وترجع أسبابه إلى بعض العوامل النفسية منها: الظروف المحزنة والخبرات المؤلمة، والحرمان وفقد المساندة العاطفية وحالات الإحباط والفشل المتكرر وبعض أساليب التربية الخاطئة. (www. islamonline.net)

4 . الوسواس القهري Obsessions: يقول فرويد إن المرضى بعصاب الوسواس القهري تشغل بالهم أفكار لا تهمهم في الواقع، فيجدون أنفسهم مدفوعين إلى أعمال لا تعود عليهم بالمتعة، لكنهم لا يستطيعون الابتعاد عنها أو تركها، وقد تكون الأفكار المتسلطة عارية المعنى أو عديمة الأهمية بالنسبة للشخص المعني، وفي كل الأحوال فهي تستثير نشاطاً عقلياً مكثفاً ينهك المريض، ويبدو صاحب الشخصية الوسواسية فاضلاً ولكنه غير سعيد، فهو يحب النظام والنظافة والهدوء ودقة المواعيد. (فوزي جبل، 2000: 179)

ولعل من أهم أسباب عصاب الوسواس القهري الحوادث والخبرات الصادمة والأمراض المعدية الخطيرة والصراع بين عناصر الخير والشر في الفرد والإحباط المستمر في المجتمع والتهديد المتواصل بالحرمان والخوف وعدم الثقة وكذلك التنشئة الخاطئة المتسلطة. (أديب الخالدي، 2002: 273).

وبتحليل المظاهر السالفة الذكر والوقوف على الملامح العامة لخارطة الاضطرابات النفسية التي تصيب الشخصية من خلال نظرية "كارل روجرز" الذي يربط بين العصاب ومفهوم الذات، فإن العصاب في رأيه يشبع الحاجات غير الشعورية بوسائل سلوكية تنفق مع مفهوم الذات، وعلى الجانب الآخر فإن العصاب حسب هذه النظرية قد يأتي نتيجة عدم تطابق السلوك مع الذات أو نتيجة عدم قبول الذات للطلبات وتعديلها عصابياً.

والذات عند فرويد تعكس ارتباط الإنسان الحتمي مع العناصر الشخصية والثقافية التي تسبب له القلق، ونموها يرتبط بالتعليم والتلقين الثقافي ابتداءً من مرحلة الرضاعة، وهي حصاد تنظيم التجارب المكتسبة التي تستهدف تجنب القلق وإحداث التكامل مع الآخرين. (عثمان أميمن، 2000: 177)

مكونات الذات : تنقسم الذات إلى عدة مكونات وقد اهتم البحث بدراسة الآتي:

1 . الذات المدركة أو الواقعية: وتشير إلى إدراك الفرد لنفسه على حقيقتها وليس كما يرغبها، ويتضمن هذا الإدراك جسمه ومظهره وقدراته ومركزه، ودوره في الحياة، وكذلك قيمه ومعتقداته وطموحاته.

2 . الذات الاجتماعية: وهي حصيلة ذوات متعددة هي: الذات العرقية، والذات الثقافية، والذات الدينية، وأن المجتمع الذي يعيش فيه الفرد يؤثر في مشاعره بذاته، وأن الإحساس بالذات محدد بالتوقعات التي تتبناها المجموعة التي ينتمي إليها. وهي تتكون من خلال الخبرات المتراكمة التي يتلقاها الفرد. (Y0ung& Hazal, 2001: 295)

وهناك عدد من المكونات الفرعية الأخرى لمفهوم الذات، مثل: الذات المثالية والذات العقلية والذات المدرسية والذات العائلية وما إلى ذلك، وقد اختلف الباحثون في تحديدها وتقسيمها على اعتبار أنها أجزاء فرعية من مفهوم الذات المدركة الذي استعملته كارين هورني، واستعمله إيريك فروم على أنه يرمز إلى المعتقدات والمدرجات الحسية، والمثل العليا، والتوقعات والمطالب التي أصبح الشخص يكونها بالنسبة لسلوكه وخبرته.

وفكرة الشخص عن ذاته هي النواة الرئيسة التي تقوم عليها شخصيته، وكلما عرف الإنسان ذاته معرفة جيدة، وعرف ما تحويه من قدرات وميول ورغبات ومدرجات شعورية وانفعالات، وقام بتقييمها وتوجيهها الوجهة الصحيحة؛ كان ذلك عاملاً ومؤشراً قوياً على توافق الإنسان وتأقلمه. (فوزي جبل، 2000: 74)

ونشأة سوء التوافق من أهم القضايا التي ناقشها روجرز في نظريته، ويرى أنه عندما يمنع الكائن الحي عدداً من خبراته الحسية والحشوية ذات الدلالة من بلوغ مرتبة الوعي، فإن هذا يؤدي إلى الحيلولة دون تحول هذه الخبرات إلى صورة رمزية، كما يؤدي إلى عدم انتظامها في جشلت بناء الذات، ويسبب مثل هذا الموقف قدراً كبيراً وأساسياً من التوتر النفسي. (أديب الخالدي، 2002: 217)

والشخصية لا يمكنها أن تحقق نفسها ما لم تكن الخبرات حقيقية بالنسبة للذات الواقعية، بينما يتوفر التوافق النفسي عندما يصبح مفهوم الذات في وضع يسمح لكل خبرات الكائن الحي أن تصبح متمثلة في مستوى رمزي، وعلى علاقة ثابتة ومتسقة مع مفهوم الذات، وعلى ذلك فإن التوتر الداخلي تقل حدته عندما يتكون لدى الشخص إحساس جديد عن الذات. (مفتاح الشكري، 2003: 46)

الدراسات السابقة:

تناولت بعض الدراسات شيوع الاضطرابات النفسية ومدى الفروق فيها بين الجنسين، فدرس "أحمد عبد الخالق ومايسة النيال" 2002، الفروق الفردية في العصابية بين خمس مجموعات

عمرية من الذكور ومثلهم من الإناث. وتكونت عينة الدراسة من (513) تلميذاً بمدينة الإسكندرية، وأظهرت النتائج أن أعلى متوسطات العصابية تحصلت عليها عينة الذكور من المجموعتين 13 و 12 عاماً.

ودرس "جنرال وبنادا" Jindal & Panda 1992 الفروق بين الجنسين في مختلف السمات العصابية خلال مرحلة المراهقة، وتألفت العينة من (512) طالباً يدرسون في الصف التاسع الثانوي، وأشارت النتائج إلى عدم وجود فروق بين الجنسين في أعراض القلق والاكتئاب، وجاءت الفروق لصالح الإناث في أعراض الخوف وتوهم المرض. (في إبراهيم أبوزيد، 1996: 76) ودرس "هوبس" Hops, 1990 الفروق بين الذكور والإناث في تقدير الذات وأعراض القلق، واشتملت العينة على (802) طالباً من طلبة الصفوف التاسع وحتى الحادي عشر، وأشارت النتائج إلى أن الإناث أقل تقديراً للذات من الذكور، وأنهن أكثر معاناة من القلق. أما مكونات الذات في مرحلة المراهقة فقد قام بدراستها "الشكري" عام (2003)، وذلك بهدف التعرف على العلاقة بين مفهوم الذات وممارسة آليات الدفاع النفسي، واشتملت العينة على (211) مراهقاً و (221) مراهقة يدرسون بالمرحلة الجامعية، ومن ضمن النتائج التي توصل إليها عدم وجود فروق بين الذكور والإناث في الذات الواقعية، وأشار أيضاً إلى أن الإناث أكثر سلبية من الذكور في مفهوم الذات الاجتماعي.

ودرس "أبوزيد" 1996 مفهوم الذات لدى الجنسين، وذلك بهدف التعرف على مستواه وعلاقته بالالتزان الانفعالي، وأجريت الدراسة على عينة من طلبة المرحلة الجامعية بلغ حجمها (270) طالباً، تراوحت أعمارهم بين 10: 20 عاماً، وينتمون إلى مستوى اقتصادي متوسط، وأشارت نتائج الدراسة إلى وجود فروق دالة بين الجنسين حيث كان الذكور أكثر إيجابية، وكانت صورة الطالبة عن نفسها تختلف عن الصورة التي يراها بها الآخرون. وبينت النتائج أيضاً أن الإناث أقل تقبلاً للذات وأقل تقبلاً للآخرين.

أما فيما يتعلق بدراسة آثار النزوح في المجتمع الليبي فقد درس "المدني" متغير اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى عينة من النازحين الذين تتراوح أعمارهم بين (15- 70) سنة بمدينة مصراتة خلال الفترة من شهر مارس إلى شهر مايو 2011م وأظهرت نتائج الدراسة أن 16% من أفراد العينة يعانون بشكل حاد من هذا الاضطراب وأن نسبة الحالات الشديدة لدى الذكور أعلى منها لدى الإناث وبشكل عام فقد أشارت النتائج إلى عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسط درجات عينة البحث وفقاً لمتغيرات الجنس والعمر ومنطقة النزوح.

ويلحظ مما سبق قلة الدراسات الحديثة التي تتعلق بالسلوك العصابي ومكونات الذات، ولعل ذلك

راجع إلى اتجاه الباحثين في الألفية الثالثة إلى دراسة مفاهيم أكثر حداثة، والواقع أن دراسة هذه المتغيرات لا يرتبط بعصر أو ثقافة بحد ذاتها؛ بل إن الدراسة المتتالية لمثل هذه المتغيرات تسمح بالمقارنة بين ما يحدث خلال فترة وأخرى، خاصة أن مكونات الذات تعكس مدى توافق الفرد والمجتمع. ولاحظ الباحث من خلال فحصه للدراسات السابقة تنوعاً في استخدام أساليب التحليل الإحصائي للبيانات، حيث اتضح من نتائج بعض الدراسات أن بعضها اعتمد على معامل الارتباط وتحليل التباين، وذلك كما في دراسة "أحمد عبد الخالق ومايسة النيال" 2002 دون استخدام الانحدار الخطي المتعدد الذي يسمح بدراسة العلاقة التفاعلية بين المتغيرات ويوضح مدى إسهام كل متغير في المتغيرات الأخرى، وقد حرص الباحث على دراسة هذه الفئة من أبناء المجتمع الليبي لحيوية الدور الذي تقوم به مكونات الذات في توافق الفرد خلال هذه المرحلة، وذلك على عكس أغلب الدراسات التي تناولت المراهقة بشكل عام كما في دراسات "هوبس" 1990، و"جنرال" 1992. ودراسة المدني 2011 التي تناولت مراحل عمرية مختلفة لدى عينة عاشت ظروف حرب تختلف عن الظروف التي عاشتها عينة البحث الحالي.

منهج البحث: اعتمد البحث في إجراءاته على المنهج الوصفي الارتباطي، وذلك بإتباع بعض الخطوات التي تساعد في التعرف على مظاهر السلوك العصابي لدى عينة الدراسة، وكذلك محاولة تقديم وصف لمستوى مكونات الذات ثم مقارنة النتائج المتعلقة بكلا المتغيرين وتفسيرها وفق النظريات العلمية.

إجراءات البحث: وتضمنت الآتي:

. عينة البحث: تم اختيارها بالأسلوب العمدى وذلك بعد زيارة مدارس مرحلة التعليم الأساسي بمنطقة الخمس ومقابلة المرشدين والأخصائيين النفسيين والاجتماعيين، وتم التعرف من خلالهم على التلاميذ النازحين المسجلين بمدارسهم، ويعد هذا الأسلوب مناسباً عندما تكون العينات غير متجانسة وذلك بغرض تطوير عينة تمثل المجتمع تمثيلاً مناسباً، وتكونت عينة الدراسة من (98) تلميذاً بواقع (60) تلميذاً من الذكور ومن الإناث (38) تلميذة. والجدول (1) يبين توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغير العمر.

جدول (1) توزيع عينة الدراسة حسب متغير العمر

الدالة	المجموع		عينة الإناث		عينة الذكور		المجموعة	
	%	ك	%	ك	%	ك	البيان	
قيمة	17.72	24	36.84	14	11.67	7	10	

ت	21.52	19	10.53	4	25.0	15	11	العمر
0.27	34.18	32	26.32	10	36.67	22	12	
غير	18.99	20	26.32	10	16.67	10	13	
دالة	7.56	6	-	-	10.0	6	14	
	100	98	100	38	100	60	المجموع	

تجدر الإشارة إلى أن متوسط عمر مجموعة الذكور قد بلغ (12.76) سنة بانحراف معياري قدره 2.25 سنة، وبلغ متوسط عمر مجموعة الإناث 11.53 سنة بانحراف معياري قدره 2.28 سنة. وتبين أنه لا توجد فروق جوهرية بين الذكور والإناث في متغير العمر، حيث بلغت قيمة (ت) 0.27 وهي غير دالة إحصائياً.

- أدوات البحث: قام الباحث بفحص الاختبارات التي تؤدي نفس غرض البحث واستعان بها في صياغة عدد من العبارات حتى تخرج بالشكل الذي يناسب ثقافة العصر والظروف التي يمر بها المجتمع الليبي حالياً، وتم حذف العبارات التي تتناول موضوعات تختلف عما يقع في مجال اهتمام إنسان القرن الحادي والعشرين، وبذلك أصبحت الأدوات تتصف بالحدثة في مضمونها وبالاختصار في محتواها ووصفت بحيث يتم تعيبتها بمساعدة الأخصائي النفسي أو الاجتماعي بالمدرسة. وقد تضمنت الأدوات المحاور الآتية:

1. اختبار مكونات الذات: وتضمن مجالين:

. الذات الواقعية وتألف من 18 عبارة.

. الذات الاجتماعية وتألف من 20 عبارة.

2. اختبار السلوك العصبي: وتضمن:

. أعراض القلق وتألف من 14 عبارة.

. أعراض الوسواس القهري وتألف من 12 عبارة.

. الأعراض الاكتئابية وتألف من 14 عبارة.

. أعراض المخاوف المرضية وتألف من 12 عبارة.

إجراءات حساب الصدق والثبات لأدوات الدراسة:

في إطار إجراء الدراسة قام الباحث بحساب الصدق والثبات من خلال عينة استطلاعية من أطفال الأسر النازحة بلغ قوامها (20) طفلاً، حيث لجأ إلى طريقة الصدق الذاتي وطريقة التجزئة النصفية والجدول (2) يبين القيم التي تم التوصل إليها.

جدول (2) معاملات الصدق والثبات

قائمة تقدير الذات	معامل الثبات 0.86	الصدق الذاتي 0.84
مظاهر السلوك العصابي	معامل الثبات 0.83	الصدق الذاتي 0.82

نتائج البحث:

الفرض الأول: يسهم السلوك العصابي وبدلالة معنوية في التأثير على مكونات الذات لدى أطفال الأسرة النازحة الدارسين بمرحلة التعليم الأساسي بمنطقة الخمس.

أستخدمت معادلة الانحدار الخطي المتعدد لمعرفة دور المتغيرات المستقلة (المخاوف . القلق . الوسواس القهري . الأعراض الاكتئاب) في حدوث المتغير التابع (الذات المدركة . الذات الاجتماعية) من خلال الآتي:

1 . إسهام السلوك العصابي في التأثير على إدراك الفرد لذاته. والجدول (3) يوضح تأثير السلوك العصابي في إدراك الذات:

جدول (3)

يوضح إسهام السلوك العصابي في الذات المدركة

قيمة (ت)	المعلمة	ثابت الانحدار
31.4**	48.3	المتغيرات المستقلة
0.53	0.15	المخاوف
4.4-**	0.33-	القلق
2.9**	0.22	الوسواس القهري
8.8-**	0.61-	الأعراض الاكتئابية

يُلاحظ من بيانات الجدول السابق أن معلمة ثابت الانحدار قد بلغت 48.3، وهو ما يعني أن أيّ مفردة من عينة البحث لو تحصلت على درجة "صفر" في جميع المتغيرات المستقلة، فسوف تحصل على 48.3 من الدرجة المقررة لاختبار الذات المدركة، ومن خلال اختبار (ت) للمعنوية نجد أن لها دلالة معنوية عند مستوى (0.01). وبالرجوع إلى نفس الجدول نلاحظ أن المتغيرات المستقلة (القلق . الوسواس القهري . الاكتئاب) لها إسهام معنوي عند مستوى (0.01) في الذات المدركة، في حين لم تسهم المخاوف المرضية بمستوى معنوي.

2 . إسهام مظاهر السلوك العصابي في التأثير على الذات الاجتماعية: والجدول (4) يوضح تأثير مظاهر السلوك العصابي في الذات الاجتماعية:

جدول (4)

يوضح إسهام مظاهر السلوك العصابي في الذات الاجتماعية

قيمة (ت)	المعلمة	ثابت الانحدار
19.62**	43.14	المتغيرات المستقلة
0.56	0.02	المخاوف المرضية
2.34-*	0.17-	مظاهر القلق
0.56	0.04	الوسواس القهري
9.28-**	0.57-	الأعراض الاكتئابية

يتضح من الجدول (4) أن معلمة ثابت الانحدار بلغت (43.14)، وهذا يعني أن أي مفردة من عينة البحث لو حصلت على (صفر) في جميع المتغيرات المستقلة؛ فسوف تحصل على (43.14) من الدرجة المقررة لاختبار الذات الاجتماعية، ومن خلال تطبيق اختبار (ت) للدلالة المعنوية نلاحظ أن لها دلالة معنوية عند مستوى (0.01). ويتضح أيضاً أن متغير الاكتئاب له إسهام معنوي عند مستوى (0.01)، ومتغير القلق له إسهام معنوي عند مستوى (0.05)، في حين لم تسهم بقية المتغيرات المستقلة بدلالة معنوية.

الفرض الثاني: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين درجات أفراد العينة (الذكور والإناث) في استجاباتهم على مكونات قائمة مظاهر السلوك العصابي: (مظاهر القلق . المخاوف المرضية . الوسواس القهري . الأعراض الاكتئابية).

تم حساب المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري، وقيمة (ت)، لمعرفة مدى تباين أفراد العينة من الذكور والإناث في المعاناة من مظاهر السلوك العصابي، ودلالة الفروق بينهما. والجدول (5) يوضح تلك النتائج.

جدول (5)

يوضح دلالة الفروق بين الجنسين في مظاهر السلوك العصابي

م الدلالة	قيمة(ت)	الانحراف المعياري	المتوسط	المتغير	القائمة
0.01	3.34	1.39	1.95	ذكور	المخاوف
		2.21	7.7	إناث	المرضية
0.05	1.97	2.54	10.55	ذكور	مظاهر
		2.91	9.16	إناث	القلق
0.01	2.86	2.45	12.65	ذكور	الوسواس
		2.16	14.47	إناث	القهرية
غير دالة	1.84	2.56	7.33	ذكور	الأعراض
		1.72	6.16	إناث	الاكتئابية
0.05	2.49	3.69	35.74	ذكور	الدرجة
		4.32	38.52	إناث	الكلية

يتضح من الجدول (5)، أن هناك فروقا ذات دلالة إحصائية لصالح عينة الإناث من أبناء الأسر النازحة في المخاوف المرضية والوسواس القهرية وكذلك في الدرجة الكلية. وتبين أيضاً أن عينة الذكور أكثر معاناة من مظاهر القلق، وأن الفروق بينها وبين عينة الإناث كانت بدلالة إحصائية عند مستوى (0.05). أما بالنسبة للاكتئاب، فإن قيمة (ت) غير دالة إحصائياً مما يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين درجات أفراد العينة، وهذا يعني انتشار مظاهره بشكل متقارب بين الذكور والإناث.

وتبدو هذه النتائج منطقية ومتوقعة إلى حد كبير، فهي تتسق مع ما ورد في التراث النفسي، الذي يشير إلى أن الإناث أكثر تعرضاً للاضطرابات النفسية من الذكور، وأن الفروق بين الجنسين تظهر في وقت مبكر من العمر وتستمر كذلك في مراحل العمر التالية. (ريتشارد لن، 1990:

(14

ولعل ذلك يعود لطبيعة الأنثى التي تتسم بالحساسية ورهافة الحس، فضلاً عن القيود والضوابط التي تجدها الفتاة مفروضة عليها في هذه المرحلة، وشعورها بعدم الأمان ومخاوفها من الحياة القادمة يجعلها أكثر معاناةً من مظاهر السلوك العصابي وقد يتسبب ذلك في ظهور بعض المخاوف المرضية والوسواس القهرية لديها.

الفرض الثالث: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين درجات أفراد العينة من الجنسين (ذكور .
إناث) في مستوى إدراك الذات واقعياً واجتماعياً.

أُستخدم المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري، واختبار (ت)، للوقوف على الاختلافات بين
الجنسين في مستوى بعض مكونات الذات. والجدول (6) يوضح النتائج المتعلقة بذلك:

جدول (6)

يوضح دلالة الفروق بين الجنسين في مستوى إدراك الذات واقعياً واجتماعياً

الاختبار	المتغير	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	م الدلالة
الذات المدركة	ذكور	12.68	1.35	3.226	0.01
	إناث	11.69	1.08		
الذات الاجتماعية	ذكور	13.43	1.34	1.036	غير دالة
	إناث	12.94	1.89		

بالنظر إلى الجدول (6)؛ يتضح وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين درجات عينة الذكور
ودرجات عينة الإناث في مستوى الذات المدركة لصالح عينة الذكور، وبذلك تكون النتائج غير
متفقة مع ما توصلت إليه نتائج الدراسات السابقة التي أجريت على الأطفال، وهذا يعكس قدراً
أكبر من التوافق لدى الأطفال الذكور مع البيئة المحيطة ومتطلباتها، وبالرغم من حصول عينة
الذكور على متوسط أعلى من عينة الإناث إلا أن الفروق الملحوظة لم تصل إلى مستوى الدلالة
الإحصائية في مستوى الذات الاجتماعية، ويمكن تفسير ذلك من خلال الإطار الاجتماعي للمجتمع
الليبي الذي تفرض فيه قيوداً كثيرة على العلاقات الاجتماعية للإناث على عكس الذكور الذين
تشجعهم ثقافة المجتمع على التنوع في العلاقات، وهذا بالطبع له أثره على إدراك الفرد لذاته واقعياً
 واجتماعياً. فأهم مشكلة تواجه الأطفال خاصة أنهم قد بدأوا ينتمون إلى عالم المراهقة هي مشكلة
الهوية وهذا يعكس مفهوماً مضطرباً للذات.

تعليق عام وتوصيات:

جاءت نتائج التحليلات الإحصائية للاختبارات متفقة إلى حد كبير مع نتائج الدراسات السابقة
وخاصة فيما يتعلق بالفروق بين الجنسين في مكونات الذات وأعراض السلوك العصابي، وكذلك
فيما يتعلق بالعلاقة بينهما، واتفقت هذه النتائج إلى حد كبير مع الرأي الذي جاء به "كارل روجرز"
صاحب نظرية الذات، الذي أشار إلى أن الفرد يسلك سلوكاً يتفق مع مفهومه عن ذاته، وأن مفهوم
الذات الموجب يرتبط بالتوافق السليم، وأن أي اضطراب في مفهوم الذات يمكن اعتباره من أعراض

سوء التوافق، وبالتالي فإن العمل على تحقيق الاتزان النفسي والوقاية من الاضطراب الانفعالي إلى الحد المعقول يعملان على خلق اتجاه إيجابي نحو الذات والآخرين، وهذا ما أكدته نتائج تطبيق معادلة الانحدار الخطي التي أوضحت أنه كلما زادت معاناة الفرد من مظاهر السلوك العصابي قلّ مفهومه عن ذاته. وهنا ينبغي الإشارة إلى ضرورة تحديد الأسباب المؤدية إلى ارتفاع مظاهر السلوك العصابي لدى الأطفال النازحين والاتجاه إلى دراستها ميدانياً، وخاصة تلك المتغيرات التي أسهمت في التأثير على بعض مكونات الذات وهي القلق، والوسواس القهري، والاكتئاب.

وهنا نرى أن الأطفال النازحين مع أسرهم هم ضحايا لمجموعة متشابكة من العوامل والأحداث، التي تتفاعل دون أن نلقي بكل التبعية على جهة دون أخرى، فالأسرة مثلاً هي في الغالب ضحية للعديد من العوامل والظروف الراهنة التي تعيشها كحرمان أفرادها أو بعضهم من الوظيفة ونقص أو انعدام الأمن وقلّة الخدمات مع عدم توفر المؤسسات التي تتحمل مسؤولية الرعاية والمساعدة في العودة أو الانضواء تحت لواء مؤسسة اجتماعية تمكنهم من الانخراط في أعمال تناسب مستوياتهم المعرفية والجسمية. وبهذا فإن الباحث يوصي بالعمل على إيجاد المقومات التي تساعد في توفير الظروف الملائمة للوصول إلى وعي فردي ومؤسسي من خلال الندوات ووسائل الإعلام وعدم التهاون في اتخاذ الإجراءات التي تسعى إلى رعاية الأطفال في ظل الظروف السيئة التي تشهدها البلاد بعيداً عن إخفاء الحقائق والمجاعة الاجتماعية لأن واقع الأسرة الليبية النازحة يجعلها تعيش ظروفاً تقربها من التفكك وتدفع بها إلى العجز والتعاسة نتيجة الإحباطات المتكررة وتأجيل إشباع الرغبات مما قد يدفع بهم في نهاية المطاف إلى مزيد من القلق والتخبط.

مراجع البحث:

- 1 . إبراهيم أبو زيد، (1996)، مفهوم الذات لدى الجنسين وعلاقته بالاتزان الانفعالي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة.
- 2 . أحمد محمد عبد الخالق، ومايسة أحمد النيال، (2002)، دراسات في شخصية الطفل العربي، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، المجلد الأول، ص 147.
- 3 . أحمد محمد عبد الخالق، ومايسة أحمد النيال، (2003)، دراسات في الطفولة والمراهقة، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، المجلد الثاني، ص 48.
- 4 . أديب الخالدي، (2002)، المرجع في الصحة النفسية، (ط2)، غريان ليبيا: الدار العربية للنشر والتوزيع والإعلان.
- 5 . أشرف محمد عبد الغني، (2001)، المدخل إلى الصحة النفسية، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

- 6 . خالد محمد المدني، (2011)، اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى عينة من النازحين بمدينة مصراتة، في مجلة الأبعاد والآثار النفسية للنزوح خلال الحرب حالة مدينة مصراتة، إعداد لجنة إيواء وتسكين الأسر النازحة بالمدينة، نوفمبر 2012م. ص ص 10: 27
- 7 . سحر علي طه، (2001)، مفهوم الذات لدى مرضى الجلد السيكوسوماتيين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة عين شمس.
- 8 . ريتشارد لن، (1990)، مقدمة لدراسة الشخصية، ترجمة أحمد محمد عبد الخالق، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- 9 . عادل عز الدين الأشول، (1999)، علم نفس النمو من الجنين إلى الشيخوخة، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.
- 10 . عبد الرحمن عيسوي، (2002)، الأمراض النفسية وعلاجها، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- 11 . عثمان علي أمين، (2000)، في نظريات الشخصية، طرابلس: مطابع عصر الجماهير.
- 12 . فؤاد محمد الدواش، (2004)، الذكاء الوجداني عند المراهقين وعلاقته ببعض متغيرات الشخصية، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد الدراسات والبحوث التربوية جامعة القاهرة.
- 13 . فوزي محمد جبل، (2000)، الصحة النفسية وسيكولوجية الشخصية، الإسكندرية: المكتبة الجامعية.
- 14 . محمد قاسم عبدالله، (2000) الشخصية. نظرياتها وتطبيقاتها الإكلينيكية والتربوية، دمشق: دار المكتبي للطباعة.
- 15 . مصري عبد الحميد حنورة، (1998)، الشخصية والصحة النفسية، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.
- 16 . مفتاح محمد أشكري، (2003)، مفهوم الذات وعلاقته بممارسة آليات الدفاع النفسي لدى طلبة الجامعة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة المرقب.
- 17 . منى حسين الدهان وآخرون، (2011)، المشكلات النفسية لدى الأبناء المراهقين لدى الأمهات المضطربات وجدانياً، مجلة دراسات الطفولة، مجلد (14)، العدد (52)، ص ص 173: 191.

18 – Baldwin, M, W. (2001): Relational Scheme activation: Does Bob Zajonc ever scowl at you from the back of your mind.

- 19 – Hops, H, (1990): All good–sex Differences and Adolescent Depression, Journal of Abnormal Psychology. (99),(1).P55– 61.
- 20 – [www. galam. com/ forums/ showthread. php? p=25462](http://www.galam.com/forums/showthread.php?p=25462).
- 21 – [www. islamonline. net/ Arabic/ Science/ 2001/ 03/ Article 7. Shtml](http://www.islamonline.net/Arabic/Science/2001/03/Article7.Shtml).
- 22 – [www.sehha.com/ mentalhealth/anxiety. Stress.htm](http://www.sehha.com/mentalhealth/anxiety.Stress.htm).
- 23 – [www. toubibonline. com/ psyche. asp? Subtopicid=1175](http://www.toubibonline.com/psyche.asp?Subtopicid=1175).
- 24 – Mwamwanda, T, S;(1991): 'Sex deference in self concept among African adolescents perceptual and motor skills, V(73),p 191–194.
- 25– Rasor, Eugene L, (2000): Winston S. Churchill, 1874–1965: A Comprehensive Historiography and Annotated Bibliography. Greenwood Press.
- 26 – [WWW.Sehha. Com/ ebooks/ anx.htm](http://WWW.Sehha.Com/ebooks/anx.htm)–12K
- 27 – Young & Hazel (2001). Issues of access and identity; Asapting re–search methods with Kampala street children, Childhood; A Global Journal of Child Research, Aug. Vol. 8 (3),p. 383– 295

الإمكانات البشرية للسياحة في إقليم طرابلس

د. خالد سالم علي معوال

المقدمة

تعد السياحة صورة التطور الحضاري لشعوب العالم، وهي تعتبر صناعة من الصناعات المهمة في هذا الزمن لما لها من تأثير على اقتصاديات الدول، ولأنها تمثل مصدراً رئيسياً للدخل القومي، فهي نشاط مركب ومتداخل مع العديد من القطاعات وليست كما يرى البعض، بأنها ترف اجتماعي، فهي تساعد على إنجاح مخططات التنمية، وتهيئ الفرص لتعمل على خلق صناعات مكملة لها كصناعات التقليدية، وبناء المرافق مثل الفنادق والمطاعم والمقاهي، والقرى السياحية والمنتجعات، والتي بدورها تتيح فرص العمل، وبالتالي تساهم في زيادة التنمية الشاملة داخل أي دولة⁽¹⁾.

وتعد الإمكانات البشرية من المقومات التي تسهم في التنمية السياحية بإطرها المكاني بشكل مباشر أو غير مباشر، وتتمثل هذه الإمكانات في، السكان وتوزيعهم والمقومات التاريخية والآثرية والطابع الحضاري الذي تتمتع به المنطقة وكذلك الخدمات بمختلف أشكالها، هذا إضافة إلى النقل بمختلف أنواعه وخاصة النقل بالسيارات، حيث يعتبر هو الركيزة الأساسية للوصول للأماكن السياحية داخل المنطقة.

(1) هدى سيد لطيف، 1999، "السياحة بين النظرية والتطبيق"، الشركة العربية للتوزيع، المهندسين،

مشكلة الدراسة:

- 1- اهتمام الدولة بالتنمية السياحية مما يستتبع الاهتمام بالدراسة في هذا المجال.
- 2- يتميز إقليم الدراسة بتنوع البيئات الطبيعية التي يمكن أن تخدم أنماطا سياحية مختلفة.
- 3- تنوع الموارد السياحية في إقليم الدراسة بين موارد طبيعية مثل العيون الطبيعية، والمعدنية واعتدال المناخ وأيضاً توافر موارد بشرية مثل الآثار والنمط الحضاري وما يتبع ذلك من تعدد أنماط السياحة
- 4- حداثة الدراسات التي تربط بين إمكانات البيئة والتنمية السياحية في ليبيا.

أهمية الدراسة:

تتلخص أهمية الدراسة فيما يلي:

- 1 - إلقاء الضوء على الإمكانات الطبيعية والبشرية ومدى إمكانية تفعيلها سياحياً لتعود بالنفع على البلاد اقتصادياً.
- 2 - إبراز أهمية السياحة وتنميتها في خلق فرص عمل جديدة.
- 3 - إظهار أهم المشاكل والمعوقات التي يعاني منها قطاع السياحة بمنطقة الدراسة.
- 4 - التعرف على أهم المواقع السياحية وتنميتها.
- 5 - حصر الموارد البيئية الطبيعية والبشرية ومعرفة الموارد المتوفرة التي ستسهم في تنمية النشاط السياحي.

أولاً: الموقع الفلكي والجغرافي :

1- الموقع الفلكي:

تقع ليبيا بين خطي طول 9° 25 شرقاً وأن أقصى امتداد لها من ناحية الشمال يصل إلى خط عرض 10° 33 شمالاً في إقليم الجبل الأخضر في الشمال الشرقي، وأقصى امتداد لها من ناحية الجنوب يصل إلى خط عرض 45° 18 في طرفها الجنوبي الشرقي، وهي بالتالي تقع في شمال القارة الأفريقية وجنوب قارة أوروبا⁽¹⁾، كما هو موضح بالشكل رقم (1).

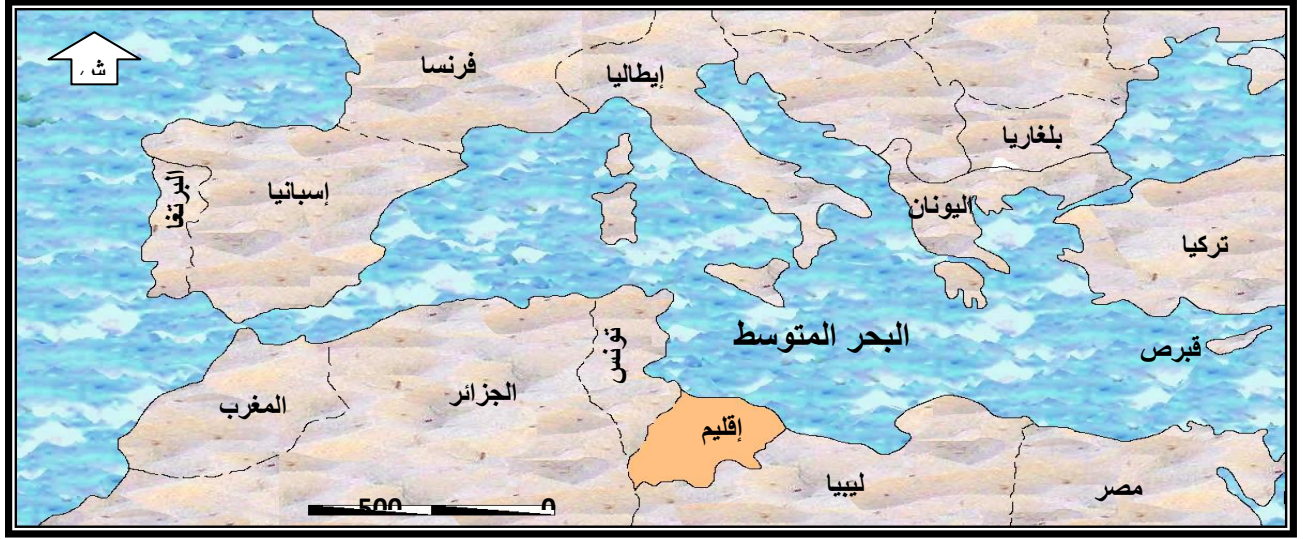
تقع منطقة الدراسة في الشمال الغربي من ليبيا حيث يحدها من الشمال البحر المتوسط ومن الشمال الغربي تونس ومن الغرب الجزائر ومن الشرق مجرى (وادي أبي الكبير) ومن الجنوب صحراء الحمادة الحمراء. الشكل رقم (2).

أما من الناحية الفلكية فيقع بين دائرة عرض 30° 28 و 15° 33 شمالاً وبين خطي طول 30° 9 و 16° شرقاً.

وتضم منطقة الدراسة إدارياً عدداً من الشعبيات وهي من الشرق مصراته ، المرقب، طرابلس، جفارة، الزاوية، النقاط الخمس، نالوت، الجبل الغربي، وتبلغ مساحة المنطقة حوالي 170 ألف كيلو متر مربع، وتمثل 11% من نسبة مساحة ليبيا، وتضم المنطقة حوالي 3 ملايين نسمة تبعاً لتعداد 2006 وبنسبة تصل إلى 49% من إجمالي السكان ليبيا لنفس التعداد⁽²⁾.

(1) سالم الحجاجي، 1989، "ليبيا الجديدة"، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، ص 14.
(2) الهيئة الوطنية للتوثيق والمعلومات، التعداد العام للسكان 2006، طرابلس، ليبيا، ص 13.

شكل رقم (1)



المصدر: الأطلس الوطني، مصدر سابق، ص7.

شكل رقم (2)

موقع منطقة الدراسة من ليبيا



المصدر: الأطلس الوطني للجماهيرية، ص 51.

2 - الموقع الجغرافي:

يعد الموقع الجغرافي عاملاً رئيسياً يعطي مكانه مهمة وشخصية مميزة⁽¹⁾، وللموقع الجغرافي تأثيرات متباينة على السياحة تتراوح ما بين مباشرة وغير مباشرة، إذ يلعب دوراً هاماً في تحديد خصائص بعض عناصر المناخ وأشكال النبات ذات الجذب السياحي، ويلعب الموقع الجغرافي أحياناً كثيرة دوراً مؤثراً في تحديد جنسية السياح، بل وأحياناً في تحديد مدة الإقامة، فالموقع الجغرافي لبعض الدول ذات الإمكانيات السياحية من القرب من دول معينة تشكل نطاقات رئيسية للطلب

(¹) نشوة محمد المغربي، 2006، "المناخ وأثره على بعض جوانب النشاط البشري في صحراء مصر الغربية"، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، كلية البنات، غير منشورة، ص 293.

السياحي⁽¹⁾.

تقع ليبيا في الجزء الأوسط من الساحل الجنوبي للبحر المتوسط حيث يحدها من الشمال البحر المتوسط ومن الشرق كلاً من جمهورية مصر العربية والسودان ومن الجنوب تشاد والنيجر ومن الغرب تونس والجزائر وتطل ليبيا على خط ساحل بحري طويل يصل إلى 1950 كم تقريباً، وبمساحة تقدر بحوالي 1.759.540 كم² في شمال القارة الإفريقية⁽²⁾، وتمتلك ليبيا حدود مترامية الأطراف حيث يمكن تفصيلها كما هو موضح بالجدول رقم (1) على النحو التالي: **جدول رقم (1)**

يوضح أطوال الحدود الليبية مع دول الجوار.

الدولة	مصر	السودان	تشاد	النيجر	الجزائر	تونس	المجموع
الطول كم	1150	383	1055	354	982	459	4383

المصدر: الهيئة الوطنية للتوثيق والمعلومات، طرابلس، ليبيا.

وتقع منطقة الدراسة في الشمال الغربي من ليبيا في مساحة تصل إلى حوالي 170 ألف كيلومتر مربع وتمثل بنسبة تصل إلى 11% من مساحة ليبيا حيث يحدها من الشمال البحر المتوسط ومن الشمال الغربي تونس ومن الغرب الجزائر ومن الجنوب صحراء الحمادة الحمراء ومن الشرق مجري وادي بي الكبير الذي يمثل الحدود بين منطقة الدراسة وشعبتي سرت وجفارة، وتنقسم من حيث التقسيم الإداري إلى شعبيات: مصراته، المرقب، طرابلس، جفارة، النقاط الخمس، الزاوية، الجبل الغربي، نالوت، وتعد مساحة منطقة الدراسة حوالي 170 ألف كم

⁽¹⁾ محمد خميس الزوكة، 1996، "صناعة السياحة بمنظور جغرافي"، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، ص 102.

⁽²⁾ محمد المبروك المهدي، 1998، "جغرافية ليبيا البشرية"، دار الكتب الوطنية، ط الثالثة، ص 7.

مربع، ويعدد سكان حوالي 3 ملايين نسمة⁽¹⁾، إضافة إلى خط ساحل يصل 550 كيلو متر يبدأ من مصراته شرقاً إلى رأس أجدير غرباً، كما هو موضح بالشكل رقم (3).

السكان:

السكان من العوامل التي تساعد على تنشيط حركة السياحة، حيث يعد السكان أحد عناصر المنتج السياحي الذي يجب توفره في البلد المضيف، كما تتأثر برامج التنمية السياحية بالعوامل المسيطرة على سلوك المجتمع و تصرفاته⁽²⁾.

يبلغ عدد سكان ليبيا عام (2006) 5.657.692 مليون نسمة 91% منهم ليبيون والباقي غير ليبيين، وتبلغ مساحة ليبيا حوالي 1.775.500 كيلو متر مربع⁽³⁾، ويلاحظ التفاوت الواضح بين المساحة الكبيرة للدولة وعدد السكان القليل، إلا أن التوزيع الحقيقي للسكان في ليبيا يتركز على الشريط الساحل بصفة خاصة، يرجع ذلك إلى العوامل الطبيعية التي تتحكم في توزيع السكان.

1- حجم ونمو السكان:

بلغ عدد سكان ليبيا في عام 1842م حوالي 518 ألف نسمة وذلك حسب تقدير السلطات التركية. كما قدر الإيطاليون في عام 1911م عدد سكان ليبيا حوالي 560 ألف نسمة. بذلك يكون إجمالي الزيادة السكانية في الفترة من 1842 إلى 1911م لا تزيد عن 8%.

وخلال الأربعين سنة الأخيرة تطور حجم السكان في ليبيا بصورة سريعة، وذلك إثر اكتشاف النفط وما تم تنفيذه من خطط تنموية مختلفة انعكست بدورها

(¹) الهيئة الوطنية للتوثيق للمعلومات، التعداد العام للسكان 2006، طرابلس، ليبيا.

(²) مجلة البحوث السياحية، العدد السادس، مركز البحوث بوزارة السياحة، ج.م.ع، ص 37، 1989.

(³) الهيئة العامة للتوثيق والمعلومات، 2006، التعداد العام للسكان باليبييا، ص 40.

على ارتفاع معدلات المواليد والزواج وانخفاض معدلات الوفيات، يضاف إلى ذلك تدفق الأيدي العاملة، بعد تحسن الأوضاع الاقتصادية وعودة الليبيين من المهجر فكانت هذه الهجرة عاملاً ديموغرافياً آخر له تأثيراته على تطور حجم السكان⁽¹⁾.

جدول رقم (2)

تطور حجم ونمو السكان في ليبيا من عام (1973-2006م)

التعدادات	ذكور	إناث	المجموع	%النمو السنوي
1973	1057919	994453	2052372	-
1984	1651562	1579497	3231059	5.2
1995	2231079	2158660	4389739	3.3
2006	2687513	2610639	5298152	1.9

المصدر:

1 - الهيئة العامة للتوثيق والمعلومات، النتائج النهائية لتعداد العام لسكان، 2006.

2 - الهيئة العامة للتوثيق والمعلومات، الكتيب الإحصائي، 2008.

3 - الهيئة العامة للتوثيق والمعلومات، التعداد العام للسكان الجماهيرية، 1995.

4 - الهيئة العامة للتوثيق والمعلومات، التعداد العام للسكان الجماهيرية، 1984.

5 - الهيئة العامة للتوثيق والمعلومات، التعداد العام للسكان الجماهيرية، 1973.

⁽¹⁾ منصور الكيخيا، الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، مرجع سبق ذكره، ص363.

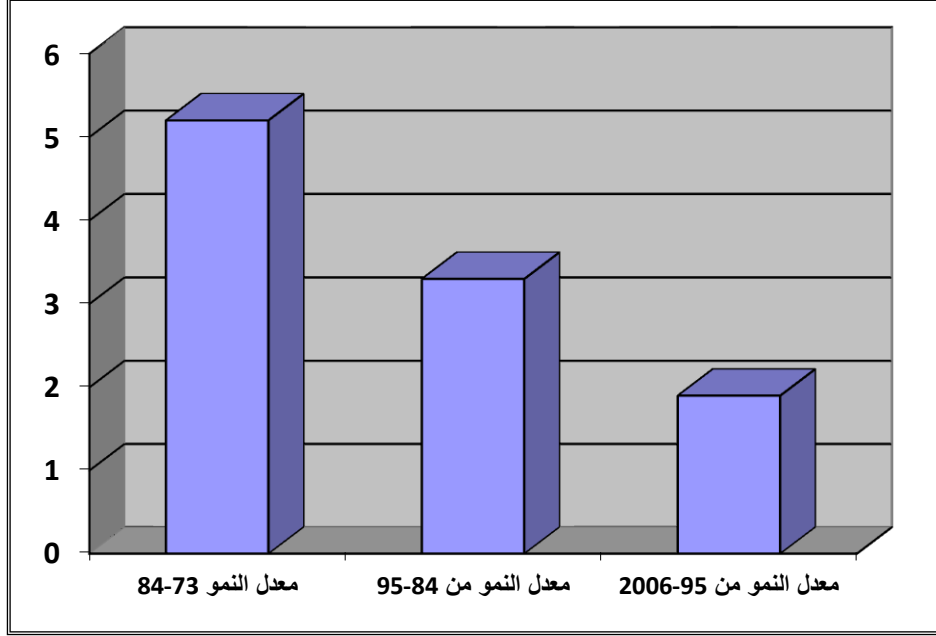
وبالنظر إلى الجدول السابق نلاحظ أن ليبيا شهدت زيادة كبيرة في عدد سكانها، ويعتقد أن هذا الزيادة قد بدأت فعلاً مع بداية السبعينيات، إذ بلغ معدل النمو السنوي خلال الفترة ما بين عامي (1973-1984) حوالي (5.21)، ويمكن إرجاع هذه الزيادة السريعة في عدد السكان إلى اكتشاف النفط، وتساعد عمليات الاكتشاف والإنتاج، وبالتالي تزايد الدخل، مما عاد على البلاد بأموال طائلة، انعكست على زيادة حجم الاستثمارات في برامج التنمية المختلفة، مما نتج عنه ارتفاع معدلات الدخل للأفراد وارتفاع مستوى المعيشة لديهم، وهذا ما جعل أعداد كبيرة من الليبيين المهاجرين يعودون إلى بلادهم، بالإضافة إلى تزايد حجم العمالة العربية والأجنبية التي جذبتها مشاريع التنمية الهائلة، التي بدأت الدولة في تنفيذها خلال الستينات والسبعينات، وبالتالي ساهم هذا في ارتفاع معدل النمو. من المعروف أن معدل النمو السكاني السريع له نتائج ذات علاقة مرتبطة بالبيئة والاقتصاد والتقدم والاستقرار السياسي⁽¹⁾.

بدأ معدل النمو السنوي للسكان فبالإنخفاض حيث وصل 3.3% في الفترة ما بين عامي (1984-1995) م، ثم إنخفض مره أخري إلي 1.9% فقط ما بين عامي (1995-2006) م، ويرجع هذا السبب في هذا الانخفاض إلى الظروف الاقتصادية الصعبة في فترة الحصار التي مرت بها البلاد في الثمانينات والتسعينات، وما نتج عنها بين توقف لأعداد كبيرة من مشاريع وبرامج التنمية، مما أدى إلى مغادرة أعداد كبيرة من الشركات والعمالة الأجنبية والعربية في البلاد.

(¹) Population Dinieion,2000 Below.Replacement fertility DESA, NewYork, , p.111.

شكل رقم (4)

معدل نمو السكان في ليبيا من الفترة (73 - 2006) (%)



المصدر: من عمل الباحث أستناداً الى الجدول رقم (2).

2- توزيع السكان على البلديات:

تتمتع ليبيا بمساحة كبيرة ويتالي تنقسم إلى 22 بلدية وتباين توزيع السكان تبايناً شديداً، فعلى الرغم من أن الكثافة العامة للبلاد تبلغ حوالي 235 نسمة لكل مائه كيلومتر مربع، فإنها تختلف من مكان إلى آخر، وحتى أن الاعتماد على مدلول الكثافة العامة لا يعطي توزيع دقيق لأنها جغرافياً تشير لمنطقة قد تكون أجزاء كبيرة فيها غير نشطة اقتصادية، وغير مسكونة فأغلب مناطق ليبيا صحراوية تسبب في انخفاض معدل الكثافة العامة، ولكن لا يمكن الاستغناء عنها في دراسة توزيع السكان⁽¹⁾.

⁽¹⁾ محمد مبروك المهدي، 2006، المهدوي جغرافية ليبيا، دار الكتب الوطنية، ص 131.

ويتبين من الجدول التالي أن بلديات الشمال بصفة خاصة تمثل المرتبة الأولى في توزيع السكان وكثافتهم، وأن بلديات الوسط والجنوب والتي تمتد أراضيها إلى الأجزاء الصحراوية حيث إنخفاض الكثافة العامة التي تصل إلي حوالي 0.05 نسمة للكيلومتر المربع، غير أن هذه الكثافة قد لا تعطي الصورة الحقيقية للسكان وتوزيعهم نظراً لأن هناك بعض أجزاء من البلديات أغلب مساحتها ذات نطاق صحراوي مثل مصراته ونالوت، وبالنظر إلى الجدول رقم (3) يظهر التباين الواضح في توزيع السكان بين بلديات منطقة الدراسة.

الجدول رقم (3) توزيع السكان بين بلديات إقليم الدراسة لسنة (2006).

ت	بلدية	اجمالي السكان	%	المساحة كم ²	%	الكثافة
1	مصراته	543129	15.6	29172	15.2	18.6
2	المرقب	427886	12.4	6796	3.5	62.9
3	طرابلس	1063571	30.7	835	0.43	1273.7
4	الجفارة	451175	13.0	2666	1.3	169.2
5	الزاوية	290637	8.4	2753	1.43	105.6
6	النقاط الخمس	287359	8.3	6089	3.16	47.2
7	الجبل الغربي	302705	8.8	76717	40	3.9
8	نالوت	93896	2.8	67191	35	1.40
9	الإجمالي	3.460.358	100	192219	100	-

المصدر: 1 - الهيئة العامة للتوثيق والمعلومات، التعداد العام للسكان 2006، ص 86.

2 - الهيئة العامة للتوثيق والمعلومات، الكتيب الإحصائي 2008ف،

ص 61.

من خلال الجدول السابق يتضح لنا العديد من النقاط من أهمها:

أ- تعد بلدية طرابلس من أكثر البلديات كثافة من حيث السكان وأقل البلديات من حيث المساحة حيث وصل عدد السكان فيها إلى 1.635.71 نسمة على مساحة تقدر بحوالي 835 كم²، وإن هذا التركيز الواضح لبلدية طرابلس يمكن تفسيره باستقرار كافة العوامل الاقتصادية والاجتماعية لدولة إضافة الي أنها تمثل عاصمة الدولة و كذلك تركيز كافة انماط الحياة المختلفة بها.

ب- تعتبر بلدية مصراته من أكثر بلديات منطقة الدراسة من حيث المساحة، حيث بلغ عدد السكان حسب تعداد (2006)م، 543129 نسمة علي مساحة تقدر بحوالي 29172 كم² ونسبة وصلت الي 15.2%، حيث يتبين لنا أن هذه ال بلدية تعتبر من أهم البلديات فى منطقة الدراسة حيث تعتبر من أهم المناطق الاقتصادية فى ليبيا كذلك يقع فيها واحد من أكبر مصنع للحديد والصلب فى شمال أفريقيا وكذلك ميناء كبير، أضافه الي وقوعها على شاطي البحر وامتدادها لمسافة كبير باتجاه الجنوب وبالتالي تحتوى علي انواع مختلفة من البيئات.

ج- بلديات المرقب وجفارة تتشابه من حيث السكان لكنها تختلف من حيث المساحة والكثافة وذلك نظراً لوقع بلدية جفارة فى ظهير بلدية طرابلس كذلك توجد بها العديد من المراكز الاقتصادية والزراعية، بينما تمثل بلدية المرقب مساحة كبيرة وكثافة قليلة نظراً لوقعها علي مساحة كبيرة وفى منطقة جبلية وتمتد على شاطئ البحر المتوسط بطول يصل الي 100 كم و كذلك تمتد باتجاه الجنوب الي حوالي 110 كم وهى تمتد على سلسلة جبال طرابلس و يتركز سكانها على شاطئ البحر وبعض المراكز السكانية الجبلية الأخرى.

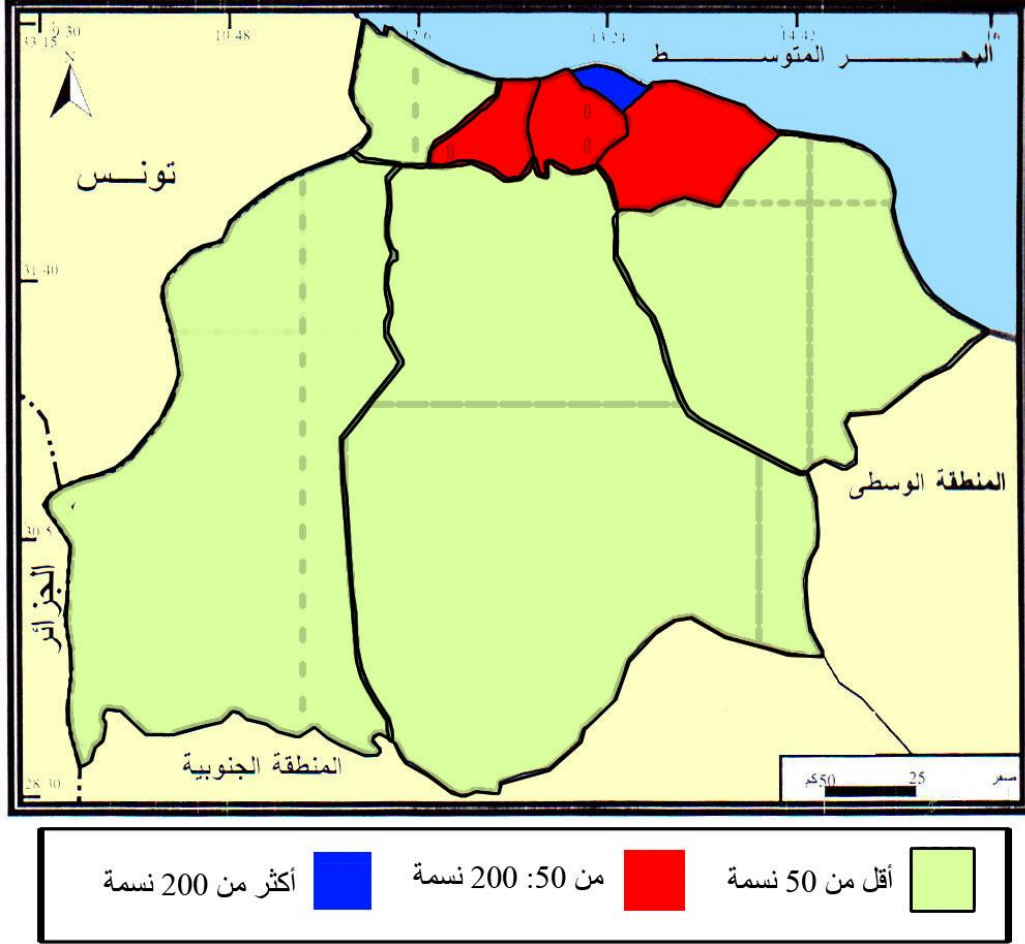
د- تتقارب بلديات الزاوية والنقاط الخمس و الجبل الغربي من حيث عدد السكان حيث بلغت نسبة كل واحدة منها على التوالي الي(8.4 - 8.3 - 8.8 %)، ولكن الاختلاف يبدو اضحاً من حيث المساحة و الكثافة حيث تعتبر بلدية الزاوية من البلديات محدودة المساحة وكذلك تعتبر من المناطق الأقتصادية نظراً لانتشار الصناعات التحويلية النفطية وموانئ لتصدير النفط، أما شعبيتي النقاط الخمس و الجبل الغربي فهما يمتدا على مساحة كبيرة نظراً لان الأولى تمتد في منطقة ذات اراضى سبخة وهي تمتد بشكل واضح على طول خط الساحل ل بلدية النقاط الخمس، وبالنسبة ل بلدية الجبل الغربي فهي تمتد على طول نطاق الجبل الغربي بتالي فهي منطقة جبلية صعبة السكن ويتركز سكانها في بعض المناطق مثل غريان وغيرها وهي ذات غابات كثيفة وارتفاعات عالية وبتالي تعتبر مقصد لعدد من السياح.

هـ- تعد بلدية نالوت من المناطق ذات البيئة الجبلية والصحراوية وهي تعتبر من أقل البلديات من حيث عدد السكان ومع هذا توجد العديد من التجمعات السكانية بها.

و- التركيز الواضح للسكان في المناطق الشمالية يمكن تفسيره باستقرار العوامل الطبيعية إلى جانب العوامل الاقتصادية البشرية، فهناك ارتباط قوي بين الظروف الاقتصادية و الطبيعية، ومعدلات الكثافة العامة في المراكز المدنية والمواقع المشروعات الاقتصادية والاجتماعية، فهناك انتشار للسكان على المناطق الساحلية الضيقة، خاصة في المنطقة الممتدة من مصراته حتى الحدود التونسية والتي تمثل حوالي أكثر من 60% من سكان البلاد وتقل الكثافة كلما ابتعدنا عن هذه المنطقة ، وأن هذه الكثافة العالية ترجع إلى توافر إمكانيات الحياة، فمعدل الأمطار يزيد عن 200ملم، بالإضافة إلى وجود سهول صالحة للزراعة وذات مناخ معتدل كما تتوفر المياه الجوفية والعيون وتواجد أكبر الموانئ والمطارات في البلاد إضافة إلى التوسع الكبير كمراكز رئيسية للإدارة والتجارة والاقتصاد والنقل.

شكل رقم (5)

توزيع السكان بين بلديات إقليم الدراسة لسنة (2006)



المصدر: من إعداد الطالب استنادا إلى الجدول رقم (1)

3- العمالة في السياحة:

تمثل قدرة قطاع السياحة علي خلق فرص عمل متنوعة وكثيرة، أهم الأسباب التي دفعت بالكثير من حكومات دول العالم إلى دعم القطاع السياحي وتفعيل التنمية السياحية، خاصة إذا كانت البيئة بشقيها الطبيعي والبشري تسمح بقيام النشاط السياحي يرجح توفير السياحة لفرص عمل للسكان كونها متعددة الأنشطة والهيئات ولها علاقات عديدة مع القطاعات الاقتصادية الأخرى، وتقوم

العمالة السياحية في القطاع السياحي علي الفرص الوظيفية المباشرة وغير المباشرة التي يوفرها هذا القطاع⁽¹⁾.

الأنشطة السياحية تنتمي إلى القطاع الخدمي والذي يعتمد بكثافة على العنصر البشري، فمثلا لا تستطيع الآلات أن تساهم في تقديم الخدمات السياحية التي تعد من أهم العوامل التي تمثل القدرة الفائقة للسياحة على توليد فرص العمل⁽²⁾.

نظراً لطبيعة قطاع السياحة المجزأ، وارتباطها بالقطاعات الاقتصادية الاخرى التي تزودها بالسلع والخدمات اللازمة، فهي تساهم بطريقة غير مباشرة في ايجاد فرص عمل كثيرة في مختلف القطاعات الاقتصادية⁽³⁾.

تنقسم العمالة السياحية في منطقة الدراسة إلى ثلاثة أنواع مختلفة وهي :

أ- العمالة المباشرة والتي تعمل في مختلف المنشآت السياحية كالفنادق والمطاعم والقرى السياحية والمناطق الأثرية والمتاحف،

ب- العمالة الغير مباشرة التي تعمل في الأنشطة الاقتصادية التي تساهم بشكل غير مباشر في تنشيط حركة السياحة وزيادة تميزها مثل النقل والاتصالات والبناء، إضافة إلى العمالة الموسمية والتي يولدها النشاط السياحي المحلي وفي مواسم معينة⁽⁴⁾

أ- العمالة المباشرة:

يصل حجم العمالة في السياحة في منطقة الدراسة نحو 8717 عاملاً

⁽¹⁾ حفصة عبد السلام ضوء، النشاط السياحي في مدينة غدامس، مرجع سبق ذكره، ص 137.

⁽²⁾ اللجنة الشعبية لشعبية المرقب، الهيئة العامة للسياحة، 2004، السياحة في شعبية المرقب، ص 40.

⁽³⁾ Ed Kadt, E., 1979, Tourism Passport to development. London, OxfordUniversity Press, P36.

⁽⁴⁾ إمكانات التنمية السياحية في محافظات شرق الدلتا، طارق السيد، مرجع سبق ذكره، ص 514.

ويتوزع هذا العدد على أنواع مختلفة من فنادق ومطاعم وقرى سياحية ومصايف وشركات سياحية وتشاركيات سياحية وغيرها.

وتأخذ العمالة في الفنادق والمطاعم حسب إحصاء 2006ف النصيب الأعلى في العمالة المباشرة في المجال السياحي، حيث يصل أعداد المشتغلين في هذا النوع حوالي 5048 عاملاً ويتاليمثل النسبة الأكبر، وتليها الشركات السياحية والتي تمثل النوع الثاني في أعداد المشتغلين، تمثل منطقة الدراسة الجزء الأكبر للشركات والتشاركيات السياحية في ليبيا.

جدول رقم (4)

توزيع العاملين في الفنادق علي بلديات إقليم الدراسة لعام(2006)

الإجمالي	أخرى		القطاع العام		القطاع التشاركي		القطاع الخاص		البلدية
	غير ليبين	ليبين	غير ليبين	ليبين	غير ليبين	ليبين	غير ليبين	ليبين	
383	5	21	37	207	48	48	11	6	مصراته
53	2	6	0	0	24	19	1	1	المرقب
3469	33	357	120	2225	189	519	1	25	طرابلس
716	0	0	96	620	0	0	0	0	الجفارة
75	0	0	6	0	33	36	0	0	الزاوية
179	4	7	0	0	50	97	8	13	النقاط الخمس
65	1	7	0	0	3	54	0	0	الجبل الغربي

108	14	35	0	0	8	30	9	12	نالوت
5048	59	426	259	3052	355	803	30	70	الأجمالي

المصدر: من إعداد الباحث استناداً إلى:

1 -الهيئة العامة للتوثيق والمعلومات، نتائج البحث السنوي الخاصة بالفنادق 2006ف،طرابلس، ليبيا،ص7.

2 - الهيئة العامة للتوثيق و للمعلومات، الكتيب الاحصائي 2008ف، طرابلس، ليبيا، ص319.

3 - اللجنة ال بلدية العامة للسياحة، بلدية المرقب، تقرير غير منشور.

4 - الهيئة العامة للتوثيق والمعلومات، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان 2006ف، ص224.

من خلال الجدول أعلاه يتبين لنا أن العمالة تتوزع في إقليم الدراسة علي أكثر من قطاع والتي يمكن إدراجها في عدة نقاط كمايلي:

أ- يمثل القطاع العام أكثر عدد من العاملين فيه نظراً لوجود العديد من الشركات المملوكة للمجتمع وهي منتشرة في كافة بلديات الدولة،إضافة الي أن العاملين داخل القطاع العام يختلفوا من حيث العدد من بلدية الي اخرى، حيث تعد بلدية طرابلس من أكثر البلديات التي توجد بها الفنادق.

ب- يعد القطاع الخاص من أهم الأنشطة الاقتصادية التي تسهم الدولة في تشجيعه وتقديم كافة التسهيلات له، وتنتشر العديد من الفنادق ذات الملكية

الخاصة و التي تستتثر العديد من العاملين حيث وصل عدد العاملين فيها إلي 100 مشغل كذلك فهي تتفاوت من بلدية إلي أخرى.

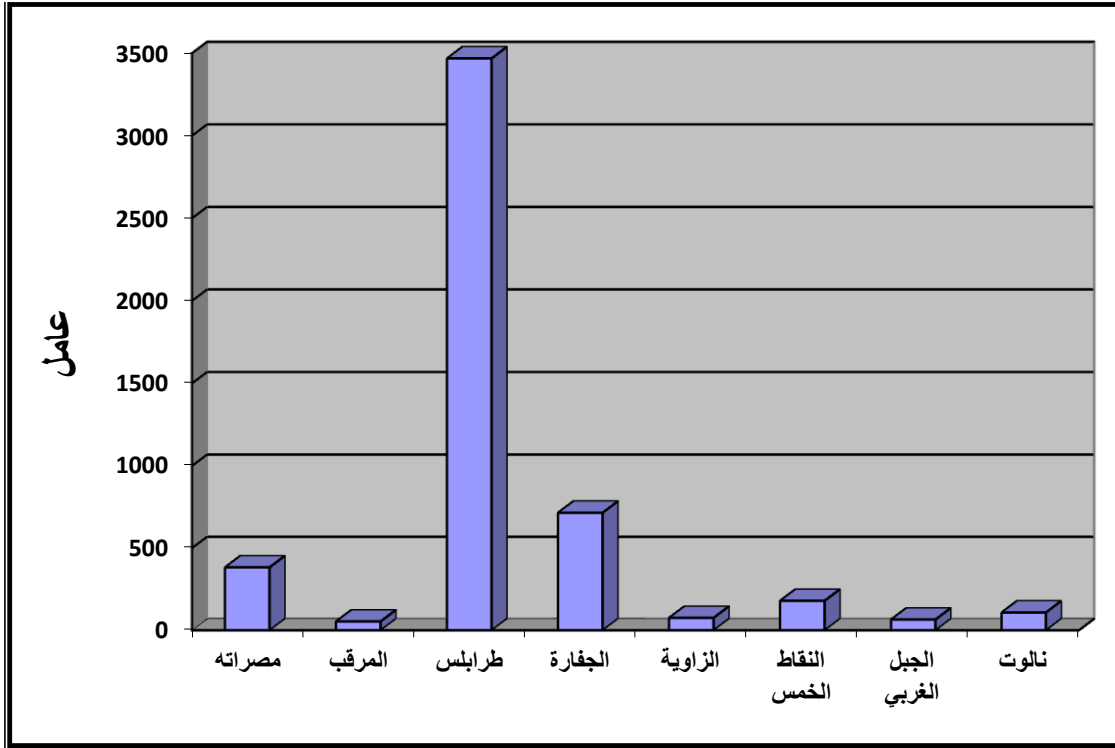
ج- يحتل القطاع التشاركي المرتبة الثانية في عدد العاملين فيه وذلك بنظر الي عدد المشتغلين فيه حيث وصل عدد العاملين فيه حسب تعداد (2006) إلي 1158 مشغل وذلك للدعم الكبير التي تقدمه الدولة للقطاع التشاركي أو مايسمى (بالتشاريكات) من قروض وكافة التسهيلات الأخرى، ولقد حظي قطاع الفنادق و السياحة بالجانب الكبير من هذا الاهتمام وذلك بإقامة الفنادق وأماكن الإيواء.

د- تستأثر بلدية طرابلس بأكثر عدد من العاملين، وذلك لكونها تتمثل عاصمة الدولة ومركزاً رئيسياً تنطلق منه الرحلات السياحية، وكذلك تحتل أكبر تركيز لعدد السكان في ليبيا، إضافة الي أنها تتواجد فيها اكبر عدد من الفنادق بل أكبرها وأعرقها أما باقي البلديات فتنفاوت في أعداد العمالة بنسب قليلة عن بعضها البعض نظراً لقلّة الفنادق بها وأيضاً لقربها من ناحية المسافة إلى مدينة طرابلس حيث يمكن للسائح ان يزور اي بلدية ويعود في نفس اليوم داخل نطاق للإقامة في مدينة طرابلس.

هـ- تتميز العمالة في السياحة بتواجد أعداد كبيرة من غير الليبيين نظراً الي قلّة الأيدي العاملة الليبية في هذا المجال وكذلك إلي أن قطاع الفنادق يعتبر جديد على العمالة الليبية، لهذا يوجد العديد من المشتغلين من الأخوة العرب والأجانب في هذا القطاع وذوي الخبرة الجيدة وهذه العمالة تنتزع علي كافة القطاعات. و- تحتل العمالة الليبية في قطاع الفنادق في بلدية طرابلس أعلى نسبة بين العاملين حيث تمثل 68% من إجمالي العمالة للفنادق في الإقليم.

شكل رقم (6)

توزيع العاملين في الفنادق علي بلديات إقليم الدراسة لعام(2006)



المصدر إعداد الطالب استناداً إلى الجدول رقم (2)

وتحتل الشركات والتشاريكات السياحية ومكاتب السفر جزءاً مهماً من أعداد العمالة المباشرة في السياحة لما تقدمه هذه الشركات من خدمات للسياح، والجدول التالي رقم (5) يوضح أعداد الشركات والتشاريكات والمكاتب السياحية في منطقة الدراسة و العاملين بها.

الجدول رقم (5)

أعداد الشركات والتشاريكات والمكاتب السياحية حسب إحصاء 2008 ف

عدد العمالة	العدد	البيان
2000	204	الشركات السياحية
1501	359	التشاريكات

103	40	مكاتب السفر
2604	602	الإجمالي

المصدر: الهيئة العامة للتوثيق والمعلومات، الكتيب الإحصائي 2008، مركز المعلومات والإحصاء السياحي، طرابلس، ليبيا، ص 8.

تعد العمالة في الشركات السياحية بأنواعها أيضاً أحد أشكال العمالة الدائمة في قطاع السياحة، علي ذلك يمكن القول أن إجمالي عدد العمالة المباشرة في إقليم الدراسة تصل إلي 9158 عامل في الفنادق.

ب- العمالة غير المباشرة:

هي العمالة التي تعمل في الأنشطة الاقتصادية في منطقة الدراسة والتي تساهم في خدمة النشاط السياحي بطريقة غير مباشرة، حيث توفر للسائح السلع والخدمات الضرورية التي يحتاج إليها السائح في أي منطقة يزورها.

يمكن القول: إن جميع الأنشطة الاقتصادية تعمل بطريقة غير مباشر في خدمة السياحة ولكن بنسب مختلفة .

وطبقاً لتعداد 2006 ف للسكان في ليبيا فإن العمالة في بلديات الدراسة تختلف من بلدية لأخرى والتي تتوزع في أنشطة اقتصادية مختلفة وهي عمالة متفاوتة من نشاط إلى آخر والجدول رقم (6) يبين إجمالي العاملين اقتصادياً.

الجدول رقم (6)

العاملين حسب النشاط الاقتصادي بإقليم الدراسة لعام (2006)

%	إجمالي	نالوت	الجبيل الغربي	النقاط الخمس	الزاوية	الجفارة	طرابلس	المرقب	مصراته	بلدية
										النشاط الاقتصادي
14.7	96242	4576	11065	6053	7193	17617	29126	8157	12455	الزراعة والصيد
7.5	48452	515	1652	3004	4175	5901	14815	4489	13901	الصناعات التحويلية
3.5	23330	806	2363	1576	1870	3533	6980	3133	3069	الكهرباء والغاز والماء
9.8	64583	2472	7106	4427	5897	7303	19443	6887	11047	التشييد والبناء
12.4	81728	1176	3385	3701	5705	8442	38174	5644	15501	تجارة الجملة والتجزئة
6.6	43575	606	2392	1742	3089	5865	17551	3864	8466	النقل والمواصلات
1.8	12122	256	869	737	1058	1513	5598	1148	943	الوسطة المالية
1.5	9884	86	459	224	419	1426	6211	521	538	العقارات

42.2	276402	10240	31371	36296	2819	37258	59328	35271	30819	الصحة والعمل الاجتماعي
%100	656318	20733	60662	63160	62225	88858	197226	69114	96739	إجمالي المنطقة

المصدر: 1- الهيئة العامة للتوثيق والمعلومات، النتائج النهائية للتعداد العام لسكان في الجماهيرية 2006، طرابلس، ليبيا، ص 191-192-193-194.

ومن خلال الجدول السابق يتبين لنا مايلي:

- تحتل بلدية طرابلس المركز الأول من حيث عدد العاملين ويعود ذلك الي تنوع أنماط النشاط الاقتصادي بها ونظراً لأنها تحتل المركز الأول في عدد السكان أيضاً المركز الأول في عدد المؤسسات و الشركات العاملة في الأنشطة الاقتصادية المختلفة فهي عاصمة الدولة وقلبها الصناعي و التجاري و الحضاري. يمثل نشاط الصحة والعمل الاجتماعي أعلى نسبة للمشتغلين، حيث تصل نسبتهم الي 42.2% نظراً إلى أهمية بلديات الدراسة، حيث توجد العديد من المستشفيات والمراكز الصحية والأنشطة والخدمات الاجتماعية في أغلب مدن إقليم الدراسة هذا و تعد الخدمات الصحية من الأنشطة التي تعرض النشاط السياحي وتمثل العمالة بها عمالة غير مباشرة في السياحة.

للزراعة النصيب الثاني من أعداد المشتغلين وذلك لاتساع الرقعة الزراعية، إضافة إلى تواجد المناطق الجبلية وانتشار الأشجار، وخاصةً في بلدية الجبل الغربي ولسد حاجة السكان من المواد الغذائية، إضافة إلى أن أكثر من نصف السكان يشتغلون في الزراعة، إضافة الي أنتشار الصناعة وذلك بسبب تعدد المواقع الصناعية سواء

كانت غذائية أو معدنية، أوالصناعات الهندسية والكهربية، إن هذا التعدد في الصناعات ترتب عليه توطن صناعات أخرى مثل الكهرباء والمياه وكذلك البناء والتشييد والتجارة والنقل والمواصلات والمصارف وغيرها، وتعتبر منطقة الدراسة هي الداعم الأساسي لاقتصاد ليبيا، وهي تعتبر الشريان الحيوي لها.

ج- العمالة المؤقتة:

وهي العمالة التي يزداد الطلب عليها في مناطق الجذب السياحي خلال المواسم السياحية، بسبب زيادة الحركة السياحية، بالرغم من عدم توفر بيانات أو إحصائيات في خصائص هذه العمالة وأعدادها، لكنها تنتشر بشكل واضح في أشهر الاضطياف، وفي المهرجانات والأعياد، للعمل في النقل والمواصلات والخدمات العامة، وبيع المشروبات الباردة والألعاب والمعدات البحرية وذلك علي امتداد شواطئ المدن الساحلية.

4- تأثير السياحة على الخصائص الاقتصادية والاجتماعية للسكان:

المظاهر الديمغرافية السكانية من الخصائص الاجتماعية والاقتصادية نتاج لمجموعة عوامل تؤثر فيها وتنتشر بها، ويفيد التركيب السكاني الخصائص الكمية للسكان التي يمكن التعرف عليها من بيانات التعداد، مثل التركيب العمري والنوعي، والحالة المدنية وحجم وتكوين الأسرة، إضافةً إلى التركيب الاقتصادي وغيرها⁽¹⁾.

تؤثر الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للسكان تأثير واضح على السياحة سواءً كانت من حيث الحالة التعليمية للسكان أو الحالة المدنية وكذلك فئات السن للسكان، ذلك كله له تأثيره على السياحة، أيضاً للحالة الاقتصادية أثر واضح خاصة من حيث إعداد المشتغلين في الحرف المختلفة.

أ- تأثير السياحة على الخصائص الاقتصادية للسكان:

(1) فتحي محمد أبو عيانة، 1999، جغرافية السكان، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية، بيروت، ص 397.

تعد منطقة الدراسة من أهم المناطق الاقتصادية في ليبيا، ونتيجة لتركز معظم الأنشطة الاقتصادية بالمنطقة توضح دراسة الجانب الاقتصادي الملامح الأساسية للنشاط الاقتصادي، وأهمية عناصره، وارتباطها بظروف البيئة الجغرافية، كما يمكن من خلالها الوقوف على نسبة العمالة داخل منطقة الدراسة، وحجمها وخصائصها المتعددة وتوزيعها حسب النوع والمهنة والجدول التالي رقم (7) يبين توزيع إجمالي السكان النشطين اقتصادياً حسب البلديات وأقسام النشاط الاقتصادي والجنس.

جدول رقم (7)

توزيع إجمالي السكان النشطين اقتصادياً حسب البلديات

وأقسام النشاط الاقتصادي والجنس(2006).

البلدية	الزراعة والصيد		صيد الأسماك		التعدين واستغلال المحاصيل		الصناعات التحويلية		الكهرباء والغاز والمياه		التشييد والبناء		تجارة الجملة والتجزئة		الفنادق والمطاعم والمقاهي	
	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور
مصراته	643	11812	2	257	59	1862	350	13551	74	2995	70	10977	357	15144	18	537
المرقب	284	7873	0	146	25	1295	141	4348	43	3090	25	6862	136	5508	9	168
طرابلس	2961	26165	14	514	905	8637	1196	13619	563	6417	620	18823	1472	36705	514	2664
الجفارة	1286	16331	0	137	166	2544	372	5529	172	3361	103	7200	272	8170	76	426
الزاوية	273	6920	2	27	46	1730	286	3889	72	1798	36	5861	204	5501	14	62
النقاط	358	5895	4	693	51	1068	150	2854	62	1514	47	4380	82	3619	31	170

																	الخمسة
12	181	87	3298	61	7045	38	2325	119	1533	42	1821	0	8	2648	8417		الجبل الغربي
3	54	46	1130	34	2438	36	770	116	399	11	356	0	0	1396	3180		نالوت

المصدر: من عمل الباحث استناداً إلى:

1 - الهيئة العامة للتوثيق والمعلومات، نتائج التعداد العام 2006ف، ص171 -
172 - 173.

2 - الهيئة العامة للتوثيق والمعلومات، الكتيب الإحصائي، 2006ف، ص62.

- هناك اختلاف واضح ما بين البلديات، حيث تحتل بلدية طرابلس المرتبة الأولى من حيث السكان النشطين وهو أمر طبيعي لما لها من مميزات العاصمة، ولما تمثله من دور فعال في تنوع المهن والأنشطة الاقتصادية إضافة إلى تركيز كافة الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للدولة في هذه المدينة، وهناك اختلاف في عدد الناشطين اقتصادياً يظهر واضحاً باختلاف أعداد السكان في بلديات وزيادة أعداد السكان في هذه ال بلدية من منطقة الدراسة، وبالتالي يتوزع السكان في هذه ال بلدية على مختلف المهن والأنشطة بشكل مباشر وغير مباشر بأعداد كبيرة نظراً لتنوع مصادر المراكز التجارية والاقتصادية والاجتماعية.

- الاختلاف يعتبر واضحاً في بعض المناطق أو البلديات، فنلاحظ أن أعداد المشتغلين اقتصادياً في بلدية المرقب يصل عددهم في التعليم إلى 16006 الذكور و16265 للإناث، وهو ما يبدو واضحاً في اعتماد هذه المنطقة على التعليم كمصدر للدخل إضافة إلى اتساع رقعة هذه ال بلدية، إضافة إلى انتشار

المدارس والمعاهد والكليات في أغلب مدن هذه ال بلدية، وكذلك اقتحام المراءة هذا المجال بصفة المجال الوحيد الذي يتناسب مع عادات وتقاليد هذه المنطقة بل وفي أغلب مناطق ليبيا.

وللسياحة تأثير وترابط مباشر وغير مباشر مع كافة الأنشطة الاقتصادية والمهنية، حيث تسهم السياحة في دورها الفعال في ازدياد أعداد السياح ومدى توفر الخدمات السياحية بشكل مباشر وباقي الأنشطة الاقتصادية بشكل غير مباشر وهي بالتالي تدخل في تفاعل واضح من حيث تقديم الخدمات وأيضاً توفرها في كل المناطق ولما لهذه المهن والأنشطة الاقتصادية من ارتباط بالسياحة وإمكاناتها، إضافةً إلى أن توافر الأنشطة الاقتصادية والمهن وازدياد أعداد المشتغلين في منطقة الدراسة يساهم في ازدياد معدلات الدخل والأجور وهو ما يزيد في أعداد السياح وبشكل خاص السياحة الداخلية والتي تمثل اليوم مصدراً مهماً للدولة للكثير من المشتغلين.

ولهذا الدور الفعال في الأنشطة الاقتصادية دوره البارز في التأثير على الاقتصاد القومي للدولة، وللسياحة الدور الهام في النهوض باقتصاد الدولة بصفة عامة ومنطقة الدراسة بصفة خاصة، وبالتالي فإن على الدولة النهوض بالمشروعات الخاصة بالسياحة واستغلال إمكاناتها السياحية المتوفرة، بالإضافة إلى المشروعات السياحية التي تحتاج إلى إعادة استثمار، أيضاً الاهتمام بالمناطق البعيدة عن الازدحام السكاني سواء كانت في الجبال أو على الشواطئ أو المناطق الصحراوية والبحيرات والأرياف حيث أن السائحين يتوجهون إلى تلك المناطق البعيدة وبالتالي الخروج من المناطق المزدهمة.

والأنشطة الاقتصادية في منطقة الدراسة تختلف في المدن عنها في المناطق ذات التركيز السكاني القليل والتركز الاقتصادي والتجاري والتي يعيش سكانها في ظل الحياة الريفية البسيطة، ونظام اقتصادي يعتمد بشكل أساسي على مواردهم المحلية متمثلة في الزراعة وتربية الماشية والصيد وكذلك بعض المهن

اليديوية والحرفية، فإن هذا المصدر يعد ضعيفاً مقارنةً بالمناطق المتحضرة وبتالي فإن السياحة تعتبر مورداً مهماً في بعض الأحيان لسكان هذه المناطق كما هو حال مدينة غدامس التاريخية، وبتالي فإن السياحة والأنشطة الاقتصادية تمثل أحياناً توازناً اقتصادياً في أي دولة.

إضافةً إلى هذا التوازن فإن هذا الاقتصاد المتوازن يوفر خلق فرص عمل جديدة، و بتالي الاحتياج إلى أيدي عاملة كثيرة، ولا يتوقف خلق فرص العمل على المناطق الأساسية للسياحة فقط بل يخلق فرص عمل للمناطق المجاورة سواءً كانت شرائية وأيدي عاملة ولو أن أغلب الأيدي العاملة في بعض المناطق تغلب عليها العمالة اليديوية وبتالي هي تعتبر من مميزات السياحة التي تستوعب أعداد كبيرة من الأيدي العاملة.

ب - تأثير السياحة على الخصائص الاجتماعية للسكان:

للسياحة تأثير اجتماعي ودور فعال يساهم في تطور مستوى السياحة لأي بلد إضافةً إلى الحالة الاجتماعية واختلاف حالات السكان الاقتصادية وهي بالتالي تمثل فوائد اجتماعية للسياحة تأتي عن طريق العلاقات الاجتماعية التي لا يمكن أن يوفره أي نشاط اقتصادي آخر⁽¹⁾.

والآثار الاجتماعية للسياحة هي رصد كل النتائج الاجتماعية والثقافية لصناعة السياحة التي تنعكس على الجوانب الجغرافية للسكان، بالإضافة إلى الملامح الاجتماعية الخاصة بسلوكياتهم، وعلاقاتهم، وخصائص الثقافة المتعلقة بالأنشطة والعادات والتقاليد و الفنون والآداب واللغات والأديان، هذا الي جانب خصائص الملامح العمرانية.

إضافة إلى ذلك فإن الآثار الاجتماعية تسهم مساهمة فعالة في حماية جوانب مهمة من التراث التاريخي والثقافي للمنطقة، والتي يمكن إدراجها في بعض الجوانب فيما يلي:

(1) ليلي الافتدي، القاهرة ومصر الوسطى، مرجع سبق ذكره، ص39.

1 - حماية المعالم الأثرية والأماكن التاريخية والطرز المعماري، التي تمثل فترات تاريخية وثقافية معينة.

2 - حماية وإنعاش الفنون المتمثلة فى الموسيقى و الرقص والمسرح، و الزى التقليدي للمنطقة، إضافة الى حماية الصناعات التقليدية والنهوض بها، وهذا الجانب يعكس بعض الخصوصية لمنطقة الدراسة.

3 - تمثل السياحة الخارجية نافذة تطل عليها الشعوب المختلفة مع بعضها البعض، حيث تساهم فى توفير الاختلاط المباشر بين السكان المحليين والسائحين مما ينشأ الاحترام وازدياد التعارف المتبادل نتيجة للتبادل الثقافي.

4 - تسهم السياحة الداخلية فى دمج الأعراق والثقافات المختلفة، والتقليل من الحساسيات المحلية وتعزز الوحدة الوطنية، وإذابة الفوارق الاجتماعية⁽¹⁾.

وتسهم السياحة وإمكاناتها في منطقة الدراسة بتطور الهيكل الاجتماعي للدولة وذلك من خلال التفاعل مع الثقافات المختلفة بشرط تدارك المشاكل التي يمكن أن تتفاعل عنها والتي تختلف بسبب اختلاف القيم والعادات والتقاليد الاجتماعية بالمنطقة، إضافةً إلى أن منطقة الدراسة تتفاعل إيجابياً مع ثقافة الآخرين وهم السياح وذلك بالاختلاط معهم والتعرف على ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم وهو ما موجود وخاصةً في المناطق الريفية للمنطقة، وبالتالي فإن هذا الاختلاط يؤدي إلى توافق اجتماعي كبير سواءً كان ذلك بين السائحين الوطنيين والسياح الأجانب على حد سواء وأن هذا التوافق والتوازن يدفع من قيمة تنمية الروح الاجتماعية لسكان المنطقة سواءً كانوا ريف أو حضر.

إن تطور الأماكن السياحية بالمنطقة وتنميتها في البيئات المختلفة بإقليم الدراسة يؤدي إلى توازن اقتصادي لدى سكان المنطقة وبالتالي توافر كافة الخدمات المتعلقة بها نحو نمو عمراني ومرافق أساسية وتسهيلات خدمية وسياحية

(¹) سعيد صفي الدين الطيب، 2001، مقومات التنمية السياحية في ليبيا، دراسة في جغرافية السياحة، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ص31.

وطرق وغيرها وخاصةً في المناطق الريفية والجبلية والصحراوية، وأن هذا التوازن الاقتصادي يبين الأنشطة والخدمات القائمة في المدن أو تلك القائمة في المحلات العمرانية أو الريفية أو الصحراوية أو الجبلية، وهذا يؤدي بدوره إلى خلق توازن اجتماعي تتوفر فرص العمل وزيادة الدخل وبالتالي تعتبر السياحة عامل نشاط اجتماعي مهم لدى سكان منطقة الدراسة.

المراجع

(¹) هدى سيد لطيف، 1999، "السياحة بين النظرية والتطبيق"، الشركة العربية للتوزيع، المهندسين، ص 4.

(²) سالم الحجاجي، 1989، "ليبيا الجديدة"، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، ص 14.

(³) الهيئة الوطنية للتوثيق والمعلومات، التعداد العام للسكان 2006، طرابلس، ليبيا، ص 13.

(⁴) الهيئة العامة للتوثيق والمعلومات، 2006، التعداد العام للسكان بالبيبا، ص 40.

(⁵) منصور الكيخيا، الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، مرجع سبق ذكره، ص 363.

2-Population Dinieion,2000 Below.Replacement fertility
DESA, NewYork, , p.111.

(¹) حفصة عبد السلام ضو، النشاط السياحي في مدينة اعدامس، مرجع سبق ذكره، ص 137.

(¹) اللجنة الشعبية لشعبية المرقب، الهيئة العامة للسياحة، 2004، السياحة في شعبية المرقب، ص 40.

(¹) Ed Kadt, E., 1979, Tourism Passport to development.
London, Oxford University Press, P36.

(¹) إمكانات التنمية السياحية في محافظات شرق الدلتا، طارق السيد، مرجع سبق ذكره، ص 514.

(¹)فتحي محمد أبوعيانة،1999، جغرافية السكان، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية، بيروت، ص397.

(¹) سعيد صفي الدين الطيب، 2001، مقومات التنمية السياحية في ليبيا، دراسة في جغرافية السياحة، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ص31.

لمحة جغرافية عن المياه المحسنة والصرف الصحي في قارة أفريقيا

د/ شرف الدين أحمد سالم*

مقدمة:

يعرف الجميع بأن أحد أسس الحياة هو ذلك العنصر المركب من ذرتين هيدروجين وذرة أكسجين والذي يعرف " بالماء " إذا قال الله تعالى في مُحكم آياته "وجعلنا من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون"⁽¹⁾. ولا يمكن تصور استمرار الحياة، ليس استمرارها فقط وإنما وجودها أصلا بالنسبة لجميع المخلوقات على سطح الأرض بدون ماء، الذي يشكل على سبيل المثال 56% من جسم الإنسان وتزيد النسبة عن ذلك في النبات.

وبالنظر إلى كمية المياه في الطبيعة بصفة عامة يتضح أنها كمية هائلة لا يمكن أن تتضب فهي تمثل 79% من مساحة الكرة الأرضية، وتقدر كميتها على سطح الأرض وجوفها بحوالي 1500 مليون كم³، وإذ نظرنا إلى هذه الكمية من الناحية الكيفية نجد أن 97,2% منها مالحة ولا يمكن استغلالها في الشرب والزراعة والصناعة إلا بعد معالجتها، وتوجد بقية المياه على شكل ثلوج تقدر بحوالي 21% وكمية أخرى تقدر بحوالي 0,001% على هيئة بخار ماء، وعليه فإن نسبة الماء العذب المتبقي تبلغ 0,6% فقط من إجمالي المياه على الكرة الأرضية، وتعادل هذه النسبة حوالي 8,36 مليون كم³ على شكل بحيرات ووديان وأنهار ومياه جوفية.⁽²⁾

مشكلة البحث:

إن أزمة المياه وإن كانت تظهر كمشكلة عالمية، فإن القارة الإفريقية تعد من الأجزاء الأكثر تضررا بها لما فرضه عليها الموقع في المناطق المدارية الجافة، إلى جانب عدم القدرة على استثمار المياه الموجودة بها بما يتماشى مع أعداد السكان، ومستوى المعيشة، ومواكبة التطور الصناعي والزراعي والعمراني،

¹ - سورة الأنبياء الآية/30

² - سعد عاكول الصالحى، عبد العباس فضيخ الغزيرى ، البيئة والمياه ، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان ، 2004 ، ص 31 .

واستخدام الأساليب الحديثة في استغلال هذا المورد. ولقد أدت الزيادة السكانية وما واكبها من هجرة أهل الريف للبحث عن عمل في المدن التي احتضنت النشاط الصناعي بمجالاته المختلفة إلى إصابة هذه المدن بحالات عجز شديدة في تلبية احتياجات الأعداد الهائلة من المهاجرين إليها ليس فقط في حصولهم على فرص العمل المطلوبة ولكن أيضاً في سبل الإقامة والإعاش، ومن تم الخدمات التي تتطلبها تلك الأعداد.

أهداف البحث: تعالج هذه الدراسة قضية حيوية في القارة الإفريقية وهي قضية توفير المياه الصحية، لذا تهدف هذه الدراسة إلى:

- 1- التركيز على الإمكانيات الخاصة بتوفير المياه المأمونة وفرص الحصول عليها، وفرص الحصول على الصرف الصحي للمياه المستعملة.
- 2- دراسة الاختلاف بين الأرياف والحضر على مستوى المدن الإفريقية، في الحصول على المياه المأمونة.
- 3- معرفة التغيرات التي أحدثتها دول القارة في الإمداد المائي للسكان.
- 4- استكمال البنية التحتية للمياه والصرف الصحي لوصول دول القارة للأهداف الموضوعية لها.

أهمية البحث:

- 1- أهمية المياه في حياة الإنسان بشكل عام.
 - 2- دور المياه المحسنة في إطالة عمر الإنسان، ومن تم في نشاطه وقدرته الإنتاجية.
 - 3- كفاءة خدمات المياه والصرف الصحي في القارة.
- حدود منطقة الدراسة:**

تتمثل منطقة الدراسة في قارة أفريقيا كمتبين الخريطة (1) وتمتد القارة بين دائرتي عرض 37 شمالاً و 34.5 جنوباً وخطى طول 17 غرباً و 51 شرقاً ويحدها من الشمال البحر المتوسط، ومن الشرق البحر الأحمر والمحيط الهندي، ومن الغرب المحيط الأطلسي. وتضم القارة 54 دولة.

الخريطة (1) الموقع الجغرافي للقارة الإفريقية.

تساؤلات البحث:

1- هل تعاني القارة الإفريقية من عجز كبير في إمداد السكان بالمياه والصرف الصحي؟

2- توجد فروقات بين دوال القارة في الإمداد بالمياه والصرف الصحي.

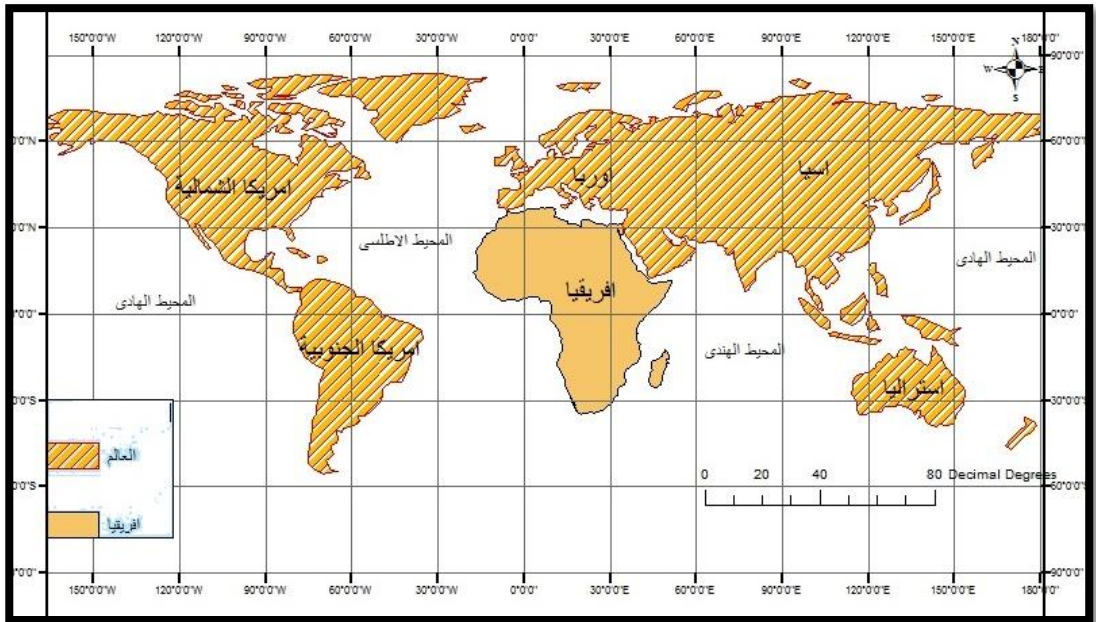
3- مدى مواكبة دول القارة للخطط التنموية الموضوعة في هذا الجانب.

منهجية البحث:

تتبع هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وأدواته المختلفة، من خلال التحليل الكمي والكارتوجغرافي للبيانات، باستقرائها وتحليلها واستنباط أنماط التوزيع والعلاقات، ومدى التباينات المكانية وتحليل عواملها وإبعادها وتأثيراتها الجغرافية.

المياه والصرف الصحي.

أولاً: المياه المأمونة النقية:



المياه النقية هي تلك المياه الخالية من الشوائب والميكروبات التي تسبب أمراض مختلفة للإنسان مثل الإسهال والبلهارسيا، والنزلات المعوية ... وغيرها، ولكي تكون المياه نقية لا بد أن تمر بمجموعة من عمليات المعالجة الكيماوية والبيولوجية. ويفتقر للمياه النقية في الدول النامية حوالي بليون شخص، ويتوفى في كل عام قرابة 1,8 مليون طفل كنتيجة مباشرة للإصابة بالإسهال، وغيره من الأمراض الناجمة عن المياه غير النظيفة، وفي مستهل القرن الحادي والعشرين مثلت المياه غير النظيفة ثاني أكبر سبب لوفاة الأطفال في الوقت الذي يقوض اعتلال الصحة المرتبط بالنقص في المياه النقية والصرف الصحي الإنتاجية والنمو الاقتصادي⁽¹⁾. ففي عام 2010 كان حوالي 115 مليون شخص يعتمدون بصورة مباشرة على المياه السطحية لتلبية احتياجاتهم من مياه الشرب على الرغم من زيادة التغطية بمياه الشرب من 56% عام 1990 إلى 66% عام 2010، ليزداد عدد المستخدمين لمياه الشرب المحسنة من 279 مليون شخص عام 1990 إلى 344 مليون شخص عام 2010⁽²⁾. ومع تزايد السكان والتحضر والأنشطة المستخدمة للمياه واستمرار الطلب على المياه، أشارت التقديرات أن نسبة المحرومين من فرص الوصول إلى المياه النقية وإمكانات صرفها ستكون في تزايد مستمر لتصل إلى 20% من سكان العالم أي حوالي 2,4 بليون ساكن سنة 2050 كما أشارت هذه التقديرات إلى أن معظم هولا سيتمركزون في مناطق الندره المائية المتوقعة في إفريقيا وبعض مناطق غربي آسيا⁽³⁾.

¹ - برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNEP ، تقرير التنمية البشرية للعام 2006 ما هو ابعده من الندرة : القوة والفقر وأزمة المياه العالمية ، ترجمة euroscript Luxembourg s. a e.l ص 7.

² - واقع مياه الشرب ومرافق الصرف الصحي في أفريقيا ،بيانات محدثة لعام 2012 ،المجلس الوزاري الإفريقي حول المياه، أعمال الأسبوع الرابع للمياه في أفريقيا، القاهرة، جمهورية مصر، 14-15 مايو 2012، ص3.

³ - عزيزة محمد على بدر، المياه في أفريقيا بين الريف والحضر، أعمال المؤتمر الدولي حول مشكلة المياه في أفريقيا، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، 26-27 أكتوبر 1998، ص 459.

فرضت هذه الأوضاع على القارة الإفريقية أن تولى اهتمامات أكبر بالمياه، فهي تحصل على 12% فقط من الموارد المائية المتجددة أي حوالي 5073 كم³ من إجمالي الموارد المائية المتجددة بالنسبة للعالم والبالغة 42098.3 كم³، وتحتل بذلك المرتبة الخامسة بين قارات العالم تأتي بعدها الاوقيانوسيه في المركز السادس والأخير⁽¹⁾.

1- تصنيف دول القارة حسب توفير المياه النقية.

تتفاوت مستويات الخدمة تفاوتاً شديداً باختلاف مستويات الناتج المحلي والدخل القومي، والتقدم الفكري والتقني لدول العالم، وهذا ما يزيد الفارق بين دول العالم المتقدم والنامي في تقديم هذه الخدمة، ونلاحظ الاختلاف حتى بين أقطار القارة الواحدة، فمثلاً في القارة الإفريقية تتغير نسب السكان الذين يحصلون على مياه نقية من 100% من سكان موريشيوس إلى 22% في أثيوبيا، وبين هاذين المستويين تتوزع باقي دول القارة كما توضح الخريطة (2).

تصل نسبة المستفيدين من المياه النقية إلى أكثر من 80% من سكان الدولة في خمسة عشر دولة من القارة فقط تأتي على قمته (موريشيوس وليبيا ومصر وبوتسوانا) بنسبة تزيد عن 95%، وذلك راجع إلى ما حققته هذه الدول من تنمية ومدى إحساسها بخطورة هذه المشكلة.

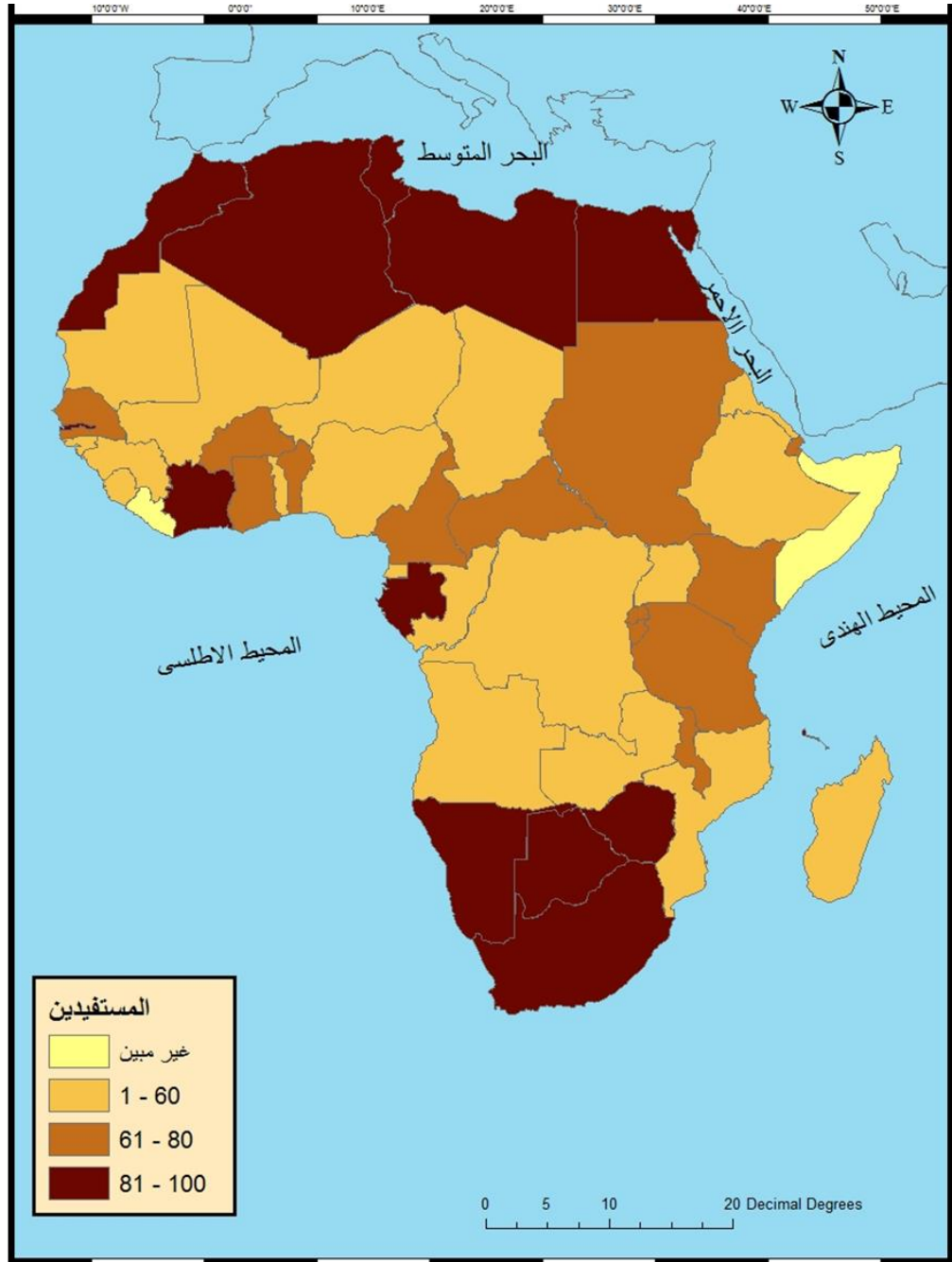
ويمكن القول بأن أغلب دول القارة لم تستطيع تحقيق تنمية ناجحة في هذا المجال تتماشى مع ما ترنو إليه خطط الألفية، عندما نجد حوالي 17 دولة يتراوح نسب المستفيدين فيها من المياه النقية بين 60% و 80% تمثل (غانا، وليستو، وبوروندي، وجمهورية أفريقيا الوسطى) الأفضل حالاً بين دول هذه المجموعة بنسب 75%، 79%، 76%، 79%، على التوالي.

وتنخفض في بقية دول القارة نسب المتحصلين على مياه نقية إلى أقل من 60%، وتصل إلى أدنى مستوياتها وإن جاز لنا التعبير انعدامها في بعض الدول مثل أثيوبيا 22%، وغينيا الاستوائية 43%، وغينيا الجديدة 39%، وتشاد 42%، وموزنيق 43%، وغيرها من الدول التي ينخفض معدل الدخل فيها عن 700

¹ - المرجع السابق ، ص462.

دولار في السنة، وهذه النسب تعتبر منخفضة جداً عندما يتعلق الأمر باستخدام مورد يمس مباشرة الإنسان وصحته ومن ثم حياته.

أما الدول العربية التي تعتبر أفضل حالاً من باقي دول القارة تصل نسب الذين لا يحصلون على مياه نقية فيها إلى 14% من إجمالي عدد السكان، إلا أن هذه النسبة ترتفع في



المصدر: من عمل الباحث، اعتماداً على بيانات برنامج الأمم المتحدة الإنمائي
 UNEP، تقرير
 التنمية البشرية للعام 2006 ما هو ابعده من الندرة: القوة والفقير والأزمة العالمية.
 الخريطة (2) نسبة السكان المستفيدين من المياه النقية في القارة الأفريقية للعام
 (2004).

إفريقيا جنوب الصحراء إلى 56% بالرغم من توفر المورد المائي لأغلب الدول، وذلك راجع إلى عجز حكومات هذه الدول في الوصول إلى استغلال هذه الموارد بالطرق السليمة، لانشغالها بالحروب الداخلية وانتشار الفساد الإداري، إضافة إلى نقص الموارد المالية والخبرات الفنية والنمو السريع للسكان وعدم القدرة على مواجهة الأخطار والتغيرات البيئية.

وبذلك نجد أن المشكلة تختلف باختلاف البلدان على النحو التالي:

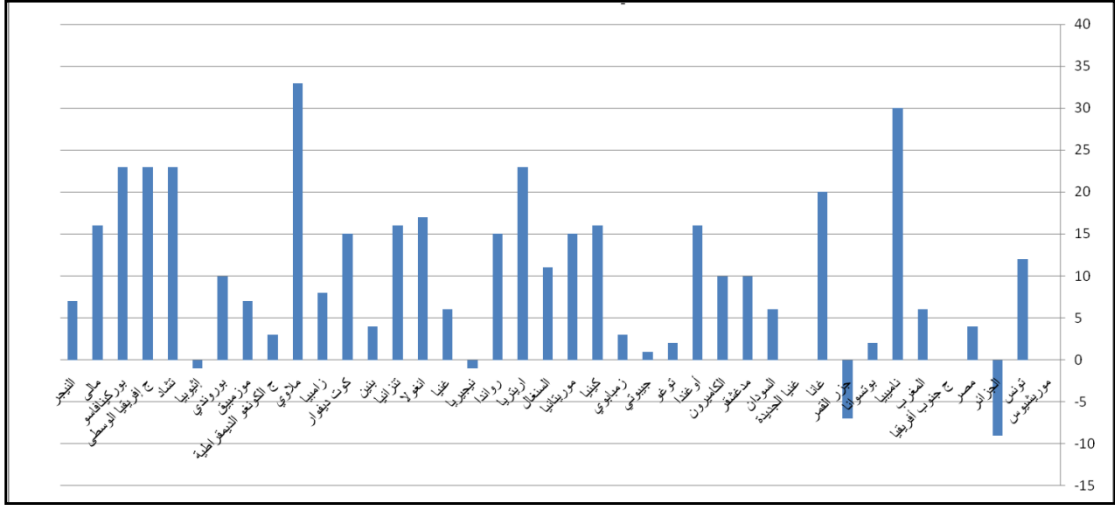
- 1- لا تعامل قضية المياه كأولوية سياسية في أغلب بلدان القارة.
- 2- يدفع بعض أفقر سكان القارة أسعار تعد من أعلى الأسعار على مستوى القارة والعالم مقابل المياه.
- 3- إخفاق المجتمع الدولي والحكومات المحلية في وضع قضية المياه والصرف الصحي على رأس أولويات شركات التنمية.

2- التغير في مستويات التنمية للمياه النقية:

التغير في توفير المياه الصحية لسكان القارة ومعرفة مدى قدرة دول القارة على مواكبة برامج التنمية لتحقيق أهداف الألفية وبتحليل الشكل (1) يتبين الآتي:

أ- سجلت بعض الدول انخفاضا في أعداد المستفيدين من المياه النقية مثل الجزائر التي كانت نسبتهم 94% سنة 1990، والتي انخفضت إلى 84% سنة 2004 بمعدل هبوط بلغ 9% من أعداد السكان المستفيدين من هذه الخدمة، وذلك راجع للأوضاع السياسية وعدم الاستقرار التي مرت بها في هذه المرحلة، وعلى الرغم من ذلك فهي أفضل حال من العديد من دول القارة. واستمر الانخفاض في جزر القمر بمعدل وصل 7% أما نيجيريا وأثيوبيا فانخفضت النسبة بهما 1% سنة 2004 عما كانت عليه سنة 1990.

ب- فشلت بعض الدول في تقديم الخدمة لأعداد أكبر من سكانها للفترة من 1990 - 2004 فحافظت على نفس معدلاتها مثل جنوب أفريقيا 83% وغينيا الجديدة 39% طول هذه الفترة.



ج- يصل عدد الدول التي حققت نمواً في توصيل المياه النقية للسكان بنسبة زيادة لا تتجاوز 5% عن سنة 1990 (مصر - بتسوانا - توغو - جيبوتي - بنين - جمهورية الكونغو الديمقراطية - زمبابوي)، وهذه النسبة المنخفضة للتغير لا تعكس مدى اهتمام الدول بمدى السكان بالمياه النقية، فمثلا في مصر تصل نسبة المستفيدين 94% سنة 1990 ووصلت 98% سنة 2004، وبذلك تصل إلى تحقيق أهداف الألفية على الرغم من أن معدل الزيادة صغيراً إذا ما قورن بدول حققت تغييرا كبيرا، ولكن لم تصل إلى تحقيق الأهداف التي وضعت لها في هذا المجال خلال الألفية.

د- حققت أغلب دول القارة تغييرا ملحوظا في تسهيل توصيل المياه النقية وزيادة أعداد المستفيدين منها بنسبة تغير تصل إلى 33% من 1990 إلى 2004 في ملاوي، 30% ناميبيا، 23% في كل من تشاد وجمهورية أفريقيا الوسطى وبوركينا فاسو، 20% في غانا، أما بقية الدول فتتراوح فيها نسبة التغير بالإيجاب ما بين 6% في السودان إلى 17% كما هو الحال في اريتريا وأنغولا.

المصدر : من عمل الباحث، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNEP ، تقرير التنمية البشرية للعام 2006 ما هو أبعد من الندرة: القوة والفقير والأزمة العالمية الشكل (1) معدل التغير في مستويات التنمية الخاصة بالمياه المأمونة ما بين عامي 1990-2004

ووفقا للاتجاهات الحالية للتنمية والمعوقات التي تواجه القارة سوف تبلغ إفريقيا جنوب الصحراء الهدف المتعلق بالإمداد بالمياه سنة 2040، وحتى تتمكن من العودة إلى الطريق المرسوم لتحقيق الهدف المتعلق بالمياه يستحسن عليها أن تزيد من معدلات توصيل المياه إلى جهات الاستخدام من 10 مليون توصيله في العام في العقد الماضي إلى 23 مليون توصيله خلال العقد الحالي (1).

3- المياه النقية بين الريف والحضر:

تناول المياه النقية بالدراسة داخل أي قارة يؤدي إلى التطرق للاختلافات في الإمدادات المائية بين سكان الريف والحضر داخل الدولة الواحدة، خاصة وإن القارة الأفريقية يتركز عدد كبير من سكانها في المناطق الريفية التي لا تصل إليها خطط التنمية إلا وهي متعثرة ومثقلة بالعديد من المشاكل السياسية والاقتصادية والبيئية وحتى الاجتماعية والثقافية، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال استخلاص بعض العلاقات من الجدول (1) والشكل (2).

أ- تتصف القارة الإفريقية بانخفاض عدد السكان الذين يتمتعون بمياه صالحة للشرب بنسب تصل إلى 59% سنة 1990، وحوالي 64% سنة 2000، وزيادة 5% خلال عشرة سنوات، وهي نسبة لا تتماشى مع خطط التنمية الموضوعية بالنسبة للقارة.

ب- شكلت نسبة الحضر الذين تمتعوا بهذه الخدمة 88% من سكان القارة سنة 1990، وحوالي 86% سنة 2000، ويرجع انخفاض النسبة إلى تزايد المناطق الهامشية للمدن التي تستقبل الوافدين إليها من الريف، وعدم إدخال هذه الأعداد في خطط التنمية.

ج- تغير نسبة المستفيدين من الخدمة في المناطق الريفية بالزيادة بحوالي 4% سنة 2000 عن سنة 1990، وذلك لإدراج أغلب المناطق الريفية في خطط التنمية، ونقص سكان الريف بالهجرة للمدن لتوفر فرص حياة أفضل.

¹- تقرير التنمية البشرية للعام 2006، مرجع سابق، ص7.

د- على الرغم من انخفاض النسب على مستوى القارة إلا أن التفاوت كبير بين مناطقها في توفير المياه الصحية، خاصة عندما تعقد المقارنة بين دول جنوب الصحراء وشمالها، ففي أفريقيا جنوب الصحراء يعاني نصف السكان تقريبا من نقص حاد في المياه الصالحة سنة 1990، في حين 86% من سكان الشمال يتمتعون بالحصول على المياه الصحية، وأستمر جدول (1) السكان الذين يتمتعون بمياه مأمونة في الريف والحضر

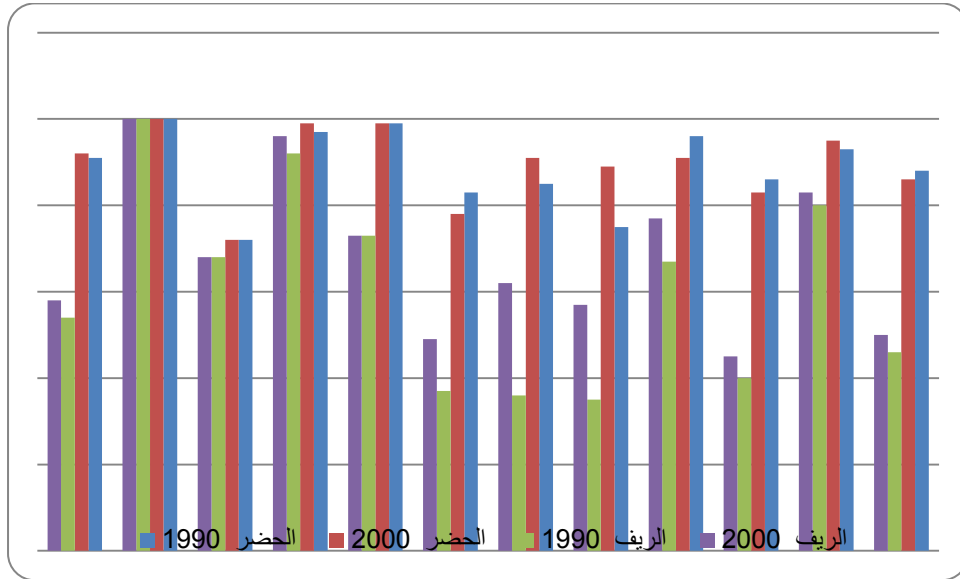
الريف		الحضر		مجموع عدد السكان الذين يتمتعون بمياه صالحة للشرب		الدولة
2000	1990	2000	1990	2000	1990	
50	46	86	88	64	59	قارة أفريقيا
83	80	95	93	90	86	أفريقيا شمال الصحراء
45	40	83	86	58	53	أفريقيا جنوب الصحراء
77	67	91	96	78	69	بور ندى
57	35	89	75	70	48	أفريقيا الوسطى
62	36	91	85	73	53	غانا
49	37	78	83	62	53	نيجيريا
73	73	99	99	86	86	جنوب أفريقيا
96	92	99	97	97	94	مصر
68	68	72	72	72	71	ليبيا
100	100	100	100	100	100	جزر موريشيس
58	54	92	91	80	75	تونس

المصدر : برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNEP ، تقرير التنمية البشرية للعام 2006 ما هو ابعده من الندرة : القوة والفقر والأزمة العالمية، ترجمة eurosript

Luxembourg s. a e.l ص 305 – 308. الترتيب حسب دليل التنمية البشرية 2006.

الفارق حتى سنة 2000 عندما بلغت النسب 58% لدول جنوب الصحراء وحوالي 90% لسكان دول شمال الصحراء، إلا أن الزيادة النسبية لدول الجنوب كانت أعلى من شماله بحوالي 1%.

وعند مقارنة السكان الذين يتمتعون بمياه صالحة للاستعمال في الحضر بين شمال وجنوب الصحراء لسنوات 1990 – 2000 نجد الاختلاف مازال كبيراً، ليزداد الفارق بشكل ملحوظ عند سكان الريف ليبلغ 45% من سكان الجنوب لسنة 2000 وحوالي 83% لسكان دول الشمال لنفس السنة، ويدل هذا على إن الاهتمام بصحة الإنسان في دول شمال أفريقيا أفضل منه عند



المصدر: من عمل الباحث، اعتماداً على بيانات الجدول (1).

الشكل (2) الفرق بين الريف والحضر في استخدام المياه المحسنة، 1990-

2004.

دول جنوب الصحراء، ويمكن ملاحظة الاختلاف بين المستفيدين من الخدمة الصحية للمياه حتى عند دراسة نماذج من دول القارة سوى بالزيادة أو النقصان مما يعكس إمكانيات كل دولة ومدى اهتمامها بصحة أفرادها.

حققت بورندي تغيرا ملحوظا بتقديم خدمة المياه للسكان ويزيادة المستفيدين فيها من 69% سنة 1990 إلى 78% سنة 2000، ويرجع ذلك لوفرة المياه بالدولة وصغر المساحة البالغ 26 ألف كم²، مما يسهل عملية الإمداد بالنسبة للمناطق السكنية إضافة إلى قلة عدد السكان، ويصل الاهتمام إلى مناطق الريف لتزداد النسبة من 67% سنة 1990 إلى 77% سنة 2000، وذلك لزيادة الهجرة من الريف إلى المدن وهذا ما يؤكد انخفاض نسبة المستفيدين من المياه الصحية من الحضر سنة 2000 عن سنة 1990 بحوالي 4%.

تتمتع الكونغو الديمقراطية بإمكانيات مائية هائلة بالنسبة لدول القارة إلا أن هذه الوفرة لم تستغل لتحسين أحوال السكان، وتوفير مياه صالحة للشرب لهم، وهذا ما تؤكد الأرقام الخاصة بسنة 2000 فأكثر من نصف سكان الدولة يعانون من عجز مائي كبير، وتصل إلى عجز شبة كامل بالريف 26% فقط يتمتعون بخدمات مائية صحية، ويرجع ذلك لاتساع مساحة الدولة، وانتشار السكان عليها، وعدم الاستقرار السياسي، وانتشار الفساد والحروب التي تعرقل حركة التقدم والتنمية.

ترتفع نسبة الذين تصل إليهم خدمة المياه الصحية في جنوب إفريقيا إلى 86% من السكان، وحوالي 99% من سكان الحضر، و73% من سكان الريف، بدون تغير يذكر للسنوات من 1990 - 2000، وهذا يوضح اثر التطور الصناعي والتقني للدولة وغناها بالموارد المعدنية وانتشار العنصر الأوروبي بها. تعتبر مصر من دول القارة التي استطاعت تحقيق نجاح كبير في توصيل المياه الصالحة والنقية وبشكل متوازن إلى 97% من سكانها سنة 2000، وحوالي 99% من سكان الحضر، و96% من سكان الريف، وذلك لوفرة المياه بمرور النيل بها واهتمامها بالسياحة والتطور الحضاري الذي تتمتع به.

يرجع عدم إمكانية ليبيا لتوفير المياه الصالحة للشرب لسكانها أسوة بالدول المجاورة لها (مصر، تونس) هو عدم توفر مورد مائي دائم، واتساع الرقعة المساحية، وسيطرة المناخ الصحراوي عليها إضافة إلى عدم قدرة الدولة على تسيير الأمور المتعلقة بالبنية التحتية بشكل حسن.

وأصبحت أغلب المدن والمراكز الحضرية في حالة من التدهور الشديد نتيجة لما حدث من تكديس سكاني لم يواكبه قدر كاف من الخدمات الأساسية التي تفي باحتياجات الأعداد الوفيرة التي تقيم بها، مما أدى إلى تحول المناطق الحضرية إلى حالة من اللا تحضر أهم سماتها تلوث عناصر البيئة الأساسية من هواء وماء وتربة وعدم القدرة على تأمين الخدمات الهامة بشكل كافي والامتداد العمراني غير المنظم، وقد كان من نتيجة ذلك انتشار المستوطنات الهامشية التي تعاني من نقص الخدمات والمياه والمرافق الصحية، وتعاني من ظروف معيشية صعبة نتيجة تدنى الدخل بها، فتواجه أغلبها صعوبات صحية نتيجة عدم الحصول على مياه صالحة للشرب وتصريف الفضلات ويعيش الأفراد في مساكن لا تتوفر فيها الشروط الصحية الملائمة مما يساعد على انتشار الأمراض بشكل جماعي (وبائي) مما يؤثر على صحة الإنسان وإنتاجيته.

ونخلص من ذلك أن القارة الإفريقية بصفة عامة نسبة من يحصلون فيها على مياه نقية نسبة محدودة، وربما يرجع هذا إلى ضآلة الإمكانيات، ووجود فساد وعدم الاهتمام بهذه المشكلة من جانب الحكومات الإفريقية رغم خطورتها، ويرتبط ارتفاع الكفاءة بتقديم خدمة المياه في أغلب الأحيان، بالدول التي تعتمد على السياحة والنفط كمصدر أساسي للدخل.

ثانياً: الصرف الصحي:

هو تجميع مياه المجارى، ونقلها إلى منطقة حيث يمكن معالجتها وجعلها غير ضارة، ثم التخلص منها بطرق آمنة وفعالة. ويعتبر الصرف الصحي أحد الخدمات الحيوية التي تتعامل مع أهم المخرجات السلبية في التجمعات العمرانية المختلفة. كما تعتبر أحد الخدمات التي ترتفع تكلفتها إذا ما قورنت بالخدمات الأخرى، كمياه الشرب مثلاً لأنها تتعامل مع مخرجات سائلة تختلط بها مواد صلبة

ومواد كيميائية، ينتج عنها تفاعلات تؤثر سلباً على البيئة مما يجعل التخلص منها ضرورة ملحة، ونظراً لارتفاع تكلفة القيام بهذه الخطوات في التجمعات العمرانية، فإن مستويات تقديم هذه الخدمة تعتبر متدنية في القارة الإفريقية بصفة عامة، رغم وجود بعض التفاوت بين الدول.

وأكثر ما يهدد صحة البشر في العالم النامي الافتقار إلى المياه الكافية وإلى خدمات الصرف الصحي، ليلبلغ حوالي 2,6 مليار شخص في العالم أي اثنين من كل خمسة أشخاص لا تتوافر لهم إمكانية الوصول إلى مرافق الصرف الصحي المحسنة وحوالي 2 مليار شخص منهم يعيشون في المناطق الريفية، ويكاد أكثر من ثلث السكان يستعمل مرافق الصرف الصحي الملائمة في غرب ووسط أفريقيا 36%، وفي جنوب آسيا 37%، وفي جنوب أفريقيا 38%.(1)

ويلحظ أن المدن في جميع أنحاء العالم تصب النفايات السائلة المنزلية والصناعية في مجارى المياه بأقل قدر من المعالجة أو دون معالجه، مما يهدد صحة البشر كما يهدد الأحياء المائية، ومن المقدر أن أكثر من 90% من مياه الصرف الصحي في العالم النامي يتم تصريفها في الأنهار والبحيرات والمياه الساحلية مباشرة دون معالجة من أي نوع، وتعانى معظم المدن في القارة الإفريقية من عدم كفاءة شبكات المياه والمجارى بنسب متفاوتة إما بسبب تقادم هذه الشبكات أو لضعف طاقتها، بحيث لا تكفى لسد احتياجات السكان أو لعدم اكتمالها لتغطى كافة الأحياء في المدن، وعدم القدرة على ملاحقة النمو العمراني والتطورات الحضرية السريعة(2). وعلى الرغم من ذلك، أحرزت القارة تقدماً محدوداً من حيث توفير مرافق الصرف الصحي الأساسية، فقد ازدادت التغطية من

1- اليونيسيف، التقدم من أجل الأطفال، تقرير دوري عن المياه والصرف الصحي، العدد 5 سبتمبر، 2006، ص 6.

2- عزة محمد حسن يحيى، مشاكل البيئة الحضرية بمدينة القاهرة والمدن العربية، ندوة (تنمية المدن العربية في ظل الظروف العالمية الراهن) 26 ديسمبر 2006 - القاهرة، ص 4.

35% عام 1990 إلى 40% عام 2010 وهذا يعنى أن 189 مليون شخص أصبح بإمكانهم استخدام هذا المرفق⁽¹⁾.

1- تصنيف دول القارة حسب توفير شبكة الصرف الصحي.

بتحليل الخريطة (3) تتضح حقائق الاختلاف بين دول القارة في اهتمامها بتوفير خدمات الصرف الصحي لمواطنيها على النحو التالي:

أ- تمثل الدول التي ترتفع فيها نسبة المستفيدين من الصرف الصحي عن 75% من السكان محدودة جداً تتمثل في (ليبيا 97%، موريشيوس 94%، تونس 85%، والجزائر 92%، جيبوتي 82%) لسنة 2004، وهى الدول التي حققت تنمية عالية في هذا المجال نتيجة لتحسن مستوى الدخل واعتمادها بشكل مباشر على النفط والسياحة كمصادر للدخل.

ب- الدول التي يتمتع فيها من 50% إلى 75% من السكان بخدمات الصرف الصحي تعتبر محدودة أيضاً مما يؤكد على عدم القدرة على التجاوب مع هذه الخدمة داخل القارة، والدول (مصر 70% - جنوب أفريقيا 65% - المغرب 73% - الكامبيرون 51% - زمبابوي وغانيا الاستوائية وغانبيا 53%- السنغال 57%- زامبيا 55%- ملاوي 61%).

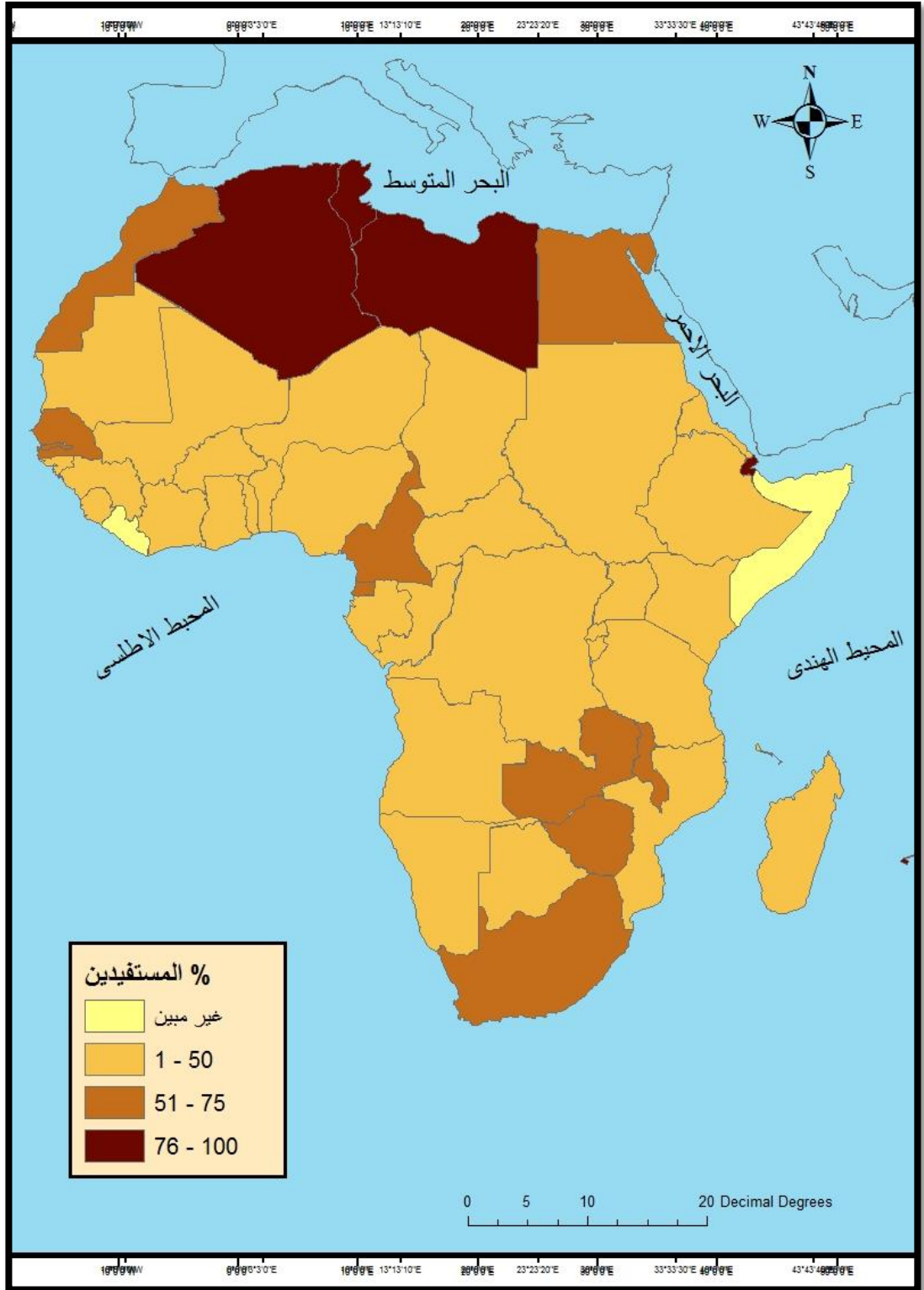
ج- أغلب دول القارة يعانى أكثر من نصف سكانها من عجز كبير في الإمداد بالصرف الصحي، وتصل أعدادهم إلى أقل من ذلك بكثير 9% من سكان تشاد وأريتريا يتمتعون بصرف صحي فقط، وترتفع هذه النسبة إلى 13% في كل من النيجر وبوركينا فاسو وأثيوبيا، وهذه النسب تدل على المعاناة الكبيرة للقارة في توفير أبسط الخدمات التي تعتبر عجلة التنمية في أي إقليم من العالم.

2- التغير في مستويات التنمية بالنسبة للصرف الصحي:

أحدث بعض الدول في القارة تغيراً كبيراً في كفاءة عمل شبكات الصرف الصحي مثل موريشيوس، التي يتمتع 94% من سكانها بهذه الخدمة لسنة 2004، في حين 97% من سكان ليبيا يتمتعون بالخدمة، باستثناء بعض التجمعات

¹- واقع مياه الشرب ومرافق الصرف الصحي في أفريقيا، مرجع سابق، ص4.

السكانية الموجودة في المناطق شبة الصحراوية والمتمثلة في القبائل التي مازالت تعتمد على الرحال من الصعب توصيل الخدمة لهم بأي شكل من الأشكال، بينما حققت تونس نقلة فعلية في تقديم هذه الخدمة للسكان وكفاءة عالية، فارتفعت نسبة المستفيدين منها من 75% سنة 1990 إلى 85% سنة 2004، وذلك لانتعاش السياحة فيها واعتمادها كمصدر للدخل الوطني، إلا إنها بحاجة لزيادة العمل وإدراج بعض المناطق الريفية في خططها التنموية، لزيادة عدد السكان المستفيدين من هذه الخدمة.



المصدر: من عمل الباحث، اعتمادا على بيانات برنامج الأمم المتحدة الإنمائي

UNEP، تقرير التنمية البشرية

للعام 2006 ما هو ابعده من الندرة: القوة والفقير والأزمة العالمية.

الخريطة (3) توضح نسبة السكان المستفيدين من خدمات الصرف الصحي في

القارة الإفريقية للعام (2004)

تعتبر مصر من أولى الدول التي أولت اهتماما بهذه الخدمة في القارة فحققت أعلى نسبة تغيير للمستفيدين منها من 54% سنة 1990 إلى 70% سنة 2004.

تعطى هذه الدول صورة مشرقة عن التنمية الإفريقية، في الوقت الذي تتغير فيه هذه الصورة بانخفاض أعداد المستفيدين من خدمة الصرف الصحي إلى انعدامها في بعض الدول، فمثلا تعاني جنوب إفريقيا من نقص في توفير الخدمة لسكانها على الرغم من كونها أكبر الدول الصناعية في القارة، فسجلت تغيير للمستفيدين من الخدمة بانخفاض من 69% سنة 1990 إلى 65% سنة 2004، بشكل مغاير لما تهدف إليه خطط التنمية، ويعانى أكثر من نصف سكان الكاميرون من عجز توفير هذه الخدمة في الوقت الذي يتمتع حوالي 44% من سكان غينيا الجديدة بهذه الخدمة، وتكاد تكون نفس النسبة في أوغندا وبتسوانا وكينيا ونيجيريا، وهى الدول التي حاولت المحافظة على استمرار الخدمة للسكان من سنة 1990 إلى سنة 2004 دون تغيير يذكر.

أما الدول التي تكاد تنعدم فيها إمكانية تقديم هذه الخدمة لسكانها مثل اريتريا وبوركينا فاسو والنيجر وتشاد، لم تتجاوز نسبة المستفيدين من خدمة الصرف الصحي 7% لكل دولة سنة 1990، ولم تصل إلى أكثر من 13% في أحسن الأحوال، ويرجع ذلك لسوء الأوضاع الاقتصادية لهذه الدول وانتشار الصحارى والتوزيع السكان العشوائي والذي يظهر في شكل قبائل متفرقة ومنتشرة مما يصعب عملية إمداد هذه الخدمة لمثل هؤلاء السكان.

إن هذا التوزيع غير العادل لهذه الخدمة بين دول القارة أدى إلى انخفاض نسبة المستفيدين منها في دول جنوب الصحراء بشكل عام لتصل 32% من سكان هذه المناطق سنة 1990، ولم تستطيع هذه الدول النجاح في تحقيق التنمية المستهدفة

خلال 14 سنة لم يزد الإمداد الشبكي للصرف الصحي لأكثر من 5% من سكان هذه الدول، وربما تكون هذه الأعداد هي التي سعت وراء هذه الخدمة بالهجرة للمدن. أما دول شمال الصحراء " الدول العربية " فهي مهتمة بشكل كبير بصحة مواطنيها، ويعكس ذلك عدد المستفيدين من خدمة الصرف الصحي بنسبة 61% سنة 1990 وحوالي 71% سنة 2004، وإن كان عدد المستفيدين من خدمة المياه النقية أعلى من عدد المستفيدين من خدمة الصرف الصحي وذلك لأن أهميتها لا ترقى لأهمية مياه الشرب في الواقع وفي رأى المخططين.

إضافة إلى ذلك فإن النقص في المياه المحسنة والصرف الصحي وصل إلى المؤسسات التابعة للدولة بشكل مباشر، فمثلا تعاني المدارس في دول منطقة شرق وجنوب أفريقيا من هذه المشكلة بشكل واضح، إذ يتعين على أكثر من 150 طفلا الاشتراك في استخدام مرحاض واحد⁽¹⁾. وأثبتت التجارب العالمية أن هناك علاقة ارتباطية بين تدن معدل وفيات الأطفال والمستويات المرتفعة لتوفير المياه والصرف الصحي، فالتحليل التاريخي لطريقة القضاء الفعلي على الوفيات الناجمة عن الإسهال في ستوكهولم (السويد) حتى عام 1925، توصى بان التدخلات الايجابية (المبادرات) الواسعة النطاق لتوفير فرصة الحصول على المياه النظيفة إلى جانب التعليم العام وإنفاذ القوانين والأنظمة المتعلقة بالصحة⁽²⁾. ويرجع أصل وجهي العجز هذين في القارة الإفريقية في الاختيارات والمؤسسات، وليس في توفير المياه رغم أن متطلبات الأسر من المياه لأتمثل إلا نذراً يسيراً من استهلاك المياه عادةً أقل من 50% من الإجمالي.

ثالثاً: مخاطر نقص الإمداد بالمياه النقية والصرف الصحي.

¹–Analysis by UNICEF Eastern and Southern Africa Regional Office, July 2006; includes districts of Zanzibar(Tanzania)and the Benshangul–Gamuz region(Ethiopia).

²–Burstrom, Bo, et. Al., Equitable Child Health interventions: The impact of improved water and sanitation on inequalities in child mortality in Stockholm, 1898 to 1925, American Journal of public, Health, vol, 95, no. 2, February 2005, pp. 214–215.

اتضح من سياق الدراسة، ضرورة أن يكون توفير المياه النقية والصرف الصحي، على قمة أولويات العمل بالنسبة للدول الإفريقية، في الأرياف والحضر على السواء، ومن الواضح أن الأمر ينطوي على قضيتي رئيسيتين أساسيتين هما:

1- مخاطر بيئية وصحية:

عندما يحاول الناس الاستعاضة عن النقص في الإمداد بالمياه النقية، بحفر الآبار أو زيادة تعميقها لسد حاجاتهم من المياه، مما يلزمه زيادة في الضخ والإفراط في الاستنفاد، مما يترتب عليه العديد من الأضرار البيئية منها خفض منسوب المياه بهذه الآبار، وتعرضها إلى الترسيب الملحي في المناطق الساحلية خاصة، ويصبح الماء غير صالح للاستخدام الادمى بشكل عام.

لا يقتصر الأمر على الخزانات الجوفية، بل إن ما يسحب من الأنهار كثيراً ما يبلغ حداً من الضخامة تخل بوظائفها الايكولوجية، ويصبح أي توسع في الري أو السحب لئي من الأغراض محدوداً بدرجة كبيرة، ويؤدي إنشاء السدود إلى تغيرات بيئية عديدة منها تزايد أعداد المرضى والمعرضين للعدوى بأمراض عديدة أهمها البلهارسيا، إلا إن اللوم لا يقع على الخزانات والسدود بقدر ما يقع على تدنى البيئة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع، وقصور التنمية في مناطق عديدة خاصة الريفية منها⁽¹⁾.

ويعد الصرف الصحي سبب رئيسي في تدهور نوعية المياه الجوفية والسطحية وتلوثها، إذ يؤدي النمو السكاني والاقتصادي والتصنيع والتحضر إلى تصريف كم أكبر من المياه المستعملة والنفايات الصلبة. ومن أكثر أشكال تلوث المياه انتشاراً ذلك الناتج عن فضلات البشر الحاملة للأمراض، وتمثل الفضلات البشرية مخاطر جسيمة على من يضطرون إلى الشرب أو الاغتسال واستخدام المياه الملوثة من الأنهار والبرك والآبار وغيرها، أو يضررون للحياة بالقرب منها، ويوضح الجدول (2) بعض الأمراض المرتبطة بالمياه. وتعد الأمراض المعدية والطفيلية سبباً في ثلث حالات الوفيات في العالم، إذ بلغت الوفاة الناتجة عن الملاريا 2مليون حالة

13- فيليب عطية، (1992)، أمراض الفقر: المشكلات الصحية في العالم الثالث، عالم المعرفة، العدد 161، الكويت، ص219.

منها مليون حالة في إفريقيا، وأكثر من 1.16 مليون حالة بسبب التهاب الكبد الوبائي بينما كانت البلهارسيا سبباً في وفاه أكثر من 200 ألف حالة (1) .
 وفى إفريقيا جنوب الصحراء قدر أن 50% من حالات الوفاة ترجع إلى الأمراض المعدية والطفيلية، وعموماً فالماء والمرض متلازمان في أفريقيا (2) .
2- مخاطر أخرى.

هناك العديد من المخاطر الأخرى التي يتكبد بها البشر من جراء نقص وقصور إمداد المياه النقية والصرف الصحي، من أهمها: تلك المتعلقة بالإنتاجية والاقتصاد ورفاهية الإنسان، وذلك الجهد المبذول في الحصول على المياه من مصادر بعيدة، وكذلك الوقت الضائع في هذه العملية، وذلك الوقت والجهد كان من الممكن إنفاقه في العمل من أجل العيش في المجتمعات الفقيرة.

جدول(2) تصنيف لأهم الأمراض المتعلقة بالمياه

أسباب العدوى	المرض	
	1- الإسهال والدوسنتاريا المعوية:	أولاً:
طفيلية	• الدوسنتاريا الأميبية _ الجباريا	استخدام مياه
جرثومية	• التهاب معوي عنف _ الكوليرا	شرب ملوثة
جرثومية	• الإسهال الجرثومي العصوي	بالبراز
فيروسية	• الإسهال الفيروسي	
جرثومية	2- الحمى المعوية	
جرثومية	• التيفود _ بار أتيفود	
فيروسية	3- شلل الأطفال	
طفيلية - دودة	4- الاسكارسوسائر الديدان	
طفيلية - دودة	المستديرة	
	5- الدودة الشريطية	

14- عزيزة محمد على بدر، مرجع سابق، ص557.

15- محمد مدحت جابر عبد الجليل،(1997)، الجغرافيا الطبية للقارة الإفريقية، الموسوعة الإفريقية، المجلد الأول، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ص526.

<p>جرثومية وفطرية جرثومية وفطرية جرثومية جرثومية دودة دودة</p>	<ul style="list-style-type: none"> • الأمراض الجلدية المتقيحة والفطرية • أمراض العين المتقيحة والفطرية • التيفوس • الحمى الراجعة • البلهارسيا • دودة غينيا 	<p>ثانياً: الاجتسال بمياه ملوثة (للجلد والعين) العدوي عن طريق الجلد والعين</p>
<p>طفيلية طفيلية طفيلية طفيلية فيروسية فيروسية</p>	<ul style="list-style-type: none"> • مرض النوم • مرض داء الفيل • الملاريا • مرض عمى النهر • الحمى الصفراء • حمى الدنجي 	<p>ثالثاً: الحشرات الناقلة للمرض كعامل وسيط بيئته المياه</p>

المصدر: عزيزة محمد على بدر، مصدر سابق، ص 556.

النتائج:

توصلت هذه الدراسة إلى عدة نتائج أهمها ما يلي:

- 1- تتميز مجموعة من الدول بالنجاح في تحقيق الأهداف الموضوعية للإمداد بالمياه النقية والصرف الصحي، منها موريشيوس، وليبيا، ومصر، وبوتسوانا.
- 2- أن ما يصل للبشر من المياه النقية للشرب وسائر الاستخدامات المنزلية الأساسية للصحة والحياة، غير كاف وغير مناسب من حيث كمية ونوعية المياه.
- 3- تعاني دول جنوب الصحراء من عجز كبير في الإمداد المائي والصرف الصحي، مقارنة بدول شمال الصحراء.

- 4- التفاوت الشديد فى توزيع المياه حيث يحرم منها قطاع كبير من السكان بالمناطق المتدهورة وغير الرسمية بالمدن، ومعظم سكان الأرياف بالقارة.
- 5- يقف الإمداد المائي والصرف الصحي عائقاً كبيراً أمام تنفيذ خطط التنمية في الدول الإفريقية، لقلة الإنتاجية وهدر الوقت.
- 6- تقشى الأمراض المعدية بالقارة الأفريقية نتيجة للجوء للمياه الملوثة لعدم توفر المياه النقية.

التوصيات:

- لكي تصل القارة الأفريقية للأهداف المرسومة لها فيما يخص المياه المحسنة والصرف الصحي يجب أن توفر الآتي:
 - 1- حشد الإرادة السياسية وإدامتها على المستويات كافة حول القضايا ذات العلاقة بالمياه والصرف الصحي.
 - 2- ضمان وجود دعم مؤسسي وقدرات ومعارف كافية على المستوى الوطني لإتاحة المجال للقيام بالرد الملائم.
 - 3- جعل الخدمات مستدامة وتحسين جودتها.

القرآن الكريم رواية قالون عن نافع.

- 1- سعد عاكول الصالحى، عبدالعباس فضيخ الغزيرى، البيئة والمياه، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان، 2004.
- 2- عزيزة محمد على بدر، المياه فى أفريقيا بين الريف والحضر، أعمال المؤتمر الدولي حول مشكلة المياه فى أفريقيا، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، 26- 27 أكتوبر 1998.
- 3- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNEP، تقرير التنمية البشرية للعام 2006 ما هو ابعده من الندرة: القوة والفقر وأزمة المياه العالمية ، ترجمة . euroscript Luxembourg s. a e.l

- 4- واقع مياه الشرب ومرافق الصرف الصحي في أفريقيا، بيانات محدثة لعام 2012، المجلس الوزاري الأفريقي حول المياه، أعمال الأسبوع الرابع للمياه في أفريقيا، القاهرة، جمهورية مصر، 14-15 مايو 2012.
- 5- اليونيسيف، التقدم من أجل الأطفال، تقرير دوري عن المياه والصرف الصحي، العدد 5 سبتمبر، 2006.
- 6- عزة محمد حسن يحيى، مشاكل البيئة الحضرية بمدينة القاهرة والمدن العربية، ندوة (تنمية المدن العربية في ظل الظروف العالمية الراهنة) 26 ديسمبر 2006 - القاهرة.
- 7- فيليب عطية، (1992)، أمراض الفقر: المشكلات الصحية في العالم الثالث، عالم المعرفة، العدد 161، الكويت.
- 8- محمد مدحت جابر عبد الجليل، (1997)، الجغرافيا الطبية للقارة الإفريقية، الموسوعة الإفريقية، المجلد الأول، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة.

10-Analysis by UNICEF Eastern and Southern Africa Regional Office, July 2006; includes districts of Zanzibar(Tanzania)and the Benshangul-Gamuz region(Ethiopia).

11-Burstrom, Bo, et. Al., Equitable Child Health interventions: The impact of improved water and sanitation on inequalities in child mortality in Stockholm, 1898 to 1925, American Journal of public, Health, vol, 95, no. 2, February 2005.

جماليات البناء الفني في قصص القرآن الكريم (قصة أصحاب الكهف أنموذجا)

أ.محمد حسن جحا

تمهيد :

القرآن الكريم كتاب دعوة وهداية وإرشاد، يدعو الناس إلى عقيدة التوحيد ، ويهديهم إلى صراط الله المستقيم ، ليكونوا على فطرتهم التي فطرهم الله عليها ، ويرشدهم إلى ما يحقق سعادتهم في الدارين ، كما أنه يهدف إلى تعريف البشرية بطبيعة ما هديت إليه والغاية من استخلافها في الأرض . وهو كتاب لتربية الإنسان على مبادئ عقيدية حياتية قبل كل شيء وبعده . ومن هنا فإن موضوعات القرآن الكريم جامعة وهادفة ، شاملة لجميع نواحي الحياة ، تستهدف سعادة الإنسان ورُشده في الدنيا والآخرة .

ولتحقيق هذا الغرض فإن القرآن الكريم استخدم كل الوسائل وجميع الأساليب البيانية وشتى الطرق التصويرية التي تساعد الناس في فهم مقاصده ومراميها ، وإدراك مفاهيمه ومعانيه ، والوقوف على مضامينه ورؤاه ، والتعرف على بنائه ومكوناته ...

والقارئ المتدبر للقرآن الكريم ، يرى أن جانبا كبيرا من آياته وسوره قد اشتمل على قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقصص غيرهم من أخيار الناس وشرارهم . يرى ذلك بصورة أكثر تفصيلا في السور المكية ، التي كان نزولها قبل الهجرة ، لأنها في الأعم والأغلب اهتمت بإقامة الأدلة وتقديم البراهين على وحدانية الله تعالى ، وعلى صدق الرسول ﷺ فيما يبلغه عن ربه ، وعلى أن هذا القرآن من عند الله سبحانه وتعالى ، وعلى أن البعث وما يترتب عليه من ثواب أو عقاب هو حقٌ وصدقٌ . وهذه الأدلة ساقتها السور المكية تارة عن طريق قصص الأنبياء مع أقوامهم ، وأنباء من قد سبق من الأمم والأقوام ، وتارة عبر غير ذلك من الطرق الأخرى ، كالنظر في خلق السماوات والأرض وتدبر ما فيهما ، وفي خلق الإنسان وغيره من سائر المخلوقات . " بل حتى المجالات الأخرى من الأبواب التي تطرق إليها القرآن الكريم : كمشاهد القيامة ، ومواقف النعيم والعذاب ، وحياة أصحاب

الجنة ، وحياة أصحاب النار ، والأخبار الغيبية، والآيات الطبيعية والكونية ... الخ ؛ فضل القرآن أن يعرضها علينا بأسلوب تصويري هو أقرب ما يكون إلى الأسلوب القصصي " (1).

وهكذا حظيت القصة بمكانة عالية في القرآن الكريم ، فلا تكاد تخلو سورة منه من قصة ، أو جزء من قصة ، أو إشارة إلى قصة ، حيث كانت القصة إحدى وسائله في الدعوة والبلاغ والإقناع ، وذلك نظرا لما للقصة من أثر على نفسية المتلقي ووجدانه ، حيث يجذب الإنسان بطبيعته إلى الأسلوب القصصي ، ويميل إلى متابعة ما في القصة من سرد الأحداث وحركة الشخصيات والحوار الدائر بينها ، وكل ما يتعلق بتقنيات القصة . ولا يخفى أن الأسلوب القصصي هو أقرب الوسائل التربوية إلى فطرة الإنسان ، ومن أكثر العوامل النفسية تأثيراً فيه ، نظرا لما في هذا الأسلوب من محاكاة لحالة الإنسان نفسه ، فتراه يعيش بكل كيانه في أحداث القصة وكأنه أحد أفرادها ، فيزى من خلالها كل من الصالح والپالغ ما في نفسه من أحاسيس ، وما في خلدّه من أحاديث ، وما يجري حوله من أحداث وحوار .. كل ذلك من خلال تجاوبه مع القصة . فالقصة لاسيما إن كانت بأسلوب شيق ، وبيان رائق ، وأسلوب رائع ؛ لها من التأثير والجاذبية ما لا تبلغه أي وسيلة أخرى من الوسائل الدعوية أو التعليمية أو التربوية ، فكيف إذا كانت بأسلوب ريباني معجز ، له من الواقعية والصدق ودقة التصوير ، ومن السمات والمزايا ما ليس لغيره !!

وموضوع القصص مترامي الأطراف ، متنوع الجوانب ، يتسع ربع القرآن الكريم تقريبا ، لما فيها من عظاتٍ وعبرٍ وأهدافٍ وأغراض ، وما لها من ميزات وخصائص وأسرار بلاغية هادية إلى مقاصد شرعية ودينية.

وعلى هذا فإن القصة في القرآن كانت وماتزال مثار اهتمام كثير من الدارسين والباحثين والمهتمين ؛ كل حسب منهجه في القراءة ورؤيته في التحليل وطريقته في التعامل مع النصوص بشكل عام ، ومع الخطاب القرآني على الخصوص، ومع المكون القصصي فيه على الأخص . وإذا كانت القصة من بين الطرق والأساليب

¹ . فالخ الربيعي ، القصص القرآني (رؤية فنية) ، ص 25 .

التي سلكها القرآن ؛ فلا يسعنا إلا أن نقر "بأن هذا القصص بعض القرآن ، فيثبت له ما يثبت لجميعه من إعجاز آياتها المشتغل على أسلوب القرآن التصويري المعجز في وحدة فنية رائعة ... والقصص القرآني أدب فني متكامل ، لأنه من عند الله سبحانه وتعالى"⁽¹⁾ . ولهذا فللقصة القرآنية عمارة خاصة تتواصل جزئياتها بنحوٍ من التلاحم الحيّ من مقدمتها ووسطها ونهايتها، بحيث تصبح كل جزئية إنماءً لسابقتها ، أو مفصلة لها ، أو مسببة عنها ، أو مجانسة لها ، في خضوعها للخط الفكري الذي تستهدفه القصة ..

وتحمل القصة القرآنية كل مقومات وجماليات الأداء القصصي المتقن المستوفي كل جوانب العرض الفني البديع ، وذلك عبر أسلوب فذ في العرض والتصوير والسردي والبناء ، ودقة متناهية في اختيار الوقائع والأحداث والتفاصيل المناسبة لكل قصة ، إذ أن القصة في القرآن ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة ، التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق ؛ إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية وقد لفتت القصة القرآنية أنظار الباحثين ، الذين رأوا فيها معيناً لا ينضب من الجمال والجلال ، وحسن العرض ، وبراعة التصوير ، وروعة الوصف ، وقوة التأثير . والبحث في القرآن الكريم والتدبر في معانيه عمل لا تنتضب مادته ، وتذوق الجمال في النسق القرآني بما يقدمه لنا من صور يتيح للنفس فرصة السمو بالأفكار والمشاعر إلى قداسة الرسالة النبيلة للقرآن ؛ ليكون ذلك القصص هادياً للمؤمنين إلى الطريق الصحيح ، والصرراط المستقيم ، فالله سبحانه وتعالى يقول ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ يوسف / 3 .

لذا كثرت الدراسات والبحوث التي تسعى إلى دراسة القصص القرآني لإبراز القواعد والمقاييس النقدية في البناء الجمالي للقصة القرآنية ، التي يمكن استثمارها لقيام رؤية نقدية إسلامية ، تقوم على الخصائص المتميزة لقصص القرآن .

كلمة لأبد منها:

¹ . سعيد عطية مطاوع ، الإعجاز القصصي في القرآن ، ص 35 .

يجب التنويه وتلزم الإشارة بداية إلى أن هذا البحث المتواضع لا يسعى إلى دراسة القصة في القرآن الكريم على ضوء أسس ومعايير البناء الفني للقصة البشرية ، أو إخضاع القصة القرآنية للمقاييس العامة للقصة البشرية شكلا ومضمونا ، فلا هذا ولا ذاك مما قد يتبادر إلى ذهن البعض للوهلة الأولى ، فهذا فهم خاطئ ، فضلا عما يحتويه من تحميل للقصة القرآنية فوق ما تطيق "ذلك أننا لو فعلنا ذلك سنكون كمن يعرض الموضوعات والظواهر القرآنية ويحكم عليها مستندا إلى المقاييس والقيم البشرية ، والعكس صحيح ، فالقرآن الكريم هو أساس النظرة إلى الأشياء ، وهو المعيار الأخلاقي والجمالي الذي ينبغي أن تقاس عليه الظواهر والقضايا التي نتعامل معها في الحياة ، كما أنه هو المثال الذي يقاس عليه ، ولا يقاس هو على شيء دونه"⁽¹⁾ .

وعلى هذا فههدف البحث ليس إلا محاولة لتناول جوانب من أسس جماليات البناء الفني وأدوات البناء الجمالي للقصة القرآنية " ولا يمنع ذلك من وجود عناصر شكلية مشتركة في البناء الفني تجمع بين النوعين من القصص القرآني والبشري ، كعناصر البناء الفني للقصة بصفة عامة " ⁽²⁾ .

القصة في اللغة والاصطلاح :

عندما نتصفح معاجم العربية وقواميسها نجدها تفيدنا بأن القصة لغةً : الخبر ، وهو القَصَص . والقَصُّ : تتبع الأثر ، يقال قصصتُ أثره . والقَصَصُ الأثرُ ﴿ فَارْتَدًّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ الكهف / 64 ، ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ القصص / 11 ، أي تتبَّعي أثره حتى نعرف من يأخذه . وقصَّ فلان عليَّ خبره يقصه قِصَا : أورده .⁽³⁾ ، و (القصص) : الأخبار المتتبعة ⁽⁴⁾ ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ يوسف / 3 . وللقصة معانٍ أخرى متقاربة ، فهي تأتي بمعنى : الخبر

¹ . د أحمد عطا عبد العال ، البناء الفني في القصة القرآنية (قصة يوسف نموذجا) ص 24 .

² . د أحمد عطا عبد العال ، البناء الفني في القصة القرآنية (قصة يوسف نموذجا) ص 24 .

³ . ابن منظور : لسان العرب : مادة (ق ص ص) ج 7 / ص 74 . وانظر : تاج العروس للزبيدي : ج 18 / ص 99 .

⁴ . الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القرآن ص: 671 .

، والأمر، والحديث ، والجملة من الكلام⁽¹⁾، والقَصص (بالفتح) : الخبر المقصوص ، وُضِعَ موضعَ المصدر حتى صار غالباً عليه ، والقِصص (بكسر القاف) : جمع القِصة التي تكتب ، والقاص : الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتبع معانيها وألفاظها⁽²⁾ . فمدلول القصة في اللغة واضح ، وواسع .

هذا ما يمكن استخلاصه بإيجاز من حديث علماء اللغة عن مفردة (قصة) وما يثيره هذا اللفظ في ذهن من معنى . أما المفسرون فيخطون بالمسألة خطوة إلى الأمام ، ذلك لأنهم ينظرون إلى المسألة باعتبارين : اعتبار لغوي يعتمدون فيه على ذلك التحصيل اللغوي الذي أشرنا إلى طرف منه ، واعتبار ديني ينظرون فيه من وجهة نظر خاصة ، وهي قصد القرآن الكريم من قصصه وأهدافه التي ترمي إليها⁽³⁾ .

القصة اصطلاحاً :

أما القصة في القرآن الكريم فتتفاوت وجهات النظر حول مفهومها ، وتتنوع الآراء حول مدلولها ، وأغلب الظن أن ذلك راجع إلى ما في القصة القرآنية من خصائص ومميزات تختص بها وتميزها عن غيرها ؛ من صدق في الواقعية التاريخية ، وجاذبية في العرض والبيان ، وشمولية في الموضوع ، وسمو في الهدف ، وتنوع في المقصد والغرض ، ووضوح في الإعجاز من جوانبه كافة . وقَصصُ القرآن أصدق القَصص لقوله تعالى ﴿ومن أصدق من الله حديثاً﴾ آل عمران / 86 ، وذلك لتمام مطابقته الواقع ، وأحسن القصص لقوله عز وجل ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾ يوسف / 3 ، وذلك لاشتمالها على أعلى درجات الكمال في البلاغة وجلال المعنى ، وأنفع القصص لقوله تعالى ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ يوسف / 111 ، وذلك لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق .

¹ . ابن منظور : لسان العرب : ج 7 / ص 73 ، 74 .

² . ابن منظور : لسان العرب : ج 7 / ص 73 ، 74 .

³ . أنظر : سعيد عطية مطاوع ، الإعجاز القصصي في القرآن ، ص 37 .

ويمكن أن نخلص من هذا إلى أن مدلول القصة في القرآن الكريم هو مدلولها اللغوي ، مضافاً إليه تلك الخصائص والسمات والمميزات التي يتفرّد بها القصص القرآني على غيره ...

ولو تتبعنا تفسير قوله تعالى ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ...﴾ يوسف / 3 ، لوجدنا أن أبا حيان الأندلسي يتبع هذا المنهج في التفسير ، إذ يُفسّر أحسن القصص على ثلاثة وجوه ؛ الأول : إن كان المراد به المصدر كان المعنى أحسن أسلوب ، ويقول: " ألا ترى أن هذا الحديث مُقتَصّ في كتب الأولين وفي كتب التواريخ ، ولا ترى اقتصاصه في كتاب منه مقارباً لاقتصاصه في القرآن " (1) ، والثاني : إن كان المراد به المفعول ، " فكان أحسنه لما يتضمّن من العبر والحكم والنكت والعجائب التي ليس في غيره " (2) ، والثالث أنها " كانت أحسن القصص ، لأن كلّ من ذُكر فيها كان مآله إلى السعادة " (3) . أمّا محمد الشوكاني فهو يُفسّر القصص فضلاً عن معناها اللغوي ؛ بأنّها القرآن كما أخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة (4) .

ويعرّف التهامي نفرة القصة القرآنية بأنها " قصة هذا الكائن البشري الذي شاعت إرادة الخالق العليا أن تُكرمه ، فتستخلفه في الأرض وتُمكنه فيها ، وتكل إليه أمر اكتشاف الحقيقة بعد أن أودعته سرّ القدرة على المعرفة بإرشاد الرسل وهدى العقل ، معرفة النواميس التي تحكم هذا الوجود ، ووهبته حرية الإرادة ، إرادة الفكر والفعل ليوجّه سلوكه ، ويختار طريقه في الحياة ... " (5) . وهي وسيلة من وسائل

¹ محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي ، البحر المحيط في التفسير ، ج 6 / ص 235 .

² أبو حيان الأندلسي الغرناطي ، البحر المحيط في التفسير : ج 6 / ص 235 .

³ أبو حيان الأندلسي الغرناطي ، البحر المحيط في التفسير : ج 6 / ص 236 .

⁴ يُنظر : محمد بن علي الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، ج 3 / ص 6 .

⁵ التهامي نفرة ، سيكولوجية القصة في القرآن ، ص 5 .

القرآن الكثيرة التي استخدمها لإبلاغ شريعته ودعوته (1) . وهي إخبار القرآن " عن أحوال الماضين ، من أمم وأنبياء سالفين ، وعن حوادث واقعة في سوانف الأيام ، ممّا فيه العبر والاعتبار للباقيين " (2) . وهي إحدى أساليب القرآن " من أجل الوصول إلى عقل الإنسان وشعوره ، فيما يفكر به في قضايا العقيدة والحياة ؛ ليقنع بالفكرة / الحق التي ترتبط بالله ، وبالطريق / الحق الذي يصل بالإنسان إلى الله ... " (3) ، فهي بعض القرآن ، وبذلك " يثبت لها ما يثبت لجميعة من إعجاز آياتها المشتملة على أسلوب القرآن التصويري المعجز في وحدة فنية رائعة " (4) .

هذا ومن نافلة القول الإشارة إلى أن القصة القرآنية خضعت في موضوعها ، وفي طريقة عرضها ، وفي أسلوب تناولها للحوادث وحركة الشخصوص ؛ لمقتضى الأغراض الدينية ، وبالتالي فقد ظهرت آثار هذا الخضوص في سمات معينة ، ولكن هذا الخضوص الكامل للغرض الديني ، ووفاءها بهذا الغرض تمام الوفاء ؛ لم يمنع بروز الخصائص الجمالية والفنية في عرضها ، ولا سيما خصيصة القرآن الكبرى في التعبير .. وهي التصوير .

ومما تجدر الإشارة إليه أيضا أن القصص القرآنيّ يتميز عن غيره من سائر القصص بخصائص يعلو بها جلاله وقداسته ، ويزداد بها بلاغة وإعجازا ، ويعظم بها أهمية وتأثيرا ، حيث تتجلى الكثير من " جوانب الإعجاز الجمالية في قصص القرآن الكريم ، التي أسهمت مع غيرها من العناصر في تحقيق الأهداف : الدينية والتربوية ، بصورة فنية معجزة ، تمثل الأنموذج الفريد المعجز للفن القصصي " (5)

¹ يُنظر :عيد سعد بونس ، التصوير الجمالي في القرآن الكريم ، ص 192 . والصورة الأدبية في القرآن الكريم ، د. صلاح الدين عبد التواب ، ص 91 . والتعبير الفني في القرآن ، د. بكري شيخ أمين ، ص 246 . والتصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، ص 119 .

² محمد هادي معرفة ، شبهات وردود حول القرآن الكريم ، ص 418 - 419 .

³ م . ن : ص 35 .

⁴ م . ن : ص 35 .

⁵ . علي بن محمد الحمود ، الإعجاز الجمالي في قصص القرآن الكريم ، موقع كلية اللغة العربية ، جامعة الإمام ، الرياض ، ص 3 .

ويمكن القول في هذا السياق : إن القصة القرآنية جمعت بين تحقيق الغايات الدينية والتربوية والقيم الجمالية ، إذ خاطبت المشاعر والعقول بلغة فنية جميلة ، وحققت غاياتها المتعددة ، بأسلوب جمالي غاية في الإحكام والإعجاز . وبهذه الخصائص استحق أن يُوسَم بأحسن القصص في قوله سبحانه وتعالى ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ يوسف / 3 . ولا يتسع المقال لتناول هذه الخصائص التي يمكن الاضطلاع عليها من الكتب والدراسات التي تناولت القصص القرآني بالدراسة والتحليل .

فضلا عن هذا ؛ فإن مما يلاحظ أن التعبير القرآني يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني ، فيما يعرضه من الصور والمشاهد . بل إنه يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني ، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية . والفن والدين صنوان في أعماق النفس وقرارة الحس ، وإدراك الجمال الفني دليل استعداد لتلقي التأثير الديني ، حين يرتفع الفن إلى هذا المستوى الرفيع ، وحين تصفو النفس لتلقي رسالة الجمال والجلال .

سورة الكهف :

سورة الكهف مكية ، وعدد آياتها (105) خمسٌ ومائة آية ، وهي تنتمي إلى طائفة من السور المكية التي كان موضوعها الأساس ترسيخ الوجدانية لله الواحد الأحد ، وثبيت عقيدة التوحيد . فهذا هو صلب موضوع هذه السورة ، وهو أيضا موضوع السور المكية الغالب : العقيدة في أصولها الكبيرة : الوحي والرسالة والتوحيد والبعث والحساب والجزاء . أما المحور الموضوعي لسورة الكهف الذي ترتبط به موضوعاتها ، ويدور حوله سياقها ؛ فهو : تصحيح العقيدة ، وتصحيح منهج النظر والفكر ، وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة⁽¹⁾ .

وقد بُنيت سورة الكهف بناءً قصصياً ، أو كان البناء القصصي غالباً عليها ، حيث تشتمل على خمس قصص ، بل هي تسع قصص : " ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف ، وبعدها قصة صاحب الجنتين ، ثم إشارة إلى قصة آدم وإبليس ، وفي وسطها تجيء قصة موسى مع الرجل الصالح ، وفي نهايتها قصة ذي

¹ . أنظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مج 5 - ج 15 - ص 368 .

القرنين . ومعظم ما يتبقى من آيات السورة هو تعليق أو تعقيب على القصص فيها . وإلى جوار القصص بعض مشاهد القيامة ، وبعض مشاهد الحياة ، التي تصور فكرة أو معنى على طريقة القرآن في التعبير " (1) .

ويسير سياق السورة حول هذه الموضوعات الرئيسية ، بين المقدمة والخاتمة . كما يرى سيد قطب - في خمسة أشواط متتابعة ، تستقل كل قصة من هذه القصص بشوط من الأشواط (2) .

فقصة أصحاب الكهف ، الذين هربوا بدينهم إلى كهف ، لينجوا من بطش السلطة الكافرة ، نموذج لإيثار الإيمان على باطل الحياة وزخرفها ، والالتجاء إلى رحمة الله ، هرباً بالعقيدة أن تمسّ .

وقصة صاحب الجنتين المعتر بماله ويعدد أولاده من دون الله ، أمام فقير مؤمن ، تصور اعتزاز القلب المؤمن بالله ، واستصغاره لقيم الأرض . والشوط الثالث يتضمن مشاهد عدة متصلة ، من مشاهد القيامة ، تتوسطها قصة آدم وإبليس ، وينتهي ببيان سنة الله في إهلاك الظالمين ، ورحمة الله ، وإمهاله للمؤمنين إلى أجل معلوم .

وقصة موسى والرجل الصالح ، موضوعها هو بيان الفارق بين الحكمة الإنسانية القريبة العاجلة، والحكمة الكونية البعيدة الآجلة .

أما قصة ذي القرنين ، فتحكي سيرة الحاكم الصالح ، الذي حارب الفساد بمنهج الله ، وبالقوة التي يسرها الله له ، ثم أرجع كل خير إلى رحمة الله ، وفضل الله عليه ، لأنه هو راجع إليه .

ثم تختتم السورة بمثل ما بدأت : تبشيراً للمؤمنين ، وإنذاراً للكافرين ، وإثباتاً للوحي ، وتنزيهاً لله عن الشريك .

1 . سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مج 5 - ج 15 - ص 368 .

2 . أنظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مج 5 - ج 15 - ص 368 وما بعدها . وانظر : محمد الحسناوي ، البنية الفنية في سورة الكهف ، دراسة منشورة على موقع رابطة أدباء الشام .

هذا مجمل موضوعات السورة وقصصها ... لكن كيف ترابطت هذه القصص فيما بينها ؟ وكيف تحققت وحدة السورة وتماسكها ، وكيف خدمت أهدافها وأغراضها ؟

يمثل قصص سورة الكهف إعجازا في حد ذاته ، وبشكل خاص ، إذ تجد القصص الأربعة يتم بناؤها وتصويرها وسردها بأسلوب بديع رشيق ، وبشكل مختلف في كل قصة عن الأخرى ، بما يتناسب مع مضمون كل قصة وبما يخدم هدفها ، فالتعبير عن المعنى يفرض أسلوبا وإيقاعا يختلف في كل مرة عن الأخرى ، ولكن الإتقان هو الإتقان ، يتجلى في سمو البناء الفني والتناسق الجمالي .

خطان متوازيان :

في سورة الكهف وفي غيرها من السور القرآنية ذات الطابع القصصي يُلاحظ أن هناك خطين متوازيين تسير آيات السورة وفقهما من مبتدئها إلى منتهاها (1): أحدهما هو الخطاب القرآني الموجّه إلى الرسول ﷺ ، وإلى العصبة المؤمنة معه طوال العهد المكي ، حيث إنهم المقصودون أولاً بالخطاب القرآني لتثبيتهم على دعوة الحق ، والتسرية عنهم في مواجهة مضطهديهم المشركين ، أسوة بالرسول والأنبياء السابقين وصراعهم مع أقوامهم . وهذا الخط هو بمثابة الأصل أو العمود الفقري للسورة ، وبالتالي فهو مسوّغ الخط الآخر ، الذي يتضمن عددا من القصص القرآني الذي يتحدث عن دعوات أولئك الأنبياء والرسول ، كما يتحدث عن نماذج أخرى من البشر في عالمي الغيب والشهادة ، وما يستتبع ذلك ويناسبه من قصص أو أمثلة ، أو من مشاهد الحياة الدنيا ، أو من مشاهد الدار الآخرة ، ترد في ثنايا ذلك الخطاب القرآني بأسلوب يفوق الروعة في الإعجاز والبناء والتصوير الفني الرفيع .

المحور الأساس للسورة هو تصحيح العقيدة ، عبادة الله وحده لا شريك له ، والتوكل عليه في كل نواحي الحياة ، فالسورة تبدأ بإعلان الوجدانية وإنكار الشرك وإثبات الوحي .. وهنا يتجلى التناسب والتناسق في ترتيب القرآن ، إذ أن نهاية سورة الإسراء جاءت بالأمر بالحمد وتنزيه الله تعالى عن الولد والشريك والند ﴿وَقُلْ

¹ . انظر : محمد الحسناوي ، النبوة الفنية في سورة الكهف .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وِلْدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ الإسراء / 110 ، فيتواءم هذا مع بداية سورة الكهف التي تبدأ بالحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب للإنذار والتبشير ، وتقرير أن ما على الأرض من زينة هو للابتلاء والاختبار ، وأن النهاية إلى زوال وفناء، ثم تأتي قصة أصحاب الكهف التي تقدم نموذجا لمن يؤثر الإيمان على باطل الحياة الدنيا وزخرفها ، ثم يأتي التوجيه الإلهي للرسول الكريم ﷺ بأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغدا والعشي يريدون وجهه ، وتجيء قصة صاحب الجنتين الذي غرته زينة الحياة الدنيا وزخرفها ، واعتزازه بالمال والولد، كما تصور القصة من جانب آخر اعتزاز القلب المؤمن بالله ، واستصغاره قيم الأرض ، وتنتهي بتقرير القيم الحقيقية الباقية . وبعد هذا تقدم السورة عدة مشاهد متصلة من مشاهد يوم القيامة ، تتوسطها إشارة خاطفة لقصة آدم وإبليس ، والإشارة التي تؤكد سنة الله في إهلاك الظالمين ، وأن الله يشمل برحمته المذنبين ويمهلهم إلى أجل معلوم . وبعد هذا تأتي قصة نبي الله موسى عليه السلام مع الرجل الصالح ، تليها قصة ذي القرنين ، وتختتم السورة بمثل ما ابتدأت به : تبشيرا للمؤمنين وإنذارا للكافرين ، وإثباتا للوحي ، وتنزيها لله عن الشريك⁽¹⁾ .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق أن الخط الأول في سورة الكهف ، زمنه هو زمن البعثة النبوية ، وفي سياق النص هو زمن (الحاضر) ، أما الخط الآخر في السورة وهو خط القصص أو الأمثال ، فيتضمن عدداً من الأزمنة والعوالم : الماضي والحاضر والمستقبل ، بمعنى عالم الغيب وعالم الشهادة .
 هما خطان متوازيان - إذن ، كما أشرنا - لكننا لو قمنا بإجراء مقارنة بين المساحة التي يشغلها الخط الأول ، والمساحة التي يشغلها الخط الآخر ، من حيث عدد الآيات ؛ فإن تلك المقارنة تفيدنا بأن الخط الآخر (القصص) ، حجمه أكبر بكثير من الخط الأول ، يكاد يكون الضعف ، بمعدل (71 آية للآخر) مقابل (39 آية للأول) ، ومع ذلك يظل الخط الأول هو الأصل المقصود ، والخط الآخر هو الفرع ، أو المُعزَّز ، أو المكمل للخط الأول، "هذه المفارقة العددية في المساحة

¹¹ . أنظر : سيد قطب : في ظلال القرآن ، مج 5 ، ج 15 ، ص 370 / 371 .

بين الخطين ، تلفت نظرنا إلى احتفال القرآن بطرق التعبير الفنية عن أغراضه وأهدافه ومراميه . وكل ما جاء في الخط الأول من آياتٍ كافٍ لتقرير حقائق العقيدة والقضايا التي تحدثت عنها القصص المصاحبة ، ولم يكتفِ بمضمونات الخط الأول التي يغلب عليها التكتيف للمعاني والأفكار ؛ بل شفعها بقصص يتضمن تجسيداً حياً لتلك المعاني والأفكار ، في صور وأحداث وشخصيات وحوار ، توضح تلك المعاني والأفكار ، وتكسيها حياة وغنى ، لا أحلى ، ولا أجلى!!⁽¹⁾ فكيف جاء ذلك التجسيد الحي لتلك المعاني والأفكار ؟ وكيف ارتسمت الصور والأحداث والشخصيات ؟ وكيف كانت تجليات الحوار؟

منذ البداية تتضح معالم السورة فلا لبس في العقيدة ولا غموض ، والغاية من إنزال الكتاب واضحة جلية وهي الإنذار والتبشير .. ثم تعرض السورة صوراً من الفتن في الحياة الدنيا في أربع قصص ، أو لنقل هي أربع فتن ترسم كيفية الابتلاء بأسلوب من أساليب القرآن الشيقة وهو القصص .. ولكن إعجاز القرآن يتجلى هنا من ناحية بناء كل قصة وعلاقته بمضمونها ، فكل قصة يتم طرحها ومعالجتها فنياً بأسلوب مختلف عن القصة الأخرى ، بما يتناسب مع الهدف من ذكرها .. كما يتجلى إعجاز القرآن الكريم في جماليات بنائه الفني الذي يعتبر أبرز الظواهر القرآنية ، بسبب ما استعمله من المواد العربية الأولى مثل : المفردة ، والتركيب ، والأسلوب ، والصورة الأدبية ، والوصف ، والحوار ... الخ ، ولكن في آفاق من الإعجاز الإلهي الدائم . والقصة القرآنية تزخر بالجمالية ذات الأساليب المتنوعة ، " وكل ذلك قائم على جمال اللفظ والمعنى ، وحسن تركيبهما في أحسن صورة من صور الإبداع الأدبي الفني ، إذ اشتملت على كل عناصر القصة الأدبية والمشاهد التصويرية بحيث تجعل القارئ يتصور ما حدث وكأنه ماثل أمام ناظره ، وبأسلوب فريد في ألفاظها وتعبيرها وأدائها القصصي الممتع " ⁽²⁾.

¹ . محمد الحساوي ، البنية الفنية في سورة الكهف .

² . بان حميد فرحان ، جمالية القصة القرآنية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد 101 ، ص 335 ، 336 .

وعلى هذا فالمقدمة أو التمهيد الذي استُهلّت سورة الكهف به ، ينطوي على مهمّة فنية تلقي بأضوائها على محتويات السورة ، ومحتويات السورة توسّلت بعنصرٍ قصصي ، يُجلي خطوطها بوضوح ، ما دامت القصة . أساساً . تُوظّف في النص القرآني الكريم لإنارة الحقائق بوسيلة فنية تكون أشدّ من غيرها في إحداث التأثير على المتلقي ، مرة جديدة ، يتعيّن علينا قبل أن نتابع قصص سورة الكهف ، أن نشير إلى أننا حيال مقدّمة أو تمهيدٍ تصدر سورة الكهف ، وإلى أنّ القصص التي تتضمنها السورة ، ستحوم على المفهوم الذي أفرزته المقدّمة ، وما يتفرع عنها من مفهومات ودلائل وأبعاد .

قصة أصحاب الكهف :

القصة تقع في الآيات من التاسعة إلى السادسة والعشرين ، وهي من أطول النصوص القصصية في السورة مقارنة بالقصص الأخرى ، والمقدمة أو التمهيد الذي استُهلّت به سورة الكهف ، ينطوي على ملحق فني يُلقي بأضوائه على محتويات السورة ..

{9} اذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا {10} فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا {11} ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا {12} نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى {13} وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُو مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا {14} هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوَلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا {15} وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا {16} وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوَّرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْسِدًا {17} وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا {18} وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ

قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا {19} إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا {20} وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِیَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا {21} سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كُذِّبُوا وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُذِّبُوا رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كُذِّبُوا قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَنَفِتْ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا {22} وَلَا تَقُولَنَّ لِسَيِّءٍ إِلَيَّ فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا {23} إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا {24} وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا {25} قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا {26}

بدأت القصة من وسط الحدث وارتدت إلى البداية ، ثم واصلت تسلسلها الزمني إلى نهاية الحدث ، وفي هذه البداية القصصية المُجملة التي سردَ الحدث فيها من الوسط ، ويعود النص إلى بداية الحدث من حيث تسلسله الزمني ؛ تظهر ملامح البناء الفني وأسلوب السرد للقصة ، إذ يتم عرض خلاصة القصة كمقدمة لها ، ثم يعود الزمن إلى الوراء بأسلوب (الFLASH باك) ليتم عرض القصة منذ بدايتها بتفاصيلها ، وهذا ما يناسب مضمونها غاية التناسب ، حيث تحدتتنا الآيات عن هؤلاء الفتيّة الذين طلبوا من الله أن يهديهم سبيل الرشاد ، مبيّنًا وموضحًا أنّ السبب في ذلك عائدٌ إلى أنهم كانوا من الشخوص المؤمنة التي ضاقت ذرعاً بمناخ الكفر . وحيث إن المضمون يتحدث عن فتنة الدين ؛ فلا حاجة لأي لبس أو تشويق أو مفاجآت ، فأنت تطمئن منذ البداية على الفتيّة ، وتقرأ الآيات لتعلم التفاصيل وتنشغل بالشخصيات وتتعلم ممّا لاقت من أجل الثبات على دينها ... وهكذا تبدأ الآيات بالإيجاز ، وتفصل بالإسهاب والتفصيل الطويل ، وهذا من الصور الفنية في الآيات القرآنية .

والآية الأولى في هذه القصة تثير مفهوم (المفارقة) من خلال (استهلالية) السرد ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ إذ يأتي الاستهلال ضمن أسلوب الاستفهام ، ف (أم) هنا تأتي في مفهوم الاستفهام ، والاستهلال السرد الذي يأتي على أسلوب الاستفهام يحفز المتلقي، ويشوقه إلى متابعة القصة ، إذ أن الجملة التي تبدأ فيها القصة تأتي في إطار الانزياح أو ضمن حضور لافت في بدايتها ، ويؤازر ما ذهبت إليه من لفت انتباه المتلقي في إطار الاستفهام المفارقة القائمة على أن قصة أصحاب الكهف لم تكن عجباً ، لكنها وفق تصور المتلقي تشكل بعداً عجبياً وهي أمر خارق للعادة وللعقل البشري . "إن استهلالية القصة القرآنية وفق ما تقدم تجعل المتلقي مأسوراً للنص ، مستغرقاً فيه ، متفاجئاً من حالة المفارقة القائمة ما بين قدرة (المتحدث) الذي يشير إلى أن قصة أهل الكهف ليست عملاً عجبياً ، وإدراك المتلقي لعجائبية القصة من جهة ، ومن جهة أخرى فإنها تدل على قدرة الله عز وجل في تسهيل ما هو عظيم للتدليل على عظمة أكبر وهي عظمتة عز وجل " (1) .

" وبعد هذا التلخيص المشوق للقصة يأخذ السياق في التفصيل ، ويبدأ هذا التفصيل بأن ما سيقصه الله منها هو فصل الخطاب في الروايات المتضاربة ، وهو الحق اليقين" (2) ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ...﴾ ، فالقارئ والمستمع يتلهف لمعرفة سبب ذهاب الفتية إلى الكهف وما حدث لهم بعد ذلك .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق أن تلخيص الآيات الأولى لنص القصة التي فصلتها الآيات اللاحقة ؛ يعدُّ ميزة فنية خاصة(3)، كما أن اللافت في هذا الملخص أيضاً أن أحداث القصة تُقطع ليتدخل صوت السارد (الله) في بث جملة في متن النص القصصي يتجلى في قوله سبحانه : ﴿ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين

1 . عبد الباسط مراشدة ، وعبد الرحيم مراشدة ، قراءة معاصرة في القصص القرآني في ضوء سورة الكهف ، بحث منشور على موقع جامعة آل البيت ، ص 5 .

2 . سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مج 5 ، ج 15 ، ص 374 .

3 - أنظر : تعليق سيد قطب في تفسيره في ظلال القرآن، مج 5 ، ج 15 ، ص 374 على بداية قصة أهل الكهف على الآيات (أم حسبت أن) .

أحصى لما لبثوا أمداً ﴿ كما يمكن الإشارة في هذا المقام إلى توظيف الضمير في (لنعلم) وهو يدل على الجمع والتفخيم والقدرة والمعرفة والتحدي (1).

تبدأ القصة بمخاطبة شخصية معروفة في إطار ثقافة المتلقي وهو الرسول ﷺ ، غير أنها من الممكن أن تمتد إلى شخصيات أخرى ، أي إلى المتلقي ، المستمع أو القارئ لكتاب الله ، ومهما يكن فإن هذه القراءة لا تمنع القراءة الأولى ، ذلك أنه إذا كان المتلقي هو المعني بالخطاب في الآيات ؛ فإنها تشركه في إطار النص ، ويصبح معنياً بتدبر معانيها ، وتنقله إلى جو القصة ؛ لأنه يشعر بأن السارد يتحدث إليه ، وهذا يثير المتلقي أيضاً ويحفزه إلى المتابعة في إطار من التشويق المتميز والفريد (2).

وإذا كان البناء القصصي يقوم على بنية فنية جمالية يتجلى فيها عنصر التشويق من خلال أفق توقعي لحدث قد يأتي ؛ فإن رحلة المكث والمبيت في الكهف ، ثم إيقاظ الفتية ليكونوا عبرة ، تؤكد الغاية التي سبقت من أجلها هذه القصة وقد حققت كلّ الجماليات المرجوة لتقديم أنموذج قصصي فريد .

تفصيل بعد إجمال :

يبدأ القسم الثاني من قصة أصحاب الكهف بتفصيل الحدث الذي أجمله القسم الأول ، حيث يرتد النص بسرد الحدث من أوله على هذا النحو ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحقّ . إتهم فتية آمنوا بربّهم وزدناهم هدى...﴾ ..

ومما يُلحظ هنا أن النص قد أبهم ملامح القوم الذين اتخذوا من دون الله آلهةً ، من حيث التعريف بشخصياتهم ، ونمط تعاملهم مع الذين يخالفونهم في الاتجاه الوثني . كما أنه أبهم ملامح الفتية المؤمنين أيضاً ، حيث لم يحدثنا عن أسمائهم ، وعددهم ، ومواقعهم في المجتمع الوثني . بل اكتفى النص بإبراز السلوك الإيجابي لدى أولئك الفتية ، ألا وهو : إيمانهم العظيم بالله ، وثقتهم به ، وشجبهم للمناخ

1 . أنظر : عبد الباسط مراشدة ، وعبد الرحيم مراشدة ، قراءة معاصرة في القص القرآني في ضوء سورة الكهف ، ص 5 .

2 . أنظر : عبد الباسط مراشدة ، وعبد الرحيم مراشدة ، قراءة معاصرة في القص القرآني في ضوء سورة الكهف ، ص 5 .

الوثني الذي غلف عصرهم . "والسر في ذلك . جمالياً . أن النص يختط أسلوب العرض القصصي وفقاً لمتطلبات الاستجابة الفنية... وهي استجابة تتأزر عدة مستويات على إحداث التأثير فيها ، منها طريقة التشويق ، حيث يصوغ النص الأحداث جزءاً فجزءاً ، أو يُلقي بالأضواء على جانبٍ منها ، ويرجيء إلقاء الأضواء الأخرى إلى الفصول اللاحقة ، حيث يتعرف المتلقي على محتويات القصة تدريجياً ، من خلال الفصول كلها ، لا من خلال فصل منها . وواضح ، أنّ هذا المنحى الفني ، يضحّم من عنصر المتابعة لدى القارئ أو السامع ، بحيث يدعه متشوقاً متطلعاً إلى معرفة ما سيحدث ، ومعرفة ما ستكشف حiale من ملامح الأبطال والمواقف والأحداث"⁽¹⁾ .

ومما هو جدير بالإشارة هنا أن تتكبير الأشخاص في القصة (مؤمنين / وثنيين) يظل على صلةٍ بطبيعة أفكار القصة التي يستهدفها النص . ذلك أن القصة ليست بصدد تحديد ملامح القوم الكافرين من حيث أسماؤهم ومواقعهم الاجتماعية ، كما أنها ليست بصدد تحديد ملامح الفتية من حيث العدد والاسم والموقع ، بل هي بصدد إبراز قضية النبذ لمتاع الحياة الدنيا وزخرفها العابر ، ذلك الزخرف الذي أوضحت بداية سورة الكهف أنه سيتحول إلى صعيدٍ جُرُزٍ ، إلى أرضٍ جرداء ، فالقصة تستهدف تجسيد هذا النبذ لزينة الحياة الدنيا ، ولذلك كان من الطبيعي . وهي تستخدم أسلوب الاقتصاد اللغوي . أن تُشدد على هذا الجانب ، وقد أبرزت القصة قضية النبذ متمثلةً في اللجوء إلى الكهف ، دون الحاجة إلى تحديد الاسم والعدد والموقع .

وهنا "ينبغي أن نلفت الانتباه إلى عنصر فني آخر ، يمكننا أن نستشفه من وراء التتكير لملامح الأبطال ، فالأبطال . ونعني بهم أصحاب الكهف . يجسدون مفهوماً هو نبذ زينة الحياة ، وأوضح تجسيد لهذا النبذ هو تتكبير ملامحهم ومواقعهم... ورسماً . كالكهف تماماً . بعيدة عن تسليط الأضواء الاجتماعية عليها ، وهي

¹ . د . محمود البستاني : دراسة فنية في قصص القرآن (كتاب إلكتروني) ص 245 .

أضواء تتمثل عادة في (التقدير الاجتماعي) الذي يتطلع إليه كل فرد عادة " .
(1) وإذن فقد جاء رسمهم . فنياً . مبهمين ، متوافقاً ومفهوماً للنبتة لزينة الحياة .

ولقد صاغت الآيات الكريمة قصة أصحاب الكهف وقدمتهم للمتلقي على أنهم مجموعة من الفتية يتحاورون فيما بينهم ، عبر المشكلات التي يواجهونها في مناخ الكفر ، فالنص لم يسرد لنا أفكارهم من الخارج ، بل قدمهم لنا على حقائقهم ، يكشفون بأنفسهم عن أفكارهم بمعنى أن النص القرآني الكريم وظف عنصر (الحوار) بدلاً من (السرد) في التعريف بشخصيات أهل الكهف ، و(الحوار) من حيث البعد الفني بمقدوره أن يطلع المتلقي على أعماق البطل ، حينما يحدثه البطل مباشرة عن أفكاره ، وبمقدوره أن يطلع المتلقي . من خلال المباشرة المذكورة . على جوانب ما كانت لتحدث تأثيرها عليه ، لو لم يقف المتلقي بنفسه على طريقة التفكير لدى البطل ، وطريقة معالجته للمشكلات التي يواجهها . ولعل أبرز ما يُلفت الانتباه في عملية الحوار الذي جرى بين الأبطال ، هو الاقتراح الذي قدمه أحدهم ، ثم الثقة التي أوكلها بالله حينما خاطب جماعته قائلاً ﴿فَأُوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ ثم: هذه الثقة بالله ، حينما خاطبهم بالقول ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مَّرْفَقًا﴾ وهذه الفقرة من الحوار لها أهميتها الفنية الكبيرة . ليس من خلال انطوائها على ثقةٍ بالسماء فحسب . بل من خلال الموقع الهندسي من بناء القصة أيضاً . وانعكاسها على الجزء اللاحق من النص القصصي (2) .

إنهم فتية تبين لهم الهدى فاتبعوا سبيله وسط مجتمع كافر ، فتمسكوا بعبادة ربه ، فزادهم الله هدى وثباتاً ، وأنزل سكينته عليهم وثبتتها في قلوبهم ، نراهم في المشهد الأول من القصة يتشاورون في أمرهم فيقررون اللجوء إلى الكهف هرباً بدينهم وخوفاً من كفر أهل مدينتهم الذين يتربصون بهم ...

وهنا تتبدى أمامنا أهمية المكان (الكهف) في التعبير عن المعنى من جوانب عدة ، تحمل أكثر من دلالة وأبعد من معنى ، فهم يفضلون الكهف بشظفه وخشونته على رفاهية حياة المدينة التي كانوا يعيشونها ، وفي هذا دلالة على صدق عقيدتهم

1 . د . محمود البستاني : دراسة فنية في قصص القرآن (كتاب إلكتروني) ص 246 .

2 . أنظر : د . محمود البستاني : دراسة فنية في قصص القرآن (كتاب إلكتروني) ص 247 .

، ومن ناحية أخرى يعبر الكهف بشكله المعهود وكأن الطبيعة تحتويهم في أحضانها وقت حاربهم البشر .. ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً﴾ ..

جماليات وصف المكان :

في هذا الفصل من قصة أصحاب الكهف ، يبدأ الرسم القصصي يأخذ منحى إعجازياً ، في وصف (البيئة) التي يتحرك من خلالها أصحاب الكهف ، حيث يعد الوصف من أهم الأساليب في تقديم المكان ، إذ يعمل على تشكيل المكان وتقديمه ومنحه حضوراً وعمقاً دلالياً ، لذا يعد المكان وعاء للحدث وللشخصية ، وفيضا من المعاني والقيم ومظاهر الحياة التي تعيشها الشخصيات ، أو هو يحتوي على الأحداث التي تنمو مسيرتها ضمن إطار لها ولغيرها من عناصر القصص ، إذ يكشف المكان عن وقائع الموصوف وتفصيلاته فيؤدي إلى تعميق الصلة بينه وبين الشخصية⁽¹⁾.

وقد صور القرآن الكريم الكهف العجيب تصويراً رائعاً ، كما صور حال الفتية داخله ، والمتأمل سيجد تلك الصورة العجيبة ماثلة أمام عينيه ، حاضرة بصورة موحية ، معبرة عن قدرة الله تعالى الخالق المدبر ، حيث ينقل لنا القرآن الكريم بالكلمات هيئة أولئك الفتية في مشهد تصويري ، أضفت عليه صيغة المضارع معنى الإحضار والتجدد⁽²⁾ ، فمن خلال استعمال الأفعال المضارعة (وترى ، وتحسبهم ، ونقلبهم ...) ؛ نجد إشارة إلى المكان المعرف بـ (أل) التعريف ، غير أن المكان نكرة غير معروف إلا للعليم الخبير عز وجل الذي ينبيء القصة ، ولا يختلف ما نقوله هنا عن الـ (أل) المعرفة للفتية أيضاً ، " لذلك فإن القص هنا مليء بالغموض ويفضي إلى التأويل ومحاولة معرفة كل أنماط الغموض من قبل المتلقي ، ولا يوضح الحديث عن قومهم أي إحساس بالغموض عند المتلقي ، فالزمن (التاريخ) غير معروف ، وكذلك (قومهم) غير معروفين... الخ ، فقوله

¹ . أنظر : د . يوسف سليمان الطحان ، الوصف في قصص سورة الكهف (دراسة تحليلية) مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة الموصل ، العراق ، المجلد السابع ، العدد 1/14 ، 2013 م .

² . أنظر : التهامي نفرة ، سيكولوجية القصة في القرآن ، ص 89

سبحانه وتعالى ﴿هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلفان بين
فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ دليل على ذلك ، إذ لا تبيين الآيات الأزمنة
والأمكنة والتاريخ والأسماء... الخ " (1) .

وعلى هذا فالكهف "يمثل واقعاً حياً لأبطال القصة ، كما يمثل رمزاً حياً لمفهوم نبذ
الحياة من حيث كون هذا الرمز صورة فنية واقعية ، يتأزر في صياغة تركيبها كل
من الواقع والفرن ، بحيث يجدها المتلقي صورة تشبع أحاسيسه الجمالية من جانب ،
وترفده بعطاءٍ فكري من جانبٍ آخر" (2) .

وهنا يظهر لنا ملمح فني جديد ، فيما يسمى (ضغظ الزمن) ، أو (المبنى
الحكائي) ، فالفرن لا يهتم بالزمن الضعيف الذي لا يأتي بأحداث مؤثرة ، فتقفز
القصة إليهم وهم نائمون في الكهف ، بعد أن أووا إليه ، في مشهد فني أسر يمكن
أن نلمحه في قوله جلّ وعلا ﴿فَأُوُوا إِلَى الْكُهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ
لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مِّرْفَقًا﴾ فمفردة (فأووا) تفيد بأنهم رجعوا إلى الكهف بعد أن ذهبوا إليه
أول الأمر ، خصوصاً إذا فهمنا الفعل (أوى) بمعنى الرجوع والعودة ، وهنا نتقلنا
الآيات من مشهد إلى مشهد ، وتضمّر مشاهد وأحداثاً مهمة أخرى ، وهو الأمر
الذي التفت إليه في العصر الحديث سيد قطب (3) ، وسمّى مواضع الإضمار
(فجوات) تقع بين المشهد والمشهد ، والإضمار ظاهرة كثيرة الدوران في القصص
القرآني ، ومن أحدث الاتجاهات - كما يرى الدكتور محمد غنيمي هلال (4) - ما
ذهب إليه كتّاب القصة الأمريكيون ثم الفرنسيون من التركيز على تصوير المواقف
بالاقتصار على عرض الأفعال والأحداث بعضها بعد بعض ، دون شرح أو تأويل
، والميل إلى إضمار كثير من الأحداث المهمة ليستدل القارئ عليها من السياق ،
وعليه أن يبذل جهداً كبيراً في استخلاصها ، وهؤلاء الكتاب ذهبوا هذا المذهب في

1 . عبد الباسط مرشدة ، وعبد الرحيم مرشدة ، قراءة معاصرة في القص القرآني في ضوء سورة الكهف ،
ص 7 .

2 . د . محمود البستاني : دراسة فنية في قصص القرآن (كتاب إلكتروني) ص 245 .

3 . تجد ذلك في مواضع كثيرة في كتابيه (في ظلال القرآن) و (التصوير الفني في القرآن) .

4 . أنظر : محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، ص 563 ، 566 .

الإضمار القصصي متأثرين بفن الخيالة (السينما) بعد أن أسرف هذا الفن في استخدامه . "والقرآن الكريم يأتي من هذا الباب بالعجب العجاب الذي تتقاصر من دونه همم أعظم الكتاب في الفن القصصي ، وأكثرهم شهرة ... وهذه الظاهرة تعد أصلاً من أصول البناء الفني للقصة القرآنية ، وأن لها دوراً في إحياء المشاهد ، وتحقيق الحضور لها، وشدّ القارئ إلى متابعة القصة، والسير معها إلى نهايتها" (1) ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا﴾

تحدثت الآيات في القسم الأول بصورة مجملّة عن وجود فتية دخلوا الكهف ، وأنامتهم السماء عدداً من السنين ، ثم بُعثوا بعد ذلك . وجاء القسم الثاني من القصة مفصلاً لوقائع هذه العملية ، حيث أوضح أنهم فتية ضاقوا ذرعاً بمناخ الكفر، واقترحوا . تبعاً لذلك . أن ينزروا في كهف منعزل عن المناخ المذكور. أما القسم الثالث من القصة فسيجيء مفصلاً للبيئة الجديدة ، بيئة الكهف ، وعملية التكيف مع هذه الحياة التي اختاروها ، والحوار الذي جرى بين فتية الكهف هو الذي سيلقي الضوء على القسم الثالث من القصة ، حيث كانت الفقرة الأخيرة من الحوار ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْغَبًا﴾ . هذه الفقرة لها موقعها الفني المهم في البناء القصصي ، حيث إنها تشكل همزة وصل بين القسمين الثاني والثالث من القصة .

من جماليات الرمز :

وفي الآية صورة أخرى من صور البناء الفني المترع بجمال الصياغة ورشاقة الكلمات وروعة الأسلوب !! فما الذي يفيد الفعل (ضربنا؟) وكيف يكون الضرب على الأذان؟ ولماذا الضرب على الأذان بدلاً من الإشارة إلى النوم مباشرة؟ قبل أن نحاول الإجابة عن هذه التساؤلات نشير إلى أن هذه الصورة هي صورة رمزية ، والرمز - أو الكناية كما في النقد الأدبي القديم - يعني إحداث علاقة بين شيئين يشير أحدهما إلى الآخر ، حيث يحذف الآخر ويشار إليه من خلال الأول

¹ . محمد عبد اللاه دبور ، أسس بناء القصة من القرآن الكريم (رسالة دكتوراه) مخطوطة ، كلية اللغة العربية بالمنوفية ، جامعة الأزهر ، 1996 م ، ص 266 .

. وكان الصورة تريد أن تقول : إن الله ضرب عليهم النوم ، فرمز للنوم بعبارة ﴿فضربنا على آذانهم﴾. وجمالية هذا الرمز تتجلى في مدى انطوائه على الدلالات الفنية الممتعة ، إذ نجد أن السياقات التي وردت فيها هذه الصورة الرمزية تتأرجح بين دالتين : إحداهما تشير إلى أن هؤلاء الفتية ، فتية أهل الكهف ، قد بعثوا ﴿ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً﴾ ، والانبعاث أو البعث هو الإحياء بعد الموت ، و هذا يعني أن فتية الكهف يخضعون لما يخضع له الموتى من الإنبعاث (1).

أما الدلالة الأخرى فقد وردت في سياق النوم ، حيث نجد في آية لاحقة قوله تعالى ﴿وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ . ولسائل أن يسأل : ما هو السر الفني الكامن وراء قوله سبحانه ﴿ثم بعثناهم...﴾ المشيرة إلى الإحياء بعد الموت ؟ مع أن المقصود من ذلك هو إيقاظهم بعد النوم؟ خصوصا أن الآيات أشارت خلال ذلك إلى عبارة (الإيقاظ) في قوله جَلَّ وَعلا ﴿وتحسبهم أيقاظا وهم رقود﴾ حيث يظل كل من النوم واليقظة متضادين يقابل أحدهما الآخر؟ هناك ملمح فني عجيب ، ذلك أن نوم هؤلاء الفتية ، بما أنه نوم خاص حينئذ ؛ فإن مماثلته للموت من حيث العنصر الزمني ، ومن حيث اقترانه بعدم الحركة الحيوية المرتبطة بحاجات التغذية ونحوها ، فهذه وتلك تجعل من (النوم) ظاهرة تشبه (الموت) . فضلا عن هذا فإن إيقاظهم بعد المدة الطويلة وتساؤلهم فيما بينهم عن مدة لبثهم ﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم﴾ ؛ هذا التساؤل يظل مماثلا للتساؤلات التي يطرحها الناس يوم القيامة بعد بعثهم ، مضافا إلى سر فني ثالث هو اتخاذ هذا البعث عظة أو أنموذجا للانبعاث في اليوم الآخر . وهنا نجد أن النص القرآني يعقب على هذه الحادثة قائلا ﴿وكذلك أعتزنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها﴾ ، ما يشف عن السر الكامن وراء المشابهة بين نوم أهل الكهف وبين

¹ . أنظر : د . محمود البستاني : دراسة فنية في قصص القرآن (كتاب إلكتروني) ص 241 .

الموت ، و من ثم عن السر الكامن وراء اختيار لفظة (بعثناهم) بدلا من (أيقظناهم) ونحوها (1).

كما أنها صورة رمزية من جانب آخر ، من حيث دلالاتها على النوم الخاص الذي وسم أهل الكهف ، ذلك أن عملية الضرب على الآذان تعني انسداد الآذان ، بحيث لا تتفد إليها الأصوات ، والنائم عادة لا يسمع ولا يعي ما حوله ، أما الوعي فقد سكت النص عنه و لم يشر إليه ، بينما ذكر السمع و خصص له هذه الصورة ، وهذا يعني أننا ينبغي أن نتبين أولا السر الكامن وراء ذكر السمع دون الوعي ، ثم نتبين ثانيا سببية هذا الرمز (الضرب على الآذان) بدلا من الإشارة إلى النوم مباشرة .

الضرب هنا هو التعطيل والمنع ، أي عطلنا حاسة السمع عندهم مؤقتا والموجودة في الأذن والمرتبطة بالعصب القحفي الثامن . ذلك أن حاسة السمع في الأذن هي الحاسة الوحيدة التي تعمل بصورة مستمرة في الظروف كافة ، وتربط الإنسان بمحيطه الخارجي . فضلا عن هذا فإن قوله جلّ في علاه ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ...﴾ تعني تعطيل الجهاز المنشط الشبكي الموجود في الجذع الدماغي والذي يرتبط بالعصب القحفي الثامن أيضا (فرع التوازن) حيث إن هذا العصب له قسمان : الأول مسئول عن السمع ، والآخر مسئول عن التوازن في الجسم داخليا وخارجيا ، ولذلك قال البارئ عز وجل ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ ولم يقل (فَضَرَبْنَا عَلَى سَمْعِهِمْ) أي أن التعطيل حصل للقسمين معا ، وهذا الجهاز المهم مسئول أيضا عن حالة اليقظة والوعي وتنشيط فعاليات أجهزة الجسم المختلفة والإحساس بالمحفزات جميعا ، وفي حالة تعطيله أو تخديره يدخل الإنسان في النوم العميق ، ونقل جميع فعالياته الحيوية ، وحرارة جسمه ، كما في حالة السبات والانقطاع عن العالم الخارجي ، قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتًا﴾ النبأ / 8 ، والسبات هو النوم والراحة ، و(المسبوت) هو الميت أو المغشي عليه (2).

1. أنظر : د . محمود البستاني : دراسة فنية في قصص القرآن (كتاب إلكتروني) ص 241 .

2. أنظر : محمود خاطر بك ، مختار الصحاح ، ص 281 ، 282 .

ومهما يكن فإن السمع بالرغم من كونه يعتمد على (الوعي) في تشخيصه للأصوات ، حيث يمكن أن يكون الإنسان (واعياً) ولكنه لا يسمع ، دون العكس ؛ لكن بالرغم من ذلك فإن للسمع علاقته بالعالم الخارجي الذي خلفه أصحاب الكهف ورائهم ، إنهم حينما جاؤوا إلى الكهف قطعوا صلّتهم بالعالم الخارجي ، دون أن يقطعوا وعيهم به ، فلاحاجة حينئذ إلى ذكر انعدام الوعي في حالة نومهم و من ثم فان الصور الرمزية التي اضطلعت برسم هذه الحالة المتميزة لآبد أن تتميز أيضا بسمة خاصة ، وهذا هو أحد أسرار الفن المعجز في النص القرآني الكريم ، و مما يضيفي مزيدا من الجمالية على هذا التميز أو الخصوصية لرقدة أهل الكهف ؛ أن عملية الرقاد ذاتها قد وشحها النص بظواهر متميزة عن النوم المألوف ، ما يضيفي مزيدا من الإمتاع الجمالي على الصورة المشار إليها ، بالنحو الذي أشرنا إليه .

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى توظيف الضمير في (لنعلم) وهو يدل على الجمع والتفخيم والقدرة والمعرفة والتحدي. ومن ملامح الغموض ، وهو مطلب فني يشد المتلقي ، هو ترك سنوات (النوم/ الموت) مفتوحة دون تحديد ، وهذا يحفز المتلقي لمتابعة النص القصصي المفصل، إذ نعت السنين بأنها (عددا) ولم تبين الآيات العدد الحقيقي ، وهذا الغموض يلفت انتباه المتلقي ويترك له مجالاً لمواصلة تفاصيل القصة . و(عددا) نكرة تفيد التعميم ، والتعميم مفتوح أكثر من التخصيص ، غير أن العدد للسنين يبدو طويلاً ؛ لأنه عطف على الآية التي فيها العدد ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ بقوله ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ ، و(ثم) تفيد التراخي في الزمن ما يشير إلى عدد كبير من السنين ، ويبدو أن النوم موت ؛ لأن البعث وإن كان من النوم جائز، إلا أنه للأموات أقرب، وهذا يعزز غرائبية القصة وأن أصحاب الكهف كانوا عجباً ، ما يثير مفهوم المفارقة ويعمقها⁽¹⁾.

ويُظهر التفصيل فيما بعدُ عدَدَ السنين التي يجعلها مرة أخرى في إطار من الغموض وإن باح بالعدد يقول تعالى ﴿وَلْيَبِئُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا

¹ . انظر : عبد الباسط مرآشدة ، وعبد الرحيم مرآشدة ، قراءة معاصرة في القص القرآني في ضوء سورة الكهف ، مرجع سابق ، ص 6 .

تَسْعًا ﴿ غير أن هذا العدد يدخل مرة أخرى في إطار من الغموض لقوله سبحانه
﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرُ بِهِ وَأَسْمِعُ مَا لَهُمْ مِّنْ
دُونِهِ مِنَ وِلْيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ .

تناسق فني معجز :

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوَّرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ
الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِلْ
فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ
وَكَئِبُّهُمْ بِأَسِطٍ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ
رُعبًا﴾ ..

هذا الفصل القصصي يظل متصلاً بالحوار الذي لحظناه في الفصل السابق من
القصة ، حيث يجيء في سياق البناء الفني تطوراً عضوياً لذلك الحوار الذي أوكل
فيه أحد الفتية ثقته بالله ، إذ يقدم النص جواباً لتلك الثقة ، والظن الحسن بالسماء
، حتى كأنه يقول لأولئك الفتية : أنعموا بهذا الظن الحسن ، وبتلك الثقة العظيمة ،
فلقد قلّبتنا . من أجلكم موازين الكون : حيث الشمس تخرق قانونها الطبيعي ، وحيث
النوم يخرق قانونه الحيوي ، وحيث الحياة والموت أساساً سيكون لهما . من خلال
الأبطال . مساراً آخر ، يلفه المعجز والمدهش والمثير ، تلك الثقة التي أشرنا إلى
أن الحوار من خلالها يجسد موقفاً فنياً من القصة ، بحيث يسهم في تطوير البناء
العضوي الفني لها ، فضلاً عن الوظائف الفنية التي لحظناها في عنصر الحوار ،
مما يكسب النص القصصي مزيداً من الجمالية التي نحاول تحديد معالمها .

يرتبط المكان وتتسع دلالاته بما يرتبط به من سياقات فنية ونفسية واجتماعية ، ومن
ثم يرتفع المكان إلى درجة النموذج التصويري ، ويظهر المكان في القصة القرآنية
من خلال أسلوب القرآن الكريم وتناوله ودقة وصفه ، إذ إنه يحدد أبعاده وتضاريسه
وأشياءه حتى يشعر القارئ بما يحيط بالمكان ، كما تتجلى هنا مظاهر الدقة
الفنية في رسم الجو العام ووضع إضاءته المناسبة ما بين الخارجي والداخلي ، إذ
تراهم نائمين في الداخل وأشعة الشمس تتماوج في الخارج لتعبر عن حركتها وهي
(تزاور) عن الكهف عند مطلعها فلا تضيئه ، وتجاوزهم عند مغيبها فلا تقع عليهم

" وهو مشهد تصويري عجيب ، ينقل بالكلمات هيئة الفتية في الكهف ، كما يلتقطها شريط متحرك ، والشمس تطلع على الكهف فتميل عنه كأنها متعمدة ، ولفظ (تزاور) تصور مدلولها وتلقي ظل الإرادة في عملها ، والشمس تغرب فتجاوزهم إلى الشمال وهم في فجوة منه" (1) . ونلمح هنا أسلوبا فنيا لم يكتشفه الإنسان إلا في القرن العشرين في فن السينما ، وهو أسلوب (الفوتو مونتاج) وهو عرض مجموعة لقطات سريعة تعبر عن حدث ومرور فترة زمنية ، وهنا تعبر آيتان عن مرور ثلاثمائة وتسع سنين ، وذلك بأسلوب (الفوتو مونتاج) في مرور الشمس وتقلب الفتية المستمر .

ومن جانب آخر ؛ فإن الفعل المضارع (تري) يفيد الدلالة على الرؤية البصرية ، ويعطي المخاطب فهما واضحا عن حركة الشمس أمام الكهف ؛ إذ إن وجود الشمس يفيد ديمومة الحياة ، ولإثبات قدرته سبحانه وتعالى في عدم تسليط الشمس على أصحاب الكهف في أثناء شروقها وغروبها حتى لا يصيبهم أذى . أما الفعلان (طلعت) و (تقرضهم) فيؤدي كل فعل منهما مهمة خاصة حتى تكتمل حركة تقلب أصحاب الكهف ذات اليمين وذات الشمال ، وهكذا يعطي الفعل (تزاور) معنى حركة الشمس ، ويصور مدلولها بوقوعها في موضعها في حركة مستمرة .

هذا التصوير القرآني الفني المعجز يصور مشهدا تشترك فيه شخصيات إنسانية وحيوانية ، كما تبدو فيه بعض عناصر الطبيعة (الشمس) ، وحتى الظلال والمشاعر النفسية . لمن يرى هذا المشهد - يصورها القرآن الكريم ، ففي المكان رهبة ، وفي حالهم هيبة ، بل إن هيبته تثير الرعب والفرع في قلب من يراها حتى إنه لا يستطيع أن يستقر في المكان . ومعلوم أن "التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني المجرد ، والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور ... فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر ؛ فيردها الأسلوب القرآني شاخصة حاضرة ، فيها الحياة وفيها الحركة ، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر

¹ . سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مج 5 ، ج 15 ، ص 376 .

التخييل ، فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة ، وحتى ينقلهم إلى مسرح الحوادث الأول الذي وقعت فيه، حيث تتوالى المناظر، وتتجدد الحركات" (1) ، والأداة المستعملة في هذا التصوير والتشخيص إنما هي الكلمات الجامدة لا الألوان المصورة ولا الشخوص المعبرة ، وبذلك تظهر بعض أسرار الإعجاز في هذا اللون من تعبير القرآن (2) . وعلى هذا فالطريقة التصويرية تفضل التعبير بالمعنى المجرد الذي يؤدي الدلالة الذهنية فحسب ، وهو وسيلة التعبير عن أغلب المواضيع القرآنية من أمثال وقصص وحالات نفسية ومناظر طبيعية وحوار ... فيتحقق التأثير بطريقة فنية حتى لكان العين ترى ، والأذن تسمع ، والأنف يشم ، واليد تلمس ، ذلك أن المقصود بالفن في القرآن هو جمال العرض بهدف التأثير الوجداني .

وعندما نقرأ قوله تعالى ﴿وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ نستخلص بأن هؤلاء الفتية لم يكن نومهم بالنسبة إلى الراقد مثابها لنوم الآخرين ، وإلا لما حسبهم الراقد أيقاظا مع أنهم رقود ، وهذا ما أشارت النصوص المفسرة إليه عندما ذهب بعضها إلى أنهم كانوا مفتوح العيون ، ما يجعل الراقد متوهما بأنهم أيقاظ وليسوا رقودا. وهذه وتلك تكشف عن مدى تساوق الصورة الرمزية ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ مع الدلالات الأخرى التي وردت في سياق الحديث عن نومهم الخاص وانبعاثهم ، ما يضيف مزيدا من الإمتاع الجمالي على الصورة المشار إليها إن رعاية السماء لهؤلاء الفتية ، تأخذ طابعها (المعجز) في عمليتي الشمس والنوم داخل الكهف ، وقد لاحظنا كيف أن الشمس تميل عن كهفهم شرقاً وغروباً ، وأن موقع الكهف (جغرافياً) كان بحيث لا يرى الواقف على الباب داخل الكهف . أما عملية النوم ، فإن الطابع المعجز منها يتمثل في طبيعة الرسم الخارجي لملامح أولئك الفتية ، حيث رسمهم النص رقوداً من حيث الهيئة الجسمية ، ومفتوح العيون ، ومتقلبين في النوم يميناً وشمالاً .

1 - سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص 36 ، 37 .

2 - سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص 36 ، 37 .

"هذا الملمح يرسم لنا الأبطال في هيئة نُوم لكنهم أيقاظ ، والمتلقي يضطرّ إلى أن يمارس عمليات فكريةً شتى ، حتى يصل إلى استخلاص ما ، فمن المحتمل أن يكون الأبطال مفتوح العيون في هيئة نائم ، ومن الممكن أن يمارسوا . وهم ممدّدون . بعض الممارسات التي توهم المشاهد بأنهم أيقاظ ، ومن الممكن أن يصدر عنهم نشاط لفظي يحقق الإيهام ذاته بأنهم أيقاظ لكنهم في الحقيقة نُوم" (1). وهكذا تمضي الآيات في سياقها العجيب والمؤثر ، وهم نائمون لا يتحركون ولا يموتون ولا تبلى أجسادهم ولم تخلق ثيابهم ، وهم يقلبون من جنب إلى جنب في نومتهم الطويلة ، يحسبهم الشخص العادي أنهم جالسون وهم رقاد ، وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ، لو قيست نومتهم بنومة الشخص العادي الذي نام أكثر من الوقت المحدود لنومه يجد ظهره متقوساً من كثرة النوم ، فكيف هؤلاء الفتية ناموا سنين طويلة المدى كانوا في رعاية الله وحفظه !! فالمعروف أن الارض من طبيعتها أكل الأجسام المتصلة بها ، فكان من قدر الله أن قلبهم على جنوبهم يمينا وشمالا حتى لا تُفسد الأرض أجسامهم .

وواضح أنّ (التقلب) لا يشكّل دليلاً على اليقظة ، ومن هنا فإن المتلقي يظل ممارساً لنشاطه التخيلي في استخلاص الدلالة الفكرية لعملية (التقلب) ، والتساؤل عن هذه الحركة الجسمية من حيث صلتها بمناخ الليث في الكهف ، ومن حيث كونها مظهراً إعجازياً ، فيما أشار النص القصصي إليه من أن قدرة الله هي التي تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ، وهذه الظاهرة بدورها تظل مظهراً إعجازياً . ومن هنا "يظل استخلاص المتلقي غير منحصر في اليقين بأن السبب الرئيسي كامناً في ظاهرة واحدة ، بل يظل مرشحاً بأكثر من استخلاص ، ولعل أوضح استخلاص في هذا الصدد أنّ الظاهرة المذكورة قد تكون مرتبطة بأسباب يجهلها العلم أو الفن تماماً . لكننا في الحالات جميعاً لانعدم الظفر بإمتاع فكري وفني حينما ننشط في استخلاص الأسباب الكامنة وراء التقلب ، دون أن يعني ذلك ضرورة الوصول إلى استخلاص واقعي ، ذلك أن مجرد الاستخلاص وتقليب الفكر

¹ . د . محمود البستاني : دراسة فنية في قصص القرآن (كتاب إلكتروني) ص 254 .

في هذه الممارسة له إمتاعه الفكري والفني ، من حيث إثراء الذهن وإشباع الحاسة الجمالية للمتلقي " (1) .

وهكذا نرى أن النص القرآني في القصة يترك مجالاً للمتلقي للتفكير والتعلق معه ، ويدخله عوالم مدهشة تثيره ، وتحفزه إلى أعمال نظره وفكره في مساحات في النص ، يؤولها المتلقي وفقاً لواقعه الثقافي والنفسي والعقدي ، ومن ذلك ما يتحقق في قوله عز في علاه ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلَأْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ ، فالآية تبدأ بـ (لو اطلعت) ، فتترك مساحة عند المتلقي تحفز خياله فيما سيرى ؛ فهل منظر أهل الكهف هياكل عظمية؟ أم أن شعرهم يغطي أجسادهم ورؤوسهم؟ أم أن هناك مخلوقات غريبة تعتني بهم وهي مخيفة؟ أم أي منظر يملأ القلب رعباً؟ وتجعل من لو رآهم لتولّى منهم فراراً وامتلأ قلبه رعباً؟ إن الآيات القرآنية هنا تثير عوالم متنوعة تخترعها مخيلة المتلقي لأشياء مرعبة تخص أهل الكهف، وثمة مشاهد أخرى وآيات أخرى تثير هذه الفاعلية عند المتلقي ، والغموض يجعل النص قابلاً للتأويل ، ولا نظن أن المخاطب في قوله (لو اطلعت) هو الرسول ﷺ لأن الرسول اطلع على كثير من الغيبات في الإسراء والمعراج ، وكذلك في تعامله مع الوحي أيضاً فهو خارج إطار الرعب ، لذلك فإن المخاطب في الآيات في القصة كاملة متنوع متبدل ، وهذا التبدل ميزة أخرى في بناء النص القصصي القرآني " (2) .

وعلى هذا فالسمات الفنية والجمالية في النص ، والتي يمكن للمتلقي أن يتوفر عليها ؛ تظل بدورها خاضعة لأكثر من رؤية واستيحاء ، ما يعمق إثراء ذهنه ، ويشبع حسه الجمالي ، فالفرار والرعب ينجمان عن مثير أو منبه ، له فاعلية على إحداث الخوف ، وليس من مثير جامد ، ومن هنا يمكننا أن نستخلص أن سمة الخوف والفرار عائدة إلى ملامح الأبطال أنفسهم ، أي أن اصحاب الكهف كانوا

1 . د . محمود البستاني : دراسة فنية في قصص القرآن (كتاب إلكتروني) ص 255 .

2 . عبد الباسط مرشدة ، وعبد الرحيم مرشدة ، قراءة معاصرة في القصص القرآني في ضوء سورة الكهف ، مرجع سابق ، ص 8 ، 9 .

بنحوٍ من الأشكال بحيث يفر المشاهد من هول ما يرى ، ويداخله الرعب الحاد من ذلك .

بيد أن الاستنتاج والاستيحاء والاستشفاف الذي نخرج به من هذه الصورة الفنية ؛ "يمكن أن لا ينحصر في هذا الجانب فحسب ، بل يتعداه إلى سمات جسمية أخرى تتصل بالتغيير الجسمي العام ، كما يتعداه إلى ما يقترن بهذا التغيير من مشاعر وأحاسيس تتصل بطبيعة الاستجابة التي يفجرها منبه أو مثير غيبي يشي بقدرات السماء وإمكاناتها التي لا حد لها ، ومن الممكن أيضاً أن يكون الرعب والفرار ناجمين عن تدخّل السماء في ذلك ، بحيث تحدث الرعب في قلوب الذين يحاولون أن يلحقوا أذىً بهؤلاء الفتية... المهم ، أن المتلقي يظل مستخلصاً جملةً من الدلالات التي تفجرها هذه الملامح ... وهي دلالات تثري ذهنه من جانب ، وتتّبه إلى قدرات السماء من جانبٍ ثانٍ ، وتشبع أحاسيسه الجمالية من جانبٍ ثالث" (1).

انبعاث الفتية من رقدتهم :

ونتجه الآن إلى القسم الرابع من قصة أصحاب الكهف ، والذي تحدثنا فيه آيات الكتاب المبين عن واقعة انبعاث الفتية من رقدتهم .

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾

فجأة تدب فيهم الحياة ، وهذا من الإبداع الفني في قصص القرآن الكريم ، يحتفظ بالمفاجأة في عرض القصة ، فيعرض لنا هذا المشهد في قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ﴾ ومما يلاحظ أنّ النص لم يحدد الآن عدد السنين التي رقد الفتية فيها داخل الكهف ، إنما اكتفى بالسرد المتصل بدخولهم إلى الكهف ، ثم الرقاد فيه . وختم القسم السابق بأنهم لبثوا بنحو إذا فُدر للرائي أن يشاهدهم عندئذ

¹ . . . د . محمود البستاني : دراسة فنية في قصص القرآن (كتاب إلكتروني) ص 257 .

سيهرب منهم، ويمتلئ رعباً من مشاهدتهم !! ما يدلّ على أن مدة اللبث طويلة دون ادنى شك: ، غير انها ليست معلومة من حيث العدد . والنص لا يزال يحيط مدة اللبث بالإبهام والغموض ، لكنه يقدّم ثلاث وقائع في هذا السياق تزيد من قناعة المتلقي بان مدة اللبث تتّسم بكونها طويلةً دون أدنى شك .

"وهذا النحو من التدرّج في كشف الأحداث والاستجابة حيالها ؛ يظل جزءاً من خصيصة فنية تتصل بالبناء الجمالي للقصة ، حيث يضطلع كلّ فصل بتقديم حدث جديد ، يُطوّر ويُنمّي أحداث الفصول السابقة ، حتى تصل الأحداث إلى نهايتها مع نهاية القصة ذاتها . كما يلاحظ . من حيث عنصر التشويق الفنّي . أنّ القصة تتدرّج باستجابة المتلقي على النحو ذاته عن البناء ، فهي تحيطه علماً بأنّ ثمة مدّة من الزمن قد رقد الأبطال خلالها في الكهف ، وهذا قد تمّ في الفصل السابق .

ثم قدّمت في الفصل الجديد أحداثاً ومواقف ، استشف المتلقي من خلالها بأنّ المدة قد اتّسمت بالطول . وبهذا النحو من التدرّج في تقديم المعلومات تحقق القصة عنصر المماثلة والتشويق بأمتع ما يمكن للنص القصصي أن يحققه للمتلقي من حيث كونه يتابع باهتمام جزئيات القصة وفصولها مقابلاً لتلك المماثلة التي يسلكها منطق القصة " (1) .

وهذا الجزء من قصة أصحاب الكهف ينطوي على ثلاثة مواقف أو أحداث توحى للمتلقي بأنّ المدة الزمنية للنوم تتسم بالطول في نهاية المطاف ، غير أن عنصر التشويق الفنّي يضع المتلقى أمام رحلة طويلة من التأمل والاستخلاص وتقليب النظر، والتخمين .. دون أن يركن . بادئ ذي بدء . إلى يقين محدد بطول المدة أو قصرها . وهذا ما نلاحظه في أوّل موقف قصصي في هذا السياق ، حيث تجيء صياغة الحوار بين فتية الكهف من أمتع ألوان الحوار وأشدّها إثارةً في تجسيد عملية المماثلة والتشويق ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ﴾ حيث يتجلى أماننا من خلال هذا الحوار ، المصاغ باقتصاد لغوي معجز ؛عنصرُ التشويق ، بما ينطوي عليه من جماليات الإمتاع

¹ . د . محمود البستاني : دراسة فنية في قصص القرآن (كتاب إلكتروني) ص 259 .

الفني ، ثم يأتي الحوار الثاني ليفيد بأن المدة كانت قصيرة جدا لا تتجاوز اليوم الواحد ، ويتعمق الحوار أكثر (أو بعض يوم) ما يعني أن القناعة بقصر المدة قد بلغت منتهاها ، ثم يعود الحوار ثالثا ليوقع المتلقي من جديد في لبس وإبهام وغموض بالنسبة لتحديد المدة ، وذلك في قولهم (ريكم أعلم بما لبثتم) . وبما أنهم مؤمنون فليكن إذن الحوار معبرا عن الشخصيات بصدق فيكون الجواب ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ ، وهذا النمط من الإثارة والتشويق ، لا يخفى على القارئ الحصيف مدى ما ينطوي عليه من خطورة فنية ، ومن إمتاع أسر ، وبناء فني سامق .

والفصل الأخير من القصة يحفل بأسرار فنية غاية في الإثارة والدهشة ، من حيث البناء الفني ، ومن حيث عنصر التشويق الفني .

وهنا يأتي دور التركيز على التفاصيل المنتقاة بدقة في قوله تعالى ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ والورق بكسر الراء هو العملة الفضية ، وبالتالي فهي لم تتلف بمرور الزمن ، بل إنها ستكون سبب اكتشاف أمرهم ، فهي عملة تعبر عن حقبة تاريخية معينة ، وأهل المدينة يتناقلون أمر الفتية الذين اختفوا في تلك الفترة ..

وهنا الإبداع الفني يتجلى مرة أخرى ، إذ أن الفن هو انتقاء لمكان وزمان ورسم شخصيات وتفسير المعاني بالتفاصيل المناسبة لها ، فتكون العملة الفضية خير تفصيلا يتم استخدامها في التلميح بطريقة اكتشاف أمرهم ﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ يتم ضغط الزمن مرة أخرى والقفز بالحدث ، فلا نجد إلا أن أمرهم قد اكتشف ، فهنا فجوة مجهولة ، فلا يهم تفاصيل من اللغو في كيفية ذهاب الرسول وكيفية اكتشاف الأمر ، فهذه القصة ليس مجرد التسلية ، ولكنه هدف ديني من المقام الأول ، والمضمون لا بد أن يطغى ، وإن كان التلميح بالعملة الفضية فيه الكفاية .. يكتشف أهل المدينة الأمر ، يقرر أهل المدينة الاحتفاء بالفتية ، ولكن الله تعالى قد أماتهم !! وهنا ضغط زمن آخر ، فالله تعالى قد أماتهم برحمته بعد هذه التجربة

الصعبة التي لا يستطيعون تحمل تبعاتها نفسياً ، وقد سكت النص القرآني عن ذلك ، فلا نعلم كيف تم الأمر ، فهو سبحانه الذي يحيي من يشاء ويميت من يشاء ، فقد أحياهم للموعظة ، وليكونوا آية وموعظة للناس ، وليس لكي يستكملوا حياتهم ، فالحياة بعد هذه التجربة الصعبة قد لا يحتملونها .

والغموض هنا في كيفية موتهم يزيد من رونق القصة ، فقد طوَاهم المجهول في كنفه بعد ما تمت الحكمة الدينية من بعثهم .

ويأتي بعد ذلك التوجيه الإلهي بالتفكير في حكمة القصة وليس في القصة في حد ذاتها ، فلا داعي للتساؤل عن عددهم أو أسمائهم وأوصافهم ، فكل ذلك لا يهم ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْنَفِتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَلَا تَقُولَنَّ لَشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾

وها هو النص في الفصل الأخير من القصة ، يقدم لنا ذلك السرّ الذي احتفظ به طوال فصول القصة ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ وعلى هذا فالمدة التي استغرقها نوم أهل الكهف هي ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا . وهنا يحسن بنا أن نتوقف قليلاً لنتعرف على الطريقة الفنية التي تم فيها تقديم هذا السر بعد الاحتفاظ به طوال القصة ⁽¹⁾ . لقد تم هذا من خلال مواقف وحوادث جديدة ، سردها النص في الفصل الأخير من القصة ، ومن خلال هذه المواقف والحوادث الجديدة ذاتها ، قدم النص سرّاً آخر قد احتفظ به أيضاً طوال القصة ، ألا وهو عدد أصحاب الكهف ، وعدد السنين التي لبثوا فيها داخل الكهف . وإذن فعدد السنين التي لبث فيها اصحاب الكهف من جانب ، وعدد أفراد أهل الكهف من جانبٍ آخر؛ هو الذي طبعه عنصر التشويق والإرجاء ، وجعله النص جزءاً من طرائق فنية ، بغية إحداث المتعة القصصية لدى القارئ والسامع . والحديث عن

¹ . أنظر : د . محمود البستاني : دراسة فنية في قصص القرآن (كتاب إلكتروني) ص 265 ، 266 .

هذا المنحى الفني يتصل بالبناء الهندسي للقصة ، أي طريقة البناء التي سلكها النص في تقديم المادة القصصية.

وفي الختام يعقب القرآن على القصة بتوجيه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تلاوة ما أوحاه ربه إليه ، مع الصبر على صحبه الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ، وترك زينة الحياة الدنيا وكأنهم أصحاب الكهف ﴿وَأْتَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا وَاصْبِرْ نَفْسَکَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ فيكفي تلاوة كلام الحق جلّ في علاه ، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر..

وفي الختام أتوجه إلى خالقي ومولاي أن يكتب لعملي هذا القبول وأن يرزقني الإخلاص وأرجو من القارئ الكريم أن لا يحرمني من ملحوظاته وتوجيهاته ، وفي الختام أقول كما علمنا ربنا ﴿عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي لَأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما ..

مصادر البحث ومراجعته

❖ القرآن الكريم

1. ابن قيم الجوزية (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب) ، أمثال القرآن ، دراسة وتحقيق : د موسى بناي علوان العليلي ، مكتبة القدس ، لا ط ، 1407هـ / 1987م .
2. ابن منظور (محمد بن مكرم الشهير بابن منظور) لسان العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د ط ، د ت .
3. أحمد حسن فرحات ، في علوم القرآن ، دار عمار، الأردن ، ط 1 ، 1421هـ / 2001م.

4. أحمد عطا عبد العال ، البناء الفني في القصة القرآنية (قصة يوسف نموذجاً) دار غريب ، القاهرة، ط 1 ، 2007 م .
5. بان حميد فرحان ، جمالية القصة القرآنية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد 101.
6. بكري شيخ أمين ، التعبير الفني في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط1 ، 1973 م .
7. التهامي نفرة ، سيكولوجية القصة في القرآن ، الشركة التونسية للتوزيع ، د . ط ، 1971 م .
8. الراغب الأصفهاني (الحسين بن محمد بن المفضل) : مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم . الدار الشامية ، بيروت ، 1430 هـ / 2009 م .
9. الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي) ، تاج العروس ، وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت ، ط 2 .
10. سعيد عطية مطاوع ، الإعجاز القصصي في القرآن ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط1 ، 2006 م .
11. سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، دار المعارف ، مصر ، د . ط ، د . ت ، ص 119 .
12. سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن الكريم ، دار الشروق ، الطبعة الشرعية 16، 2002 م .
13. سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط 7 ، 1971 م .
14. صلاح الدين عبد التواب ، الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، القاهرة ، ط1 ، 1995 م .
15. عبد الباسط مراشدة ، وعبد الرحيم مراشدة ، قراءة معاصرة في القص القرآني في ضوء سورة الكهف ، بحث منشور على موقع جامعة آل البيت .

16. عبد المرزى زكربا ، الحوار ورسم الشخصية فى القصص القرآنى ، مكتبة زهراء الشرق، لا ط ، 1997م.
17. على بن محمد الحمود ، الإعجاز الجمالى فى قصص القرآن الكريم ، موقع كلية اللغة العربية ، جامعة الإمام ، الرياض .
18. عىء سعد بونس ، التصوير الجمالى فى القرآن الكريم ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 2006م .
19. فالء الربعى ، القصص القرآنى (رؤية فنية) الءار الثقافىة للنشر ، ط 1 ، 2002 م .
20. محمد الحسنائى ، البنية الفنية فى سورة الكهف ، دراسة منشورة على موقع رابطة أءباء الشام
21. محمد الحسنائى ، الفاصلة فى القرآن ، ءار عمار، الأردن ، ط 3 ، 1421هـ / 2000م .
22. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتتوير، ءار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، لا ط ، لا ت.
23. محمد بن جرير الطبرى ، جامع البيان فى تأويل القرآن (تفسىر الطبرى)، ضبط وتعلق
24. محمود شاكر، ءار إءفاء التراث العربى ، بىروت ، ط1 ، 2001م.
25. محمد بن على الشوكانى ، فتح القءىر الجامع بىن فنى الرواية والءراية من علم التفسىر ، ءار الفكر ، بىروت ، ء ط ، 1981م .
26. محمد بن على الشوكانى، فتح القءىر الجامع بىن فنى الرواية والءراية من علم التفسىر، ءار الأرقم بن أبى الأرقم ، بىروت ، لبنان ، لا ط ، لا ت .
27. محمد بن عمر الزمخشرى ، تفسىر الكشاف عن حقائق التنزىل وءىون الأقاويل فى وءوه التأويل، اعتنى به وءرء أحاءىئه ءلىل مأمون شىءا، ءار المعرفة ، بىروت ، ط1، 2002م.

28. محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي ، البحر المحيط في التفسير ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، د ط ، 2005م .
29. محمد جابر الفياض ، الأمثال في القرآن ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 1988م .
30. محمد عبد اللاه دبور ، أسس بناء القصة من القرآن الكريم (رسالة دكتوراه) مخطوطة ، كلية اللغة العربية بالمنوفية ، جامعة الأزهر ، 1996 م .
31. محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، لاط ، 1997م .
32. محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الفكر ، بيروت ، ط2 ، 1401هـ / 1981 م .
33. محمد هادي معرفة ، شبهات وردود حول القرآن الكريم ، تحقيق : مؤسسة التمهيدي ، قم ، ط3 ، 2004م .
34. محمود البستاني : دراسة فنية في قصص القرآن (كتاب إلكتروني).
35. محمود خاطر بك ، مختار الصحاح ، دار الفكر العربي ، د ط ، 1972 م .
36. يوسف سليمان الطحان ، الوصف في قصص سورة الكهف (دراسة تحليلية) مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الموصل ، العراق ، المجلد السابع ، العدد 1/14 ، 2013 م .

مدينة تاجوراء خصائص النشأة والنمو والبُعد الوظيفي الإقليمي

د. محمد ابوغرارة الرقيبي

مقدمة :

تقع مدينة تاجوراء على ساحل البحر المتوسط إلى الشرق من مدينة طرابلس وتبعد عنها بنحو (20) كيلو متراً تقريباً ويحدها من الشرق والجنوب الشرقي منطقة القره بولي، ومن الشمال البحر المتوسط ومن الجنوب والجنوب الغربي منطقة قصر بن غشير، وتمتد المدينة فلكياً بين درجتي عرض 51° 32' و 54° 32' شمالاً، وبين خطي طول 16° 13' و 13° 35' شرقاً. خريطة (أ1) وتعد امتداداً طبيعياً لمنطقة طرابلس، والتي هي بدورها جزء من سهل الجفارة الذي يتميز بالانحدار العام شمالاً نحو البحر.

تستمد مدينة تاجوراء خدماتها من العاصمة، وترتبط معها بعلاقات متداخلة وتتكون مدينة تاجوراء من خمسة أقسام (محلات) داخل المنطقة المخططة وهي: الحميدية والمشاي والحرية (العثمانية) والبرهانية وأبي الأشهر؛ بمساحة اجمالية قدرها 2631 هكتاراً، إضافة إلى محلتين خارج مخطط المدينة وهي الوادي الشرقي والوادي الغربي بمساحة تقدر بنحو 47155 هكتاراً وبدا تكون المساحة الإجمالية للحيز الحضري وظهيره الريفي بمنطقة تاجوراء حوالي 49786 هكتاراً. خريطة (ب1).

وتُعد تاجوراء مدينة صغيرة، نشأت وتطورت مع الزمن بفعل خصائصها الطبيعية والبشرية مجاورةً لمدينة طرابلس، حيث نشأت كضاحية ونمت حتى أصبحت مدينة مؤثرة ومستفيدة من العاصمة القريبة منها وترد في هذا السياق لدى الباحث تساؤلات عدة عنها أهمها:

1. كيف نشأت مدينة تاجوراء وما أهم خصائصها التاريخية؟
2. ما هي الخصائص الجغرافية العامة المميزة للمدينة؟
3. ما طبيعة توزيع السكان والموارد الاقتصادية بهذه المدينة؟

4. ما هي ملامح النمو الحضري لهذه المدينة وطبيعة علاقتها الوظيفية

الإقليمية، خاصةً مع مدينة طرابلس؟

وتتمثل أهداف هذا البحث في التوصل إلى ما يلي :

1- تتبع نشأة المدينة وتطورها التاريخي عبر الزمن .

2- عرض خصائص موقعها وموضعها الجغرافي، وبيان أثرها على نشأتها ونموها الحضري

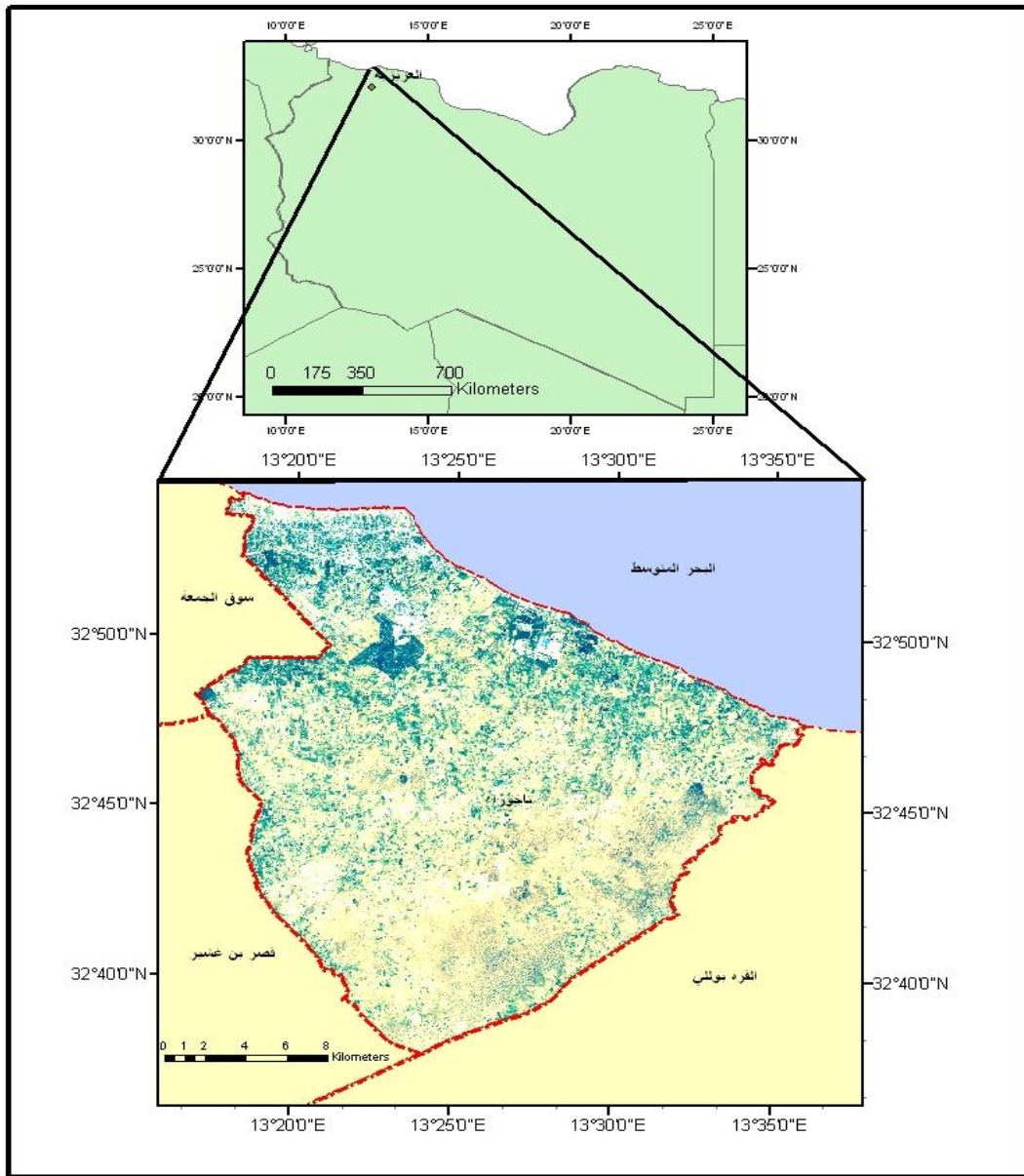
3- الكشف عن توزيع وكثافة السكان وأهم الموارد الاقتصادية بالمدينة .

4- إظهار ملامح النمو الحضري للمدينة وعلاقتها الوظيفية مع مدينة طرابلس

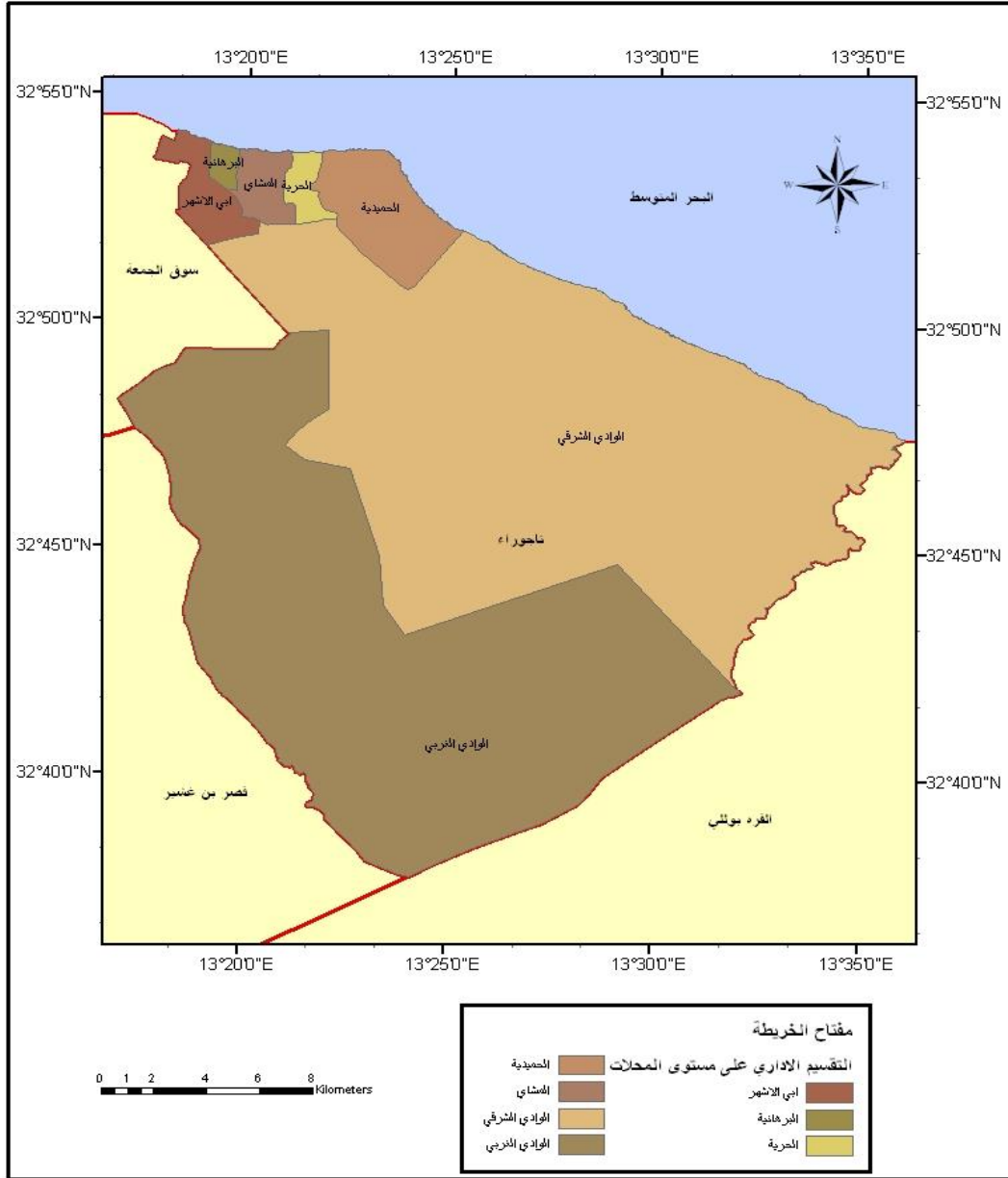
أما أهمية هذا البحث : فهي تتمحور حول قيمته العلمية من خلال جمعه للبيانات والمعلومات المتعلقة بموضوع البحث وتحليلها ووضعها في شكل دراسة منظمة يمكن الرجوع إليها فيما بعد، إضافة إلى قيمته العملية من خلال كشفه عن بعض النتائج أو الحقائق الطبيعية والبشرية والاقتصادية للمدينة وطبيعة علاقتها الإقليمية مع مدينة طرابلس والتي يمكن أن تكون لها فائدة لجهات الاختصاص القائمة على تنمية وتطوير مدينة تاجوراء .

الموقع الجغرافي والفلكي لمنطقة تاجوراء

خريطة (1) أ



المصدر : اعداد الباحث بالاعتماد على خارطة الحدود الإدارية لبلدية تاجوراء ، مصلحة التخطيط الجغرافي لسنة 2000م.
صورة فضائية لاندسات 7



الخصائص التاريخية لمدينة تاجوراء :

مدينة تاجوراء تتميز بموقع جغرافي واستراتيجي مهم، جعلها منذ القدم البوابة الشرقية لمدينة طرابلس، وممر عبور لحركة القوافل القادمة من المغرب الأقصى

إلى بلاد المشرق العربي والحجاز، وخاصة في مواسم الحج بالذات ، كما كانت أيضا محطة لقوافل المسافرين نظرا لوفرة المياه ، وخصوبة التربة ، وكل ما تحتاجه تلك القوافل وجماعات الحجيج .

نشأت تاجوراء على أنقاض مدينة (أبروتونون الفينيقية ABROTONON) القديمة⁽¹⁾، وقال الرحالة الألماني رولفس عنها " تعتبر تاجوراء واحة ذات غابة من النخيل سكانها حضر وأرضها على درجة كبيرة من الخصوبة، وتتمتع طبيعتها بجمال فائق ، وبهواء البحر المنعش ، رغم صغر مساحتها إلا أنها مليئة بأشجار البرتقال من مختلف الأنواع، كما تشتهر بأشجار الرمان والزيتون والتين والمشمش، وجميع أشجار منطقة البحر المتوسط ، مما جعلها تشكل بستاناً من الأزهار والفواكه"⁽²⁾.

ويقول الطاهر الزاوي في منشئها " تاجوره أول من عمرها حميد بن جارية جد الجواربي سنة 550هـ ، ونقل إليها السكان من أرض (عبد رب) وهؤلاء السكان من أصل عربي، ينتسبون إلى تميم وسكنوا هذه الأرض منذ الفتح الإسلامي ، وفي تاجوره قصر قديم يقال: أن حميد بن جارية هو الذي بناه⁽³⁾، ويضيف ... تاجوره كانت تسمى طه جورة "ذات الرمال" ، وذلك عندما ذكر الفواتير قائلاً "وهم شرقي ذات الرمال تاجوره " ولعلها من قريبا من وادي الرمل سميت ذات الرمال⁽⁴⁾ وذكرها القلقشندي بلفظ (طه جوره) حيث قال... ادعى الكلبي وادعى الخوارزمي أنهما قد توجهتا رسولين إلى الغرب سنة 706 هـ وأنهما مرا بطه جوره" ومنها إلى طرابلس وكلمة طه كثيراً ما تدخل على أسماء البلدان المصرية مثل (طه شبرا)"⁽⁵⁾

1 - محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة عبدالسلام أدهم، منشورات الجامعة الليبية، 1970، ص89.

2 - رولفس، رحلة عبر أفريقيا ، مشاهدات الرحالة الألماني رولفس في ليبيا، 1865 - 1867، ترجمة عماد الدين غانم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1996، ص140.

3 - الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، 1968، مكتبة النور، طرابلس، ص76.

4 - الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، المصدر السابق، ص77.

5 - القلقشندي، صبح الأعشى، المطبعة الأميرية، القاهرة، ج5، ص112.

وكانت تاجوراء قبل الإسلام من مراكز الكنيسة النصرانية، ومرتبها أسقفية وكان أسقفها يطمح لأن يصبح رئيساً لأساقفة إفريقيا⁽¹⁾.

أصبحت تاجوراء بعد الفتح الإسلامي ميناء بحرياً ، ونقطة مراقبة ، وخاصة للسفن القادمة من الشرق العربي ومن الجنوب الأوروبي، وتميزت بالنشاط الاقتصادي، وسوقاً للتبادل التجاري للمنتجات المحلية والمستوردة، ولموقعها البحري أصبحت منطقة جذب للسكان، مما جعل عدداً من العلماء يفضل الاستقرار فيها لبعدها عن ضوضاء المدينة الكبيرة طرابلس، كما أنها تتمتع بمناخ ونمط بيئي يفضله طلبة العلم .

وفي فترة الاحتلال الأسباني لمدينة طرابلس عام 1510م، فر سكانها إلى تاجوراء وألّفوا نواة لحركة سياسية وعسكرية ضد الأسبان⁽²⁾، وانطلقت بذلك حركة الجهاد والتحرير ضد هذا الاحتلال، وكانت تاجوراء العاصمة البديلة للبلاد زهاء إحدى وأربعين عاماً ، نتيجة بعض التحولات التي من أهمها :

1. تعامل سكان تاجوراء مع السفن الأوروبية، في مجالات التفريغ والبيع والشراء وبخاصة مع الموردين المالطيين والإيطاليين.
2. حركة انتقال سكان طرابلس إلى تاجوراء.
3. زيادة عدد المقيمين بها من العلماء والزعماء من طرابلس ، ومن تونس والجزائر والأندلس والإسكندرية والشام⁽³⁾.

وكان قد استقر رأي سكان تاجوراء على إرسال وفد من أهالي المنطقة إلى استنبول لعرض ما آل إليه أمر طرابلس على يد السلطان العثماني، وطلب المساعدة لتحريرها من أيدي المعتدين ،حيث استجاب لطلبهم وأوفد معهم مراد آغا الذي يتكلم العربية على رأس حملة صغيرة ، ثم كلف بإمارتها حتى أصبح يعرف في تلك الفترة باسم (بك تاجوراء).

¹ - عمر محمد الزبيدي، محاضرة بعنوان (تاجوراء في تاريخنا الثقافي والسياسي) ألقاها في يوم

1998/06/10 قاعة المجاهد بمركز دراسات جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

² - بلدية طرابلس، بلدية طرابلس في مائة عام 1870 - 1970، دار الطباعة الحديثة، طرابلس 1972، ص46.

³ - عمر محمد الزبيدي، مرجع سابق.

وباشر مراد آغا بالتحرك نحو تحرير مدينة طرابلس وجمع جيش قوامه اثني عشر ألفاً أغلبه من الليبيين وكتب الله لهم النصر وأصبح مراد آغا حاكماً على طرابلس التي أدخلها في عداد أملاك الدولة العثمانية .

حين تحولت تاجوراء إلى عاصمة بديلة وبعد عودة مدينة طرابلس للولاية العثمانية شيدت بها مؤسسات علمية نافعة وزوايا لتحفيظ القرآن الكريم ، ومدارس ، كما أنشئ مسجد عرف بالجامع الكبير استُخدم الأسرى الإسبان في تشييده⁽¹⁾، ويقول الرحالة الألماني رولفس عن هذا الجامع : "وفي وسط تاجوراء يقوم الجامع الذي يحظى بدرجة كبيرة من القدسية لدى الأهالي وهو ذو عمارة تثير الانتباه متأثرة بفن العمارة المسيحية والجامع يحتوي من الداخل على عدد من الأعمدة ذات التيجان يبلغ عددها 48 عموداً"⁽²⁾.

تاجوراء أثناء الاحتلال الإيطالي :

شهدت الفترة الأولى من فترات الغزو الإيطالي لليبيا أشد المعارك الحربية وأعنفها ، وقد دارت رحى هذه المعارك في المواقع المتقدمة التي تعرضت للغزو وشارك فيها أبناء الشعب الليبي الذين تنادوا للجهاد ، وتجمعوا من كل حذب وصوب ، ففي 3 أكتوبر 1911م أخذت الأساطيل الإيطالية تقصف بنيرانها مدينة طرابلس وحصونها العسكرية⁽³⁾.

ومع بداية دخول القوات الغازية إلى مدينة طرابلس، أخذت تبحث عن إمكانية توسيع حدودها فتركت المعارك العديدة أثرها الواضح في استنفاد المجهود الحربي المحدود للمجاهدين، الأمر الذي مكن المعتدين في يوم 13 ديسمبر 1911م من احتلال تاجوراء، في واحدة من أعنف وأشهر المعارك التي جرت في هذه المنطقة وفي يوم 17/4/1912م شهدت تاجوراء معركة أخرى ، جرت بين قوة من فرسان ليبيا وقافلة إيطالية زاهية لنجدة قوات إيطالية، وتذكر المصادر الإيطالية في هذا الخصوص استشهاد ما يقرب من أربعين مجاهداً⁽⁴⁾.

1 - المرجع السابق.

2 - رولفس ، رحلة عبر أفريقيا، مشاهدات الرحالة الألماني رولفس في ليبيا، مرجع سابق ، ص139.

3 - خليفة محمد التليسي، معارك الجهاد الليبي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1985، ص19.

4 - خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا، دار الثقافة بيروت، 1973، ص185.

استمرت حركة الجهاد ضد الغزو الإيطالي مكبدة العدو الخسائر، وفي عام 1914م صدر أول تشريع يسمح للسلطات الاستعمارية منح الأراضي الزراعية الأميرية للإيطاليين الذين يرغبون في الحصول على أراضي زراعية مقابل دفع أقساط سنوية لمدة 90 سنة على أن تعود ملكية الأرض في النهاية للدولة التي منحتهم في نهاية عام 1922م نحو 3612 هكتار⁽¹⁾، تركز جلها في مناطق تاجوراء وجنزور والسواني وقصر بن غشير ومسلاتة وسيدي المصري وسوق الجمعة والقره بوللي والخمس وترهونة والهضبة الخضراء. وقد مجموع مساحة البساتين المروية بتاجوراء وطرابلس بنحو 16704 فداناً، تراوحت مساحة البستان الواحد ما بين 2-5 فدان، وقد تميزت البساتين بارتفاع الكثافة السكانية، وتناثر الاستيطان مع وجود تجمعات فردية مثل: العمروص، سوق الجمعة وأهم المحاصيل في المنطقة: النخيل والأشجار المثمرة والخضراوات وقد ساعد اعتدال المناخ وملاءمته على زيادة الإنتاج وتعدد المحاصيل، وكذلك نظام الري. و شاركت الدولة مع مؤسسات التعمير الإيطالية خلال 25 سنة (1914-1940) على استصلاح الأراضي ومن بينها تاجوراء⁽²⁾.

وقد قامت الحكومة الإيطالية بدراسة جيولوجية لعدة مناطق ساحلية من بينها منطقة تاجوراء لمعرفة جودة التربة، والمصادر الجوفية للمياه وتم اختيار 70 ألف مزارع، ثم منحهم قروضاً زراعية، كما فرض الإيطاليون على الليبيين ضريبة العشر على الإنتاج السنوي لأراضيهم المزروعة الكائنة بين البحر والجبل، دون أن تقرض ذلك على المزارعين الطليان وذلك بهدف تشجيع الاستيطان⁽³⁾.

أما الصناعة بمنطقة تاجوراء فقد تمثلت في مصانع حياكة الألبسة النسائية، والجرود، ومدبغة جلود صغيرة، وطحن الحبوب، ومعاصر الزيتون، وتقطير الكحول وصناعة استخراج الملح من مياه البحر، وصناعة الحصر، والصابون، وصناعة الأحذية، والحدادة والنجارة، وصناعة مواد البناء، وحرفة صيد الأسماك.

¹ - مصطفى الشركسي، لمحات عن الأوضاع الاقتصادية في ليبيا أثناء العهد الإيطالي، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، 1976، ص68.

² - المرجع السابق، ص76.

³ - مصطفى الشركسي، لمحات عن الأوضاع الاقتصادية في ليبيا أثناء العهد الإيطالي، مرجع سابق، ص51.

تاجوراء في عهد الإدارة البريطانية:

لم تكن أحوال ليبيا الاقتصادية تسمح بالنمو الاقتصادي خلال تلك الفترة 1943 - 1951، بسبب الحرب التي قضت على معظم الأنشطة الصناعية والزراعية والخدمية والبنى التحتية في مدينتي طرابلس وتاجوراء، وقد حاولت الإدارة البريطانية إدخال بعض الإصلاحات على بعض المصانع التي دمرت أثناء الحرب العالمية الثانية، وفي تلك الفترة لم تصمد إلا الصناعات اليدوية الريفية رغم بقاء عدد قليل من المصانع وتجدر الإشارة إلى أن فترة الإدارة البريطانية لم تشهد أي نهضة تنموية مهمة تذكر.

تاجوراء إبان العهد الملكي:

انضم الليبيون مع اشتعال الحرب العالمية الثانية 1939م إلى جانب جيوش الحلفاء، بعد أن حصلوا على تعهد من بريطانيا باستقلال بلادهم، ولكن بعد هزيمة دول المحور وخروج إيطاليا انتقلت البلاد إلى سلطة الإدارة البريطانية التي اتبعت سياسة (فرق تسد)؛ حيث تم فصل إقليم برقة عن إقليم طرابلس، ومنح إقليم فزان لفرنسا، ومنحت الأمم المتحدة ليبيا استقلالها في عام 1951 حيث أصبحت ليبيا منذ عام 1952 تعرف باسم المملكة الليبية وكان من أول أعمالها، معاهدة صداقة وتحالف مع بريطانيا في عام 1953م منحت الحكومة الليبية على أثرها تسهيلات حربية بإنشاء قاعدة جوية عسكرية في مدينة طبرق، بينما وقعت الولايات المتحدة الأمريكية اتفاقية عسكرية، بإنشاء قاعدة عسكرية جوية في أراضي منطقتي تاجوراء وسوق الجمعة، ذات موقع جغرافي مميز واستراتيجي على ساحل الشمال الأفريقي، وباعتبار هذا المكان الأقرب لمدينة طرابلس عاصمة البلاد، حيث أنشئت قاعدة هويلس الأمريكية، بالإضافة إلى مواقع عسكرية مكملة للقاعدة.

مدينة تاجوراء بعد العهد الملكي:

بدأت هذه الفترة منذ انقلاب عام 1969م، حيث شهدت منطقة تاجوراء أحداثاً سريعةً خلال فترة السبعينات أهمها: خروج القوات الأمريكية من قاعدة هويلس وكافة المواقع العسكرية بتاجوراء، وتشديد منشآت ومرافق خدمية كالمراكز الصحية والتعليمية المتوسطة والعليا إلى جانب التجهيزات العامة.

والخصائص الجغرافية العامة لمدينة تاجوراء في تلك المرحلة تمثلت في انتشار ونمو الطابع الحضري، وقد عززت هذه الخصائص العلاقات الوظيفية بين تاجوراء والمناطق المجاورة وظهور تنمية زراعية وعمليات استصلاح أراضي بالمنطقة،

وتطوير المستصلح منها وإنشاء مشروع النصر الزراعي، رافق ذلك استنزاف كبير للمياه الجوفية وانتهى وبالأعلى على المنطقة بهبوط المخزون وتداخل مياه البحر، كما مهدت في هذه الفترة شبكة من الطرق الحديثة، أدت إلى بعثرة وانتشار العمران خاصة مع امتداد خطوطها المعبدة وتم الاهتمام بالمصايف والأماكن الترفيهية، مما زاد من أهميتها كمنطقة جذب سياحي وترفيهي مميزة.

وأخيراً فإن أهم ما انفردت به تاجوراء بحكم موقعها المميز وقربها من ميناء طرابلس هو قيام بعض المصانع الثقيلة، التي ميزتها عن المدن الليبية الأخرى كمصانع الإطارات والجرارات والحافلات والشاحنات والمقطورات.

خصائص الموقع والموضع وأثرهما على نشأة المدينة ونموها:

تمثل الملامح الطبوغرافية أحد الأسس المهمة عند الاختيار الأول لموضع المدينة؛ حيث يتضح أثرها بشكل خاص وواضح عندما تنمو بسرعة في اتجاه دون الآخر أو تتوقف تماماً استجابة لوجود عوائق طبيعية تحول دون الامتداد والتوسع في اتجاه معين⁽¹⁾.

فالموضع يعني ذلك الحيز من سطح الأرض الذي تشغله المدينة، له مميزات طبوغرافية خاصة به، فمن خصائص الموضع أنه شديد المحلية فلكل مدينة خصائص موضع مميزة لها، والتي سببت أو لعبت دوراً في نشأتها وأثرت في نموها وتطورها وهو ما ينطبق على نشأة مدينة تاجوراء ونموها الذي أخذ الشكل العام النصف دائري تقريباً في الوقت الحاضر استجابة لوجود ظاهرة جغرافية طبيعية حددت الشكل العام للمدينة وحددت نموها في ثلاث اتجاهات متمثلة ذلك في وقوع المدينة على ساحل البحر من ناحية الشمال⁽²⁾.

ويعتبر الموضع الذي قامت عليه مدينة تاجوراء منذ بدايتها الأولى من بين أحسن المواضع الاستراتيجية في منطقة سهلية منبسطة اشتهرت بأنها من بين أخصب المناطق الزراعية بليبيا، تميزت بسهولة المواصلات وانعدام التضاريس الوعرة التي ساعدت على سهولة امتداد المدينة وتطور نموها الأفقي شرقاً وغرباً

¹ - جهاز الأشغال العامة، تخطيط شواطئ المناطق الحضرية، تقرير المرحلة الأولى والثانية، تاجوراء، المكتب الاستشاري الهندسي للمرافق، ص4.

² - نعيمة صالح المصباحي، انعكاسات النمو الحضري لمدينة طرابلس على مدى توازن توزيع سكان المدينة، ماجستير غير منشورة، جامعة طرابلس، 2005، ص33.

وجنوباً بشكل أسرع مما كانت عليه في بداية نشأتها كما أسهم وقوعها على البحر المتوسط في زيادة أهميتها واتساعها ونموها اقتصادياً.

أما من حيث الموقع الجغرافي فإن مدينة تاجوراء تنتم بموقع متميز فهي تتوسط سهل الجفارة الساحلي بجبهة بحرية متسعة نسبياً تبلغ حوالي 31 كم، فهي على اتصال مباشر بأقاليم عمراننية وأخرى زراعية مجاورة، فمن الغرب إقليم طرابلس المتصف بمراكزه العمرانية العامرة بالسكان، ومن الشرق إقليم القره بوللي بمزارعه ومزروعاته المتنوعة، ومن الجنوب تتداخل المنطقة بكتبانها الرملية وأوديتها مثل وادي الرمل ووادي السرات مع أراضي منطقة قصر بن غشير المجاورة من الجهة الجنوبية ومن هناك تبدأ الأراضي المتضرسة في الظهور عند بداية أقدام الحافة الانكسارية لما يعرف بنطاق الجبل الغربي⁽¹⁾.

ومدينة تاجوراء تمتاز بصفات طبيعية أخرى كالبنية الجيولوجية وشكل السطح والتربة الصالحة للزراعة وغيرها، وهذه الصفات بلا شك كان لها دور في اختيارها كمكان للإستيطان البشري، وساعدت على توطن السكن بها ونموها الحضري مع الزمن، حتى أصبحت اليوم إحدى أهم المدن الليبية التي لها شخصيتها المميزة المتمثلة في خدماتها المتعددة التي تقدمها لسكانها وسكان إقليمها، مروراً بتطور المدينة اقتصادياً وبشياً حتى أصبحت مدينة لها علاقات مع المدن المجاورة وخاصة مدينة طرابلس العاصمة.

ويتمثل الأساس الإداري للمدينة فيما تضعه الدولة من تصنيف لمحلاتها العمرانية بناءً على متطلبات الإدارة المحلية، حيث يعتبر كل من يدخل ضمن حدود مخطط المدينة الإداري حضرياً، ومدينة تاجوراء تضم أقسام إدارية واقتصادية تابعة، كانت نتيجة لجاذبيتها ووضعها الإقتصادي الملائم صاحبه نمو سريع في حجم سكانها وتسارع وتيرة تطورها الحضري المخطط والعشوائي، مما أدى إلى وجود ضغط على مستوى الخدمات ومشاكل يعاني منها السكان مثل قلة توفر مياه الشرب وضعف خدمات الكهرباء والخدمات الصحية والتعليمية الثقافية والترفيهية وخدمات النقل والنظافة العامة ومعظمها مشاكل تتعلق ببرامج التخطيط وتأخر تنفيذ مشروعاته.

¹ - محمد أبوغرارة الرقيبي وخالد محمد غومة، أثر العوامل الطبيعية على خطوط النقل بالسكة الحديدية (منطقة تاجوراء كنموذج)، مجلة منارة البحوث الاجتماعية، العدد السابع، 2010، ص 237.

التكوينات الجيولوجية:

ما زالت الدراسات الجيولوجية الليبية غير متكاملة ولا تشمل جميع المناطق فأغلبها دراسات عامة ما عدا القليل منها كالدراسة الجيولوجية لمنطقة طرابلس وسهل الجفارة.

وتنتهي تاجوراء باعتبارها جزءاً من إقليم طرابلس وسهل الجفارة أساساً إلى تكوينات العصر الجيولوجي الرابع، ومع ذلك فإن تكوينات منطقة الجفارة الساحلية تختلف اختلافاً بسيطاً عن الداخلية أو الإقليم الجنوبي، التي هي أقدم في تكويناتها نظراً لانحسار البحر عنها من الناحية الجنوبية أولاً، ثم تلتها المنطقة الوسطى. أما المنطقة الساحلية وهي التي تنتمي إليها منطقة إقليم مدينتي طرابلس وتاجوراء فقد انحسر عنها البحر في آخر المطاف ولذلك فالتكوينات الجيولوجية التي تمثلها تعتبر أحدث تكوينات جيولوجية⁽¹⁾، ذلك أن طغيان البحر فترة أخرى رافقتها حركات رفع بداية في الأيوسين وهبوط في عصر الميوسين وبداية البلايوسين خلال الزمن الثالث نتج عنه تحول سهل الجفارة عامةً أرضاً يابسة، وقد أدى طغيان البحر وتراجعها إلى انتشار التكوينات البحرية التي تتداخل مع تكوينات رسوبية قارية، نُقل معظمها من الحافات الجبلية المجاورة؛ حيث ترسبت في بطون الأودية خلال الزمنين الجيولوجيين الثالث والرابع.

وتتميز التكوينات الجيولوجية في مدينة تاجوراء بالبساطة من ناحية تكوينها وأيضاً بوجود الحفريات بها خاصةً على الساحل حيث الصخور الجيرية، المحاذية للتكوينات الرملية البحرية أو القارية وهي سمة ظاهرة في عدة مناطق من ساحل الجفارة، وقد عملت عوامل التعرية البحرية في عدة مواقع على إزالة الرواسب الرملية بحيث مكنت الصخور الجيرية من الظهور فوق مستوى سطح البحر⁽²⁾.

وثُعد التكوينات المنتشرة في سهل الجفارة وخاصة المناطق الداخلية والوسطى من التكوينات الرملية ذات الأصل القاري، أما التكوينات الجيرية البحرية الأصل فهي تنتشر على السهول الساحلية ومن بينها طرابلس وتاجوراء متمثلة في الصخور الجيرية المعروفة بتكوينات قرقارش، ولا يمكن إدراك صورة البنية

¹ - بلدية طرابلس في مائة عام، مرجع سابق، ص 19.

² - المرجع السابق، نفس المكان.

الجيولوجية في تاجوراء إلا من خلال بنية ليبيا الجيولوجية التي يمكن تتبعها على النحو الآتي:

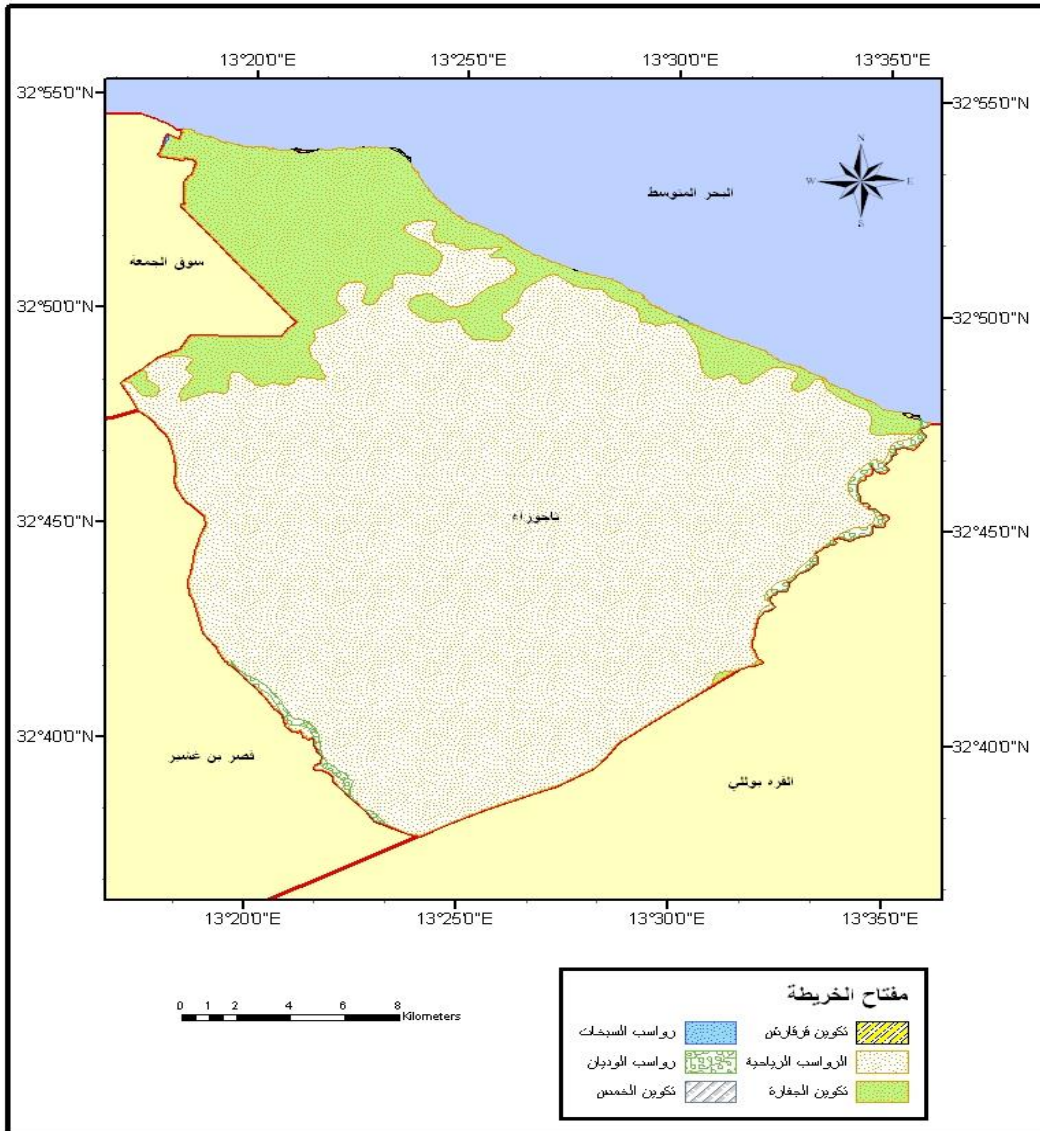
تكوينات الزمن الرابع:

تضم تكوينات الزمن الرابع معظم منطقة سهل الجفارة بوجه عام، وتاجوراء بوجه خاص، فهي عبارة عن تكوينات رسوبية مختلفة ومتنوعة منها كثبان رملية ورواسب فيضية غرينية وتكوينات محلية (السيخات) تكونت نتيجة للتعرية والترسيب سواء أكانت هوائية أم فيضية بواسطة الأودية وخاصة المناطق البحرية نتيجة المد والجزر ولهذه التكوينات أهمية في تكوين كل من السطح والتربة. وصخور مدينة طرابلس بما فيها تاجوراء تحت الطبقات الرملية أو الطينية أو تلك الظاهرة على السطح تنتمي إلى تكوينات أواخر الزمن الثالث المرتكزة على تكوينات الصخور الميوسينية الأسفل منها، وهذه الصخور تمتد إلى عمق 40 متر تقريباً، وهي مكونة من الرمل والجيري معظمها، مع قليل من الطين المتداخلة. وترتكز هذه التكوينات على تكوينات أقدم منها، تعود إلى الزمن الجيولوجي الثاني، وهي منتشرة في منطقة سهل الجفارة، إلا أنها غير منظورة حيث تغطيها طبقة من الصخور الأحدث⁽¹⁾، وهي عبارة عن صخور جيرية خشنة مختلطة بالصخور الرملية والطينية يميل لونها أحياناً للاحمرار (خريطة 2).

¹ - محمد المبروك المهدي، جغرافية ليبيا البشرية، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، بنغازي، 1976، ص12.

التركيب الجيولوجي بمنطقة تاجوراء

خريطة (2)



المصدر : خريطة ليبيا الجيولوجية ، لوجتي طرابلس والخمسين، مقياس 1:250000، مركز البحوث الصناعية بتاجوراء.

أما التكوينات الترياسية فتعود صخورها إلى تكوينات الزمن الثاني، وتنتشر في بعض الهضاب والتلال الواقعة شمال الحافة الشمالية، لنطاق جبال طرابلس وغريان، وهي عبارة عن صخور جيرية بعضها متبلور والأخرى هوائية⁽¹⁾.

وأسهمت التكوينات الجيولوجية في مدينة تاجوراء في ظهور الصخور الجيرية المكشوفة أو القريبة من السطح بالمنطقة الساحلية بالمدينة وساعدت في وجود محاجر الطوب الجيري (البلك)، الذي وفر أحجار البناء خاصة للمساكن حيث استمرت هذه المحاجر في القيام بدورها حتى بداية عقد السبعينات من القرن الماضي، كما أن الشركات الأجنبية التي قامت بإنشاء العمارات السكنية والتي عرفت بالمساكن الشعبية استغلتها أيضا في عمليات البناء والتشييد إلا أن هذه الأهمية قد قلت في الوقت الحاضر بسبب نزوب معظمها وعمليات ردمها.

طبيعة السطح :

تقع منطقة تاجوراء الواقعة ضمنها المدينة في إقليم سهل الجفارة الذي يعد من أكبر السهول الساحلية حيث تزيد مساحته عن 17000 كم²، والذي يأخذ شكل مثلث يقع رأسه شرقاً غرب مدينة الخمس وتمتد قاعدته التي يبلغ طولها حوالي 150 كم مع امتداد الحدود الغربية لليبياء، ويبلغ طول ضلعه الجنوبي الذي يمتد تحت حافة المرتفعات الغربية حوالي 350 كيلومتراً وضلعه الشمالي ويمتد بمحاذاة ساحل البحر المتوسط بطول نحو 275 كيلومتراً. وساحل الجفارة بصفة عامة خال من التعاريج والخلجان مما سمح بقيام بعض المواني الطبيعية، كما تكونت على طول ساحله في كثير من المواضع نطاقات من الكثبان الرملية التي تقع بين البحر شمالاً ونطاق السبخات جنوباً.

ويجري في مدينة تاجوراء بعض الأودية الجافة مثل الوادي الشرقي والوادي الغربي بأطراف مدينة تاجوراء الشرقية والغربية وكذلك وادي الرمل الذي يبدأ من جنوب منطقتها بالقرب من ترهونة، ثم يسير محاذياً لحدود المنطقة من الجهة الشرقية مروراً بمنطقة سيدي بنور وإلى الغرب من منطقة القره بولي.

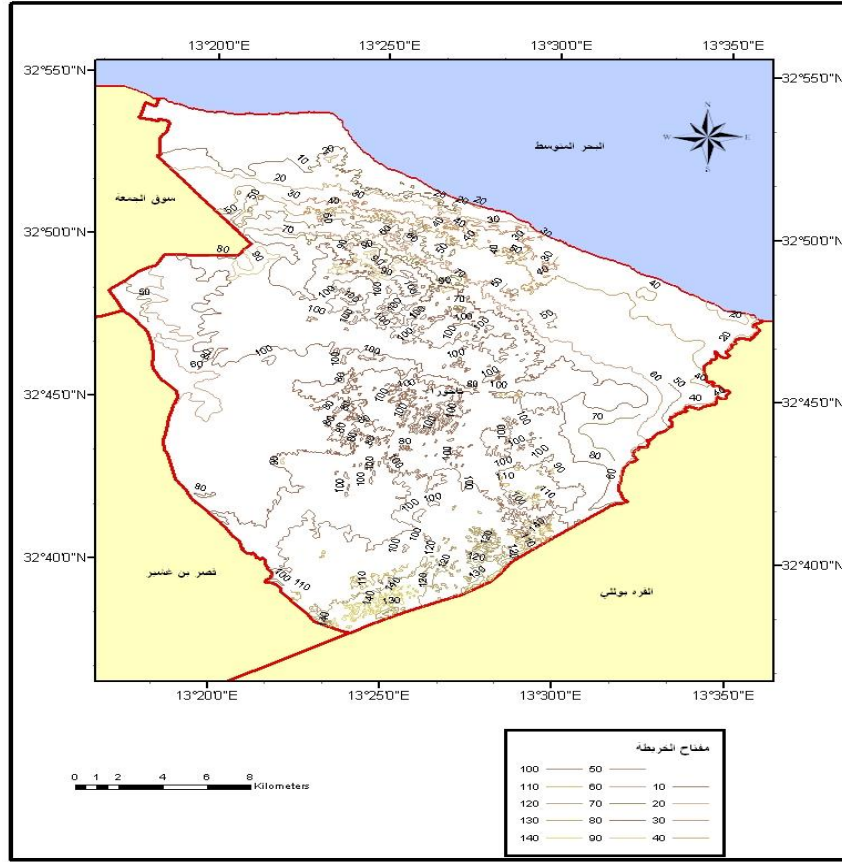
¹ - سميرة المقدمي، النتائج الاقتصادية والاجتماعية لمشروع الهضبة الزراعي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة طرابلس، 1998، ص 165.

وقد أقيمت على بعض هذه الأودية سدود في محاولة للاستفادة من كميات مياهها المتدفقة في فصل الشتاء نحو البحر للحد من خطورتها، وبذلك أصبح في الإمكان تجميع مياهها ليتم الاستفادة منها في المشاريع الزراعية ومياه الشرب في العديد من المناطق ويعتبر الزيتون والنخيل والحمضيات والخضروات والفول السوداني من أهم منتجات الإقليم⁽¹⁾.

ويمتاز هذا السهل بوجود مياه جوفية في ثلاث طبقات تتراوح سمك الأولى ما بين 5-12 متر والثانية ما بين 20-25 متر والأخيرة حوالي 200 متراً، وتربة هذا السهل صالحة للزراعة⁽²⁾. وتاجوراء الواقعة ضمن هذا السهل الذي يتميز بالانبساط والانحدار التدريجي نحو البحر، كما أسهم تعرض السطح بالمنطقة لظاهرة زحف الرمال الآتية مع الرياح الجنوبية (القبلي) في تشكيل مظاهر سطحها المتميز بانبساطه العام، ففي مدينة تاجوراء يتصف سطح الأرض بشبه الاستواء التام مع وجود اختلافات طبوغرافية محلية في الارتفاع، وهو ما ساعد على انتشار البناء على كامل رقعتها في مختلف الاتجاهات متأثراً بامتداد الطرق من وسطها والشوارع داخل الحيز لهذه المدينة. (خريطة 3)، حيث لا توجد عوائق طبيعية منعت من امتداد العمران في جميع الاتجاهات، حيث يسهل إقامة المباني في الأراضي المنبسطة ذات القوام الجيد والسعة الحملية المناسبة ويصعب البناء في الأراضي الجبلية والصخرية والمنحدرات الوعرة.

¹ - فتحي أحمد الهرام، ليبيا - دراسة في الجغرافيا، الجيومورفولوجيا، تحرير: د. الهادي أبولقمة ود. سعد القزيري، دار ليبيا للنشر والإعلان، سرت، 1993، ص101.

² - أبوالقاسم محمد العزابي، الطرق والنقل البري، المنشأة العامة للنشر والإعلان، طرابلس، 1981، ص28.



الخصائص المناخية:

يمتاز الشريط الساحلي عن باقي البلاد بصغر معدلاته الحرارية نسبياً، نتيجة لتأثير البحر المتوسط الذي يعمل على تلطيف حرارة الصيف ، وتخفيف برودة الشتاء⁽¹⁾ فالمؤثرات البحرية تساعد على زيادة نسبة الرطوبة في الهواء في فصل الصيف خاصة وأوائل الخريف بسبب هبوب الرياح بانتظام من ناحية البحر، ولنشاط عملية التبخر يحدث أحياناً انخفاض في نسبة الرطوبة، عند هبوب الرياح المدارية القارية شديدة الجفاف (القبلي)⁽²⁾.

¹ - سالم علي الحجاجي، ليبيا الجديدة، منشورات جامعة طرابلس، 1998، ص94.

² - يسري الجوهري، جغرافية المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1980، ص278.

درجة الحرارة :

يبلغ المعدل الحرار السنوي في مدينة تاجوراء 21.6 م° وهي تنقص عموماً بنحو درجة مئوية عن معدلات مدينة الخمس، ويوقوعها في دائرة المناخ البحري جعلها تحت تأثير النظام اليومي والفصلي للرياح، حيث يعمل على تلطيف درجة حرارتها في الصيف، وتدفئة جوها في فصل الشتاء وعلى الرغم من اختلاف درجات الحرارة اختلافاً كبيراً من مكان إلى آخر، حسب تأثير البحر والارتفاع، فإن خط معدلها العام خلال السنة يكاد يكون واحداً في أغلب المناطق الليبية، فمن خلال متوسط درجات الحرارة بمدينة تاجوراء خلال أشهر ديسمبر ويناير وفبراير نجد أنها أقل شهور السنة حرارة، وتأخذ درجة الحرارة في الإرتفاع ابتداءً من شهر فبراير بشكل منتظم وسريع، حتى تصل إلى نهايتها العظمى في شهري يوليو أو أغسطس، ويتراوح المعدل السنوي لدرجة الحرارة في كل جهات ليبيا بين 18 و 23 درجة مئوية، وهو معدل يوحى بأن البلاد كلها معتدلة المناخ، وهو إichاء لا يتفق مع الواقع، لأن هناك اختلافات في المدى الحراري اليومي، والمدى الفصلي بين المناطق الساحلية والمناطق الواقعة في قلب الصحراء⁽¹⁾.

وتؤثر الحرارة من الناحية العمرانية عموماً وكما هو الحال في مدينة تاجوراء في حالة ارتفاعها في تشقق المباني وتلف الأبواب والنوافذ وزيادة التكلفة والأعباء المالية باستخدام أجهزة تكييف لتبريد الهواء، أما عند انخفاض درجة الحرارة وزيادة نسبة الرطوبة الجوية فإن ذلك يؤدي إلى تلف الأثاث والأطعمة وإصابة السكان بالأمراض وخاصة الربو كما أن ذلك يؤدي إلى زيادة إستغلال الطاقة الكهربائية لغرض التدفئة.

الضغط الجوي والرياح:

يلحظ أن معدلات الضغط الجوي بمدينة تاجوراء مرتفعة في أشهر يناير وفبراير ومارس، ونوفمبر وديسمبر أما باقي الأشهر فتعتبر ذات معدلات متوسطة وأقلها في شهر الماء، أما الرياح في هذا الفصل فتهب على الساحل الليبي من

¹ - محمد المبروك المهدي، مرجع سابق، ص 24.

الشمال والجنوب، وفي فصل الصيف تدخل ليبيا نطاق الرياح التجارية الشمالية الشرقية، التي تساعد على تلطيف درجة الحرارة خاصة على السواحل، لأن كتلة الضغط المرتفع الأزوري تتزحزح في هذا الفصل نحو الشمال، ويمتد ذراع منها فوق البحر المتوسط إلى الشمال من السواحل الليبية⁽¹⁾ وعليه فمناخ تاجوراء يمكن وصفه في النقاط الآتية:

1. يلحظ من خلال المعدل السنوي لاتجاهات الرياح لمدينة تاجوراء، أن الرياح السائدة هي الرياح الشمالية الشرقية ، والشمالية الغربية، ثم الرياح الشرقية.
2. تسود الرياح الغربية والجنوبية الغربية في فصل الشتاء، وأقل الرياح ظهوراً هي الرياح الشمالية.
3. في فصل الصيف تهب الرياح الشمالية ومعظمها من الشمال الغربي والشمال الشرقي.

يدل هبوب الرياح من الاتجاهات المختلفة على المدينة، دلالة واضحة على عدم استقرار الأحوال الجوية في فصلي الربيع والخريف، نتيجة لظهور المنخفضات الجوية التي تؤدي إلى هذا الاختلاف.

4. ومن المظاهر المناخية المهمة ظاهرة رياح القبلي، وهي رياح حارة شديدة الجفاف ومحملة عادة بالرمال تهب في فصلي الخريف والربيع، ويصاحب هبوبها ارتفاع في درجة الحرارة وتكون معدلات سرعة الرياح بمدينة تاجوراء مرتفعة خلال النصف الأول من السنة وتختلف معدلات الرياح من سنة إلى أخرى.

وقد أثرت حركة واتجاه الرياح في تصميم وتخطيط شوارع مدينة تاجوراء في ظهورها في اتجاهات مختلفة على هيئة رقعة الشطرنج، فهي ممتدة في اتجاهات شمالية وجنوبية وشرقية وغربية في شكل خطوط متقاطعة حتى تسمح بمرور الرياح بين النطاقات السكنية خاصة في فصل الصيف التي تهب فيه الرياح من الجهة الشمالية وهو ما يعرف محلياً برياح (البحري)، التي تساعد على تلطيف درجات الحرارة أو التقليل من حدتها.

الأمطار:

¹ - محمد المبروك المهدي، مرجع سابق، ص 49.

أكثر أجزاء الساحل مطراً هي المناطق التي يبرز فيها الساحل نحو الشمال لأنها تواجه الرياح الممطرة مباشرة ومن أكبرها المنطقة الممتدة من جنزور في الغرب وحتى الخمس في الشرق⁽¹⁾ وكميات الأمطار على مدينة تاجوراء تكون أكثر غزارة في فصل الشتاء وخاصة في شهري ديسمبر ويناير، ثم يستمر سقوطها بصفة غير منتظمة حتى نهاية شهر مايو، ثم تتناقص كمياتها مع الاقتراب من فصل الصيف، ثم تعود للسقوط مع فصل الخريف.

والأمطار أهم عنصر من عناصر المناخ تأثيراً لما لها من أهمية في حياة الإنسان ودور في الإنتاج الزراعي، وتبدأ الأمطار في السقوط في منطقة تاجوراء في شهر سبتمبر وتنتهي مع مطلع شهر مايو، جدول (1) وتتسم الأمطار في تاجوراء وكما هو الحال في البلاد عامة بالتذبذب في الكمية من سنة إلى أخرى والفصلية أيضاً، أي اختلاف الشهر الذي يمثل قمة المطر في موسم سقوط الأمطار من سنة إلى أخرى، وسجل أعلى معدل شهري للأمطار بالمنطقة في شهر ديسمبر وهو 67.1 ملم، بينما سجل أقل معدل مطر في شهر أغسطس فكان صفر ملليمترًا.

جدول (1) المعدلات الشهرية للأمطار في مدينة تاجوراء وبعض المدن المجاورة

المنطقة الشهر	تاجوراء المركز	قصر الأخيار	ترهونة	مطار طرابلس	طرابلس المركز
يناير	64.3	56.6	40.2	54.8	64.6
فبراير	34	46.9	31.4	34.9	39.3
مارس	28.3	24.3	34.5	29.4	30.1
أبريل	16.2	13.6	12.6	15.9	14.2
مايو	2.4	1.4	5.5	5.7	4.9
يونيو	0.7	0	0.4	0.5	1

¹ - عبدالعزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، 1971، ص 109.

0.7	0	0.2	1.5	0.5	يوليو
0.2	0.1	0.8	0.6	0	اغسطس
11.9	9.4	9.9	9.5	12.3	سبتمبر
40.9	34.6	38.2	15.7	46.3	اكتوبر
77.9	51.1	32.6	67.9	65.8	نوفمبر
79.3	48.9	34.5	71.8	67.1	ديسمبر

المصدر: المركز الوطني للأرصاد الجوية ، قسم المناخ، تسجيلات للفترة 1970 - 2012 م .

وبالنسبة للمباني في المدينة خاصة المساكن فهي في معظمها من النمط الغربي ذات الحوائط من الطوب الحجري أو الطوب الإسمنتي والأسقف الخرسانية المقاومة للأمطار باستثناء المباني المهملّة التي قد تسبب الرطوبة في تآكل أعمدتها أو إصابتها بالصدأ.

الرطوبة النسبية:

تعد مدينة تاجوراء كباقي مدن ساحل البحر المتوسط الجنوبية، التي تعرف بارتفاع درجة رطوبتها النسبية، حيث يبلغ متوسطها السنوي 69.9% إلا أن هذه النسبة ترتفع في فصل الشتاء لتصل إلى 73.7% وينخفض معدلها في فصلي الخريف والصيف إلى 71.0%، 69.6% على التوالي، بينما تقل إلى أدنى مستوياتها في فصل الربيع وبما لا يتجاوز 65.3% ويختلف المتوسط السنوي للرطوبة من سنة إلى أخرى متراوحاً بين 46% و 77% تقريباً ويتأثر معدل التبخر اليومي بدرجة حرارة الجو، والرطوبة النسبية، وسرعة الرياح، فكلما زادت درجة حرارة الهواء وسرعة الرياح، زاد معدل التبخر، حيث تعمل الرطوبة على تلطيف درجة حرارة الهواء، لتأثرها بعنصري الحرارة والرياح وخاصة رياح القبلي.

المياه الجوفية :

تعتمد تاجوراء على المياه الجوفية ومياه الأمطار، التي يتم تخزينها من قبل السكان، وتتميز المياه الجوفية بقلة ملوحتها كلما إتجهنا جنوباً، بينما تزداد

الملوحة في القسم الشمالي من المدينة خاصة قرب الساحل، ولا تختلف نوعيتها عن المياه الجوفية في مدينة طرابلس، علماً بأن المنطقة ككل هي جزء من سهل الجفارة الذي توجد مياهه في خزانات ترجع للحقبة الكريستالية والحقبة الترياسية، ونجد عجزاً مائياً في تاجوراء، بالنسبة للتغذية والاستهلاك يؤدي إلى انخفاض كبير في منسوبها، واستنزافاً للخزان الجوفي وتدهوراً في النوعية⁽¹⁾، ويتم الإفادة من المياه الجوفية بتاجوراء عن طريق حفر الآبار، والتي يبلغ عددها في المنطقة 3405 بئراً، بما فيها الآبار الرئيسية التي تتم من خلالها تغذية محطة التحلية، التي تمد معظم المصانع بالمياه العذبة، أما المدينة فتحصل على حاجتها من مياه الآبار، إضافة إلى مياه الشبكة العامة، التي ربطت بمياه النهر الصناعي مع بداية شهر سبتمبر 1996م.

وقد أسهمت المياه الجوفية وقربها من سطح الأرض في نشأة مدينة تاجوراء ونموها، حيث قامت المدينة بدايةً كقرية أو واحة زراعية على طريق القوافل والحج ومارس السكان مهنة الزراعة بالاعتماد على المياه الجوفية التي لا يزيد منسوبها أو عمق أبارها 4 أو 5 أمتار وذلك بالمنطقة الساحلية منذ بداية الاستيطان البشري لهذه المدينة. كما أسهمت المياه الجوفية في تطور المدينة العمراني التي أصبحت تستمد مياهها من الآبار القائمة من ظهيرها الزراعي نتيجة لتداخل مياه البحر بالمياه الجوفية بالمنطقة الساحلية إضافة إلى الحلول الجديدة فيما يتعلق بتزويد المدينة بشبكة المياه العذبة من الشبكة العامة التي أصبحت تتغذى من مياه الكفرة والسريير.

التربة :

أدت التغيرات البيئية التي حصلت في مدينة تاجوراء، وما حولها وخاصة فيما يتعلق بمياه الري، التي باتت شحيحة مع تزايد ملوحتها إلى إحداث ضعف في قدرتها الإنتاجية⁽²⁾.

1 - سميرة المقدمي، النتائج الاقتصادية لمشروع الهضبة الزراعي، مرجع سابق، ص 70.

2 - خالد رمضان بن محمود، الترب اللبية، الهيئة القومية للبحث العلمي، طرابلس، 1995، ص 372.

وتتألف تربة مدينة تاجوراء من مزيج من عدة أنواع لا يقوم بينها حد فاصل، ويمكن تمييز تربة الرمال البحرية في الشريط الساحلي، والتربة الرملية الكربونية المختلطة بجيوب صغيرة من التربة الرملية الكربونية الملحية في القسم الجنوبي من المدينة وهي بخلاف تربة الشريط الساحلي الأقدم في تكوينها يمكن تمييز قطاعها فالخصائص العامة التي تتميز بها تربة المدينة سواءً إن كانت خصائص ميكانيكية أو خصائص كيميائية، هي نفسها التي تميز تربة منطقة تاجوراء التي تتشابه مع تربة السهول، أكثر من تشابهها مع تربة الصحراء.

أما التربة الفيضية فهي توجد على طول الأودية وقيعانها، مثل وادي الرمل ووادي السرات ووادي الربيع وبعض أجزاء منطقة تاجوراء توجد بها تربة المستنقعات والسبخات وهي غنية بالأملاح والصوديوم والكلور والجير والمغنيسيوم، وتنتشر هذه التربة في بعض أجزاء من الشريط الساحلي، والتي قد تغمرها المياه في فصل الشتاء السبخ مغمورة بالمياه المالحة إلى وقت قريب قبل جفافها، وتربة هذه المسطحات مالحة طينية ناعمة مرتفعة الرطوبة ما بين 20 إلى 25%⁽¹⁾.

ويؤثر قوام التربة في مدينة تاجوراء وسعته الحملية على إقامة المباني وتعدد أدوارها، حيث يلاحظ قيام الكتلة العمرانية والمباني المتعددة الطوابق في الأراضي المدكوكة والتي لها أساس صخري وثقل في الأراضي الهشة وفي مناطق التربة حديثة التكوين وفي مدينة تاجوراء تنتشر التربة القديمة أو ما يعرف بتربة الجفارة وهي مناسبة أكثر لإقامة المباني من المناطق الجنوبية التابعة لمحتلي الوادي الشرقي والوادي الغربي حيث مناطق إنتشار التربة حديثة التكوين وخاصة تلك التي كانت تسودها الكثبان الرملية. حيث يحرص سكان المنطقة عند إقامة مساكنهم على تعزيزها بالقواعد والأعمدة الخرسانية لتفادي مشاكل تكوينات التربة حديثة التكوين.

الغطاء النباتي:

¹ - محمد إبراهيم حسن، دراسات في جغرافية ليبيا والوطن العربي، منشورات جامعة بنغازي، مطبعة الشروق، بيروت، ص80.

تاجوراء واقعة في نطاق يتراوح متوسط أمطاره بين 201- 300 مم، وتنتشر بمنطقة تاجوراء بعض النباتات وأهمها الحلفاء، وتوجد بمناطق السهول والكثبان الرملية أنواع أخرى من النباتات منها (الرتم - الأولقه - الشقاره - القنبوع - السبط - الشعال - العرفج - الرقيطه - الجعدة) ويدل وجود مثل هذه الأنواع من النباتات الطبيعية المقاومة للجفاف على أن تأثير الجفاف ليس مقتصرًا على المناطق الوسطى والجنوبية من البلاد، بل يصل تأثيرها على المناطق الساحلية الشمالية منها، حيث نجد النباتات الطبيعية الصحراوية، التي تحاول أن تقاوم الجفاف بوسائلها المتباينة⁽¹⁾، كما تبرز سمة وجود الغطاء النباتي الكثيف في مدينة تاجوراء، مما يساعد على حماية المدينة من تأثير رياح القبلي الحارة، التي تهب من الجنوب، ويظهر هذا الغطاء النباتي حول مدينة تاجوراء في صورة البساتين والمزارع ومناطق الغابات الطبيعية فالأراضي الزراعية المنتشرة داخل المدينة، تشتهر بالخضراوات وبعض أشجار الفواكه، والموايح والتين، والرمان والنخيل وأشجار الزيتون والتين الشوكي، إلا أن النباتات الطبيعية قد تظهر داخل المزارع وعلى جوانب الطرق الزراعية بصورة خاصة والتي لبعضها خصائص علاجية لبعض الأمراض.

السكان والموارد الاقتصادية في المدينة:

يؤثر في توزيع السكان في أي منطقة عدة عوامل طبيعية وبشرية حيث لعبت البيئة الطبيعية في بداية الاستقرار البشري دوراً حاسماً في تركيز السكان، فكانت مصادر المياه وأماكن توافرها هي العامل الأساسي لقيام أقدم الحضارات، ثم جاء عصر الصناعة الذي أدى إلى إعادة توزيع السكان بين المناطق الريفية والحضرية وأخيراً أصبحت الخدمات وتوزيعها من العوامل المهمة في توزيع السكان وتركزهم.

ويتصف توزيع السكان بمحلات مدينة تاجوراء بالتباين في حجم السكان من محلة إلى أخرى واختلاف أعدادهم، حيث شكلت محلة الحميدية على الدوام المرتبة الأولى من حيث حجم السكان بالمدينة وذلك باعتبارها تمثل قسماً كبيراً من

¹ - سميرة المقدمي، النتائج الاقتصادية لمشروع الهضبة الخضراء، مرجع سابق، ص 88.

الأراضي الساحلية بالمدينة كما يتركز السكان بشكل ملحوظ في شرق وغرب المدينة بمحلي المشاي وأبي الأشهر. جدول (1).

جدول (1) توزيع سكان تاجوراء حسب المحلات لتعداد 1973 ، 1984 ، 1995 ، 2006م

2006		1995		1984		1973		السنوات
%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	المحلات
16.1	18653	13.5	11317	15.4	8257	13.3	5114	أبي الأشهر
7.2	8287	8.2	6896	9.1	4859	15.8	6094	البرهانية
10.7	12399	10.1	8521	13.1	7020	10.6	4086	الحرية
19.1	22178	23.4	19611	20.7	11069	16.5	6341	المشاي
20.8	24054	21.5	18076	22.7	11892	21.4	8236	الحميدة
10.4	12043	11.2	9379	8.5	4541	16.0	6155	الوادي الشرقي
15.7	18235	12.1	10128	11.0	5902	6.4	2423	الوادي الغربي
100	115849	100	83928	100	53540	100	38449	المجموع

المصدر: اعتماداً على الهيئة العامة للمعلومات، نتائج التعدادات العامة للسكان لسنوات 1973 - 1984 - 1995 - 2006، (جداول مختلفة).

وتشير الأهمية النسبية للمجموع النسبي للمحلات خلال ثلاثة عقود بين 1973 و 2006 م إلى بروز أهمية محلة الوادي الشرقي في الجنوب من الطريق

الساحلي حيث أتت بالمرتبة الرابعة من حيث الأهمية النسبية لحجم وتوزيع السكان، كما تطورت الأهمية النسبية لتوزيع السكان بمحلة الوادي الغربي بوضوح أيضاً وذلك على حساب بعض المحلات وخاصة محلة البرهانية التي تراجعت أهميتها النسبية من 15.8% في عام 1973 إلى 7.2% في عام 2006 وعموماً يتركز السكان بالمدينة بالدرجة الأولى في المنطقة الساحلية حيث يتواجد حوالي 56% من حجم السكان بالمدينة في ثلاث محلات وهي: الحميدية والمشاي وأبي الأشهر⁽¹⁾، ويمكن استنتاج أن قطاع الخدمات لم يكن له دورٌ حاسمٌ في توزيع السكان بالمدينة حيث انخفضت الأهمية النسبية لتوزيع السكان بمحلتَي البرهانية والحريّة مقارنة بالمحلات الأخرى بالرغم من أنهما تمثلان قلب المدينة الحضري ومركز خدماتها وهو ما يؤشر إلى تواضع دور المدينة الوظيفي أو الخدمي.

وتتوزع الكثافة السكانية في مدينة تاجوراء حسب تعداد 2006م كما يلي:

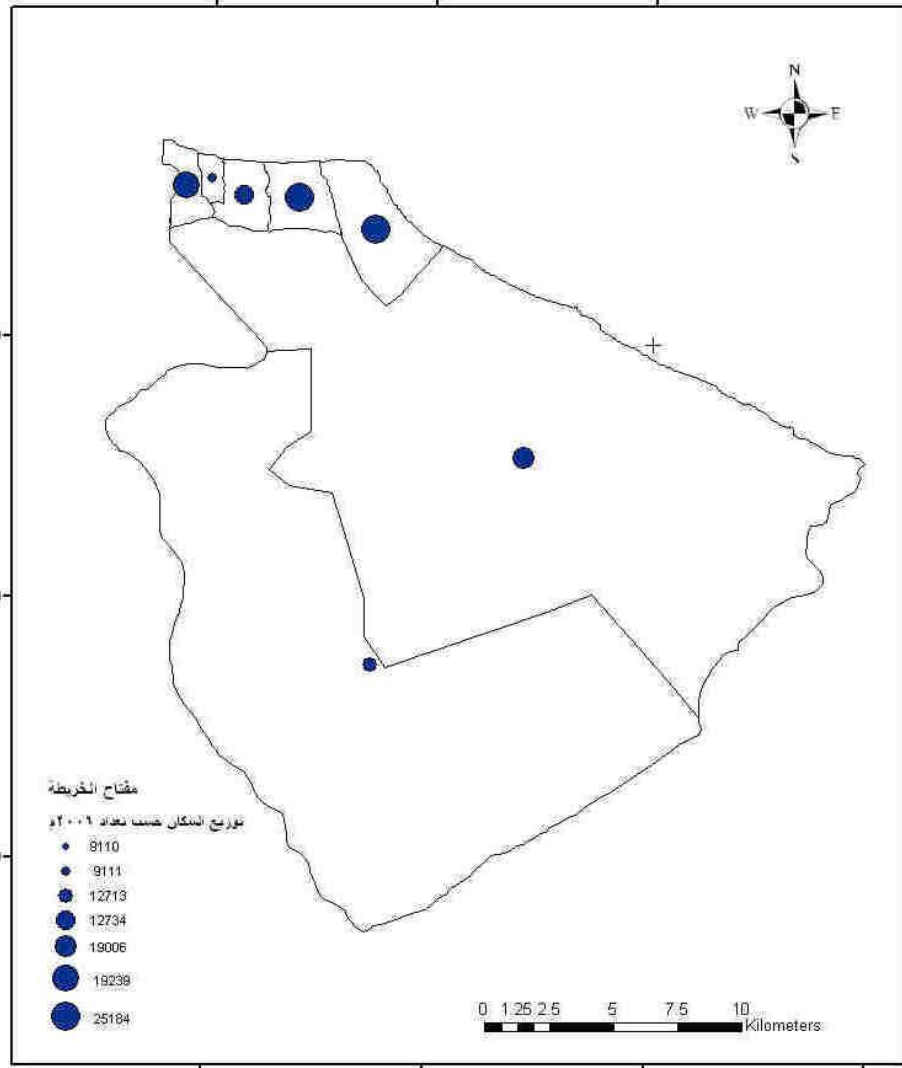
أ. منطقة الكثافة العالية وتشمل أبي الأشهر والحميدية والبرهانية وبها 44% من مجموع السكان

ب. منطقة الكثافة المتوسطة وتضم محلتَي الحريّة والمشاي وبهما 30.3% من إجمالي السكان.

ج. منطقة الكثافة المنخفضة بالقسم الجنوبي الأكبر مساحة بمنطقة تاجوراء ويمثلها محلتَي الوادي الشرقي والوادي الغربي ويتوزع بهما 26.1% من إجمالي السكان . خريطة (4).

الخريطة (4) التوزيع الجغرافي لسكان تاجوراء حسب تعداد 2006 م.

¹ - الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، التعداد العام للسكان، لسنوات 1973، 1984 1995 - 2006 م، (صفحات مختلفة).



المصدر: اعتماداً على بيانات جدول (1) .

ويتركز في جنوب المدينة أكبر نشاط اقتصادي صناعي وهي بذلك تعتبر من أكبر المناطق الصناعية في غرب ليبيا، كما أنها تشهد نمواً وتطوراً عمرانياً يظهر جلياً في ازدياد الوحدات السكنية بسبب نمو عدد السكان كأثر مباشر لرغبة أهل الأرياف المجاورة للإقامة فيها وكذلك الخروج من وسط مدينة طرابلس إلى المدن الصغيرة المجاورة، كما لعبت الظروف الطبيعية والاجتماعية في المدينة دوراً في تشكيل الهيكل الاقتصادي الوظيفي؛ حيث تظهر فيها معظم الأنشطة الإدارية والاقتصادية والتجارية والصناعية والتعليمية الثقافية وهذه الأنشطة تطلبت مد شبكة من طرق وتوسع الحيز الحضري للمدينة، كما تبرز

أهمية المدينة في كافة المجالات على الصعيد الوطني بكونها تحتوي على مؤسسات ومراكز خدمية هامة تقدم خدماتها لسكانها ولمنطقة جغرافية واسعة تمتد خارج حدودها وتستحوذ النشاط الإقتصادي في الصناعات الثقيلة على نسبة حوالى 50% من مجموع النشاط الاقتصادي في المدينة.

وقد تميز الواقع الصناعي في مدينة تاجوراء 2000 - 2009 م بالتركز وتنوع الصناعات والتوسيع في هذا القطاع وقد جرى التركيز بشكل كبير على صناعة الآلات الحديثة التي تدخل في صناعة الشاحنات والحافلات والمقطورات والجرارات، إلى جانب مكونات قطع غيار السيارات والإطارات والنضائد (بطاريات السيارات)، كما تم تطوير مصانع دبغ الجلود والأحذية والألبان وأكثر من ذلك التشجيع المستمر على قيام الشركات والمصانع الصغيرة . جدول (2 ، 3) .

جدول (2) المنشآت التجارية والحرفية والخدمية في مدينة تاجوراء لسنة

2009 م

المحلة	العدد	النسبة (%)	المساحة هكتار	عدد العاملين
الحرية	452	23.8	2.1577	2322
المشاي	441	23.3	2.1105	322
البرهانية	325	17.1	1.5540	311
أبي الأشهر	272	14.3	1.2967	259
الحميدية	410	21.5	2.0515	391
المجموع	1900	%100	9.1704	3705

المصدر: تجميع الباحث، من واقع سجلات وحدة الرخص، إدارة المرافق، تاجوراء.

جدول (3) المنشآت الصناعية في مدينة تاجوراء لسنة 2009 م

نوع الاستعمال	العدد	المساحة بالهكتار	النسبة %	عدد العاملين
---------------	-------	---------------------	----------	-----------------

122	0.3	0.9135	88	صناعة كيمياوية
1155	1.7	5.3130	402	صناعة هندسية
746	0.7	2.0784	604	صناعة الغزل والنسيج والجلدية
378	0.6	1.8900	58	صناعة مواد البناء
319	0.4	1.1970	76	صناعة الورق والأثاث
357	0.9	1.3387	121	الصناعات الغذائية
5813	95.4	300.00	15	الصناعات الثقيلة
8890	%100	312.7306	1364	المجموع

المصدر: تجميع الباحث، من واقع سجلات وحدة الرخص، إدارة المرافق، تاجوراء

الزراعة :

تعد تاجوراء من المناطق الزراعية الهامة في سهل الجفارة، وتعتمد زراعتها على المياه الجوفية والأمطار، وكان نصيب مدينة تاجوراء من المشاريع الزراعية الكبرى بسهل الجفارة، مشروع النصر الإنتاجي الزراعي، الذي يقع شرق مدينة طرابلس بحوالي 25 كيلو متر، وقد كان أحد المشاريع الزراعية المميزة قبل أن يتعرض للخراب والدمار، مثل باقي المشاريع الزراعية الأخرى، لأسباب بشرية وطبيعية وكان هذا المشروع نموذجاً أعطى صورة حقيقية إلى ما وصلت إليه ليبيا من تقدم في المجال الزراعي، حيث اتبعت فيه أساليب من أحدث ما توصل إليه العلم في هذا المجال رغم أن مساحته الإجمالية لا تزيد عن 3200 هكتاراً.

وقد اعتمد نظام الري على الآبار الإنتاجية الارتوازية العميقة، التي يبلغ عددها 19 بئراً، وكان به ثلاثة أنظمة للري: نظام الري الدائري المغلق، والري الثابت والمتحرك، والري بالتنقيط، الأمر الذي وفر زراعة مساحة 1120 هكتار قمح وشعير، ومساحة 482 هكتار علف خشن، و100 هكتار برسيم ومساحة 48 هكتار ذرة سكرية، ومساحة 40 هكتار لزراعة الخضراوات والبقوليات في الصوبات، وزراعة مساحة 20 هكتار حمضيات مختلفة و18 ألف شجرة زيتون

متنوعة، و 10 آلاف شجرة لوزيات، ومساحة 20 هكتار من العنب المختلف الأنواع، كما تمت زراعة 200 ألف شجرة غابات على مساحة 500 هكتار⁽¹⁾. وقد أسهم هذا المشروع سابقا في توفير الألبان ومشتقاتها لتحقيق الاكتفاء الذاتي من هذه المادة الغذائية المهمة، حيث تم تربية ما يقارب من 1621 رأس بقر، زودت مصنعاً للألبان ينتج الحليب المعقم، والمبستر، والزيادي، والزيادة، والجبن.

وقد قامت أمانة الزراعة سابقا بتقسيم جزء من هذا المشروع إلى مزارع قومية، وزعت على العاملين بقطاع الزراعة ومواطنين بمدينة طرابلس وتاجوراء. أما بالنسبة لتقسيم استعمالات الأرض للأغراض الزراعية بتاجوراء وبحسب تعداد 1995م، فقد اشتملت محلة الوادي الغربي على 942 مزرعة، في حين كان نصيب محلة الوادي الشرقي 862 مزرعة، أما محلة الحميدية فيها 743 مزرعة، ومحلة المشاي 320 مزرعة، ونحو 210 مزرعة في محلة أبي الأشهر، واحتوت محلة البرهانية على 143 مزرعة، وأخيرا محلة الحرية 102 مزرعة، وبذلك فقد احتوت الخمس محلات التابعة للحيز الحضري (المدينة) عدد 1518 مزرعة، بينما شمل الحيز الريفي 1804 مزرعة، ليبلغ إجمالي عددها بتاجوراء 3322 مزرعة وهذه المزارع متفاوتة في مساحتها وفي طرق ريها وقابليتها للزراعة. جدول (4).

جدول (4) توزيع مساحة الحيازات الزراعية حسب المحلات ، لعام 1995م

المجموع	غير قابل للزراعة (بور)	المساحة القابلة للزراعة بالهكتار			عدد الحيازات الزراعية	المحلة
		الجملة	بعلية	مروية		
2761	83	2678	1005	1673	743	الحميدية

¹ - أمانة الزراعة وتعمير الأراضي، مشروع النصر الإنتاجي الزراعي، مرجع سابق، ص16.

1498	125	1373	635	738	320	المشاي
712	6	706	313	393	102	الحرية
708	3	705	311	393	143	البرهانية
697	38	659	309	350	210	أبي الأشهر
4762	156	4606	3176	1430	862	الوادي الشرقي
5852	166	5686	2362	3324	942	الوادي الغربي
16990	577	16413	8111	8301	3322	الإجمالي

المصدر: الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق ، نتائج حصر الحائزين الزراعيين وحيازاتهم الزراعية ، 2006 ، ص66.

النمو الحضري والعلاقة الوظيفية مع مدينة طرابلس:

التحضر بمفهومه الشائع والبسيط وإن اختلفت معايير تعريفه وتشعبت باختلاف المناطق والسكان والعصور، ما يعني في مجمله الانتقال من حياة الريف الى حياة المدن ومن اقتصاد زراعي إلى اقتصاد صناعي وخدمي في أساسه وهذا التعريف في عمومه يشير إلى الانتقال من الزراعة إلى المدنية والصناعة. ويشهد عالمنا اليوم طفرة حضارية انتقل فيها معظم سكانه من الريف إلى الحضر، خاصةً ما يتعلق بحركة سكان المناطق الريفية وانتقالهم نحو المدن وبانت هذه الحقيقة جلية واضحة في أوائل القرن العشرين وبعد الثورة الصناعية التي انطلقت منذ بدايات القرن التاسع عشر.

والمدن بطبيعة الحال كانت أساساً ريفاً، عماد اقتصادها الزراعة التي طورت الدخل ونمته ليكون فائضا وصل به الريف إلى الترف، ووجهه نحو إنشاء العمران والتحول إلى الحياة الحضرية وأغلب مدن العالم الحديثة والكبيرة اليوم كانت في بدايتها الأولى عبارة عن ريف تطور باقتصاده الزراعي ليصل به الى المدينة، وقد أشار المفكر العربي ابن خلدون في مقدمته إلى ذلك بقوله " أن البادية هم أصل العمران وسابق عليه ... وإن أول مطالب الانسان الضروري ولا ينتهي الى الكمال والترف إلا إذا كان الضروري حاصلًا فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة، ولهذا فإن

التمدن غاية البدوي يجري إليه لينتهي بسعيه إلى مقترحه منه ومتى حصل على الرياش الذي يحصل له به أحوال الترف وعوائده عاج إلى الدعة وأمكن نفسه إلى قيادة المدينة⁽¹⁾.

ولهذا يمكن القول بأن ابن خلدون وضع تصوراً واضحاً لتفسير السلوك البشري بتطور ظروف المعيشة من حياة البداوة إلى حياة المدينة وذلك بتطور الإنتاج ووصوله إلى الفائض ليستكمل بها الكماليات والتي تصبح بمرور الوقت من الضروريات، باختلاف اطوار حياته الجديدة فطبيعة الحياة في المدينة تختلف عن تلك السائدة في الريف بما تفرضه على الانسان من أساليب حياة معينة للتعامل مع البيئة المحيطة به، فالتحضر يعبر بشكل قوي عن النمو الإقتصادي وما يصحبه من نمو للعمران وتغير العلاقات السلوكية وأنماط الحياة الإقتصادية للمجتمع داخل اطار المنطقة الحضرية⁽²⁾.

ووفقاً لما جاء في تقرير صندوق الأمم المتحدة للسكان، فإن السكان الحضري لليبيا بلغت نسبتهم في عام 2000م 88 % ضمت مدينتي طرابلس وبنغازي حوالي 40% من إجمالي سكان الحضر في ليبيا⁽³⁾ ومدينة تاجوراء نشأت كقرية صغيرة أو واحة على طريق القوافل والحج وزادت أهميتها بعد إنشاء الاستعمار الايطالي لخط السكة الحديدية الذي كان يربط بعض المدن والمناطق الساحلية وذلك في عام 1922م، ثم تطورت أهميتها أكثر بعد إنشاء الطريق الساحلي في عام 1927م.

وتعود أسباب ارتفاع معدلات النمو الحضري للفترة الممتدة بين 1973 - 2000م إلى ما شهدته البلاد من نمو واستقرار اقتصادي، تمثل في إتجاه سياسة البلاد نحو التنمية الحضرية للمدينة وجعل هذه المدينة مدينة صناعية تتميز بالصناعات

¹ - عبدالرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار أحياء التراث العربي، المجلد الأول، بيروت 1970، ص122.

² - فتحي رجب كرموس، المدن الكبرى والمنفردة والتنمية الحضرية، مؤسسة دوكتيلاس، أثينا، 1963، ملحق ص 1 - 2.

³ - صندوق الأمم المتحدة، أثار أقدام ومعالم على الطريق، السكان والتغيير البيئي، UNFPA، حالة سكان العالم 2001، ص7

الهندسية الثقيلة ومرافق الخدمات المتعددة، بالإضافة إلى عودة عدد من الليبيين من المهجر والذي استقر بعضهم فيها وكذلك ازدياد حركة الهجرة الداخلية من المناطق الريفية المحيطة نحوها بحثاً عن فرص العمل بقطاع الصناعة بالمدينة، وما توفر من وسائل راحة وخدمات افتقدتها المناطق الريفية⁽¹⁾. كما تضم المدينة بعض المقومات السياحية والثقافية، فهي تتمتع بشواطئ طويلة ومصائف عائلية وكذلك يوجد بالمدينة حمامات الإستشفاء البخارية وصالات الإنترنت وحدائق ومنتزهات وصالات رياضية ونوادٍ وساحات رياضية وصالات أفراح واستراحات ونادي لتعليم الفروسية ومطاعم ومقاهي، إضافةً إلى ما تتمتع به من مواقع وآثار تاريخية حضارية.

وقد كان للمناخ دور مهم ومؤثر في نشأة المدن أو العمران البشري؛ فالمناخ المناسب حدد موقع المدينة منذ أقدم العصور إذ أن الاعتدال في الحرارة ووفرة الإمطار كمصدر للمياه كانت دائماً مطلباً للإستقرار البشري، بما ينطوي عليه من عطاء الطبيعية المتمثل في غزارة الإنتاج الزراعي، حيث كان الإستقرار الزراعي أول أشكال الإستقرار البشري والذي تطور بمرور الوقت وبزيادة كثافة السكان من قرى صغيرة إلى مدن وهذا ما ينطبق على مدينة تاجوراء.

ولقد ارتبطت كل من مدينتي تاجوراء وطرابلس بعلاقات وظيفية منذ القدم؛ حيث أسهم القرب الجغرافي من طرابلس باعتبارها عاصمة البلاد في تبادل المنافع والخدمات بين المدينتين، فقد كانت تاجوراء وإلى وقت ليس بالبعيد مصدراً لتزويد مدينة طرابلس ببعض المنتجات الزراعية وخاصة الطماطم والرمان والشوفان والتبغ، حيث كان المزارعون ينقلون منتجاتهم الزراعة لبيعها في سوق الجمعة وسوق الثلاثاء القديم بطرابلس ويقومون بنوع من التبادل التجاري بشراء كل ما يحتاجونه من الضروريات والكماليات. وقد ساهمت المداخل المالية التي كانوا يتحصلون عليها في بناء القاعدة الاقتصادية ولو جزئياً لمدينة تاجوراء.

¹ - نعيمة صالح المصباحي، انعكاسات النمو الحضري لمدينة طرابلس على مدى توازن توزيع سكان المدينة، مرجع سابق، ص 30.

وفي المقابل كانت مدينة طرابلس تبسط نفوذها الوظيفي أو الخدمي على تاجوراء حيث كانت مركزاً إدارياً تضم عدة مناطق ومن بينها تاجوراء، التي كانت تستفيد من المؤسسات والتجهيزات المهمة مثل الميناء والمطار الجوي والمؤسسات الإدارية والخدمية السيادية، كمصرف ليبيا المركزي ومرافق الإدارة العامة بمختلف أنواعها، هذا بالإضافة إلى أن مدينة طرابلس كانت مركزاً تجارياً رئيساً تقصده جميع المراكز الإدارية المحيطة ومن بينها تاجوراء، التي كان تجارها يستفيدون من أسواق الجملة والحركة التجارية الزراعية في مدينة طرابلس، إضافة إلى اعتماد تاجوراء على مدينة طرابلس لوقت طويل على خدماتها الصناعية والصحية والتعليمية والثقافية والاجتماعية والترفيهية ومما يؤكد على قوة العلاقات والترابط بين المدينتين تكرار فصل تاجوراء كمدينة عن طرابلس ثم الرجوع بضمها إليها من جديد.

إن إستعمالات الأرض الوظيفية بالمدينة تحددت بفعل الظروف المحلية داخل المدينة، فهي انعكاس لواقع المدينة الطبيعي والبشري كما هو ظاهر من توزيع الأرض على الاستعمالات المتعددة والذي ربما لا يتطابق مع الكثير من المدن ذات الظروف المغايرة والمختلفة سكانياً وطبيعياً. ويلاحظ على استخدامات الأراضي بأنها غير متوازنة فهناك نقص في بعض الوظائف الحضرية كالخدمات السكنية والترفيهية السياحية مثلاً مقارنةً بالاستعمالات التجارية أو الصناعية، وذلك ناتج عن موقع المدينة وظروفها الطبيعية والبشرية ومن أهمها عدم استكمال مشروعات المخطط التي وضعت لتطوير المدينة وتنظيم إستعمالات الأرض بها، والتي لم تنفذ على الوجه المطلوب أو أنها تعرضت لعقبات وعراقيل متعددة مالية وإدارية وهذا له نتائج السلبية على المدينة وسكانها سواءً حاضراً أو مستقبلاً.

كما أن العلاقات بين مدينتي تاجوراء وطرابلس قوية وواضحة تضرب جذورها في أعماق التاريخ من النشأة وبداية وجود صلاة القرى والتجاور واستمرت هذه العلاقة مع الزمن خدمات متبادلة ومنافع مشتركة حتى وقتنا الحاضر.

النتائج:

تنتهي هذه الدراسة إلى نتائج عدة وهي:

1. نشأة تاجوراء ضاربة في القدم فقد ظهرت على أنقاض مدينة (أبروتونون) الفينيقية القديمة وكان قريبا من طرابلس ومينائها وإحاطتها بالمزارع وإشرافها على البحر داعماً لنشأتها ونموها وتطورها.
2. تتميز تاجوراء والتي بلغ عدد سكانها عام 2006 حوالي 115849 نسمة بموقعها الجيد وموضعها السهلي ومجاورتها لمدينة طرابلس العاصمة وكضاحية قديماً كانت تابعة لها حتى بلغت نضجها وأصبحت مدينة ذات صفات مميزة.
3. تحيط بتاجوراء مناطق زراعية سهلية متميزة بمنتجاتها كونت فيما بعد ظهيراً مهما للمدينة والذي ساعد على نموها أيضاً وتعد تاجوراء سوقاً لمدينة طرابلس وتتبادل معها المنافع، كما أنها تستفيد من طرابلس بما توفره لها من خدمات العاصمة؛ مما وطد العلاقات الوظيفية.
4. تؤدي تاجوراء خدمات إدارية وسكنية وتجارية وصناعية وخدمات بنية تحتية لسكانها وسكان إقليمها، كما أنها تقوم بخدمات وظيفية إقليمية بسبب قيام الصناعات الثقيلة على أطرافها.
5. وجود صناعات ذات ظروف تجعلها لا تتناسب مع العاصمة المزدهمة بالسكان بل تتطلب الإبتعاد قليلاً الأمر الذي شجع لإختيار مدينة تاجوراء لتكون مدينة صناعية مخططة قريبة من الميناء والعاصمة وعليه فقد أصبحت مدينة تاجوراء منطقة متممة لصناعات العاصمة وبالذات في مجال الصناعات الثقيلة خلافاً للصناعات الخفيفة بالعاصمة.
6. يتوزع نشاط المدينة التجاري والصناعي في ثلاثة نطاقات الأول جنوب شرقي والثاني جنوبي والثالث في وسطها على جانب الطريق الساحلي، أما السكن فإنه يتركز حول مركز المدينة في حين تنتشر مناطق الفضاء في الناحية الجنوبية والشرقية من المدينة.
7. فيما يتصل بالميزة المكانية وحركة السكان فإن تاجوراء هي الأقرب إلى ميناء طرابلس وبحكم وقوعها على الطريق الساحلي؛ مما سهل حركة الناس ونقل المواد الخام والبضائع، إضافةً إلى تمتع المدينة بشبكة مواصلات تربط المدينة بماجاورها وهذه الميزة المكانية جعلت مدينة تاجوراء منطقة صناعية وتجارية مميزة ومتطورة باستمرار.

التوصيات:

توصي هذه الدراسة إجمالاً بضرورة الاهتمام بوظائف المدينة وخاصة الوظيفة الصناعية المتركزة جنوبها ودعمها لبناء قاعدة اقتصادية راسخة خاصةً بعد تدهور مقوم الزراعة، كما أنه من المأمول زيادة وتيرة علاقاتها الإقليمية مع مدينة طرابلس باعتبارها عاصمة البلاد وأنها مجالاً لتوسعها في المستقبل ومكملة لها إقتصادياً وخاصة في الوظيفة الصناعية.

المراجع:

- 1-أبوالقاسم محمد العزابي، الطرق والنقل البري والتغير الاجتماعي والاقتصادي في ليبيا، المنشأة العامة للنشر والإعلان والتوزيع، طرابلس، 1981.
- 2-بلدية طرابلس، بلدية طرابلس في مائة عام 1870 - 1970، دار الطباعة الحديثة، طرابلس 1972.
- 3-جهاز الأشغال العامة، تخطيط شواطئ المناطق الحضرية، تقرير المرحلة الأولى والثانية، تاجوراء، المكتب الاستشاري الهندسي للمرافق، ب. ت.
- 4-خالد رمضان بن محمود، الترب الليبية، الهيئة القومية للبحث العلمي، طرابلس، 1995.
- 5-خليفة محمد التليسي، معارك الجهاد الليبي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1985.
- 6-_____، معجم معارك الجهاد في ليبيا، دار الثقافة، بيروت، 1973.
- 7-رولفس، رحلة عبر أفريقيا، مشاهدات الرحالة الألماني رولفس في ليبيا، 1865 - 1867، ترجمة عماد الدين غانم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1996.
- 8-سالم علي الحجاجي، ليبيا الجديدة، منشورات جامعة طرابلس، 1998.
- 9-سميرة المقدمي، النتائج الاقتصادية والاجتماعية لمشروع الهضبة الزراعي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة طرابلس، 1998.
- 10-صندوق الأمم المتحدة، أثار أقدام ومعالم على الطريق، السكان والتغيير البيئي، UNFPA، حالة سكان العالم 2001.
- 11-الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، 1968، مكتبة النور، طرابلس، 1968.

- 12- عبدالرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار أحياء التراث العربي، المجلد الأول، بيروت، 1970.
- 13- عبدالعزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، 1971.
- 14- عمر محمد الزبيدي، محاضرة بعنوان (تاجوراء في تاريخنا الثقافي والسياسي) ألقاها في يوم 10/06/1998 قاعة المجاهد بمركز دراسات جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.
- 15- فتحي أحمد الهرام، ليبيا - دراسة في الجغرافيا، الجيومورفولوجيا، تحرير د. الهادي أبو لقامة ود. سعد القزيري، دار ليبيا للنشر والإعلان، سرت، 1993.
- 16- فتحي رجب كرموس، المدن الكبرى والمنفردة والتنمية الحضارية، مؤسسة دو كسيادس، أثينا، 1963.
- 17- القلقشندي، صبح الأعشى، المطبعة الأميرية، القاهرة، ج5، ص1.
- 18- محمد إبراهيم حسن، دراسات في جغرافية ليبيا والوطن العربي، منشورات جامعة بنغازي، مطبعة الشروق، بيروت، ب. ت.
- 19- محمد أبو غرارة الرقيبي وخالد محمد غومة، أثر العوامل الطبيعية على خطوط النقل بالسكة الحديدية (منطقة تاجوراء كنموذج)، مجلة منارة البحوث الاجتماعية، العدد السابع، 2010.
- 20- محمد المبروك المهدي، جغرافية ليبيا البشرية، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، بنغازي، 1976.
- 21- محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة عبدالسلام أدهم، منشورات الجامعة الليبية، 1970.
- 22- مصطفى الشركسي، لمحات عن الأوضاع الاقتصادية في ليبيا أثناء العهد الإيطالي، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، 1976.
- 23- نعيمة صالح المصباحي، انعكاسات النمو الحضري لمدينة طرابلس على مدى توازن توزيع سكان المدينة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طرابلس، 2005.
- 24- الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، التعداد العام للسكان، لسنوات 1973-1984 1995-2006 م.
- 25- يسري الجوهري، جغرافية المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1980

حدوث العالم المادي وعلاقته بالحركة الزمانية (دراسة تحليلية نقدية في فلسفة نصير الدين الطوسي)

د. احمد مريحييل حرييش

المقدمة:

تعتبر مسألة العالم المادي عند الطوسي⁽¹⁾ من أهم مسائل فلسفته بل هي من المسائل المهمة في الفكر الفلسفي بشكل عام، والفكر الإسلامي بشكل خاص، فدار الجدل حولها إلى أن شكلت منعطفا كبيرا عند الكثير من الفلاسفة والمتكلمين⁽²⁾ ونتج عنها وعن الاختلاف حولها تباعداً كبيراً في فلسفات وأبحاث المفكرين والفلاسفة، ونظراً لأهميتها فقد أخذت حيزاً كبيراً في كتاباتهم ومؤلفاتهم، والدليل ما وجد من اختلافات حولها منذ بداية ظهور الفكر الفلسفي عند قدماء اليونان، حيث اتجه حكماء اليونان إلى القول بقدم العالم والمادة إلى جانب المحرك الأول الأزلي، وهو ما كان عند أرسطو طاليس، وقد سلك بعض من حكماء الإسلام هذا النهج، واقصد بذلك الفارابي وابن سينا، في حين كانت آراء أفلاطون من قبله تتجه إلى القول بحدوث العالم، وقد اجمع كثير من الباحثين والمفكرين

¹ : الطوسي: هو نصير الدين ابو عبد الله محمد بن محمد بن الحسن الطوسي الفيلسوف ولد بطوس سنة 597هـ ، كان جليل القدر، فيلسوفاً صاحب علم الرياضة والرصد، ومن أهم مصنفاته كتاب المتوسطات بين الهندسة والهيئة وشرح الإشارات والتنبهات لابن سينا الذي رد فيه على فخرالدين الرازي وكتاب التجريد في المنطق، وقواعد العقائد، والتلخيص في علم الكلام، إثبات العقل الفعال، تلخيص المحصل. الطوسي(نصير الدين) (دون تاريخ نشر)ترجمته من كتاب تلخيص المحصل تقديم طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ص12

² المتكلمين: هم طائفة من المفكرين كرسوا أنفسهم للدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المخالفين لها، ودحض شبهاتهم، فهم يقومون بمناقشة المبادئ الدينية لإقامة الحجة والدليل على صحتها، والمتكلمين مجموعة من الفرق أشهرهم المعتزلة والاشاعرة ومن ابرز شخصياتهم الاشعري الغزالي الشهرستاني الأمدي الباقلاني. ابوريان (محمد على) النشر 1986م، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ص244

المعاصرين الدارسين لفكر أفلاطون بأنه صرح بقدّم العالم لا بحدوثه، ومع ذلك لا تزال الشكوك تحوم حول آرائه، إذ أن البعض اعتبره من القائلين بالقدم للعالم لا حدوثه، أما المتكلمون فإنهم خالفوا كل تلك الآراء واتفقوا على وجود قديم واحد وهو الله وما عداه حادث، ومن بين تلك الحوادث العالم، وقد رفضوا كل آراء الفلاسفة التي تقرر قدم العالم، والسبب في ذلك الرفض هو معارضة تلك الآراء للشريعة الإسلامية، ومن أشهر هؤلاء المتكلمين الأشعري والغزالي والشهرستاني، حيث كفروا كثير من حكماء الإسلام ووصفوهم بأشنع الأوصاف، ولهذا انقسم حكماء الإسلام إلى فريقين فريق اتبع النهج الارسطي وقرر قدم العالم، وفريق خالفه وقرروا حدوث العالم.

ومن بين التساؤلات التي يحاول البحث الإجابة عنها من خلال هذه الدراسة هي: هل العالم المادي يعد قديماً أم حادثاً؟ وإذا اتضح بأن الطوسي اعتبر أن العالم قديم فإن هذا يتطلب تفسير ارتباط هذا العالم القديم بالله القديم، وإذا تبين أنه اعتبر بأن العالم حادث فما علاقته بالزمان والحركة؟

حدود الدراسة: يتناول البحث مشكلة فلسفية شائكة ألا وهي مشكلة العالم وعلاقته بالزمان والحركة، والقدم والحدوث، وقد اعتبرها البعض من أعقد القضايا الميتافيزيقية وأصعبها على الإطلاق، حيث انقسم من خلالها الفلاسفة في مذاهبهم، كما اختلفت حولها آراؤهم وتباعدت، فمنهم من جعل العالم قديماً وساوى في ذلك العالم مع الله، ومنهم من قال بحدوثه، وهم غالبية المتكلمين، ومنهم من تداخلت آراؤه بين هذا وذاك، وعلّل كل منهم أفكاره بحسب ما يعتقد أنه الصواب.

أهداف الدراسة: يهدف البحث إلى التركيز على هذه المسألة الفلسفية ومحاولة دراستها عند نصير الدين الطوسي بشكل تفصيلي، وركزت الدراسة على معرفة أقوال الفلاسفة قبل الطوسي والوقوف عليها، وكذلك معرفة مدى اختلافها

عن موقف الطوسي وصولاً إلى الانتقادات التي أطلقها كبار فلاسفة الإسلام وعلى رأسهم الغزالي والطوسي، فلا يخفي على إحدى الحملات الفلسفية التي أطلقها الغزالي حول هذه المسألة، حيث كفر الفارابي وابن سينا على ما ورد في كتاباتهم تجاه القدم والحدوث لأنهم ساروا على نهج أرسطو طاليس وخالفوا الشريعة، إضافة إلى إبراز الرأي الآخر المختلف عن الرأي السابق وهو رأي المتكلمين الذين اعتبروا بأن لا قديم إلا الله وانتهوا إلى اعتبار العالم حادث شأنه شأن الحوادث الأخرى.

أهمية الدراسة: تتبلور أهمية الموضوع من خلال التعمق في الطرح الذي قدمه الطوسي حول هذه المسألة والوصول إلى تقديم الأفكار الجديدة التي تضمنتها كتاباته والتي اختلف فيها كثيراً عن ابن سينا الذي ناصره في الكثير من المسائل الأخرى .

ويعد رأى الطوسي قريباً إلى حد بعيد إلى رأى المتكلمين الذين اختلف عنهم بشكل كلي في مسائله الأخرى، لأنه قد تأثر كثيراً بابن سينا كما ذكرت منذ قليل، فاعتبر الطوسي بأن العالم حادث وليس قديم، ولا يوجد قديم إلا الله وحده واعتبر أن الحادث هو ما يحدث عن عدم قبله أو هو بعبارة أخرى ما يكون معدوماً ثم يوجد وكل هذه الأوصاف تنطبق على العالم وبالتالي فهو حادث وليس قديماً.

مشكلة الدراسة: تتمحور مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤال المحوري والرئيس الذي يكون امتداداً لشبكة تساؤلية أخرى أهمها هل العالم المادي يعد قديماً أم حادثاً في الفلسفة الإسلامية؟

أولاً مفهوم العالم عند الطوسي:

تتصل مسألة العالم في الفكر الفلسفي بكثير من المسائل الأخرى، مثل مسألة العلة والمعلول، والتقدم والتأخر، والزمان، والخلق، ولهذا انقسم الفلاسفة

بصدد مشكلة العالم إلى قسمين: قسم ذهب إلى أن العالم قديم وليس حادثاً، والقسم الآخر ذهب إلى أن العالم حادث وليس قديماً، وكل قسم يستند أصحابه إلى أدلة، وعن القسم الأول فقد تناوله الحكماء المسلمون بدقة كبيرة، حيث إن الغزالي قد حدد بعضاً من تلك الخلافات في كتابه تهافت الفلاسفة فأورد أدلة كل فريق ليتسنى له الرد عليه، وإبطال تلك الآراء، ولهذا فقد حدد أربعة أدلة استند إليها القائلين بأن العالم قديم وهي الآتي:

1: استحالة حدوث حادث عن قديم مطلقاً، وقد اعترض الغزالي على هذه الحجة قائلاً: ((استبعدتم حدوث حادث عن قديم ولا بد لكم من الاعتراف به، فإن في العالم حوادث ولها أسباب، فإن استندت الحوادث إلى الحوادث إلي غير نهاية فهو محال، وليس ذلك معتقد عاقل، ولو كان ذلك ممكناً لاستغنيتم عن الاعتراف بالصانع وإثبات واجب وجود هو مستند الممكنات))⁽¹⁾

2: قد زعم هؤلاء الحكماء بأن العالم متأخر عن الله، والله متقدم عليه بالذات والطبع لا بالزمان، مثل تقدم الواحد على الاثنين.

3: زعموا بأن وجود العالم ممكن من قبل وجوده، وهذا الإمكان لا أول له، أو لم يزل ثابتاً، ولم يزل العالم ممكن وجوده .

4: كل حادث بحسب رأى الفلاسفة تسبقه مادة، فلا يستغنى الحادث عن المادة، وبالتالي لا تكون المادة حادثه، بل الحادث هي الصورة والأعراض والكيفيات.⁽²⁾

¹ شرف (محمد جلال) تاريخ النشر 1970م، الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي، دار النهضة

العربية بيروت، لبنان، ص50

² نفس المرجع السابق ص51

ثانياً مفهوم العالم عند المتكلمين :وهو ما استقر عليه رأى المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة حيث اعتبروا القول بأن العالم قديم هو أمر يتعارض مع مبادئ الدين الإسلامي، وبالتالي جعلوا كل من يقول بذلك في مرتبة الخروج عن ملة الإسلام، لأنه لا قديم عندهم إلا الله وحده، وإذا حاول مذهب فلسفي إثبات قديم آخر مع الله، فهو سيكون مساوياً لله القديم، وهو باطل عند المتكلمين، فهم جعلوا الله متقدماً على العالم ليكون بذلك الله هو القديم، والعالم حادث حيث كان الله ولا شيء معه، ثم كان ومع العالم.⁽¹⁾

ومما سبق يتبين لنا بأن مسألة قدم العالم أو حدوثه، قد كان لها دور كبير في بلورة الجدل الفلسفي القائم عبر تاريخ الفلسفة الطويل حيث لا نجد مدرسة أو مذهباً أو فرقة فلسفية إلا وكان لها رأى حول هذه المسألة الشائكة، ومن هؤلاء الذين خاضوا في هذه المسألة نصير الدين الطوسي حيث تناولها في العديد من كتبه المشهورة مثل مصارع المصارع وتجريد الاعتقاد وتلخيص المحصل وشرح الإشارات والتنبيهات، وقد ابتدأ كتاباته هذه بعرض تاريخي ذكر فيه معظم آراء الحكماء التي قيلت حول هذه المسألة، فذكر ما قرره فلاسفة اليونان، أمثال طاليس وانكسيمانس وهيرقليطس والرواقيين وأرسطو وذكر أيضاً موقف ابن سينا ليخلص بعد هذا كله إلى رأيه الخاص .

تفسير العالم في مصنفات الطوسي الأصلية:

قد بين بشكل تفصيلي تلك الأقوال المختلفة حول مسألة قدم العالم في كتابه مصارع المصارع وحصرها في ثلاثة آراء وهي :

¹ الطوسي (نصير الدين) تاريخ النشر 1990م، مصارع المصارع، تحقيق فيصل بدير عون، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، ص193

1: رأى قدماء الفلاسفة اليونان وهم أساطين الحكمة المالطية أمثال طاليس وانكسمانس وانكسماندريس الذين اعتبروا أن العالم حادث، فقرروا حدوث جميع موجودات العالم ومركباتها، وهو ما ذهب إليه بعض فلاسفة الإسلام.

2: المدرسة الرواقية التي صرح أصحابها بقدّم مبادئ من العقل والنفس والمفارقات والبسائط دون المتوسطات والمركبات، فإن المبادئ فوق الدهر والزمان، فلا يتحقق فيها حدوث بخلاف المركبات التي هي تحت الدهر والزمان، ومنعوا كون الحركات سرمدية ويقترّب من منهجهم مذهب جماعة من المسلمين قالوا بقدّم الكلمات والحروف وهم الباطنية.

3: مذهب أرسطو طاليس ومن سار على نهجه من فلاسفة الإسلام أمثال الفارابي وابن سينا من أن العالم قديم وأن الحركات الدورية سرمدية.⁽¹⁾

ونستخلص من هذا أن نصير الدين الطوسي قد حدد ثلاثة مذهب رئيسية قيلت حول العالم أحدها هو الرأي الإسلامي الذي يمثله المتكلمون وبعض فلاسفة الإسلام وهو أن العالم حادث والرأي الثاني هو الذي ميز فيه أصحابه بين القديم والحادث في العالم حيث اعتقد هذا الفريق بأن هناك أشياء قديمة في العالم، وأشياء حادثّة فيه، والرأي الأخير هو الرأي الذي ذكرناه عند أرسطو والفارابي وابن سينا الذي يقرر فيه أصحابه بأن العالم قديم.

موقف الطوسي من ابن سينا في حدوث العالم وقدمه: بالرغم من أن الطوسي قد ناصر ابن سينا في شروحاته لكتبه راداً فيه علي انتقادات الرازي إلا أنه لم يسلك نهج ابن سينا في هذه المسألة حيث كان له رأيه الخاص الذي وصل إليه بعد طول إمعان وتمحص مستنداً بدلائل وقرائن عقلية، كما أنه رد على كثير

1 نفس المصدر السابق ص192

من تلك الآراء وفنדהا وأبطلها، واعتبر أن الرأي الثاني الذي أقر أصحابه بقدّم الكلمات والحروف، أو القول بقدّم الكلام هم طائفة أنكروا البحث والكلام في العقلية ويقتصرون على النقليات فهم يعدون أن الأصوات والحروف هي صفات قديمة لله تعالى وهم الحنابلة.⁽¹⁾

موقف الطوسي من المتكلمين القائلين بالتناهي: لقد رد الطوسي على القائلين بالتناهي لأنه اعتبر أن التناهي قد يكون حسيّاً وقد يكون عقلياً، والتناهي الحسي بدورة ينقسم إلى قسمين وفقاً للحد الحسي قسم مكاني وقسم زمني فالمكاني ينتهي حد جسم بحد جسم، بحيث لا يوجد بعد لا يتناهي، والزمني ينتهي حد وقت لجسم ما، بوقت آخر، كما أن بعض المتأخرين اعتبروا أن الوقت لا يتناهي، فرعموا أن أوقاتاً لا تنتهي متعاقبة في الوجود، وكذلك حركات ومتحركات لا تنتهي متعاقبة غير مستحيل، وقد رفض الطوسي قول هؤلاء الفلاسفة معتبراً أن التناهي الزمني لا يدرك الأجناس والتناهي الحسي لا يقتصر على الأجسام بل ربما يكون للخلاء أو إلى الخلاء.⁽⁸⁾

ويمكننا القول بأن تصور الطوسي لمسألة العالم تتميز كثيراً عن تصورات أستاذه ابن سينا الذي ذهب إلى ما ذهب إليه أرسطو من القول بقدّم العالم بالرغم من بعض التأثير بين الطوسي وابن سينا، فهو قد كرس نفسه للدفاع عن أفكار ابن سينا وشرح العديد من كتبه كما فعل في الإشارات والتنبيهات حيث ذكر الدكتور سليمان دنيا بأن ((الطوسي متفلسف يناصر آراء ابن سينا، فاهم لها، معجب بها في الجملة، حتى إنه ليطوف هنا وهناك في كتب ابن سينا الأخرى ليظفر بشيء يرى أن وجوده إلى جانب نصوص الإشارات والتنبيهات يساعد على

¹ نفسه ص 193

إيضاح غامض أو بيان مشكل أو رد اعتراض، فشرح الطوسي لهذه الاعتبارات يعد امتداداً للفكر الفلسفي وشعلة منها⁽¹⁾

العالم بين الطوسي والرازي : ويمكن القول أيضاً أن هناك فلاسفة آخرين شرحوا كتب ابن سينا ومن بينهم فخرالدين الرازي إلا أن شرح الطوسي يختلف كثيراً عن ذلك الشرح لعدة اعتبارات منها: أن الرازي خصم الفلاسفة لأنه متكلم متعصب لعلم الكلام، أما الطوسي متفلسف متعصب للفلسفة فالفرق بين الشرحين أن الرازي ناقد والطوسي مدافع عن آراء ابن سينا أكثر منه نقداً.⁽²⁾

كما أن الطوسي قد عبر عن مناصرته لابن سينا في كتابه مصارع المصارع والذي وقف فيه وقفات كثيرة راداً فيه على انتقادات الشهرستاني ضد أقوال ابن سينا قائلاً: ((فعثرت في أثناء طلبتي على كتاب يعرف بالمصارعات للشيخ تاج الدين أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ادعى فيه مصارعة مع الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا في عدد من المسائل والرد عليه فيما ذكره في كتبه، فدعنتي دعواه إلى النظر فيه، واشتد حرصي من استماع اسمه على التأمل في معانيه فلما طالعتُه وجدته مشتملاً على قول سخيف، ونظر ضعيف، ومقدمات واهية، ومباحث غير شافية، وتخليط في الجدل، وتمويه في المثال، قد مازج به سفها يحترز عنه العلماء، ودفتا في القول لا يستعمله الأدياء))⁽³⁾

¹ دنيا (سليمان) تاريخ النشر 1995م، مقدمة المحقق على كتاب الإشارات والتببيهاات لابن سينا، دار

المعارف القاهرة، ج2، ص19

² نفسه ص20

3 : الطوسي، مصارع المصارع، مصدر سابق، ص48

ومما تقدم يتبين لنا ما يلي: أن موقف الطوسي يختلف عن موقف أستاذه ابن سينا بالرغم مما قلنا من مناصرته له ضد خصومه، والسبب على ما اعتقد أن موقف ابن سينا جاء مصبوغاً بصبغة أرسطية فذهب إلى القول بقدوم العالم تمشياً مع التصور الارسطي، مما جعل الكثير من المتكلمين والفلاسفة المسلمين ينتقدونه ويبتلون مذهبه، حيث ذكر الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة بأن الفلاسفة المشائيين وهم الفارابي وابن سينا قد سلكوا نهجاً عقلياً صرفاً عبروا من خلاله عن آرائهم فأثبتوا أن العالم قديم، وقد حاول الغزالي استخدام المنهج العقلي ذاته للرد على هؤلاء وإبطال مذهبهم مثبتاً حدوث العالم لا قدمه قائلاً: ((بم تتكرون على من يقول إن العالم حدث بإرادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه وأن يستمر العدم إلى الغاية التي استمر إليها وأن يبتدئ الوجود من حيث ابتدأ وأن الوجود قبله لم يكن مراداً فلم يحدث لذلك، وأنه في وقته الذي حدث فيه مراد بالإرادة القديمة فحدث لذلك))⁽¹⁾

وقد اعتبر الطوسي أن لا قديم إلا الله، وأن كل حادث لا بد أن يكون مسبوقاً بزمان فيقول ((الموجود إن أخذ غير مسبوق بالغير، أو بالعدم فقديم وإلا فحادث))⁽²⁾

فيمكن القول بعد هذا أن الطوسي أثبت القدم لله وحده، بحيث جعل لا قديم سواه، واعتبر أن القديم لا يكون قبله شيء ولا يكون صادراً عن عدم، في حين اعتبر أن الحادث هو ما يحدث عن عدم قبله، أو هو وجود شيء كان معدوماً من قبل، فيكون الوجود هنا للمحدث على هذا النحو وجوداً لا يكون لذاته، وذلك لأنه

1: الغزالي (أبي حامد) تاريخ النشر 1971م، تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف القاهرة، ص14

² سليمان (عباس) تاريخ النشر 1994م، تطور علم الكلام إلى الفلسفة ومناهجها عند الطوسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص94

لا بد من أمر سابق عليه أخرجه من العدم إلى الوجود، واعتقد بأن الطوسي بهذا التفسير يجعل العدم مشابهة للقوة في مفهوم أرسطو، والتي بها لا يتم الخروج إلى الفعل إلا بعد وجود عامل آخر يكون له التأثير بالفعل، وبهذا يكون القديم غير مسبوق بشيء، أما المحدث هو المسبوق بشيء وهذا الشيء هو الذي يخرج من القوة إلى الفعل، أو من العدم إلى الوجود.⁽¹⁾

علاقة العالم بالزمان: بما أن الطوسي قد ميز بين القديم والحادث، فإنه ربط ذلك كله بمسألة الزمان، فاعتبر أن للحوادث بداية زمانية، وأنه لا بد من وجود حركة سرمدية لا بداية لها، ولا نهاية، وتلك الحركة تكون سبباً لحصول تلك الاستعدادات المختلفة في المادة، ومن تلك الأقوال يتبين أن الطوسي ينسب إلى وجود مبدأ قديم يفيض وجود هذه الحوادث، ومن بينها العالم الحادث عند تلك الاستعدادات، ووجود جسم يتحرك الحركة المتصلة على الدوام.⁽²⁾

ويمكننا القول بأن الطوسي اعتبر أن العالم يختلف عن الله الواحد في علاقته بالزمان، لأن الله ووجوده لا يكون زمانياً، ولا يكون متصلاً بزمان، بل منزه ومتعال عن الزمان، في حين أن العالم خاضع للزمان، كما أنه لا يسبق وجود الله زمان، أما العالم فيسبقه الزمان، فلا يكون معه تعالى زمان ولا مكان ولا عالم.⁽³⁾

واعتبر الطوسي بهذا أن العالم لا يكون مع الله في الشرف ولا الرتبة، لأن الواجب لا يتساوى مع الممكن بالمطلق، فقد يتقدم الشيء على آخر بالذات، ولكن يكون معه بالزمان، ولكن هذا التصور لا ينطبق على القديم، فالله متعال عن

¹ الطوسي (نصير الدين) تاريخ النشر 1995م، شرح الإشارات والتنبيهات، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف القاهرة، ج2، ص214

2 : الطوسي مصارع المصارع، مصدر سابق، ص223

3 نفسه ص223

الزمان ولا يجوز بالمطلق أن يتقدم بالذات ويقارن بالزمان، ولهذا اعتبر الطوسي أن الحوادث محصورة بالوجود معاً.⁽¹⁾

أيهما أسبق الزمان أم العالم عند الطوسي: التقدم عند الطوسي قد يكون تقدماً بالزمان مثل تقدم الوالد على الولد، وقد يكون مكانياً مثل تقدم الإمام على المأموم، وقد يكون تقدماً بالشرف مثل تقدم العالم على الجاهل، وقد يكون تقدماً بالذات مثل تقدم العلة على المعلول، وقد يكون بالطبع مثل تقدم الواحد على الاثنين⁽²⁾

وقد ذكر الجرجاني في كتابه ((التعريفات)) مفاهيم التقدم، فذكر أن التقدم بالزمان هو ما له تقدم زمني كتقدم نوح على إبراهيم، أما المتقدم بالطبع هو الشيء الذي لا يمكن أن يوجد ولا يكون الشيء الآخر موجوداً كتقدم الواحد على الاثنين، أما المتقدم بالشرف هو الراجح بالشرف على غيره، أما المتقدم بالرتبة هو ما كان أقرب من غيره إلى مبدأ محدود لهما، وتقدمه بالرتبة هو تلك الاقربية، وهما إما طبيعي إن لم يكن المبدأ المحدود بحسب الوضع، وإما وضعي إن كان المبدأ بحسب الوضع، أما المتقدم بالعلية وهي العلة الفاعلية الموجبة بالنسبة إلى معلولها وتقدمها بالعلية كونه على فاعلية كحركة اليد والقلم.⁽³⁾

ف رأي عامة المسلمين من فقهاء ومتكلمين هو أن العالم حادث والله قديم، يقول الشهرستاني: ((إن مذهب أهل الحق من أهل الملل كلها أن العالم محدث مخلوق، أحدثه البارئ تعالى وأبدعه، وكان الله تعالى ولم يكن معه شيء، ووافقهم

¹ نفسه 195

² الجرجاني، تاريخ النشر 1985م، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ص 212-213

³ الشهرستاني، تاريخ النشر 1987م، نهاية الإقدام في علم الكلام، صححه وحرره الفرد جيوم، دار

المعارف القاهرة(دط) ص5

على ذلك جماعة من أساطين الحكمة، وقدماء الفلاسفة، مثل طاليس وانكساغوراس وانكسيمانس ومن تابعهم من أهل ملطيه، ومثل فيثاغورس وانبادوقليس وسقراط وافلاطون من اثينية ويونان وجماعة من الشعراء والنسائك ولهم تفصيل مذهب في كيفية الإبداع⁽¹⁾

موقف المتكلمين من أفلاطون وأرسطو في مسألة العالم:

ومن المسلم به أن كثيراً من متكلمي الإسلام قد رفضوا القول الأرسطي الذي يفضى إلى قدم العالم، وأخذوا بالقول الأفلاطوني الذي يقر بحدوث العالم، لأن أفكار أفلاطون بحسب ما يتصور البعض أقرب إلى البيئة الإسلامية من أرسطو، لأن أفلاطون على ما فهمه حكماء الإسلام يعتبر أن العالم حادث ويقر ببقاء النفس وكونها جوهرًا روحياً في حين يقر أرسطو بقدم العالم، وكان مذهبه في بقاء النفس وفي الأخلاق أقل روحانية من مذهب أفلاطون، ومن خلال هذا القول الأرسطي اعتبر الكثير من المسلمين أن أفكار أرسطو قد شكلت منعطفاً خطيراً في الفكر الفلسفي الإسلامي، إذ أن بعضاً ممن وصفوهم بالخروج عن الإسلام كان من خلال ما تأثروا به في كتاباتهم بأرسطو، ولهذا قد حاول البعض إبطال فلسفته، وفلسفه من تبعه من حكماء الإسلام.⁽²⁾

ولكن بالرغم من أن أفلاطون يعتبر أن العالم محدث ومكون بحسب ما ورد عند أرسطو طاليس في كتابه ((السماع الطبيعي)) في ((المقالة الثامنة الفصل الثاني)) بأن كل الفلاسفة القدماء اعتبروا أن الزمان قديم، ما عدا أفلاطون الذي

1 ابوريان (محمد على) تاريخ النشر 1986م، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، ص43

² :أرسطوطاليس، تاريخ النشر 1984م، كتاب الطبيعة او السماع الطبيعي ترجمة إسحاق بن حنين، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، شرح ابن السمع وأخرون ج2، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط2، ص810

جعله كائناً وحادثاً، لأنه وجد مع السماء، وأن السماء حادثة فيقول: ((لكنا نجد الجميع ما خلا واحداً، متفقي الرأي في أمر الزمان، وذلك أنهم يقولون انه غير مكون... فأما أفلاطون فانه وحده يكونه -أي يقول إنه كائن وحادث- وذلك لانه يقول إنه تكون مع السماء، والسماء مكونة))⁽¹⁾ .

فيفهم من هذا النص أن أفلاطون من أنصار حدوث العالم والزمان، ودليله قائم على الحس والمشاهدة، واعتبار الزمان كائناً وحادثاً، لأنه يرتبط بالحوادث، ومنها العالم والسماء، إلا أن بعض المفكرين والدارسين لأفكار أفلاطون اعتبروا أنه يقر بخلاف ذلك أي بقديم العالم إلا أنى لا اتفق معهم وأتفق مع الرأي الذي يرجح قوله بحدوث العالم، لأن ما يؤكد قول أفلاطون بالحدوث فضلاً عما ذكره أرسطو سابقاً، هو قول الفارابي الذي ذكر بأن أفلاطون يعتبر العالم محدث قطعاً، ولهذا اختلفت فلسفته عن فلسفة أرسطو الذي بني فلسفته على أساس أن العالم والحركة قديمان، لأنه ينكر نظرية الخلق من العدم، ويجعل المحرك الأول قد أحدث الدفعة الأولى للوجود فقط.⁽²⁾

الله وعنايته بالعالم: الطوسي لم يكن متأثراً بما ذكره أرسطو، بل كان له موقف مختلف كلياً عن موقف أرسطو وابن سينا وقد اعترف الطوسي بصعوبة البحث في مسألة القدم، إلا أن ذلك لم يمنعه من خوض تلك التجربة، فكانت له نظريات ودراسات حول العالم وحدثه وعلاقته بالله، وحاول إثبات ذلك بالبراهين العقلية، وانطلق من تفسير قول الحكماء بأن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، واعتبر أنه تفسير يفضى إلى القول بقديم الله وحده، وحدث ما عداه، فاعتبر أنهم

1 شرف، (محمد جلال) مرجع سابق، ص 17

2 فرحات، (هاني نعمان) تاريخ النشر 1995م، مسائل الخلاف بين الرازي والطوسي، مكتبة الغدير،

بيروت لبنان، ص 216

أرادوا من قولهم ذلك اعتبار الله واحد، ولا يصدر عنه إلا واحد، وإنهم لا يقولون بجواز أن يصدر عن الواحد أشياء كثيرة، لأن الكثرة تدل على الحدوث والله قديم.⁽¹⁾

حدوث العالم عند الطوسي: هو من أنصار نظرية الحدوث للعالم، لأنه تصور العالم مسبوق بالزمان، وكل ما يكون مسبوق بالزمان فهو حادث بالضرورة، ولهذا اعتبر العالم حادث فكل حادث مسبوق بوجود غير قار الذات متصل اتصال المقادير وهو يقصد بذلك الزمان.

كما أن الطوسي قد قسم المعلولات إلى قسمين هما مبدع ومحدث، واعتبر أن السبب لا يجوز أن يكون متقدماً على المسبب بالزمان، إذ لو جاز ذلك لامتنع استناد كل ممكن إلى آخر قبله لا إلى أول.⁽²⁾

وقد حاول الطوسي في العديد من مؤلفاته تفسير مفهومي الصنع والإبداع التي استند إليها الكثير من الفلاسفة لإثبات القدم والحدوث، فاعتبر أن الصنع يقصد به إيجاد شيء مسبقاً بالعدم، في حين اعتبر أن الإبداع هو ما يكون مقابلاً له، وهو إيجاد شيء غير مسبوق بالعدم، كما أنه اعتبر بأن المفعول يكون اخص من المحدث، لأن معنى المحدث يصير بزيادة معنى مخصص مساوياً لمعنى المفعول.⁽³⁾

مقارنة بين آراء الطوسي والمتكلمين: يختلف قول الطوسي عن المتكلمين، لأنه متفلسف مناصر للفلسفة، حيث ذكر المتكلمون بأن إثبات الحدوث يكون من خلال الاختيار، وأنه يجوز أن يكون العالم على تقدير كونه أزلياً معلولاً

¹ الطوسي (نصير الدين) شرح الإشارات لابن سينا، تحقيق سليمان دنيا، ج3، مصدر سابق، ص26

2 نفسه ص60

3 الطوسي، مصارع المصارع، مصدر سابق، ص201

لعلة أزلية، لكنهم نفوا القول بالعلة والمعلول، وليس بهذا الدليل بل بما دل على وجوب كون المؤثر في وجود العالم قادراً، في حين رأي الفلاسفة بأن الأزلي يستحيل أن يكون فعلاً لفاعل مختار.

وبالرغم من أن ابن سينا قد اعتبر أن الله متقدم على العالم القديم بالذات لا بالزمان تقدم العلة على المعلول واعتبر أن العالم دائم الوجود بدوامه فإن الطوسي قد اعتبر بأنه ليس دوام وجود العالم باستمرار الزمان عليه، وإنما استمر على شيء غيره وهو من جملة العالم، فيقول الطوسي مؤكداً على وجود زمان سابق للعالم ليثبت من خلاله حدوثه: ((أثبت قبلاً وأنا للعالم إذ قدرت زماناً، أو زمانيين أحدهما متقدم والآخر متأخر مقارن))⁽¹⁾

فيحاول الطوسي تفسير أقوال الفلاسفة القائلين بالحدوث معتبراً أنهم يقولون بقبليّة منصرمة مرة وبعديّة مرة أخرى تتجدد مع الزمان واعتبر بأنهم يقولون بأن الله متقدم على العالم بتقدير أزمنة لا نهاية لها.⁽²⁾

وإذا كانا قد عرفنا أن ابن سينا يقول بأزمنة متعاقبة في جانب الماضي لا نهاية لها ويقول بصور وأعراض متعاقبة في تلك الأزمنة لانهاية لها وهي التي يسميها الموجودات التي لا أول لها فإن الشهرستاني قد رفض تلك الأقوال معتبراً بأن الخالق أبدع العقل ثم أبدع النفس ثم أبدع الهيولى ثم أبدع الجسم ولم يشعر ذلك بالماضي وتعاقب الزمان بعده، والطوسي عرفناه مدافعاً عن ابن سينا ولهذا رفض أقوال الشهرستاني قائلاً له: ((هو يقول بتقدم وتأخر غير زمانيين ولذلك يقول

¹ نفسه، ص 201

² نفسه 204

فإن قلت أنت بتقدم العالم على الوجود والترك على الفعل يمثل هذا فهو عين مذهب خصمك وإن استشهداك بقوله عليك لا لك⁽¹⁾

وبهذا نستطيع القول بأن الطوسي أراد أن يثبت امتناع استناد الكثرة إلى الأول بل أثبت وجوب استنادها إلى غيره، وهو ما يوضح عملية خلق العالم، حيث أثبت الطوسي بأن المبدأ الأول إذا صدر عنه شيء فإن ذلك الشيء يكسبه صفة مغايرة للأول ضرورة، وكونه صادراً عن الأول غير مفهوم كونه ذا هوية ما.⁽²⁾

أما موقف الطوسي من نظرية الفيض: فإنه قد رفض نظرية الفيض لأنه يصر على إثبات الاختيار في أفعال الله وتلك النظرية التي تقول بصدور الموجودات عن الله بطريق الضرورة واللزوم، إضافة إلى تقريرها للقدم الزمني للعالم وهي وجدت عند الفارابي وابن سينا.⁽³⁾

مقارنة بين القديم والحادث عنده: الطوسي قد وضع مقارنة بين القديم والحادث ليتسنى له الحكم بأن الله هو القديم، والعالم حادث، وذلك وفقاً للخضوع للزمان، حيث اعتبر أن الوجود إذا أخذ من حيث هو غير مسبوق بالغير وإن كان الزمان فهو قديم وإلا فهو حادث بالضرورة، وهذا الحادث مقابلاً للقديم، إما بالطبع أو بالزمان أو بالرتبة الحسية أو العقلية أو الشرف أو الذات.⁽⁴⁾

1 : فرحات، (هاني نعمان)، مسائل الخلاف بين الرازي والطوسي، مرجع سابق، ص218
2 سليمان (عباس) تاريخ النشر 1994م، تطور علم الكلام إلى الفلسفة ومناهجها عند نصير الدين الطوسي، دراسة تحليلية مقارنة لكتاب تجريد الاعتقاد، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، ص95
3 الطوسي، تاريخ النشر 1995م، تجريد الاعتقاد، تحقيق عباس محمود سليمان، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ص68
4 نفسه 69

وأضاف الطوسي بأن مفهومي القدم والحدوث الحقيقيان لا يغير فيهما الزمان، وإلا تسلسل الحدوث الذاتي ولهذا فقد اعتبر الطوسي أن القدم والحدوث ليسا إلا اعتباران عقليان ينقطعان بانقطاع الاعتبار.⁽¹⁾

فالطوسي بهذا الموقف يقترب من موقف المتكلمين حيث اعتبر أن الله تعالى قادر مختار، تأكيداً للقول بالحدوث للعالم، ولهذا فهو يرى بأن العالم حادثاً وأن المؤثر فيه إن كان موجباً لزم حدوثه أو قدم العالم، وهو محال وذلك لأن المؤثر الموجب يستحيل تخلف أمره عنه، وهذا يستلزم أحد أمرين إما قدم العالم وهو محال أو حدوث المؤثر وهو يستلزم بدوره التسلسل وهو باطل، ومن ثم فإن المؤثر في العالم قادر مختار، وقد نفي الطوسي وجود واسطة بين الله وخلقته، ويؤكد أنها غير معقولة، وذلك لأنه قد ثبت حدوث العالم بجملته وأجزائه، والمقصود بالعالم كل موجود سوى الله تعالى فتكون الواسطة من جملة ما سوى الله تعالى، حيث لا قديم في الوجود إلا الله بحسب تصور الطوسي.⁽²⁾

وبهذا يمكننا أن نستخلص بأن الطوسي قد جعل الله وحده له القدم الذاتي، فلا قديم سواه وكل ما هو في الوجود صادر عنه ومتأخر عن وجوده، وليس قبل وجوده وجود، فالقبيلة هناك تنطبق على الوجود الإلهي، وبهذا يؤكد الطوسي على حدوث العالم.

¹ سليمان(عباس) تطور علم الكلام إلى الفلسفة ومناهجها عند الطوسي، مرجع سابق، ص95

2 نفسه ص98

كما أن الطوسي قد اعتبر أن الحدوث لا يستلزم بالضرورة وجود مدة ومادة بالضرورة، مثل ما زعم الكثير من الفلاسفة واستنادهم في ذلك كان من خلال وصف كل حادث بأنه ممكن وإمكانه سابق عليه.⁽¹⁾

فقد رد الطوسي على هؤلاء الفلاسفة معتبراً أن المادة ممكنة، ومحل تمكنها مغايراً لها فيكون لها مادة أخرى، كما يرى أن الإمكان أمر عدمي حيث قد يكون موجوداً تارة ومعدوماً تارة أخرى فهو ليس بمطلق أو واجب.

والطوسي ينفي قدم المادة والعالم لأن المادة إذا كانت قديمة، فإنه يستحيل انفكاكها عن الصورة ولزم قدم الصورة، ولزم قدم الجسم أيضاً وهو محال عند الطوسي.

وبهذا يكون الطوسي قد اختلف عن رأى أستاذه ابن سينا، بالرغم من المحاولات الجاهدة في الدفاع عنه، فابن سينا يقر صراحة أن العالم قديم، في حين أن الطوسي قد صرح بأن العالم حادث، وقد حاول الطوسي تبرير موقف ابن سينا فيما ذهب إليه، ويحاول الرد على الانتقادات التي وجهت له من قبل الغزالي والشهرستاني والرازي حتى يستطيع القاري أن يدرك أنه لا يقرأ شرحاً لابن سينا، بل يجد تبريراً ودفاعاً ومع ذلك فهو يجيء بآراء تخالف كلياً ما ذهب إليه ابن سينا.⁽²⁾

خاتمة

لقد كان موقف الكثير من مفكري الإسلام مثل الفارابي وابن سينا متشابه إلى حد كبير مع موقف أرسطو طاليس، وذلك عندما قرر كل منهم بأن العالم قديم

1 نفسه 223

2 نفسه 224

وليس حادث، حيث استند هؤلاء إلى ان القديم لا يجوز عليه العدم لوجوبه بالذات، ولا يجوز للقديم ان يسبقه الغير.

أما الطوسي فقد اختلف كثيراً عن تلك الآراء، بل ورفضها رفضاً شديداً، وجعل الزمان هو السبب الذي به يرجح حدوث العالم على قدمه، إذ أن الزمان لا يلحق القديم والعالم يلحقه الزمان، فلا وجود للزمان قبل خلق العالم، كما أن الطوسي يؤكد أن تصور الزمان قبل العالم هو من عمل الوهم، وهو ما خالف فيه ابن سينا الذي اعتبر أن تصور الزمان جائز قبل العالم، بل وله وجود أيضاً، فالطوسي إذن يعتبر أن لا قديم في الوجود إلا الله تعالى، وكل ما سواه حادث، ومن المسائل الرئيسية التي اعتمد عليها الطوسي لإثبات حدوث العالم هي:

1: استند إلى إثبات الفاعل والعلّة التامة. 2: استند إلى الزمان والمكان والحركة التي تكون مع الحوادث في حين لا تنتسب كل هذه إلى القديم. 3: استند إلى حجة عدم التسلسل إلى مالا نهاية في الحوادث، لأن كل حادث لا بد أن ينتهي عند قديم وله أول وآخر في حين أن القديم لا ينتهي إلى شيء، وليست له بداية ولا نهاية.

فيتضح أخيراً أن الطوسي اعتبر أن القدم الذاتي لا يكون إلا لله وحده، وكل ما هو في الوجود صادر عنه، ومتأخر عن وجوده، ومن ضمنه العالم، فليس قبل وجود الله تعالى وجود بالمطلق، ولهذا انتهى الطوسي إلى أن الوجود الإلهي متقدم بالمرتبة على سائر الموجودات وليس تقدماً زمانياً، وهنا يمكن القول أن الطوسي استطاع أن يؤسس أفكاره على أساس هذه المسألة، لأنه أدرك أن القول بقدم العالم يترتب عليه نتائج كثيرة في الفلسفة، بل أن الكثير من المسائل الفلسفية الأخرى يرتبط مصيرها بنتيجة هذه المسألة، وذلك كما حصل عند الفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد، فهي تُعد محوراً أساسياً في الفكر الفلسفي الإسلامي.

وأخيراً لا بد من القول بأن مسألة قدم أو حدوث العالم قد طرحت بصورة تامة في تراث الفكر الإسلامي، وأضحت محوراً هاماً لأفكار الفلاسفة تدور حول الحوارات والمناظرات، كما إن هذه المسألة لم تأخذ حقها في الدراسة عند الطوسي فهي لم تطرح بشكل واسع بين دارسي الفلسفة عنده وإنما كانت في صوره عابرة ضمن كتابات أخرى، ولهذا لا تزال تحمل الكثير من الغموض وكل ما وصلنا إليه من نتائج حولها، إنما هي اجتهادات متواضعة نأمل أن تكون صائبة.

المصادر والمراجع

- 1: الطوسي (نصير الدين) المحصل، ترجمته من كتاب تلخيص المحصل تقديم طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الازهرية القاهرة .
- 2: أبوريان (محمد على)، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، تاريخ النشر 1986م
- 3: شرف (محمد جلال) الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي، دار النهضة العربية بيروت، لبنان، تاريخ النشر 1970م
- 4: الطوسي (نصير الدين) مصارع المصارع، تحقيق فيصل بدير عون، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، تاريخ النشر 1990م
- 5: دنيا (سليمان) مقدمة المحقق على كتاب الإشارات والتنبيهات لابن سينا، دار المعارف القاهرة، ج2، تاريخ النشر 1995م
- 6: الغزالي (أبي حامد) تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف القاهرة، تاريخ النشر 1971م

- 7: سليمان(عباس) تطور علم الكلام إلى الفلسفة ومناهجها عند الطوسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، تاريخ النشر 1994م
- 8: الطوسي(نصير الدين) شرح الإشارات والتنبيهات، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف القاهرة، ج2، تاريخ النشر 1995م
- 9: الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، تاريخ النشر 1985م
- 10: الشهرستاني، نهاية الإقدام في علم الكلام، صححه وحرره الفرد جيوم، دار المعارف القاهرة(دط) تاريخ النشر 1987م
- 11: أرسطوطاليس، كتاب الطبيعة او السماع الطبيعي ترجمة إسحاق بن حنين، تحقيق عبد الرحمن بدوى ، شرح ابن السمع وأخرون ج2، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط2، تاريخ النشر 1984م
- 12: فرحات،(هاني نعمان) مسائل الخلاف بين الرازي والطوسي، مكتبة الغدير، بيروت لبنان تاريخ النشر 1995م
- 13: سليمان (عباس)، تطور علم الكلام إلى الفلسفة ومناهجها عند نصير الدين الطوسي، دراسة تحليلية مقارنة لكتاب تجريد الاعتقاد، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية تاريخ النشر 1994م
- 14: الطوسي، تجريد الاعتقاد، تحقيق عباس محمود سليمان، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية تاريخ النشر 1995م

مكانة الإسناد عند المحدثين

د. وفاء محمد الطيب العاتي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، أوحى إلى نبيه ما أوحى، وخصّه بالمعجزات فرأى من آيات ربه الكبرى، والصلاة والسلام على من بعثه الله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن الله ﷻ أكرم أمة الإسلام، وفضلها على سائر الأمم فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾⁽¹⁾، وأنزل عليها أعظم كتبه ختاماً لجميع الرسالات، وأرسل إليها أفضل رسله سيد ولد آدم على الإطلاق، واختصها بمزيد المكرمات فكان من خصائصها الإسناد.

وفي هذا البحث الموسوم بـ (مكانة الإسناد عند المحدثين) سيتم الحديث عن ماهية الإسناد، ونشأته، والمنزلة التي حظي بها عند المحدثين.

أسباب اختيار البحث:

مما دفعني لاختيار هذا البحث، أهمية الإسناد في ميزان النقد الحديثي، إذ به يُعرف الحديث الصحيح من غيره.

أهمية البحث:

لا يخفى ما في هذه الدراسة من أهمية، كونها تكشف عن دور الإسناد في حفظ السنة النبوية، ومدى عناية المحدثين به.

أهداف البحث:

(1) آل عمران: 110 .

من الأهداف التي سعى الباحث للوصول إليها من خلال هذه الدراسة ما يأتي:

- الوقوف على أبرز المراحل التي مر بها الإسناد، والعوامل التي أدت إلى تطوره.
 - معرفة أوجه عناية المحدثين بالإسناد.
 - بيان دور الإسناد في حفظ السنة المطهرة.
- منهجية البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث، اتباع المنهجي الوصفي، التحليلي، التاريخي وفق المنهجية الآتية:

- عزو الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال العلماء إلى مصادرها الأصلية ما أمكن إلى ذلك سبيلاً.
- ترجمة الأعلام، باستثناء المشهورين.

ضمن خطة اقتضت طبيعتها أن تقسم بعد المقدمة إلى تمهيد، ومبحثين وخاتمة .

تمهيد:

❖ تعريف الإسناد لغة واصطلاحاً.

❖ العلاقة بين المعنيين.

المبحث الأول: نشأته، وأهميته

المطلب الأول: نشأة الإسناد.

المطلب الثاني: أهمية الإسناد، وأقوال المحدثين فيه.

المبحث الثاني: عناية العلماء بالإسناد.

المطلب الأول: الرحلة في طلبه.

المطلب الثاني: التأليف فيه.

خاتمة: عُرض فيها أبرز النتائج التي تمخض عنها البحث.

هذا وبالله التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباحثة...□

مكانة الإسناد عند المحدثين

تمهيد: تعريفه الإسناد لغة واصطلاحاً:

تعريفه لغةً :

الإسناد مأخوذ من السند، والسند في اللغة له عدة معانٍ منها:

- ما ارتفع من الأرض في قُبَلِ الْجَبَلِ أو الوادي، وَالْجَمْعُ أَسْنَادٌ⁽¹⁾.
- المعتمد، يقال: وكل شيء أسندت إليه شيئاً فهو سند، وفلان سند، أي: معتمد⁽²⁾.
- يأتي الفعل سند بمعنى سعد، يقال أسندت إليه أي: صعدتُ إليه⁽³⁾.

وللسند في اصطلاح المحدثين تعريفان:

الأول: الإخبار عن طريق المتن⁽⁴⁾ قاله الصنعاني⁽⁵⁾.

الثاني: الطريق الموصل للمتن⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي بن منظور الأفرقي ت711 هـ (دار صادر، بيروت - لبنان، ط:3 - 1414 هـ)، مادة (سند) 3/ 220.

⁽²⁾ ينظر المصدر والصفحة نفسها.

⁽³⁾ أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط:3، 1985 م) 1/ 461.

⁽⁴⁾ توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، تح محمد عبد الحميد (المكتبة السلفية، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، د.ط، د.ت) 1/ 8، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، لعبد الرحمن السيوطي ت 911 هـ، تح: أبو قتيبة الفارياي (دار طيبة، الرياض - المملكة العربية السعودية، د. ط، د. ت) 1/ 27.

⁽⁵⁾ هو محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الصنعاني، إمام في الحديث والفقهاء، له مؤلفات منها: سبل السلام توفي سنة 1182 هـ ينظر ترجمته البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني ت 1250 هـ، (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط:1، 1418 هـ - 1998 م) 2/ 127.

⁽⁶⁾ شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، لعلي بن سلطان محمد الملا الهروي القاري ت: 1014 هـ، تح: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم (دار الأرقم، بيروت - لبنان، د.ط، د.ت) 1/ 160.

هذا عن تعريف السند، أما تعريف الإسناد فهو:
لغة: مصدر للفعل (أسند)، تقول: أسند في الجبل، أي: صعد فيه، من قولهم:
أسندت هذا الحديث إلى فلان إذا رفعتَه، وإسناد الحديث رفعه إلى قائله⁽¹⁾ فالإسناد
هو عملية الصعود في السند.
تعريفه في الاصطلاح:
عُرّف الإسناد في الاصطلاح بتعريفات عدّة منها:
قال ابن حجر⁽²⁾: الإسناد حكاية طريق المتن⁽³⁾.
وقال الطيبي⁽⁴⁾: هو رفع الحديث إلى قائله⁽⁵⁾.
وبالنظر إلى هذين التعريفين، فالملاحظ أن معناهما واحد، فطريق المتن يسمى:
السُّنْد، وهم الرواة الذين نقلوا ذلك المتن.
العلاقة بين السند والإسناد عند المحدثين:

(¹) لسان العرب، لابن منظور مادة (سند) 3 / 220 - 221.
(²) هو علي بن محمد بن علي بن أحمد بن حجر العسقلاني، الحافظ، والمحدث، والمؤرخ، والأديب له
أكثر من 150 مصنفا في الحديث والتاريخ والفقه والأصول، بالإضافة إلى ديوان شعر، من مصنفاته:
أسباب النزول، الإصابة في تمييز الصحابة، أطراف الصحيحين البخاري ومسلم وغيرها ت 852 هـ
ينظر ترجمته البدر الطالع، للشوكاني 1 / 61 - 64.

(³) ينظر نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لأحمد بن علي بن محمد بن
حجر العسقلاني ت: 852هـ، تح: نور الدين عتر (مطبعة الصباح، دمشق - سوريا، ط: 3، 1421 هـ -
2000 م) 1 / 41.

(⁴) هو الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي عالم في الحديث، مفسر، من مؤلفاته: التفسير للقرآن
العظيم، والحاشية على تفسير الكشاف، وكتاب التبيان في المعاني ت 743 هـ ينظر ترجمته طبقات
المفسرين لأحمد بن محمد الأندروني، تح: سليمان بن صالح الخزي، (مكتبة العلوم والحكم، ط: 1،
1417هـ - 1997م) 277، البدر الطالع، للشوكاني 1 / 156 - 157.

شرح نخبة الفكر، للقاري 1 / 60. (⁵)

تعددت آراؤهم في العلاقة بين المصطلحين إلى أقوال ثلاث هي:
القول الأول:

إنهما مترادفان، فيطلق السند على الإسناد والعكس، فكل منهما يقصد به سلسلة الرواة الموصلة إلى المتن؛ ولذا عرّف كثير من العلماء السند والإسناد بتعريف واحد، وهو الطريق الموصل إلى المتن⁽¹⁾.

قال الطيبي: " السند والإسناد يتقاربان في اعتماد الحقاظ عليهما في الحكم على صحة الحديث وضعفه"⁽²⁾.

وقال ابن جماعة⁽³⁾: "المحدّثون يستعملون السند والإسناد لشيء واحد"⁽⁴⁾

القول الثاني: إنهما متغايران، فالسند هو الطريق الموصلة إلى المتن، أي: الرجال الموصولون إلى متن الحديث شيخاً عن شيخ إلى أن يصل إلى متن الحديث، والإسناد هو الإخبار عن طريق المتن وحكايته⁽⁵⁾.

(1) وهو قول السخاوي ينظر فتح المغيبي شرح ألفية الحديث، لمحمد السخاوي (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط:1، 1403 هـ) 1 / 16.

ينظر تدريب الراوي، للسيوطي 1 / 28. (2)

(3) هو محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة بن علي بن جماعة، أبو عبد الله الكناني الحموي الشافعي القاضي، كان عالماً في الحديث، والفقه، والأصول، والتفسير ت سنة 733 هـ ينظر ترجمته فوات الوفيات محمد بن شاكر بن عبد الرحمن ابن شاكر ت: 764 هـ، تح إحسان عباس (دار صادر، بيروت - لبنان، ط:1، د.ت) 3 / 297.

تدريب الراوي، للسيوطي 1 / 28. (4)

(5) التوضيح الأبهري لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر، لأبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي ت 902 هـ (مكتبة أضواء السلف، دم، ط:1 - 1418 هـ -1998م) 1 / 30.

ووجه المغايرة بين المصطلحين عند من يأخذ بهذا القول أن تعريف السند يفيد ذكر الرواة الذين نقلوا الحديث بعضهم عن بعض إلى آخر المتن، أما تعريف الإسناد فهو رفع الحديث إلى قائله ونسبته إليه⁽¹⁾.

القول الثالث:

إن بينهما عموماً وخصوصاً، فالإسناد أعم من السند، فهو سلسلة الرواة الموصلة إلى المتن، وهو أيضاً عزو الحديث إلى قائله فبالمعنى الأول يكون مرادفاً للسند، ويكون بالمعنى الثاني أعم منه.

والقول الأول هو الذي عليه جمهور المحدثين .

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للإسناد:

تجدر الإشارة هنا إلى توضيح العلاقة بينهما، إذ يظهر الترابط واضحاً بين المعنيين، فالإسناد لغة عملية الصعود بما تتطلبه من تدرج شيئاً فشيئاً إلى الوصول إلى أعلى الشيء، وكذلك إسناد الحديث إلى قائله يبدأ به الراوي من شيخه ويصعد به إلى منتهاه.

المبحث الأول: نشأته، وأهميته:

المطلب الأول: نشأة الإسناد:

بدأ الاهتمام بالإسناد مبكراً؛ نتيجة للاضطرابات السياسية المتولدة إثر الخلافات والفتن التي عصفت بجسد الأمة الإسلامية، تمزق كيانها على إثرها إلى فرق ومذاهب شتى، فبرز الكذب على رسول الله ﷺ من قبل أصحاب الأهواء؛

(¹) منهم ابن جماعة، وابن الملقن، والسيوطي وغيرهم. ينظر اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، لمحمد عبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري ت 1031هـ، تح المرتضي أحمد (مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط:1، 1999م) 1/ 236، المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، لمحمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين ت 733هـ، تح: عبد الرحمن رمضان (دار الفكر، دمشق . سوريا، ط:2، 1406 هـ) 1/ 30.

نصرة لآرائهم، وتدعيماً لأهوائهم، فما كان من الغيورين على الإسلام إلا التصدي لهذا الخطر الداهم، وذلك بالتثبت من الرواية، فكان الصحابة ومن بعدهم يسألون عن الرجال في كل حديث⁽¹⁾.

قال ابن سيرين: " لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع⁽²⁾ فلا يؤخذ حديثهم"⁽³⁾.

• السؤال عن الإسناد في عصر الصحابة ﷺ:

لم يكن السؤال عن الإسناد في عصر الصحابة ﷺ بالأمر المستبعد، فمع ما كانوا عليه من صدق وورع وأمانة إلا أنهم كانوا يسألون عن إسناد أحاديث رسول الله ﷺ ومن ذلك ما وقع مع سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ حينما جاءتته الجدة تسأل عن ميراثها، فقال: لَهَا أَبُو بَكْرٍ ﷺ مَا لَكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ وَمَا عَلِمْتُ لَكَ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا فَارْجِعِي حَتَّى أَسْأَلَ النَّاسَ فَسَأَلَ النَّاسَ، فَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ سُعْبَةَ ﷺ حَضَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْطَاهَا السُّدُسَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ هَلْ مَعَكَ غَيْرُكَ

(1) ينظر علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع، لأبي ياسر محمد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني ت1427هـ (دار الهجرة، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1417هـ - 1996م) 22 - 23.

(2) اختلف العلماء في قبول رواية المبتدع الذي لا يكفر في بدعته، فمنهم من رد روايته مطلقاً لأنه فاسق ببديعته، ومنهم من قبل روايته إذا لم يكن ممن يستحل الكذب في نصرته مذهبه، سواء أكان داعية إلى بدعته أم لا، ومنهم من قيد قبول روايته بما إذا كان داعية إلى بدعته، وهو ما عليه أكثر العلماء، قال أبو حاتم: الداعية إلى البدع لا يجوز الاحتجاج به عند أئمتنا قاطبة، لا أعلم بينهم فيه خلافاً. ينظر معرفة أنواع علوم الحديث (بمقدمة ابن الصلاح) عثمان بن عبد الرحمن، المعروف بابن الصلاح ت643هـ، تح: نور الدين عتر (دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، د.ط، 1406هـ - 1986م).

(3) صحيح مسلم لأبي الحسين القشيري النيسابوري (دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، د.ط، د.ت) تعليق محمد فؤاد عبد الباقي 1/ 12.

فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيِّ (1) ﷺ فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَ الْمُعْبِرَةُ فَأَنْفَذَهُ لَهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ (2).

وبلغ اهتمام سيدنا عمر ﷺ بالثبوت في نقل أحاديث رسول الله ﷺ بأنه كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب (3)، وهو ما كان عليه سيدنا علي ﷺ حيث كان يستحلف من يحدثه؛ توكيماً للكذب عنه ﷺ (4) وكذا الحال مع باقي الصحابة ﷺ.

• السؤال عن الإسناد في عصر التابعين:

ازداد الاهتمام بالإسناد والتدقيق فيه والسؤال عنه في هذا العصر عما كان عليه من قبل؛ وذلك حرصاً منهم على الثبوت من صحة الحديث؛ بسبب تكاثر الفتن، فوصل الأمر بالزهري (5) - وهو من صغار التابعين - إلى اعتبار الإغفال

(1) محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري الحارثي، أبو عبد الرحمن، وقيل أبو عبد الله، وقيل أبو سعيد المدني: صحابي، من أهل المدينة. شهد بدرًا والمشاهد كلها إلا غزوة تبوك، استخلفه النبي صلى الله عليه وسلم فيها على المدينة اعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل ولا صفين، توفي بالمدينة سنة 40 هـ، وقيل: 43 هـ. ينظر ترجمته الطبقات الكبرى لابن سعد 3 / 338 - 340، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ت 463 هـ: تح: علي محمد البجاوي (دار الجيل، بيروت ط: 1، 1412 هـ - 1992 م) 3 / 1377.

(2) أخرجه مالك في موطئه، كتاب الفرائض، باب ميراث الجدة 2 / 513 / 1076. موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، تح: محمد فؤاد عبد الباقي (دار إحياء التراث العربي، مصر، د. ط، د. ت)، والحاكم في مستدركه كتاب الفرائض 4 / 376 / 7978 وقال: هذا حديث = صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص. المستدرک على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تح: مصطفى عبد القادر عطا (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1، 1411 هـ - 1990 م).

(3) ينظر تذكرة الحفاظ، لأبي عبد الله محمد بن عثمان الذهبي ت 748 هـ (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1، 1419 هـ - 1998 م) 1 / 11.

المصدر السابق 1 / 14) (4)

(5) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله القرشي، كنيته أبو بكر المدني، روى له: البخاري، مسلم وغيرهما، رتبته عند ابن حجر: الفقيه، الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه. ينظر ترجمته تذكرة الحفاظ،

عن الإسناد جرأة على الله تعالى⁽¹⁾ بيد أن ذلك لم يمنع بعضهم من الاستيلاء عند سؤال الناس لهم عن إسناد مراسيلهم، كالذي حصل مع الحسن البصري حينما قال له رجل: لو كنت تسند إلى من حدثك؟ فقال له: أيها الرجل إنا والله ما كذبنا، ولا كذبنا، ولقد غزوت غزوة إلى خراسان، ومعنا فيها ثلاثمائة من أصحاب محمد ﷺ⁽²⁾.

والمأمل في رد الحسن البصري يلحظ عدم إنكاره أهمية الإسناد، وإنما اعتذر عن عدم إسناده، بأنه تلقى ذلك عن الصحابة الذين لقيهم وهم أهل صدق. أول من بحث في الإسناد:

للذهبي 1/ 83 - 85، تقريب التهذيب، لأحمد بن حجر العسقلاني ت 852هـ، تح محمد عوامة (دار الرشيد، سوريا، ط: 1، 1406هـ - 1986م) 506/1.

⁽¹⁾ ينظر معرفة علوم الحديث، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تح السيد معظم حسين (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 2، 1397هـ - 1977م) 40/1.

⁽²⁾ الكامل في ضعفاء الرجال، لعبدالله بن محمد الجرجاني ت 365 تح: يحيى غزاوي (دار الفكر، بيروت - لبنان 1409 هـ - 1988م) 159/1.

يرى الكثير من المحدثين أن أول من بحث عن الإسناد هو عامر الشعبي⁽¹⁾، قال عنه يحيى بن سعيد⁽²⁾: "وهذا أول من فتش عن الإسناد"⁽³⁾.

المطلب الثاني: أهمية الإسناد وأقوال المحدثين فيه:

للإسناد مكانة كبيرة عند المحدثين فهو نصف علم الحديث، إذ الحديث (متن، وسند).

فوائد الإسناد:

بمعرفة الإسناد يتحصّل العلماء على عدة فوائد منها:

- التمييز بين الصحيح والسقيم:

بمعرفة الإسناد يتميّز الحديث الصحيح عن غيره.

قال القاضي عياض: "فاعلم أولاً أن مدار الحديث على الإسناد فيه تتبين صحته ويظهر اتصاله"⁽⁴⁾.

(1) هو عامر بن شراحيل الشعبي الحميري، أبو عمرو: راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. ولد ونشأ بالكوفة، كان فقيهاً، وهو من رجال الحديث الثقات، توفي فجأة سنة 103هـ، وقيل 104 هـ. ينظر ترجمته الطبقات الكبرى، لابن سعد 6/ 259 - 267، تذكرة الحفاظ، للذهبي 1/ 63 - 68.

(2) هو يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمي، أبو سعيد: من حفاظ الحديث، ثقة حجة. من أقران مالك وشعبة، من أهل البصرة، كان يفتي بقول أبي حنيفة له كتاب "المغازي" قال أحمد بن حنبل: ما رأيت بعيني مثل يحيى القطان ت 198 هـ ينظر ترجمته تذكرة 1/ 218 . 219، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لعبد القادر بن محمد القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي ت 775 هـ (مير محمد كتب خانة، كراتشي - باكستان، د.ط، د.ت).

(3) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، لأبي محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خالد الرامهرمزي الفارسي ت 360 هـ: تح: محمد عجاج الخطيب (دار الفكر، بيروت - لبنان، ط: 3، 1404 هـ) 1/ 208.

(4) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، لعياض بن موسى بن عياض السبتي، ت 544 هـ، تح: السيد أحمد صقر (دار التراث، القاهرة - مصر، ط: 1، 1379 هـ - 1970م) 1/ 194.

قال ابن الأثير: "اعلم أن الإسناد في الحديث هو الأصل، وعليه الاعتماد، وبه تعرف صحته وسقمه"⁽¹⁾، فلولا الإسناد لضاعت السنة ولدخل بها ما ليس منها.

• وسيلة لقبول الحديث ونقده:

يعدّ الإسناد أهم وسيلة لقبول الحديث ونقده؛ لذا يرى المحدثين أن الحديث بدون إسناد كالعدم، وروايته بدون محال.

قال سفيان الثوري: "الإسناد سلاح المؤمن، إذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل"⁽²⁾.

وردّ الزهري على من طلب منه حديثاً دون إسناد بقوله: "أترقى السطح بلا سلم!"⁽³⁾.

وكان ابن القيم يربط بين قبول الحديث بمعرفة سنده، فلا ينظر في حديث غير مسند، وحينما يعرض عليه ذلك يقول: "لم يذكر لهذا الحديث إسناد فينظر فيه، وحديث لا يُعلم حاله لا يحتج به"⁽⁴⁾.

• الإسناد من الدين:

تكمُن أهميته في أهمية أحاديث رسول الله ﷺ التي هي المصدر الثاني للتشريع فنتيجة لما يترتب على الإسناد من أحكام اعتبره العلماء من الدين، قال ابن سيرين: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم"⁽⁵⁾.

(1) جامع الأصول في أحاديث الرسول، لأبي السعادات المبارك الجزري ابن الأثير ت 606هـ، تح: عبد القادر الأرنؤوط (مكتبة الحلواني - مكتبة دار البيان، د.م، ط:1، 1389 هـ، 1969 م) 1/109.

(2) أدب الاملاء والاستملاء، لعبد الكريم بن محمد بن منصور أبو سعد التميمي السمعاني ت 562 هـ، تح: ماكس فايسفايلر (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1401 هـ - 1981 م) 8/1.

ينظر تدريب الراوي، للسيوطي 2 / 605. (3)

(4) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية، تح: زكريا علي يوسف (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د.ط، د.ت) 1/148.

(5) الكفاية في علم الرواية، لأحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي، تح: أبو عبدالله السورقي (المكتبة العلمية، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، د.ط، د.ت) 1/122.

قال ابن المبارك⁽¹⁾: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"⁽²⁾.

• الإسناد من خصائص الأمة:

خص الله ﷺ الأمة الإسلامية دون غيرها من الأمم بعديد الخصائص، وميّزها بجملة من الفضائل فكان من بينها الإسناد.

قال ابن تيمية: "علم الإسناد والرواية مما خص الله به أمة محمد ﷺ سلماً إلى الدراية، فأهل الكتاب لا إسناد لهم"⁽³⁾.

قال الغساني⁽⁴⁾: "خص الله تعالى هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها: الإسناد، والأنساب، والإعراب"⁽⁵⁾.

اهتمام العلماء بجمع الأسانيد:

(¹) هو عبد الله بن واضح الحنظلي بالولاء التميمي المروزي، أبو عبد الرحمن، من كبار التابعين، رتبته عند ابن حجر: ثقة، ثبت، عالم ت 181 هـ. ينظر ترجمته تذكرة الحفاظ، للذهبي 1/ 201 - 204، تهذيب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (دار الفكر، بيروت - لبنان، ط:1، 1404هـ - 1984م) 5/ 382-387.

مقدمة صحيح مسلم، لمسلم 1/ 12.)⁽²⁾

(³) مجموع الفتاوى، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ت 728هـ، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (مجمع الملك فهد، المدينة النبوية - المملكة العربية السعودية، 1416هـ - 1995م) / 9.

(⁴) هو الحسين بن محمد بن أحمد الغساني الجبالي الأندلسي الغساني، أبو علي: محدث الأندلس، كان عالماً بالعربية، واللغة والشعر، والأنساب، صنّف في ذلك كله، وكان يتصدر للتدريس في جامع قرطبة، رحل الناس إليه ولم يخرج من الأندلس، عرف بالجبالي وليس من (جيان)، ت 498 هـ. ينظر ترجمته بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة أبو جعفر الضبي ت 599هـ (دار الكاتب العربي، القاهرة - مصر، د.ط 1967 م) 1/ 265، تذكرة الحفاظ، للذهبي 4/ 22 - 23.

(تدريب الراوي، للسيوطي 2 / 605.⁽⁵⁾)

لم يقف اهتمام المحدثين عند معرفة الإسناد فحسب؛ وإنما وصل اهتمامهم إلى جمع أسانيد الحديث الواحد؛ لما له من أهمية في ميزان النقد الحديثي، إذ بجمعها يتحصل على عدة فوائد منها:

❖ إظهار الخطأ:

فبجمع أسانيد الحديث الواحد يظهر الخطأ، ويتميز الإسناد الجيد من الرديء، قال علي بن المديني⁽¹⁾:

"الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه"⁽²⁾.

❖ تفسير النصوص:

كما يستفاد من جمعها تفسير بعض النصوص، قال الإمام أحمد: "والحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضاً"⁽³⁾.

❖ معرفة الحديث الغريب:

فبتكرار الأسانيد يعرف الحديث الغريب⁽⁴⁾ متناً وسنداً.

❖ معرفة غريب الحديث (الألفاظ الغريبة):

المبحث الثاني: عناية العلماء بالإسناد:

المطلب الأول: الرحلة في طلبه:

أولاً: نشأتها، وأهميتها:

تعكس الرحلة في طلب الحديث عناية العلماء بالإسناد، وتعد ظاهرة علمية تميّز بها المسلمون عن غيرهم، إذ لم تهتم أي أمة من الأمم السابقة بالاغتراب

(¹) علي بن عبد الله بن جعفر السعدي بالولاء الديني، البصري، أبو الحسن: محدث، مؤرخ، له نحو 200 مصنف، وكان أعلم من الإمام أحمد باختلاف الحديث، من كتبه "الأسامي والكنى"، علل الحديث ومعرفة الرجال، توفي سنة 234 هـ. ينظر ترجمته تذكرة الحفاظ، للذهبي 2/ 13 - 17.

(تدريب الراوي، للسيوطي 1/ 296.)²

(³) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي ت 463 هـ، تح: محمود الطحان (مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، د.ط، د.ت) 2/ 212.

(وهو ما ينفرد بروايته راوٍ واحد. ينظر تدريب الراوي، للسيوطي 2/ 632.)⁴

لجمع أقوال أنبيائها، كما هو الحال مع أمة الإسلام، حيث بذل العلماء من أجلها جهوداً كبيرة وقطعوا المسافات البعيدة فلم يدخروا جهداً في ذلك امتثالاً لقول الله ﷻ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (1).

ثوابها:

قدم رجلٌ من المدينةِ على أبي الدرداءِ، وهو بدمشقَ فقال: يا أبا الدرداءِ: إني جئتُك من مدينةِ الرسولِ ﷺ لحديثِ بلعني، أتك تُحدثُهُ، عن رسولِ الله ﷺ ما جئتُ لحاجةٍ، قال فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «من سلكَ طريقاً يطلبُ فيه علماً سلكَ اللهُ بهِ طريقاً من طرقِ الجنةِ، وإنَّ الملائكةَ لتنضعُ أجنتها رِضاً لطالبِ العلمِ، وإنَّ العالمَ ليستغفرَ له من في السمواتِ، ومن في الأرضِ، والحيتانُ في جوفِ الماءِ، وإنَّ فضلَ العالمِ على العابدِ، كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، وإنَّ الأنبياءَ لم يُورثوا ديناراً، ولا درهماً ورثوا العلمَ، فمن أخذَهُ أخذَ بحظٍّ وافرٍ» (2).

نشأة الرحلة في طلب الإسناد:

التوبة: 123.(1)

(2) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم 3 / 317 / 3641 ، سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن عمرو الأزدي السجستاني ت275هـ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد (المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، د.ط، د.ت)، أخرجه ابن ماجه في سننه، الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم 1 / 81 / 223 .سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد ت 273هـ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي (دار إحياء الكتب العربية، دم، د.ط، د.ت).

❖ في عصره ﷺ: كانت الرحلة في طلب العلم سنة متبعة منذ ظهور الإسلام، حيث قدمت وفود القبائل العربية إلى رسول الله ﷺ لتلقي العلوم الدينية⁽¹⁾.

❖ في عصر الصحابة ﷺ ومن جاء بعدهم: استمر صحابة رسول الله ﷺ في التثبث من الرواية، فكان من منهجهم الرحلة في البحث عن الرواة والأسانيد؛ وبعد وفاته ﷺ تفرّقوا في الأمصار عقب الفتوحات، وهو ما أدّى لضرورة الرحلة بينهم لوصول روايات بعضهم لبعض، فوصل الأمر بعدد منهم أن قطعوا الفيافي وتجاوزوا القفار من أجل حديث واحد، وكذا التابعون ومن جاء بعدهم⁽²⁾.

وقد سجّل التاريخ هذه الرحلات بالأسانيد الصحيحة ومنها ما يأتي:

- رحلة الصحابي جابر بن عبد الله إلى الشام، استغرق شهراً كاملاً ليسمع حديثاً واحداً⁽³⁾.
- رحلة الصحابي أبو أيوب الأنصاري إلى مصر من أجل حديث رسول الله ﷺ في ستر المسلم، فبعد سماعه للحديث ركب راحلته وانصرف عائداً إلى المدينة⁽⁴⁾.

(1) ينظر تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، لأبي ياسر محمد آل مطر الزهراني ت 1427هـ (دار الهجرة، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط:1، 1417هـ - 1996م) 1 / 40.

(2) ينظر النكت على كتاب ابن الصلاح، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت 852هـ، تح: ربيع عمير المدخلي، (عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، د.ط.د.ت) 1 / 37.

(3) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة الجعفي البخاري، تح: محمد زهير الناصر، (دار طوق النجاة، دم، ط:1، 1422هـ) كتاب العلم، باب الخروج في طلب العلم 1 / 26.

(4) الرحلة في طلب الحديث، لأحمد بن ثابت البغدادي، تح: نور الدين عتر، (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط:1، 1395م) 1 / 118، 121.

• رحلة التابعي سعيد بن المسيّب⁽¹⁾ وعنها قال: "إن كنت لأسير في طلب الحديث الواحد مسيرة الليالي والأيام"⁽²⁾.

* كما بلغ اهتمام العلماء بها أن صنفوا التصانيف الكثيرة، فصنّف الرامهرمزي⁽³⁾ قائمة بأسماء المحدّثين الذين رحلوا في الأقطار مرتباً إياها على الطبقات، كما صنّف الخطيب البغدادي⁽⁴⁾ كتاباً سمّاه "الرحلة في طلب الحديث" *ومن مظاهر اهتمامهم بها أنهم كانوا يعيّنون الراوي الذي يقتصر على السماع ببلده ولا يرحل، قال أبو العالية الرياحي⁽¹⁾: "كنا نسمع عن أصحاب رسول الله ﷺ بالبصرة، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم"⁽²⁾.

⁽¹⁾ هو سعيد بن المسيّب بن حزن المخزومي القرشي، أبو محمد سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث، والفقه، والزهد، والورع، روى له: البخاري، مسلم وغيرهما، قال عنه ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه، توفي بالمدينة بعد سنة 90 هـ ينظر ترجمته الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن سعد ت 230 هـ، تح محمد عبد القادر عطا (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1، 1410 هـ - 1990 م) 5/ 89 - 109، سير أعلام النبلاء، سير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايّماز الذهبي ت 748 هـ، تح مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط (مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط: 3، 1405 هـ - 1985 م) 4/ 217 - 226.

(الرحلة في طلب الحديث، للخطيب البغدادي 1/ 128.²)
⁽³⁾ هو الحسن بن عبد الرحمن بن خالد الرامهرمزيّ الفارسيّ، أبو محمد محدّث العجم كان أول سماعه بفارس سنة 290 هـ، وكان من الأدباء، من مؤلفاته: المحدث الفاصل، الأمثال، والنوادر والرثاء وغيرها، توفي سنة 360 هـ. ينظر ترجمته معجم الأدباء، لأبي عبد الله ياقوت الرومي ت 626 هـ، تح: إحسان عباس (دار الغرب الإسلامي، بيروت - ط: 1، 1414 هـ - 1993 م) 2/ 923 - 928، تذكرة الحفاظ، للذهبي 3/ 81.

⁽⁴⁾ هو أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر البغدادي الخطيب صاحب التصانيف، أحد الحفاظ المؤرخين، محدث الشام والعراق، برع في الحديث وعلومه، وسمعه وله إحدى عشرة سنة، ورحل في طلبه وهو ابن عشرين، من مصنفاته: تاريخ بغداد، الكفاية في علم الرواية وغيرها، توفي سنة 463 هـ. ينظر ترجمته تذكرة الحفاظ، للذهبي 3/ 221 - 227، طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي 4/ 29 - 37.

ثانياً: أبرز فوائدها:

كان لهذه الرحلات فوائد جمة منها:

- ❖ التثبيت من الرواية بسماعها من الراوي الأصل.
- ❖ تحصيل الأسانيد العالية بمشاهدة كبار الشيوخ.
- ❖ تقليل الوسائط في نقل الحديث ليكون أقرب إلى السلامة.
- ❖ تكثير طرق الحديث الواحد بسماعه من عدة شيوخ؛ وبذلك يتقوى.
- ❖ إحصاء حديث أهل بلد وشيوخه وتلاميذهم؛ لئلا يتجرأ أي كاذب دس شيء بينهم.
- ❖ سلامة المتن من الأوهام والتحريف، وذلك برواية الحديث الواحد بأكثر من وجه عن شيوخ كثير.
- ❖ تصنيف الرواة على طبقات⁽³⁾.

المطلب الثاني: التأليف في الإسناد:

أولاً: عناية العلماء بسلاسل الأسانيد:

اعتنى العلماء بسلاسل الأسانيد فحفظوها، وتتبعوا نظاماً دقيقاً في استقراءها حتى أصبحت معروفة لديهم، فميزوا بين مراتبها، وحفظوا أحاديثها؛ لئلا يتسرب إليها ما ليس منها.

(¹) رفيع بن مهران، أبو العالية الرياحي البصري، المقرئ، الحافظ، المفسر، من كبار التابعين كان ثقة كثير الحديث توفي سنة 90 هـ وقيل: غير ذلك. ينظر ترجمته الطبقات الكبرى، لابن سعد 7/ 79-84، طبقات الحفاظ، لجلال الدين السيوطي ت 911هـ، (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط:1، 1403)، 1/ 29، طبقات المفسرين، للداودي 1 / 9.

(الطبقات الكبرى، لابن سعد 7 / 80.)²

(³) ينظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي 2/ 223، السنة النبوية وحي من الله محفوظة كالقرآن الكريم، للحسين بن محمد سعيد (مجمع الملك فهد، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، د.ط، د.ت) 1/ 45 . 46.

لم يقف اعتمادهم عند سلاسل الأحاديث الصحيحة فحسب؛ وإنما وصل اهتمامهم بسلاسل الأحاديث الضعيفة والموضوعة؛ خشية اختلاطها بغيرها⁽¹⁾، فكان تقسيمهم لها إلى مراتب هي:

- أصح الأسانيد⁽²⁾:
- أوهى الأسانيد⁽³⁾:
- الأسانيد التي لا يثبت منها إلا شيء يسير.
- الأسانيد التي لم يثبت منها شيء مع ثقة رجالها.

أصح الأسانيد: وبالحديث عن هذه المرتبة يلاحظ انقسام المحدثين في الحكم على إسناد بعينه بأنه أصح الأسانيد إلى فريقين:

الفريق الأول:

رأى أنه بالإمكان الحكم على إسناد بعينه بأنه أصح الأسانيد - وذلك ناتج عن تفاوت درجات الرواة بحسب تفاوتهم في الأوصاف المقتضية للتصحيح⁽⁴⁾.

الفريق الثاني:

رأى أصحابه عدم إطلاق هذا الحكم على إسناد معين؛ لأن تفاوت مراتب الصحة مرتب على تمكن الإسناد

⁽¹⁾ ينظر عناية العلماء بالإسناد وعلم الجرح والتعديل وأثر ذلك في حفظ السنة النبوية، لصالح بن حامد الرفاعي (مجمع الملك فهد ، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، د.ط، د.ت) 1 / 15.

⁽²⁾ فمن ذلك: أصح الأسانيد عند البخاري: مالك عن نافع عن ابن عمر، وتسمى: " السلسلة الذهبية "، وأصح الأسانيد عند أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه: الزهري عن سالم عن عبد الله بن عمر عن أبيه وغيرها. ينظر فتح المغيـث، للسخاوي 1 / 20 - 21 ، تدريب الراوي، للسيوطي 1 / 78.

⁽³⁾ ومن ذلك: أوهى الأسانيد عمرو شمر عن جابر الجعفي عن الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب ينظر معرفة علوم الحديث، للحاكم 99.

⁽⁴⁾ ينظر الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة ت 1403 هـ (دار الفكر العربي، د.م، د.ط، د.ت) 1 / 232.

من شروطها، فيطلق هذا المصطلح عندهم على راوي أو بلد، فيقال: أصح أسانيد فلان، وأصح أسانيد الشام وهكذا⁽¹⁾.

قال العراقي⁽²⁾:

وَبِالصَّحِيحِ وَالضَّعِيفِ قَصَدُوا *** فِي ظَاهِرِ لَا الْقَطْعِ، وَالْمُعْتَمَدُ
إِمْسَاكُنَا عَنْ حُكْمِنَا عَلَى سَنَدٍ *** بِأَنَّهُ أَصَحُّ مُطْلَقًا، وَقَدْ
حَاضَ بِهِ قَوْمٌ فَقِيلَ مَالِكٌ *** عَنِ نَافِعٍ بِمَا رَوَاهُ النَّاسِكُ⁽³⁾

قوله: (والمعتمد إمساكنا عن حكمنا) إلى آخره. أي: القولُ المعتمدُ عليه أئنه لا يُطلقُ على إسنادهِ معينٍ بأنه أصحُّ الأسانيدِ مُطلقاً⁽⁴⁾، قال النووي⁽⁵⁾: "وهو المختار"⁽⁶⁾.

(ينظر شرح نخبة الفكر، للقاري 1/ 265.¹)

⁽²⁾ هو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، زين الدين بن إبراهيم السبكي، أبو الفضل الرازناني المصري الشافعي، كردي الأصل، اشتغل بالعلوم وخاصة الحديث، فأكثر من السماع، وتقدم فيه توفي سنة 806 هـ، وقيل: غير ذلك. ينظر ترجمته الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة - مصر، د.ط، د.ت 4/ 171 - 178، طبقات الحفاظ، السيوطي 1/ 543 - 544.

⁽³⁾ ألفية العراقي المسماة ب: " التبصرة والتذكرة في علوم الحديث"، لعبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي ت 806هـ، تح: العربي الفرياطي (مكتبة دار المنهاج، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط:2، 1428 هـ) 1/ 94.

⁽⁴⁾ ينظر شرح التبصرة والتذكرة لعبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي ت 806هـ، تح: عبد اللطيف الهميم (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط:1، 1423 هـ - 2002 م) 1/ 106.

⁽⁵⁾ هو يحيى بن شرف بن مري الحوراني الشافعي أبو زكريا، عالم بالحديث والفقہ، صنّف في الحديث والفقہ، منها شرح مُسلم، والمنهاج، ورياض الصّالِحين وغيرها، ت 676 هـ ينظر ترجمته طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد قاضي شهبة، تح: عبد العليم خان (عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط:1، 1407هـ) 2/ 153 - 157، طبقات الحفاظ، للسيوطي 1/ 513.

(شرح نخبة الفكر، للقاري 1/ 265.⁶)

➤ أوهى الأسانيد:

ذكر العلماء في الضعيف ما يسمى بأوهى الأسانيد وتفاوتت آراؤهم في صحة إطلاق هذا المصطلح بين من جوزه على إسناد بعينه، وبين من جعله على حسب الأشخاص والجهات⁽¹⁾.

وكان بين هذا وذاك أسانيد اصطلح العلماء على تسميتها بالأسانيد التي لا يثبت منها إلا شيء يسير⁽²⁾، والأسانيد التي لم يثبت منها شيء مع ثقة رجالها⁽³⁾.
ثانياً: التأليف في الإسناد:

*ظهر الكم الهائل من المصنفات المسندة من صحاح، وسنن، ومسانيد، وغيرها في مختلف الأمصار، والجدير بالذكر أن هذه الأسانيد تشغل حيزاً كبيراً من تلك الكتب، فلو جردت من أسانيدھا لصارت في ريع حجمها⁽⁴⁾.

*ومع بداية القرن الثالث اتجه المصنفون إلى تأليف المسانيد، وهو ما يعدّ تطوراً في التأليف الحديثي، ونضجاً في المستوى المنهجي والنقدي⁽⁵⁾، قال ابن حجر: "فقل إمام من الحفاظ إلا وصّف حديثه على المسانيد"⁽⁶⁾.

(1) ومن ذلك ما ذكره الحاكم في معرفة علوم الحديث قال: أوهى أسانيد أبي هريرة السري بن إسماعيل عن داود بن يزيد الأودي عن أبيه عن أبي هريرة، وأوهى أسانيد اليمانيين حفص بن عمر العدني عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس 99.

(2) الزبير بن عدي عن أنس عن النبي ﷺ فقد ثبت منها أربعة أحاديث أو خمسة فقط. قتادة عن الحسن البصري عن أنس

(3) قال عنها البرذنجي: "لا يثبت منها حديث أصلاً من رواية الثقات". شرح علل الترمذي، لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلمي البغدادي الحنبلي ت 795هـ، تح: همام سعيد (مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، ط:1، 1407هـ - 1987م) 2/ 845.

(ينظر عناية العلماء بالإسناد، للرفاعي 1/ 17. 4)

(5) تدوين السنة النبوية في القرنين الثاني والثالث، لمحمد بنكيران (مجمع الملك فهد، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، د.ط، د.ت) 1/ 23.

(6) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (دار المعرفة، بيروت - لبنان، د.ط، 1379هـ) 1/ 6.

طريقة ترتيب كتب المسانيد: للعلماء في ترتيبها ثلاث طرق هي:

1. ترتيب أسماء الصحابة على حروف المعجم.
2. الترتيب على حسب القبائل يبدأ في هذه الطريقة بالقبائل الأقرب إلى رسول الله ﷺ ثم من يليها وهكذا.
3. الترتيب على قدر سوابق الصحابة في الإسلام.

قال الخطيب البغدادي: "فإن شاء رتب أسماء الصحابة على حروف المعجم من أوائل الأسماء فيبدأ بأبي بن كعب وأسامة بن زيد ومن يليهما، وإن شاء رتبها على القبائل فيبدأ ببني هاشم ثم الأقرب فالأقرب إلى رسول الله ﷺ في النسب، وإن شاء رتبها على قدر سوابق الصحابة في الإسلام ومحلهم من الدين وهذه الطريقة أحب إلينا في تخريج المسند، فيبدأ بالعشرة ﷺ ثم يتبعهم بالمقدمين من أهل بدر"⁽¹⁾.

الكتب المسانيد: كثيرة هي المصنفات في صورة مسانيد ومن تلك المسانيد ما يأتي: مسند أبي داود سليمان بن داود الطيالسي⁽²⁾ (ت 204 هـ).

❖ مسند أبي بكر بن أبي شيبة⁽³⁾ (ت 235 هـ).

❖ مسند إسحاق بن إبراهيم الحنظلي بن راهويه⁽⁴⁾ (ت 238 هـ).

(الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي 2/ 292.¹)
(²) هو سليمان بن داود بن الجارود مولى قريش، أبو داود الطيالسي، من كبار حفاظ الحديث، فارسي الأصل، سكن البصرة وتوفي بها، كان يحدث من حفظه، ينظر الثقات، محمد بن حبان البستي، (دار الفكر، بيروت - لبنان، ط:1، 1395 هـ - 1975 م)، تح: شرف الدين أحمد 8/ 275، سير أعلام النبلاء، للذهبي 9/ 378 - 384.

(³) هو عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، أبو بكر حافظ للحديث، له فيه كتب، منها المسند والمصنف في الأحاديث والآثار. قال عنه الخطيب: كَانَ مَتَقَنًا حَافِظًا، وقال عنه ابن حنبل: صدوق وهو أحب إلي من أخيه عثمان ينظر ترجمته تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لأبي عبد الله محمد الذهبي ت 748 هـ تح: بشار معروف (دار الغرب الإسلامي، د.م، ط:1، 2003 م) 5/ 855، تهذيب التهذيب، لابن حجر 6/ 2 - 4.

❖ مسند أحمد بن حنبل (ت 241 هـ) وهو أكبرها.

خاتمة

- بعد دراسة هذا البحث الموسوم بـ (مكانة الإسناد عند المحدثين) خلص البحث إلى جملة من النتائج أهمها:
- الإسناد من الخصائص التي تميّزت بها الأمة المحمدية عن غيرها من الأمم.
 - بدأ الاهتمام بالإسناد مبكراً، وازدهر وبلغ أشده في عصر التابعين.
 - يعدّ الإسناد أهم وسيلة لقبول الحديث ونقده، وبه يُعرف الحديث الصحيح من غيره.
 - وصلت عناية المحدثين بالإسناد أن اهتموا بسلاسل الأسانيد الضعيفة، إلى جانب اهتمامهم بالصحيحة.
 - اتجه المحدثون إلى التأليف في صورة مسانيد، مع بداية القرن الثالث، وهو ما يعدّ تطوراً في التأليف، ونضجاً في المستوى المنهجي والنقدي.
 - تعدّ الرحلة من أهم مظاهر عناية المحدثين بالإسناد.
 - كان للأحداث السياسية الدور البارز في زيادة اهتمام المحدثين بالإسناد.

المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم برواية قالون.

1. أدب الاملاء والاستملاء، لعبدالكريم بن محمد بن منصور أبو سعد التميمي السمعاني ت 562 هـ، تح: ماكس فايسفايلر (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1401 هـ - 1981 م) .

(¹) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي، أبو يعقوب، المعروف بابن راهويه المروزي، أحد الأئمة، جمع بين الفقه والحديث والورع والنقوى نزيل نيسابور، روى له: البخاري، مسلم وغيرهما، رتبته عند ابن حجر: ثقة حافظ مجتهد. ينظر ترجمته طبقات الشافعية الكبرى، لعبد الوهاب السبكي ت 771 هـ، تح: محمود محمد الطناحي (دار هجر، دم، ط: 2، 1413 هـ)، تهذيب التهذيب، لابن حجر 1 / 190 - 191 .

2. أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط:3، 1985 م).
3. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ت 463هـ، تح: علي البجاوي (دار الجيل، بيروت - لبنان، ط:1، 1412هـ - 1992 م).
4. ألفية العراقي المسماة ب: التبصرة والتذكرة في علوم الحديث، لزين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي ت 806هـ، تح: العربي الفرياطي، (مكتبة دار المنهاج، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط:2، 1428 هـ).
5. الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، لعياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، ت 544هـ، تح: السيد أحمد صقر(دار التراث، القاهرة - مصر، ط:1، 1379هـ - 1970م).
6. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني ت1250هـ، (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط:1، 1418هـ - 1998م).
7. بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي ت 599هـ (دار الكاتب العربي، القاهرة - مصر، د.ط، 1967 م).
8. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لأبي عبد الله محمد الذهبي ت 748هـ تح: بشار عوَّاد معروف (دار الغرب الإسلامي، دم، ط:1، 2003 م).
9. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ت 911هـ، تح: أبو قتيبة نظر الفاريابي (دار طيبة، الرياض - المملكة العربية السعودية، د.ط، د.ت).

10. تدوين السنة النبوية في القرنين الثاني والثالث للهجرة، لمحمد بن صادق بنكيران (مجمع الملك فهد، بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، د.ط ، د.ت) .
11. تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، لأبي ياسر محمد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني ت 1427هـ (دار الهجرة، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط:1، 1417هـ - 1996م)
12. تذكرة الحفاظ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت 748هـ (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1 ، 1419هـ - 1998م) .
13. تقريب التهذيب، لأحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ت 852هـ، محمد عوامة (دار الرشيد - سوريا، ط: 1، 1406هـ - 1986م).
14. تهذيب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (دار الفكر، بيروت - لبنان، ط:1، 1404هـ - 1984م) .
15. التوضيح الأبهري لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر، لأبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي ت 902هـ (مكتبة أضواء السلف، دم، ط:1، 1418هـ - 1998م) .
16. توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، لمحمد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعاني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، (المكتبة السلفية، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، د.ط، د.ت) .
17. الثقات، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تح: السيد شرف الدين أحمد (دار الفكر، بيروت - لبنان، ط:1 ، 1395هـ - 1975م).
18. جامع الأصول في أحاديث الرسول، لأبي السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الجزري ابن الأثير ت 606هـ، تح: عبد القادر الأرنبوط (مكتبة الحلواني- مكتبة دار البيان، دم، ط:1، 1389هـ - 1969م).
19. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي

- البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة، د.م، ط:1 ، 1422هـ).
20. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي ت 463هـ، تح: محمود الطحان (مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، د.ط.د.ت) .
21. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لعبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي الحنفي ت 775هـ (مير محمد كتب خانه، كراتشي - باكستان، د.ط، د.ت).
22. الرحلة في طلب الحديث، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، تح: نور الدين عتر (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط:1، 1395م).
23. السنة النبوية وحي من الله محفوظة كالقرآن الكريم، الحسين بن محمد سعيد، (مجمع الملك فهد، المملكة العربية السعودية ، د.ط، د.ت).
24. سنن ابن ماجة، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد ت 273هـ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي (دار إحياء الكتب العربية، د.م، د.ط، د.ت) .
25. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني ت 275هـ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد (المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، د.ط، د.ت) .
26. سير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ت 748هـ، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط (مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط:3، 1405 هـ - 1985 م).
27. شرح التبصرة والتذكرة، لعبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر العراقي ت 806هـ، تح: عبد اللطيف الهميم، ماهر فحل (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط:1، 1423 هـ - 2002 م).

28. شرح علل الترمذي، لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن البغدادي الحنبلي ت 795هـ، تح: الدكتور همام سعيد (مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، ط:1، 1407هـ - 1987م).
29. شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، علي بن سلطان محمد، الملا الهروي القاري ت 1014هـ، قدم له: أبو غدة، تح: محمد نزار تميم (دار الأرقم، لبنان - بيروت، د. ط، د.ت).
30. شرف أصحاب الحديث، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي ت 463هـ، تح: محمد سعيد خطي اوغلي (دار إحياء السنة النبوية، أنقرة - تركيا، د.ط، د.ت).
31. صحيح مسلم لأبي الحسين القشيري النيسابوري، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي (دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، د.ط، د.ت).
32. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة - مصر، د.ط، د.ت).
33. طبقات الحفاظ، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ت 911هـ (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط:1، 1403هـ).
34. طبقات الشافعية الكبرى، لعبد الوهاب بن تقي الدين السبكي ت 771هـ، تح: محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو (دار هجر، دم، ط:2، 1413هـ).
35. طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تح: الحافظ عبد العليم خان (عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط:1، 1407هـ).
36. الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري البغدادي المعروف بابن سعد ت 230هـ تح محمد عبد القادر عطا (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1، 1410هـ - 1990م).
37. طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأذنهوي، ت القرن 11هـ، من علماء القرن الحادي عشر، تح: سليمان بن صالح الخزي، (مكتبة العلوم والحكم، دم، ط:1، 1417هـ - 1997م).

38. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تح: زكريا علي يوسف (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د.ط، د.ت.
39. علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع، أبو ياسر محمد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني ت1427هـ (دار الهجرة، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1417هـ - 1996م).
40. عناية العلماء بالإسناد وعلم الجرح والتعديل وأثر ذلك في حفظ السنة النبوية، لصالح بن سعيد الرفاعي (مجمع الملك فهد، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، د.ط، د.ت) .
41. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي (دار المعرفة، بيروت - لبنان، د.ط، 1379م).
42. فتح المغيـث شرح ألفية الحديث، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي ت 902 هـ (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط:1، 1403هـ).
43. فوات الوفيات محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر ت: 764هـ، تح إحسان عباس (دار صادر، بيروت - لبنان، ط: 1، د.ت).
44. الكامل في ضعفاء الرجال، لعبد الله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبو أحمد الجرجاني ت 365 تح: يحيى مختار غزاوي (دار الفكر، بيروت - لبنان، 1409هـ - 1988 م) .
45. الكفاية في علم الرواية، لأحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي، تح: أبو عبدالله السورقي، إبراهيم حمدي المدني (المكتبة العلمية، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، د.ط، د.ت).
46. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي جمال الدين بن منظور الأنصاري الإفريقي ت711هـ، (دار صادر، بيروت - لبنان، ط:3، 1414 هـ).
47. مجموع الفتاوى، لأبي العباس أحمد بن عبد الحلـيم بن تـيمية الحراني ت 728هـ، تح: عبد الرحمن بن قاسم (مجمع الملك فهد، المدينة النبوية - المملكة العربية السعودية، 1416هـ - 1995م).

48. المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، لأبي محمد الحسن بن عبد الرحمن بن
خلاد الرامهرمزي الفارسي ت 360هـ، تح: محمد عجاج الخطيب (دار الفكر،
بيروت - لبنان، ط: 3، 1404هـ).
49. المستدرک علی الصحیحین، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري،
تح: مصطفى عبد القادر عطا (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 1،
1411هـ - 1990م).
50. معجم الأدياء لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت 626هـ،
تح: إحسان عباس (دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط: 1، 1414 هـ
- 1993 م) .
51. معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، عثمان بن عبد
الرحمن، المعروف بابن الصلاح ت 643هـ، تح: نور الدين عتر (دار الفكر
المعاصر، بيروت - لبنان، د.ط، 1406هـ - 1986م).
52. معرفة علوم الحديث، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تح:
السيد معظم حسين (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 2، 1397هـ -
1977م).
53. المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، لمحمد بن إبراهيم بن سعد الله
بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين ت 733هـ، تح: عبد الرحمن
رمضان (دار الفكر، دمشق - سوريا، ط: 2، 1406 هـ) 30 / 1.
54. موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، تح: محمد فؤاد عبد
الباقي (دار إحياء التراث العربي، مصر، د.ط، د.ت).
55. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لأحمد بن علي
بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ت: 852هـ، تح: نور الدين عتر
(مطبعة الصباح، دمشق - سوريا، ط: 3، 1421 هـ - 2000 م).
56. النكت على كتاب ابن الصلاح، لأحمد بن علي بن محمد بن حجر
العسقلاني ت 852هـ، تح: ربيع المدخلي (عمادة البحث العلمي بالجامعة
الإسلامية، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، د.ط، د.ت).

57. الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة ت
1403هـ (دار الفكر العربي، بيروت - لبنان، د.ط، د.ت).
58. اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، لمحمد المدعو بعبد الرؤوف بن
علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ت 1031هـ، تح المرتضي
الزين أحمد (مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط:1، 1999م
(.

البعد الفلسفي لمفهوم المجتمع المدني (هيجل⁽¹⁾ أنموذجاً)

د. فوزية محمد مراد

المقدمة

جاء الإسهام الغربي في تطوير فلسفة المجتمع المدني على يد الفيلسوف الألماني هيجل متمثلاً في تمييزه بين مكونات النظام الأخلاقي، بناء على لحظات الجدول الثلاث (الإثبات، والنفي، والمركب) وهي: الأسرة؛ وتمثل لحظة الإثبات، والمجتمع المدني؛ ويمثل لحظة النفي، والمركب منهما في الدولة؛ ويجعل على قمة هذه المؤسسات (الدولة)؛ فهي لا غنى عنها للأفراد في كلا الجانبين: الجانب الاجتماعي المتمثل في الأسرة التي تمد أفرادها بالعواطف والمشاعر الأخلاقية، والجانب السياسي الذي يتحقق عن طريقه المجتمع المدني.

وقد أخذت فلسفة هيجل منحى جديداً مثل منعطفاً تاريخياً لفكرة المجتمع المدني في علاقته بالاجتماع السياسي، عندما فصل بين المجتمع المدني، والدولة السياسية، ورفض استقلاليته عن الدولة؛ بسبب قصوره في تلبية البعدين: الأخلاقي، والسياسي، اللذين يتوفران في إطار الدولة، لهذا طبق المنهج الجدلي؛ لتبقى للدولة القيمة الأعلى التي تتحقق في إطارها الأهداف الاجتماعية والسياسية معاً.

مشكلة البحث:

1 - هيجل: فيلسوف ألماني [1770-1831] تناول في دراساته فلسفة التاريخ، وتاريخ الفلسفة، وفلسفة الدين ورأى أن الشيء المؤثر قبل كل شيء هو التطور الذي يجري على مر الزمن، معتبراً أن مبدأ التاريخ يؤلف وحدة، ويقوم على أساس عقلي مطلق. من أشهر مؤلفاته: ظواهر الروح، ومحاضرات في فلسفة التاريخ، والمبادئ العامة لفلسفة الحق، وعلم المنطق، ومحاضرات في علم الجمال. لمعرفة المزيد ينظر: معن زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، مج: الثالث، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط: الأولى، 1997، ص 664-666.

تتمثل مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما الذي نعيه بالمجتمع المدني؟ وما مدى ارتباطه بباقي مكونات النظام الأخلاقي (الأسرة والدولة)؟ وما نمط التجاذبات والرهانات التي يخفيها ذلك المفهوم؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن آراء الفيلسوف الغربي هيجل لمفهوم المجتمع المدني تتضمن النقاط الآتية:

1- وصف وتحليل مفهوم المجتمع المدني، مع الأخذ في الاعتبار المفهوم، والواقع، والأبعاد التي يسعى لتحقيقها.

2- توضيح قيمة التعاون بين الأفراد داخل الدولة الواحدة؛ ولما لهذه الشراكة من نتائج إيجابية تعود على الدولة القومية.

3- توضيح الترابط الوثيق بين مكونات النظام الأخلاقي، وأثره في تأسيس الدولة عند هيجل.

4- تقديم رؤية بديلة لمفهوم المجتمع المدني؛ تتماشى مع المجتمعات النامية وتكون صالحة لتطبيق في الوقت الراهن؛ باعتبار أن المجتمع المدني لا يختلف فقط من دولة إلى دولة، بل إنه يختلف أيضا من فترة زمنية إلى أخرى.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث في أنه يسعى إلى التعرف على آراء الفيلسوف الغربي هيجل في المجتمع المدني، وأثر هذه الآراء في الوقت الحاضر، وهل هذه الآراء تتوافق مع المجتمعات النامية في وقتنا الراهن.

منهج الدراسة:

لكي يتم تحقيق هدف هذه الدراسة لا بد من استخدام المنهج الوصفي التحليلي، المتمثل في وصف وتحليل المجتمع، حتى نتمكن من الإلمام بمفهوم

المجتمع المدني من مختلف جوانبه. وقد قسم البحث إلى أربعة مباحث بعد المقدمة ثم الخاتمة والتوصيات على النحو الآتي:

المبحث الأول: ماهية المجتمع المدني.

تشير الدراسات إلى عدم وجود تعريف متفق عليه لهذا المفهوم، ويرجع السبب في ذلك إلى تأثير العوامل البيئية المختلفة في كفاءة وفاعلية تنظيمات المجتمع المدني؛ ومع ذلك توجد العديد من التعريفات: الاجتماعية، والسياسية، والفلسفية، وغيرها لهذا المفهوم، وسنحاول في هذا المبحث توضيح أهم التعريفات الواردة في القواميس، والمعاجم، والكتب الفلسفية، وهي على النحو الآتي:

يشير مفهوم المجتمع المدني عند أندريه لالاند إلى: «حالة مجتمعية مقابل الحالة الطبيعية، وهي تنجم عند ج. ج. روسو ... عن عقد اجتماعي»⁽¹⁾.

وعرّفه بعضهم بأنه: «المجتمع كما تحكمه القوانين المدنية، وتظهر نوعية المجتمعات مما يحكمها من تشريعات تتظم الملكية، وعلاقات الإنتاج، وتوزيع الثروة في المجتمع، والعائد الاجتماعي، والأسرة كوحدة اجتماعية، والحياة اليومية للناس، ونشاطاتهم»⁽²⁾.

ويقول أرسطو في كتابه السياسة من الواضح أن: «كل المجتمعات ترمي إلى خير، وأن أخطرها شأنًا والحاوي كل ما دونه يسعى إلى أفضل الخيرات، وهذا المجتمع هو المسمى دولة أو مجتمعًا مدنيًا»⁽³⁾.

1 - أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ت: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط: الثانية، 2001، ج: الأول، ص 171.

2 - عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط: الثالثة، 2000، ص 744.

3 - جورج كتوره، السياسة عند أرسطو، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط: الأولى، 1987، ص 25.

ويرى جون لوك أن المجتمع المدني هو « مجتمع اختياري، غرضه المحافظة على حياة المرء، وحرية الطبيعية، وأملكه، ودفع عدوان الآخرين عنه»⁽¹⁾.

أما كارل ماركس فيرى أن المجتمع المدني هو: « شكل الأسرة في المجتمع، وتنظيمها، ونظام الملكى فيه، ونظام الطبقات التي يتألف منها المجتمع»⁽²⁾.

وفي النظرية السياسية يشير المجتمع المدني إلى: « المجتمع الذي يتشكل بناء على العقد الاجتماعي، وينظر إليه كإطار مقابل للإطار التنظيمي للدولة»⁽³⁾.

بالرغم من الاختلاف الظاهر في مجمل هذه التعريفات فإنه يوجد قاسم مشترك بينها جميعاً؛ وهو أن مفهوم المجتمع المدني يشير إلى حالة الاجتماع مقابل حالة الطبيعة⁽⁴⁾؛ وشكل الأسرة كوحدة اجتماعية داخل المجتمع وما تقوم به من أنشطة، وأدوار تتعلق بالإنتاج، وتوزيع الثروة، والمحافظة على الحرية، والملكية؛ باعتبارها المحور الأساسي في هذا المجتمع مقابل الإطار التنظيمي

1 - جون لوك، في الحكم المدني، ت: ماجد فخري، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت، 1959، ص: "ح".

2- عبد المنعم الحفني، مرجع سبق ذكره، ص744.

3- شارلوت سيمور- سميث، موسوعة علم الإنسان، ت: محمد الجوهري وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط: بدون، 1998، ص614.

4- « في حالة الطبيعة يسيطر على الفرد الأنانية الحيوانية، وفي حال الاجتماع تنتظم هذه الأنانية بالحق والقانون، لأن الفرد يدرك بعقله أن الآخرين نظرائه، وأن العقل والحرية الروحية (وهي مترادفات) خيرهم المشترك، فينخذ حرية أخيه الإنسان قانوناً لحرية هو أي حدًا لها، وهذا أصل التعاقد... أن الفرد ميال للأنانية وللشر، فهو عاجز بمفرده عن تحقيق المثل الأعلى الأخلاقي، فيجد المعونة في المجتمع الذي يحرره من نفسه ويوفر له وسائل العمل الصالح» لمعرفة المزيد ينظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار القلم، بيروت- لبنان، ط: بدون، ت: بدون، ص 280.

للدولة، بالإضافة لمؤسسات هذا المجتمع الممتثلة في: الجمعيات، والمنظمات وما تقوم به من أنشطة وخدمات إنسانية واجتماعية بدون أي عائد مريح.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل هذه التعريفات تتوافق أو تتقارب إلى حد ما مع وجهة نظر هيجل للمجتمع المدني أم إنها بعيدة عنه كل البعد؟

سيُبين لنا من خلال عرضنا لمكونات النظام الأخلاقي أن المجتمع المدني في الفكر الهيجلي مجتمع قائم على التنافس والصراع، وخلصه لا يتحقق إلا بوجود الدولة. وهذه الفكرة أضفت الصفة السلبية على مفهوم المجتمع المدني؛ مما أدى إلى زيادة التقديس للدولة، وفتح الطريق أمام الحركات، والفلسفات القومية التي تضع الدولة فوق الجميع.

المبحث الثاني: مكونات النظام الأخلاقي:

يعد كتاب (أصول فلسفة الحق) أول الأعمال التي قدمت تصورًا واضحًا لمفهوم المجتمع المدني؛ ففي هذا الكتاب بين هيجل أن الحياة الأخلاقية التي يعيشها الأفراد تنقسم إلى ثلاثة أقسام أساسية وهي: الأسرة، والمجتمع المدني، والدولة، وتتجسد هذه الأقسام في لحظات الجدال الثلاث: الإثبات، والنفي، والمركب. كما سبق وأن أشرنا. يقول هيجل : « المجتمع المدني ناتج تاريخي يتموضع بين مؤسستي العائلة، والدولة، الدولة التي تحتوي على اقتصاد السوق، وتضم الطبقات الاجتماعية، والجماعات المهنية، والمؤسسات المتعلقة بالإدارة التراتبية، وبالحقوق المدنية، فالمجتمع المدني فسيفساء تتشكل من أفراد، وطبقات،

وجماعات، ومؤسسات تنتظم كلها داخل القانون، وهذه الفسيفساء لا ترتبط بالنتيجة مباشرة بالدولة»⁽¹⁾ .

يوضح هيجل في هذا النص أن المجتمع المدني يتأرجح بين مؤسستي الأسرة، والدولة فالأسرة هي المصدر الذي يستمد منه العواطف، والمشاعر الأخلاقية، والدولة تضم جميع المؤسسات المتعلقة بالإدارة التراتبية، وبالحقوق المدنية، لهذا نرى هيجل يعطي للدولة القيمة الأسمى؛ ففي إطارها تتحقق الأهداف الاجتماعية والسياسية معاً.

ويرى هيجل أن « للروح الموضوعي مظاهر ثلاثة تقوم بإزاء المظاهر الذاتية الثلاثة، هي الحق، والواجب، والمؤسسات الاجتماعية التي هي الأسرة، والمجتمع المدني، والدولة»⁽²⁾.

وحسب ما يرى هيجل فإن الإنسان يبدأ أنانياً، والمجتمع هو من يهذب أنانيته عن طريق الحق والواجب، وعلى الأسرة يقع العبء الأكبر؛ فعلى أساسها يقوم المجتمع المدني، أما الدولة فهي غاية الأسرة، والمجتمع المدني في آن واحد، وهيجل هنا يقصد الدولة المثالية طبعاً، والغاية القصوى للدولة هي تحقيق الروح المطلق عن طريق بناء الفرد، وتنمية ملكاته المعرفية. ولكي يصل إلى الكمال لا بد له من تعميق وعيه الذاتي عن طريق الدين والفن.

1- عبد الباقي الهرماسي، المجتمع المدني والدولة في الممارسة السياسية الغربية من القرن التاسع عشر إلى اليوم: دراسة مقارنة، بحث مقدم إلى ندوة المجتمع المدني التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص92.

2- يوسف كرم، مرجع سبق ذكره، ص 280.

إن الأسرة، والمجتمع المدني، والدولة، كل مؤسسة لها دور تقوم به، وعن طريق تكاتفهم تنشأ الدولة المثالية التي يطمح هيجل لتحقيقها. فما مضمون هذه المؤسسات كل على حدة؟ وهل ثمة علاقة مشتركة بينها؟

1- الأسرة Family⁽¹⁾.

يعتبر هيجل الأسرة هي الأساس أو الفكرة الرئيسية "Thesis" التي يقوم على أساسها المجتمع المدني، والدولة؛ والأسرة هي عبارة عن « الطابع المباشر الذي يتخذه الروح الاجتماعي. فالأسرة تنطوي على لحظة طبيعية يعبر عنها انتساب الفرد إلى عمومية طبيعية ألا وهي "النوع" باعتباره صميم وجوده الجوهري، كما تعبر عنها العلاقة الجنسية القائمة بين الجنسين، وإن كان من شأن الإنسان أن يخلع على تلك العلاقة طابعاً روحياً حين يدخل عليها انسجام الحب، والعاطفة، والثقة المتبادلة»⁽²⁾.

وتمثل الأسرة اللحظة الأولى في النظام الأخلاقي الهيجلي، و تقوم على « مبدأ الحب، واتحاد القلوب union of hearts والتناغم بين أفرادها، إن

1 - يطلق لفظ الأسرة في الاصطلاح على « كل جماعة من الأفراد يعيشون معاً لمدة معينة من الزمن ، وترتبط بينهم علاقة زواج أو قرابة ورحم. ومن هنا جاء غموض هذا اللفظ الذي يكتسي بعداً طبيعياً وبعداً حضارياً في الوقت نفسه، إذ الزواج ليس مجرد مؤسسة اجتماعية؛ بل هو أيضاً علاقة جسدية وروحية طبيعية بين شخصين اثنين، والقرابة ليست فقط جملة من العلاقات والروابط الاجتماعية، بل هي كذلك علاقة دموية ورحمية. ومن هذا المنظور يبرز الدور الذي يلعبه مفهوم الأسرة في الفكر الفلسفي، بوصفه يشير إلى خلية طبيعية تشكل بداية انتقال الفرد من طور الطبيعة إلى طور الحضارة والتمدن. فالأسرة هي التي تساعد الفرد على الاندماج في المجتمع وعلى التعايش مع غيره من الناس الذين ليسوا من نسبه» لمعرفة المزيد ينظر: جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، ط: الأولى، 2004، ص40.

2- زكريا إبراهيم، هيجل أو المثالية المطلقة، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط: بدون، 1970، ص 316 .

الانسجام (الهارموني المدعم بالحب الخالص صفة جوهرية للأسرة الأبوية the patriarchal family)⁽¹⁾.

وينظر هيجل للأسرة على أنها: « وحدة محسوسة تقوم على الحب؛ فالفرد يوجد داخل الأسرة بصفته عضواً من أعضائها، وليس فقط بصفته فرداً؛ وتكون نهاية الأسرة بالانحلال (إذ يهجرها الأطفال) وعلى إثر هذا الانحلال يوجد الأفراد بصفتهم أشخاصاً مستقلين بذواتهم، أي بصفتهم عناصر من المجتمع»⁽²⁾ ، و يصفها بأنها « "الجزر الأخلاقي للدولة"⁽³⁾. ويعتبرها « وحدة مباشرة وغير منعكسة، وأعضاؤها يفهمون أنفسهم كـ"أعراض" وليس كأفراد متنافسين يربطون معاً بواسطة عقد، ويتمثل هذا المعنى بشكل مكثف في المرأة التي هي موجهة بواسطة الحس والشعور؛ ولذلك فهي مقدر لها الحب والزواج»⁽⁴⁾.

يوضح هيجل في هذه النصوص أن المؤسسة الاجتماعية الأولى الأسرة تمثل الرابطة الزوجية التي تقوم في الزواج وإنجاب الأطفال، وهي بالأساس رابطة اجتماعية تسمو على أن تكون مجرد علاقة جنسية أو حب رومانتيكي؛ فلا يعتبر الزواج مجرد أمر عاطفي فحسب؛ وإنما هو واجب مقدس يعقد من أجل المجتمع والدولة؛ لهذا يرى هيجل أنه من المفترض ألا يسمح به إلا في الحالات النادرة، وتحت رعاية القانون.

1- محمد عثمان الخشت، المجتمع المدني عند هيجل، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط: الأولى، 2002، ص 26.

2- جلال الدين سعيد، مرجع سبق ذكره، ص 41.

G.W.F. Hegel, Philosophy of Right, Translated by: T.M. Knox, London, Oxford, University Press, 1962, p396.

4- Ibid, p313.

ويتم الانتقال في العلاقة الزوجية من الأسرة البيولوجية (أو الحيوانية) إلى الأسرة البشرية (أو الإنسانية) ⁽¹⁾ أي: أن الأسرة اكتسبت طابعاً بشرياً أو إنسانياً. وتنتج الأسرة عندما تتجاوز مرحلة العلاقة الجنسية، وتكوين الرابطة الاجتماعية إلى البحث عن ملكية ثروة من الثروات، أو العمل من أجل الحصول على الملكية الجماعية التي يحق لكل فرد داخل الأسرة استخدامها لا امتلاكها، فلا يوجد ما يسمى بالملكية الفردية لأفراد الأسرة، وإنما رب الأسرة هو المالك الوحيد لهذه الثروات؛ أي إنها ملكية عائلية.

ويبين هيجل أن الأسرة « لا تظل على حالها من الوحدة والانسجام، بل تتفكك إلى أفراد مستقلين يكون كل منهم أسرة جديدة، وعندما يخرج الأفراد من الأسرة إلى دائرة الحياة الاقتصادية وتظهر الملكية الخاصة، يظهر الاختلاف والتنوع؛ حيث صراع الحاجات والمصالح الأنانية بين الشخصيات الجزئية المتناحرة، وفي الوقت نفسه يظهر نظام تبادل الحاجات، وهذا هو المجتمع المدني» ⁽²⁾ .

¹ - تحول مفهوم الأسرة في المجتمعات المعاصرة من مفهوم الأسرة الأبوية حيث الأفراد يلتقون حول شخص الأب ويخضعون لسلطته إلى أسر زوجية متحررة باعتبار أن سلطة الأب لم تعد سلطة مطلقة ، إذ أصبح الأبناء يتمتعون بحرية إبداء الرأي والنقاش والاستقلال بأنفسهم حال بلوغهم سن الرشد. وإذا كانت هذه النزعة التحريرية "الديمقراطية" هي من مزايا الأسرة الزوجية المعاصرة ، فهي قد تخفي تفككا متزايدا للروابط العائلية لا يخلو من الأنانية، مما يجعل كل شخص لا يهتم بسوى أسرته الصغيرة ولا يعبأ البتة بأنسابه وأقاربه، على خلاف الأسرة الأبوية التي تقوم على التعاضد والتآلف والمودة. لمعرفة المزيد ينظر: جلال الدين سعيد، مرجع سبق ذكره، ص 40، 41.

2- محمد عثمان الخشت، مرجع سبق ذكره، ص 27.

إذن يحدث النزاع والتفكك داخل الأسرة بموت رب الأسرة، وبتقسيم الميراث⁽¹⁾ تتفكك الأسرة الواحدة إلى عدّة أسر أو أفراد؛ كل فرد يكون أسرة مستقلة عن الأسر الأخرى، وهنا تتكون لدينا مجموعة من الأسر التي بدورها تكوّن في مجملها المجتمع، وتنشأ المؤسسة الاجتماعية الثانية وهي المجتمع المدني.

2- المجتمع المدني⁽²⁾: Civic Society

يعتبر المجتمع المدني اللحظة الثانية أو الخطوة الثانية في مكونات النظام الأخلاقي عند هيجل وهو مجتمع الصراع، والنزاع، والأنانية، كل فرد فيه يسعى لتحقيق حاجاته وغاياته الشخصية.

يقول هيجل : إن « المبدأ الذي يرتكز عليه المجتمع المدني هو الفرد الجزئي ، أعني أننا في هذا المجتمع علينا أن ندرس مجتمعاً يتألف من أعضاء يتمسك كل منهم بنظرته الذاتية للأمور ، ويعمل أساساً لإشباع غاياته الجزئية الخاصة»⁽³⁾ .

هذا المجتمع الذي يقوم على الفرد الجزئي يسوده الصراع، والنزاع من أجل الحصول على الملكية الفردية؛ فالكل يسعى من أجل إشباع حاجاته ورغباته، و

1- يقول إتيان راي: «نسمي أسرة مجموعة من الأفراد يوحد بينهم الدّم ويفرق بينهم المال» ينظر: جلال الدين سعيد، مرجع سبق ذكره، ص41.

2- يقول أنوود: « إن هيجل لم يسبقه مفكر آخر ميّز بمثل هذا الوضوح بين المجتمع المدني والدولة؛ فـ" تعبير أرسطو "الاقتصاد السياسي" ، وتوابعه Civitas المواطنة، و Respublica الدولة. وتعبير توما الأكويني "المجتمع المدني" أو "السياسي"، وعبارة لوك" المجتمع المدني أو السياسي" - تشير إلى الدولة السياسية ولا تضع تفرقة أو تمييزاً بين كلمتي "السياسي" و "المدني" « لمعرفة المزيد ينظر: ميخائيل أنورد، معجم مصطلحات هيجل، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط:بدون، ص113.

Hugh A. Reyburn: The Ethical Theory of Hegel, London, Oxford, University Press, 1921, p215.

تحقيق أهدافه الشخصية. فهم على حد تعبير هيجل: ينشطون، ويعملون، وينتجون، ويتبادلون أعمالهم وإنتاجهم في إطار السوق من أجل تحقيق هذا الإشباع، وهنا تسود الأنانية وحب الذات بين أفراد المجتمع الواحد.

يقول جارودي: « إن تفتت العائلة إلى أشخاص خاصين مستقلين يقودنا إلى لحظة جديدة في تحقق الحرية، اللحظة التي يدعوها هيجل المجتمع المدني، أي مجمل الأفراد المشتركين في الحياة الاقتصادية في نظام المزاحمة الرأسمالي»⁽¹⁾.

إن يمثل المجتمع المدني مرحلة من مراحل تطور الروح المطلق، وهو حسب تصور هيجل يتكون من مجموعة أسر؛ ولكنه ليس صناعاتها، ويسعى بدوره إلى حماية حقوق ومصالح الأفراد السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والقانونية ومصالحها داخل هذا المجتمع. وكما سبق وأن أشرنا في حديثنا عن مفهوم الأسرة؛ فإنه بمجرد تفتتها وانقسامها تتحقق الحرية⁽²⁾ للأفرادها، ويصبح في إمكان أي فرد أن يستقل عن باقي أفراد أسرته، وتسمى هذه اللحظة بـ(لحظة الفردي)⁽³⁾، لأن الفرد والفردي هما حقيقته الأولى. وهذه اللحظة يدعوها هيجل (المجتمع المدني).

1- روجيه جارودي، فكر هيجل، ترجمة: إلياس مرقص، دار الحقيقة، بيروت، ط:بدون، 1983، ص140.

2 - الحرية عند هيجل» هي أن يتعرف الفرد على نفسه في الأفعال التي يقوم بتحقيقها وأن يجدها حقاً أفعاله، وأن يجد أنه كان من بين اهتماماته حقاً أن يصل إلى النتيجة التي وصل إليها» ينظر: إمام عبد الفتاح إمام، دراسات في الفلسفة السياسية عند هيجل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط:بدون، 1993، ص98.

3 - الفردي: (Individual) ويقال أيضاً الفرديّة- العامل الثالث من العوامل الثلاثة التي تتكون منها الفكرة الشاملة بما هي كذلك. ينظر: إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط:بدون، 1971، ص421.

ومما يستحق الذكر أن خصوصية الإرادة(حق الملكية)، وبقاء الفرد ووجوده مرتبط ببقاء المجتمع والأفراد الآخرين ووجودهم، فالفرد حر داخل المجتمع في إشباع حاجاته، وفي الوقت نفسه مرتبط بالآخرين داخل المجتمع الواحد، فالإرادة الكلية حق معترف به؛ لأن القضاء يضمن حمايته، والمحافظة عليه، لهذا يصبح الحق قانوناً، وبالتالي يصبح نقيضاً للأناية والفردية، وتنفك وحدة الكلي، والجزئي، والخاص، والعام داخل المجتمع المدني، وتسود الأناية ويبث الصراع والنزاع بين أفراد.

ومن هنا « تتجلى الدولة كأساس حقيقي أو عقلي للمجتمع المدني، وفي داخلها تتطور الأسرة كما يتطور المجتمع، وفي التطور تحقق الدولة غايتها وتصبح روحاً واقعية متحققة بالفعل في القوانين، والمؤسسات في دستور الدولة»⁽¹⁾

صفوة القول: عندما يسود المجتمع المدني الصراع والنزاع، يصبح غير مستقر unstable ويستدعي الأمر إعادة استقراره، بالبحث عن كيان آخر أعلى منه يعيد إليه استقراره، وهذا الكيان هو: « الدولة التي تشكل اللحظة الثالثة، وهي لحظة جديدة تُولف وتركب synthesizes بين العناصر المتضاربة the conflicting elements للمجتمع المدني. وهي تتجاوز Aufheben⁽²⁾ المجتمع المدني، لكن هذا التجاوز لا يعني الإلغاء المطلق، بل هو تجاوز ينطوي على إلغاء واحتفاظ في

1- فريال خليفة، نقد فلسفة هيجل، دار قباء للنشر والطباعة، القاهرة، ط:بدون، 1998، ص243.

2-(يرفع، أو يجاوز) بالألمانية:(Aufheben) وبالإنجليزية: (Transcend Cancel) مصطلح من أهم المصطلحات الهيجلية وأكثرها شيوعاً، وهو يعنى: يلغي ويحتفظ في وقت واحد، وهذا النشاط المزدوج هو خاصية الضلع الثالث ، فهو يلغي الاختلاف والتناقض بين الضلعين السابقين ويحتفظ بهما في وقت واحد إدراك مباشر خص باليقين الحسي. وهو الإدراك الذي يخلو من كل تصور. ينظر: إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل، مرجع سبق ذكره، ص418.

الوقت نفسه، هو إلغاء لأنه ينفي التناقض بين العناصر، وهو احتفاظ لأنه يحفظ العناصر نفسها، ويؤلف بين القضية ونفيها في وحدة مركبة»⁽¹⁾.

و يكمن الفرق بين الدولة والمجتمع المدني في: «الغايات النهائية لأنشطتهما وليس في الطابع الذي يميز كلا منهما؛ فالأنشطة في السياق المدني إنما تهدف إلى إشباع حاجات، وحقوق الأفراد، والجماعات وحمائتها، بينما الأنشطة في المجال السياسي تهدف إلى تحقيق مصالح عامة وكلية للمجتمع»⁽²⁾.

3- الدولة.Stets

يبحث هيجل عن مفهوم الدولة في الجانب الذي يتناول الحياة الأخلاقية بعد الأسرة والمجتمع المدني، فإذا كانت (الأسرة والمجتمع المدني) مجرد لحظات في النظام الأخلاقي، فإن الدولة هي من تمثل جميع هذه اللحظات، ومجالات النشاط السياسي؛ فالدولة تنتمي إلى مجال الروح الموضوعية، أي الروح المتمثلة في النظم الاجتماعية، وهذا الجانب هو الأساس الذي ينمو عليه (الفن والدين والفلسفة)⁽³⁾.

ويقدم هيجل لمفهوم الدولة عدّة تعريفات منها: «الدولة هي الحرية في أكثر صورها عينية، هي الروح بوصفها إرادة جوهرية في ذاتها ولذاتها، هي تحقق

1- محمد عثمان الخشت، مرجع سبق ذكره، ص 28، 29.

2-G.W.F. Hegel, Philosophy of Right, p145.

³ - « إن دين الدولة أي دولة هو الذي يحدد دستورها ونظمها السياسية كما ينعكس ذلك على الفن والفلسفة ولهذا "فالدستور السياسي المعين لا يمكن أن يوجد إلا مرتبطاً بدين معين، تماماً كما أنه في الدولة المعينة لا يمكن أن توجد إلا فلسفة معينة أو نوع معين من الفن» مصطفى النشار، فلاسفة أيقظوا العالم، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط:الثالثة، 1998، ص 310، 311. 145

الفكرة المطلقة الأخلاقية، هي العقلي في ذاته ولذاته، هي الفكرة المطلقة للحرية من حيث هي خير حي، هي مفهوم الحرية وقد تطور وأصبح عالمًا واقعيًا»⁽¹⁾ .

أو هي الدولة بتعبير آخر « المجال الذي تتم فيه التضحية بالمصالح الفردية من أجل المصلحة الكلية؛ فهي قومية في جوهرها، إنها كيان واحد يعبر عن الأمة، تجتمع فيه اللغة والدين والأخلاق والفكر»⁽²⁾ .

ويرى برتداندسرل أن الدولة عند هيجل هي « تجسد الحرية العقلية، محققة لذاته، ومقررة بذاتها في صورة موضوعية... إن الدولة هي فكرة الروح في الإفصاح الخارجي للإرادة الإنسانية والحرية الإنسانية»⁽³⁾ .

وفي فلسفة التاريخ يقول هيجل: « الدولة هي الفكرة الإلهية كما توجد على الأرض.. فيها تبلغ الحرية مرتبة الموضوعية؛ لأن القانون هو موضوعية الروح، هو الإرادة في صورتها الحقيقية، والإرادة التي تطيع القانون وتخضع له هي وحدها الإرادة الحرة؛ لأنها تطيع نفسها، وتخضع لذاتها، إنها مستقلة، ولهذا حرة وحين تشكل الدولة مجتمعًا، وحين تخضع إرادة الإنسان الذاتية للقوانين يتلاشى التعارض بين الحرية والضرورة، فالعقلي له وجود ضروري، بوصفه حقيقة الأشياء وجوهرها، ونحن نكون أحرارًا حين نعترف به كقانون، وإذا اتبعناه بوصفه جوهر وجودنا،

1- فريال خليفة، مرجع سبق ذكره، ص 247.

2- البكاي ولد عبد المالك، ندوة المجتمع المدني، المجتمع المدني، الدولة والسوق " دراسة تحليلية للتطور التاريخي لمفهوم المجتمع المدني"، مجلة دراسات، العدد: الرابع والعشرون، ص 75.

3- برتداندسرل، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة: محمد فتحي الشنطي، مج: الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط: بدون، 2011، ص 314 .

حينئذ يتم التوفيق بين الإرادة الذاتية، والإرادة الموضوعية، وتكونان كلاً متجانساً واحداً»⁽¹⁾.

يتبين من التعريفات السابق عرضها أن هيجل يعارض الفردية الحديثة التي ترى أن الفرد موجود قائم بذاته؛ فالدولة في نظره تمثل وحدة الكلي والجزئي، وحدة الضرورة والحرية، وحدة الحق والواجب؛ وهذه الوحدة غايتها القصى تحقيق الحرية، في مقابل حق الأفراد الذي من أهم واجباتهم هو أن يكونوا أعضاء في الدولة؛ فالفرد هو من يمثل الدولة بوصفها ماهيته، والغاية التي أنشئت من أجله، ونتاجاً لفاعليته، وحرية الجوهرية؛ إنها التحقق العيني للحرية، و الحرية الفردية لا تتحقق بالشكل الأمثل إلا باندماج المصلحة الخاصة بالمصلحة العامة، أي مصلحة الأفراد بمصلحة الدولة، ومعرفتها لوحدة الكلي؛ باعتبار هو غايتها التي تسعى إليها، وهذا هو مبدأ الدولة الحديثة من وجهة نظر هيجل.

ومما يستحق الذكر أن الدولة ومؤسساتها لا تعني تحقق « العاطفة والمشاعر الأخلاقية التي توجد في إطار الأسرة، ولكنها تعني وجود علاقات اجتماعية وسياسية متداخلة يتمكن الأفراد من خلالها من تلبية حاجاتهم المادية والمعنوية معاً، ولذلك فإن الأفراد يحققون الجوانب العاطفية والمعنوية والمادية والأمنية في إطار الدولة»⁽²⁾.

فغاية الدولة تسمو على الغايات الأسرية، وغايات المجتمع المدني؛ إذ أنها تسعى إلى تكوين علاقات اجتماعية، وسياسية، وأمنية مترابطة يمكن من خلالها

. Hegel, The Philosophy of History, Translated by:J. Sibree, Dover, 1-Publications, INC,New York, 1965,p39.

2 - George H. Sabine and Thomas L. Thorson, A History of Political Theory. (Hinsdale, Ill: Dryden Press, 1973), pp598,602.

إشباع رغبات أفرادها المادية، والمعنوية منها، وبالنتيجة تتحقق جميع الغايات لكل الأفراد في ظل الدولة.

صفوة القول: يرى هيجل أن « الأسرة والمجتمع المدني والدولة وشروطها إذا روعيت برزت أمام الفرد واجبات ضرورية؛ وهذا صحيح كل الصحة، وهذا أساس النظام والرقي الخلقي في حين أن الفردية مصدر فوضى وانحطاط. ولكن هيجل لا يرجع بنظامه إلى مبدأ أعلى يتجلى في العقل؛ بل يقدر الواقع فيخضع الفرد للدولة إخضاعاً تاماً. »⁽¹⁾.

أي إنه توجد شروط ومعايير في النظام الأخلاقي، إذا أخذت بعين الاعتبار اتضحت أمام الأفراد الواجبات التي يجب عليهم القيام بها، وهذا بدوره هو من يحقق النظام والاتحاد داخل الدولة، والعكس صحيح؛ فإذا لم تراخ هذه الشروط والضوابط، سادت الفردية، والأنانية، وأدى ذلك إلى الفوضى، و بالنتيجة أفول الدولة، إلا أن هيجل يضع ضوابط محكمة فيمنع الأفراد من الانتقاد والإصلاح، ويخضعهم تحت سلطة القانون. وبما أن نشأة الدولة ناتجة عن قصور في المجتمع المدني؛ لأن متناقضاته الكامنة فيه تحول بينه وبين وحدته وحرية الحقيقة، لهذا يجعل هيجل الأفراد و المجتمع المدني تحت ظل الدولة المتمتعة بالاستقلال الذاتي.

وبعد عرضنا لمكونات النظام الأخلاقي عند هيجل، ننتقل للحديث عن أهم المبادئ الأساسية التي يقوم عليها المجتمع المدني عنده ، وأهم اللحظات التي يمثلها.

المبحث الثالث: مبادئ المجتمع المدني عند هيجل.

1- يوسف كرم، مرجع سبق ذكره، ص282.

يقوم المجتمع المدني عند هيجل على مبدأين رئيسيين هما: « الشخص الجزئي الذي يسعى إلى إشباع حاجاته. والثاني: الارتباط الضروري بين هذه الشخصيات الجزئية؛ لأن كلاً منهما يجد نفسه معتمداً على الآخرين في عملية الإشباع هذه»⁽¹⁾. فما المقصود بهذين المبدأين كلٌّ على حدة؟

المبدأ الأول: الذاتية الأنانية

يسود هذا المبدأ عندما تتفكك وتتحل الأسرة، ويصبح الأفراد مستقلين؛ إذ يسعى كل فرد إلى تحقيق هدفه الأساسي وهو: إشباع حاجاته وغاياته الذاتية، فتحركه الضرورة المادية ويحكمه الهوى الشخصي، وهنا تسود الأنانية.

يقول هيجل: « الشخص العيني الذي هو نفسه موضوع غاياته الجزئية: هو - بوصفه مجموعة الحاجات، ومزيجاً من الهوى والضرورة الفيزيقية- المبدأ الأول في المجتمع المدني»⁽²⁾.

عندما يصبح الفرد عبداً لحاجاته المادية تسود الأنانية في المجتمع المدني، وفي هذه اللحظة يفقد الفرد شخصيته كمواطن داخل الدولة، بالرغم من إلحاح الدولة على ضرورة المحافظة على شكله القانوني، ويترتب على ذلك اتجاه كل فرد إلى تحقيق « مصالحه الذاتية وحدها بهدف الحصول عليها وتميئها بدلا من النظر إلى نفسه كعضو في مجتمع عضوي متماسك. وكانت النتيجة الحتمية لاستلاب الفرد ولضياح حريته الفردية واقتصار الدولة على أن تنظر إليه فقط من ناحية كيانه الشكلي في الوقت الذي بادلها هو من ناحيته أيضاً بأن انكفاً على

1- هيجل، أصول فلسفة الحق، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط:بدون، 1996، ص431.

2- إمام عبد الفتاح إمام، دراسات في الفلسفة السياسية عند هيجل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط:بدون، 1993، ص130.

مصالحه الشخصية وتوقف عن كونه مواطناً في مجتمع عضوي وازداد بهذا اغترابه عن نفسه»⁽¹⁾ .

يتضح من هذا النص أن هيجل يؤكد على ضرورة اندماج الفرد داخل الدولة كعضو رئيس في كل عضوي، محاولاً بذلك تجاوز النزعة الفردية للوصول إلى أن الدولة تمثل التجسيد الحقيقي للمثل الأعلى الأخلاقي، ومهمتها الأساسية تكمن في تحرير الإنسان من حالة الاغتراب الذاتي، ومحاولة الوصول به إلى درجة من درجات امتلاك الذات.

فالدولة كما يرى برتراند رسل تمثل واقع الفكرة الأخلاقية، فهي وجدت فقط لتحقيق مصالح الأفراد، فلهذا من حق الفرد: «أن يكون، وألا يكون عضواً في الدولة. ولها مع ذلك، علاقة مختلفة تماماً بالفرد، فما دامت هي روحاً موضوعياً، فللفرد فقط موضوعية، وحقيقية، وأخلاقية، ما دام عضواً في الدولة التي مقنعها الحقيقي وهدفها الاتحاد من حيث هو كذلك»⁽²⁾ .

يؤكد برتراند رسل في هذا النص أن الدولة وجدت من أجل تحقيق مصالح الأفراد ، ويوضح أنه بإمكان الأفراد؛ باعتبارهم أعضاء في الدولة الانخراط فيها أو تجنب ذلك، وهذا متوقف في نظره على مدى رغبة الفرد في تحقيق الاتحاد، أو اندماج المصلحة الخاصة بالمصلحة العامة داخل الدولة من عدمه كما سبق وأن أشرنا .

صفوة القول: يمثل المبدأ الأول عند هيجل لحظة الانقسام والانفصال؛ لأنه يفصل بين أفراد المجتمع الواحد كل حسب حاجاته الشخصية، فتسود الفردية والأناانية داخل المجتمع. «ويبلغ الانقسام داخل المجتمع المدني حداً يصبح فيه

1- يحيى هويدي، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: بدون، 1993، ص 98، 99.

2- برتراند رسل، مصدر سبق ذكره، ص 314.

هذا المجتمع وكأنه ساحة قتال متواصل؛ حيث إن المصلحة الخاصة غالباً تقابل مصلحة خاصة أخرى»⁽¹⁾.

المبدأ الثاني: التبادلية.

هنا لا يظل الفرد منفصلاً عن الآخرين؛ بل يحدث تقاطع بينه وبين بقية أفراد المجتمع في أثناء تلبيةه لحاجاته، فتنشأ علاقات تبادلية بين الأفراد؛ حيث يدرك الفرد أن تحقيق حاجاته الأنانية لن تشبع إلا عبر التبادلية، والتداخل مع الأفراد الآخرين.

يقول هيجل: « هذا الشخص الجزئي يرتبط بالضرورة بغيره من الشخصيات الجزئية الأخرى ، حتى أن كلا منهم يقيم ذاته ويشبعها عن طريق الآخرين، وهذا هو - عن طريق صورة الكلية- المبدأ الثاني في هذا المجتمع»⁽²⁾.

يوضح هيجل في هذا النص الغامض أن كل فرد يسعى إلى تحقيق غاياته الجزئية أو الفردية ، ولكن في هذا السعي تتحول الجزئية إلى كلية وتنشأ علاقات تبادلية، ويكتشف الفرد أنه لا يستطيع تحقيق غاياته الكلية إلا عن طريق اختلاطه بغيره من الأفراد، ومن ثمَّ « ينشأ اعتماد متبادل مطلق بين الكل على الكل، فكل واحد يستخدم الآخرين جميعاً على أنهم وسائل لإشباع مطالبه، وحالة الاعتماد المتبادل هذه؛ أي: اعتماد الشخصيات المستقلة بعضهم على بعض هي ما يسميه هيجل بالمجتمع المدني»⁽³⁾.

1- محمد عثمان الخشب، مرجع سبق ذكره، ص31.

2- هيجل، أصول فلسفة الحق، مصدر سبق ذكره، 1996، ص431.

3- ولتر ستيس، فلسفة هيجل، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط: الثانية، 1978، ص577 .

وبالرغم من كل ذلك، إذا كان المبدأ الأول يمثل لحظة انشطار الأفراد وانقسامهم فيما بينهم فإن المبدأ الثاني يمثل لحظة اتصال، واجتماع، ويمكننا - بناء على ذلك - الخروج بخلاصة مفادها: أن المجتمع المدني يمثل لحظة انفصال واتصال في آن واحد، وهذا بدوره يعكس التناقض الذي يقوم عليه المجتمع المدني عند هيجل.

المبحث الرابع: المجتمع المدني رؤية بديلة .

قدّمت عدّة تعريفات لمفهوم المجتمع المدني، سواء أكانت من قبل علماء الاجتماع والسياسة والاقتصاد، أم كانت من قبل فلاسفة السياسة والمجتمع، من أمثال جون لوك، وروسو، وكارل ماركس، و غرامشي، وغيرهم؛ أي: أنه ليس التصور الذي قدمه هيجل هو التصور الوحيد لهذا المفهوم؛ فقد تعدّدت التعريفات بحكم التطورات المجتمعية، وزيادة موجات المد الديمقراطي، والسؤال هنا هو: هل آراء الفيلسوف الغربي هيجل في المجتمع المدني، يمكن أن تنطبق أو تتوافق إلى حدّ ما مع المجتمعات النامية في الوقت الراهن؟

بما أن المجتمع الإنساني في تغير وتطور مستمر، فإن تصور هيجل لمفهوم المجتمع المدني إذا كان مرآة لعصره، فإنه لا يصح أن يكون مرآة لعصرنا الحالي؛ وذلك لأن ظروف عصره تختلف عن ظروف عصرنا، هذا العصر الذي تم فيه تجربة جميع الحلول، وأثبت فشلها جميعاً يقدم المجتمع المدني نفسه حلاً لجميع هذه المحاولات.

و المجتمع المدني المقصود هنا ليس المجتمع كما تصوره هيجل؛ بل المجتمع المدني باعتباره نظاماً أيديولوجياً ومنهجاً قائماً على بث روح التعاون، والعمل الجماعي المشترك الذي لا يستهدف الربح، لكن المجتمع المدني بالصفة التي ذكرت سابقاً يتضمن العديد من المعاني و الدلالات المختلفة، فما الذي نعنيه بالمجتمع المدني؟ وما أهم المؤسسات التي من المفترض أن تندرج تحته؟

1- معنى المجتمع المدني.

لا يوجد تعريف واحد متفق عليه للمجتمع المدني، إلا أنه من أهم ما عُرف به هذا المفهوم: « هو مجتمع مفتوح حر ومنظم بشكل ذاتي، وليس بشكل خارجي أو قهري، ويمثل المساحة الحرة، والمنظمة بين الأسرة والدولة والقضاء، فهو أقل عمومية من المجتمع العام، ويربط بين الناس بروابط ثقافية، أو اجتماعية، أو مهنية، أو سياسية، أو اقتصادية، أو أية رابطة مدنية أخرى تقوم على العمل التطوعي، والإرادة الحرة، والقيمة الأساسية التي تحكم المجتمع المدني هي المصالح المستتيرة المشتركة»⁽¹⁾.

وهناك أيضًا التعريف الذي قدمه محمد عابد الجابري قائلاً « المجتمع الديمقراطي الذي تتوفر فيه حقوق المواطن والتعددية واستقلال القضاء»⁽²⁾.

ويعرّف بأنه « أحد المكونات الرئيسة لأي مجتمع ديمقراطي، ومن ضمن آلياته: المؤسسات، والجمعيات؛ حيث يطلق مصطلح الجمعيات، والمنظمات، أو المؤسسات الأهلية والتي تعمل طوعياً في مجالات خدمية إنسانية، واجتماعية، أو تنمية أو تربية، ولا تستهدف الربح، بأنها مؤسسات، ومنظمات غير حكومية»⁽³⁾.

تبدو التعريفات السابقة منسجمة وقريبة إلى حد ما من المعنى الشائع في الوقت الحاضر؛ فالمجتمع المدني مجتمع مفتوح حر تعاوني شامل يضم الأسرة، والدولة، والقضاء، إلا أنه أقل عمومية من المجتمع العام، يمارس فيه الأفراد حريتهم بمحض إرادتهم، لارتباطهم بروابط ثقافية، أو اجتماعية، أو مهنية، أو سياسية، أو اقتصادية، ويتبادلون العلاقات فيما بينهم رغم اختلافهم، باعتبارهم

1 - محمد عثمان الخشت، مرجع سبق ذكره، 156ص.

2 - مجلة المستقبل العربي، تصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد: 197، ص5.

3 - مختار محمد سالم، الدور الخدمي والتوعوي للجمعيات والمؤسسات المدنية "جمعية ترهونة للعلوم والثقافة أنموذجاً"، مجلة الدراسات الاجتماعية، العدد: الثالث، 2014، ص37.

متساوين في تحقيق الحاجات، ويتجمعون بأشكال مختلفة للتعريف بحقوقهم،
وللإسهام في إعداد المصلحة العامة فهي هدفهم المشترك

ومن الجدير بالذكر أن مفهوم المجتمع المدني يختلف عن مفهوم الأسرة
والدولة؛ فالأسرة أو القبيلة تقوم على روابط غير تطوعية، ولا تقوم على الإرادة
الحرّة؛ بل تقوم على روابط الدم أو رابطة الميلاد، لهذا لا يمكن اعتبارها مؤسسة
من مؤسسات المجتمع المدني» فالرابطة التي تخضع لها المجموعات العرقية
صغيرة كانت أو كبيرة غير الرابطة التي يخضع لها المجتمع المدني، والقيمة التي
تحكم إحداها لا تحكم الأخرى»⁽¹⁾. أما فيما يخص الدولة بمعناها الضيق
فوظيفتها تكمن في حماية الأمن الداخلي والخارجي للدولة، عن طريق القانون،
وتجعل الهدف الأساسي والأولي لها هو حماية حريات الأفراد، والدفاع عنهم ضد
أي أضرار قد تلحق بهم والمحافظة عليهم من الجرائم التي تحدث داخل الدولة
وصيانة حقوقهم وحمايتهم من الاعتداء .

2- مؤسسات المجتمع المدني.

تشمل مؤسسات المجتمع المدني، المؤسسات « السياسية، والاقتصادية،
والاجتماعية، والثقافية، التي في استقلال عن سلطة الدولة لتحقيق أغراض متعددة،
كالمشاركة في صنع القرار السياسي على المستوى الوطني عبر الأحزاب السياسية
والدفاع عن مصالح العمل النقابي والمساهمة في العمل الاجتماعي والتنمية إلى
جانب نشر الوعي الثقافي»⁽²⁾.

أي إنها تشمل جميع المؤسسات غير الحكومية، ويكون الانضمام فيها
قائماً على الإرادة الحرّة، لا بشكل خارجي أو قهري، وتضم كلاً من : منظمات

1 - محمد عثمان الخشت، مرجع سبق ذكره، ص157.

2 - هذا التعريف تبنته ندوة "المجتمع المدني " التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، ببيروت،
1992.

حقوق الإنسان، والجمعيات الخيرية بجميع أنواعها، وجميع النقابات، والاتحادات التعاونية والاتحادات الطلابية، باعتبارها ذات صبغة نقابية، وجميع المؤسسات الدينية القائمة على الإرادة الحرة، تنضم لمؤسسات المجتمع المدني، إذا كان هدفها الحقيقي السعي إلى فعل الخير وخدمة الناس عبر الجمعيات الخيرية بأنواعها أو عبر منح المعونات المادية للمحتاجين دون التمييز بين المستفيدين على أساس الدين أو الملة . أما المؤسسات الصحافية فتعتبر جزءاً من المجتمع المدني، أو يفترض أن تكون جزءاً منه» باعتبار أن الممارسة الصحفية محكومة بالقواعد المهنية النقابية، وباعتبار أن الصحافة معبرة عن هموم الناس ومصالحهم، وباعتبارها تشكل نوعاً من الرقابة المعنوية المجتمعية»⁽¹⁾ أما الصحافة التي تندرج تحت لواء الدولة وتتكلم بلسانها، فإنها ليست قائمة على الإرادة الحرة، وإن كانت في الظاهر تبدو كذلك؛ فإنها ليست جزءاً من المجتمع المدني، كذلك الصحافة التي تجعل الربح هدفها الأساسي الذي تسعى لتحقيقه؛ إذ إنها تسعى لبث الشائعات وإثارة الفوضى في الدولة، فهي لا تندرج تحت مؤسسات الدولة؛ وفيما يخص المؤسسة التشريعية، والمؤسسة القضائية، فهما مؤسستان ينبغي أن تكونا مستقلتين عن المجتمع المدني والدولة في الوقت نفسه.

الخاتمة

يمر النظام الأخلاقي عند هيجل بثلاث مراحل تبدأ من الأسرة إلى المجتمع المدني إلى الدولة التي هي ذروة التقدم الاجتماعي في نظره، وتمثل الأسرة اللحظة الكلية في هذا النسق أو النظام؛ لأنها تمثل كياناً روحياً واحداً مهما تعدد أفرادها. أما فيما يخص المجتمع المدني فهو على عكس المرحلة السابقة يمثل اللحظة الفردية؛ لأنه مجتمع المصالح الفردية، والتملك، والصراع. أما الدولة فتمثل المرحلة الأخيرة التي تتحقق فيها "الحرية الموضوعية"، الحرية التي لا شقاق فيها ولا نزاع، وبناءً عليه يكتسي المجتمع المدني عند هيجل وظيفة التوسط المطلق بين الأسرة والدولة. وقد توصلنا من خلال هذا البحث إلى أهم النتائج الآتية:

1 - محمد عثمان الخشت، مرجع سبق ذكره، ص 161.

1- تمثل رؤية هيجل للمجتمع المدني انعكاسًا لأحوال المجتمع الألماني، لهذا كان جلّ اهتمامه منصبًا في البحث عن الدولة القوية القادرة على تجاوز هذا الأزمة، من هنا استخدم هذا المفهوم لتأكيد أهمية دور الدولة القومية القادرة على تحقيق الوحدة داخل المجتمع الألماني.

2- إن المجتمع المدني في الفكر الهيجلي مجتمع قائم على التنافس والصراع، وخلصه لا يتحقق إلا بوجود الدولة. وهذه الفكرة أضفت صفة سلبية على مفهوم المجتمع المدني؛ مما أدى إلى زيادة التقديس للدولة، وفتح الطريق أمام الحركات، والفلسفات القومية التي تضع الدولة فوق الجميع.

3- وبناءً عليه أصبحت الدولة عند هيجل هي المجال الذي تتم فيه التضحية بالمصالح الفردية من أجل المصلحة الكلية. إنها كيان واحد يعبر عن الأمة؛ تجتمع فيه اللغة، والدين، والأخلاق، والفكر في آن واحد.

4- فصل هيجل بين السياسي، والاجتماعي، ورغم تمييزه الواضح بين مفهومي المجتمع المدني، والدولة، فإنه أدمج المجتمع المدني تحت ظل الدولة، مادام بإمكانها وحدها أن تُوجَدَ المصالح المتباينة التي يُعبر عنها المجتمع المدني.

5- إن فكرة المجتمع المدني، ومؤسساته توجد في معظم دول العالم، بغض النظر عن طبيعة نظام الحكم القائم فيها، فهي تجسد بالفعل الظروف البيئية المحيطة، ولذلك فهي تختلف من حيث الكم، والكيف، باختلاف الظروف البيئية المحيطة التي تتباين بطبيعة الحال من دولة إلى أخرى.

6- إن البحث في الظروف البيئية الداخلية، والخارجية بأبعادها السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية يؤكد على أن بيئة المجتمع المدني لا تختلف فقط من دولة إلى دولة، بل إنها تختلف من فترة زمنية إلى أخرى في نفسها.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية

- 1- إمام عبد الفتاح إمام، دراسات في الفلسفة السياسية عند هيجل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: بدون، 1993.
- 2- إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة: بدون، 1971.
- 3- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل، الجزء: الأول، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة: الثانية، 2001.
- 4- برتداند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة: محمد فتحي الشنطي، الجزء: الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة: بدون، 2011.
- 5- جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، الطبعة: الأولى، 2004.
- 6- جورج كتوره، السياسة عند أرسطو، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الأولى، 1987.
- 7- جون لوك، في الحكم المدني، ترجمة: ماجد فخري، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت، الطبعة: بدون، 1959.
- 8- روجيه جارودي، فكر هيجل، ترجمة: إلياس مرقص، دار الحقيقة، بيروت، الطبعة: بدون، 1983.
- 9- زكريا إبراهيم، هيجل أو المثالية المطلقة، دار مصر للطباعة، القاهرة، الطبعة: بدون، 1970.

- 10- شارلوت سيمور - سميث، موسوعة علم الإنسان، ترجمة: محمد الجوهري وآخرين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة: بدون، 1998.
- 11- عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 2000.
- 12- فريد خليفة، نقد فلسفة هيغل، دار قباء للنشر والطباعة، القاهرة، الطبعة: بدون، 1998.
- 13- محمد عثمان الخشت، المجتمع المدني عند هيغل، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة: الأولى، 2002.
- 14- مصطفى النشار، فلاسفة أيقظوا العالم، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1998.
- 15- معن زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، مج: الثالث، معهد الإنماء العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1997.
- 16- ميخائيل أنورد، معجم مصطلحات هيغل، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.
- 17- هيغل، أصول فلسفة الحق، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة: بدون، 1996.
- 18- ولتر ستيس، فلسفة هيغل، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1978 .
- 19- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار القلم، بيروت- لبنان، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.

20- يحيى هويدي، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة،
الطبعة: بدون، 1993.

ثانياً: المصادر والمراجع الأجنبية:

1- Hegel, The Philosophy of History, Translated by: J. Sibree,
Dover, Publications, INC, New York, 1965.

2- Hugh A. Reyburn: The Ethical Theory of Hegel, London,
Oxford, University Press, 1921.

3- G.W.F. Hegel, Philosophy of Right, Translated by: T.M.
Knox, London, Oxford, University Press, 1962.

4- George H. Sabine and Thomas L. Thorson, A History of
Political Theory. (Hinsdale, Ill: Dryden Press, 1973).

المجلات والندوات العلمية:

1 - البكاي ولد عبد المالك، ندوة المجتمع المدني، المجتمع المدني، "الدولة
والسوق" دراسة تحليلية للتطور التاريخي لمفهوم المجتمع المدني، مجلة دراسات،
العدد: الرابع والعشرون.

2- عبد الباقي الهرماسي، المجتمع المدني والدولة في الممارسة السياسية الغربية
من القرن التاسع عشر إلى اليوم: دراسة مقارنة، بحث مقدم إلى ندوة المجتمع
المدني التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001.

3- مختار محمد سالم، الدور الخدمي والتوعوي للجمعيات والمؤسسات المدنية
"جمعية ترهونة للعلوم والثقافة أنموذجاً"، مجلة الدراسات الاجتماعية، العدد: الثالث،
2014.

4- ندوة "المجتمع المدني " التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،
1992.

Detection of Land use/ Land cover Changes for Elmergeb Province-Libya using RS and GIS

Faraj Mohamed Melad

Department of Geography

Abstract. Landsat satellite images of Elmergeb Province have been used for the analysis of land use/land cover changes, because the monitoring of LU/LC changes is very important for the planner, management governmental and non-governmental organizations and the scientific community. All landsat images (1985 TM, 1988 TM, and 2003 ETM+) are rectified and registered to a common map projection, Universal Transverse Mercator (UTM) zone 33North. Supervised classification has been applied to classify the images to different land use categories. Seven land use/ land cover classes are identified Irrigation areas, Forest, Rain-fed arable lands, Grazing lands, Urban, Water and Quarries and off-road traffic. The overall accuracy for a 1985 image is 91.80 %, 1988 image is 87.12 % and for a 2003 image is 91.51 %.The aim of this study was to detect land use/land cover changes in Elmergeb Province.

Abbreviations: RS: Remote Sensing, GIS: Geographic Information System, LU/LC: Landuse/ Landcover

1. INTRODACTION:

Land use/land cover changes are important of the global environmental change processes (Dickinson 1995, Hall et al. 1995). The detection and observing of change using satellite multi-spectral image data has been a topic of interest in remote sensing. Land use and land-cover changes have impacts on a wide range of environmental and landscape attributes including the quality of water, land and air resources, ecosystem processes and function, and the climate system itself through greenhouse gas fluxes and surface albedo effects. Several techniques for accomplishing change detection have been formulated, applied and evaluated. A common method for the detection of land use change is to compare two or more images covering the study area at different times. Change detection commonly employs one of two basic methods: pixel-to-pixel comparison and post-classification

comparison (Martin 1989, Greenet al. 1994). Hard classification approaches are statistical methods that map each image pixel exclusively to one specific class (Micheale 2007). The more commonly used statistical methods of image classification include the unsupervised and supervised maximum likelihood methods (Zhang 1999). The supervised approach required more detailed of the area. Unsupervised classification algorithms, such as the Iterative Self Organising Data Analysis, use differences in spectral distances in order to cluster pixels automatically into classes (Main 2007). The aim of this study was to analyse land cover/land use changes between 1985, 1988 and 2003 for Elmergeb Province, Libya, using Landsat Thematic Mapper (TM) and Enhanced Thematic Mapper (ETM+) data.

1-1. Study area:

Elmergeb Province (study area) is located in the north-west of Libya, and it extends from latitude 32° 23' N to 32° 40' N and longitude from 14° E to 14° 26' E (figure 1). It covers about 124 252 ha, ranging from 5 m to 450 m above sea level. It is

bounded by the Mediterranean Sea in the North, by the Zliten region in the East, by the Trhuna region in the South and by the Tripoli region in the West. Elmergeb can be divided into three different zones according to their location and main activities that include irrigation area (Elkhoms region), rain-fed arable lands (Mesalata region) and grazing lands (Dauun region).

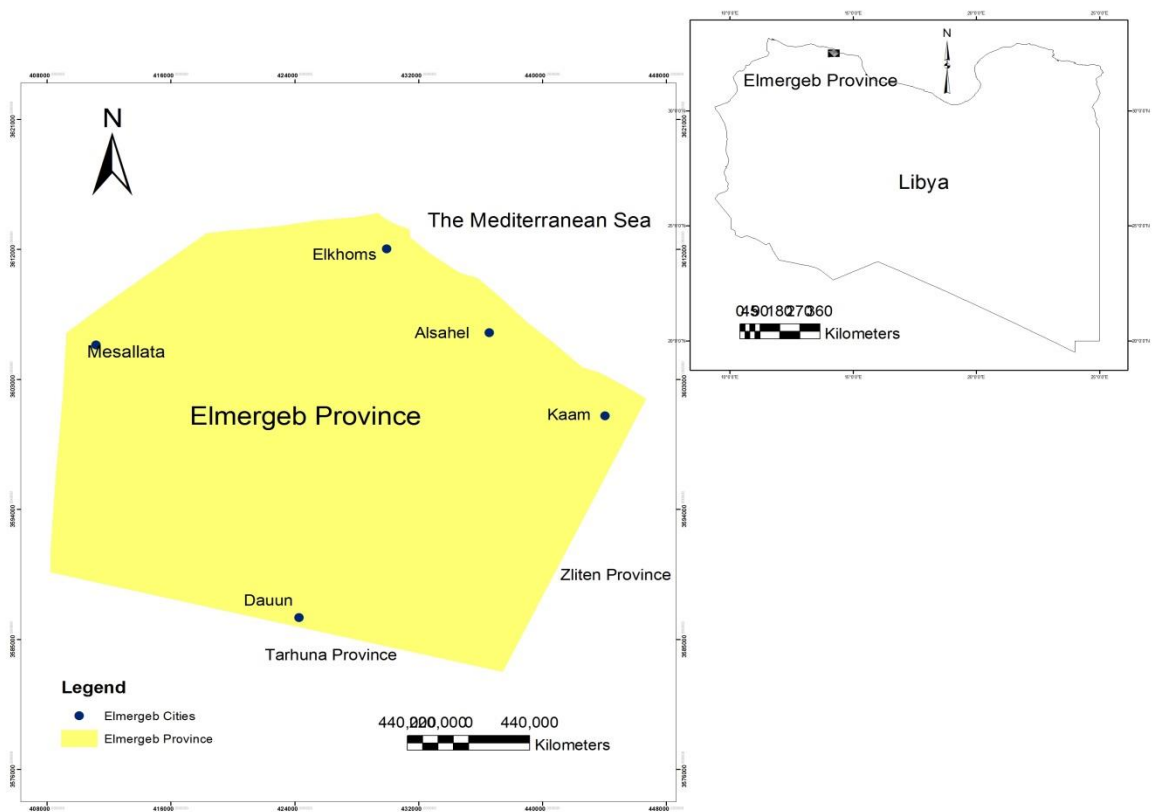


Figure1. Location of Elmergeb Province

1.2. The importance of Elmergeb Province, Libya:

The study area extends in the central part of north-western Libya. The geographic location and conditions of the climate lead to sensitivity of the ecosystem to any changes may occur in climate, and the climate particularly rainfall and soil types are responsible for distribution the vegetation-cover and human activities patterns as well as population distributions in the region since ancient time.

Elmergeb province is characterized by its agricultural importance and diversity of agricultural activities where irrigated agriculture is concentrated in the coastal zone which is known as Elkhoms region, followed by rain-fed agriculture in the middle of the province which is known as Mesalata region, and the grazing lands are concentrated in the south which is known as Dauun region. These characteristics of the region made it centre of the population concentrated since ancient time. The widespread ? of the ruins as Leptis Magna in the region is evidence for concentrating the population in the region especially in middle and north of the province. According to the population distribution in Elmergeb based on

2006 estimation, most of the people concentrate on the coastal zone Elkhoms region where 60 % of the population are living, Mesalata region in the mid region where 30 % of the population are residing and Dauun region in the south which is rural area, about 10 % of the total population are living.

2. Data and methodology:

2.1. Landsat data:

Three Landsat Thematic Mapper (TM) and Enhanced Thematic Mapper-plus (ETM+) images with a spatial resolution of 30 metre, acquired from Landsat, United States Geological Service(USGS), Science for Changing World, were used in this study. The decision to use three Landsat images is based on data availability at the right conditions. Furthermore, the study area falls within one Landsat scene path 188 and raw 37 (table.1). Also, the selection of the three scenes was done carefully in order to avoid phenological changes in plants caused by seasonal variability. Furthermore, the high spatial resolution of Landsat data make them suitable for the current

study, because the data are appropriate for detecting land-use/land-cover changes over time.

Table1. Landsat Scenes, sensor, pixel size and seasons

Data	Sensor	Pixel size, metre	Seasons
15-2-1985	TM 5	28.5	Spring
18-3-1988	TM 4	28.5	Spring
8-2-2003	ETM+	28.5	Spring

2.2. Image processing:

Erdas Imagine version 9.2 software was used for image processing and ArcGIS version 9.3 for mapping the study area. The raw satellite image was converted from file format (Tiff) to file format (img) using Erdas in order to be compatible with other Erdas Imagine files. Then the layers were stacked and subset-scenes to delineate the Elmergeb area for classification.

The images were registered to a common map projection, UTM WGS 84, Zone 33 North.

2.3. Supervised classification

Supervised classification is the essential tool that has been used for quantitative information of remotely sensed data (Agyemang 2007). Using this method, the analyst supervises the pixel categorisation process by specifying, to the computer algorithm, class definitions or signatures of the various land-uses and land-covers present in a scene to train the classifier. To attain that, representative samples sites of known land-use and land-cover types, training sites are used in order to compile a numerical interpretation key that describes the spectral attributes of each feature type of interest (Agyemang 2007).

The supervised classification method was used in this study to classify the images into the various land-cover and land-use categories. In this study, the training sites (table 2) were

determined which basis on the unsupervised classified image, prior knowledge of the researcher and field survey.

Table 2. Number of training pixels for each land use/cover class used in classification

LULC Training Pixels	Number of
Irrigation areas	300
Forests	100
Rain-fed arable lands	500
Grazing lands	450
Urban	250
Water	100
Quarries and off-road traffic	100

2.4. Classification comparison:

The classification change detection method separately classifies multi-temporal images and then implements comparison of thematic maps pixel by pixel (figure 2) (Rivera 2005). The accuracy of the post-classification change detection method is dependent on the accuracy of each of the initial

classifications (Supervised and unsupervised classifications) (Agyemang 2007). The advantages of this method are that it minimizes the impact of atmospheric, sensor and environmental impacts between multi-temporal images and provides a complete matrix of changes information.

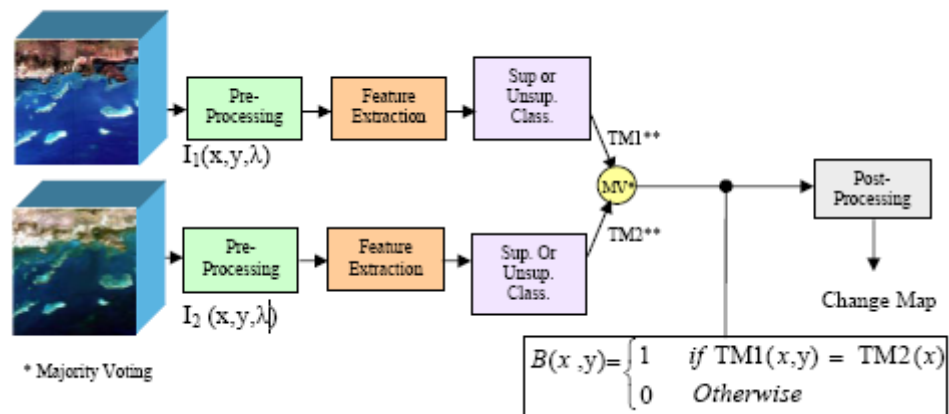


Figure 2. Post-Classification Comparison

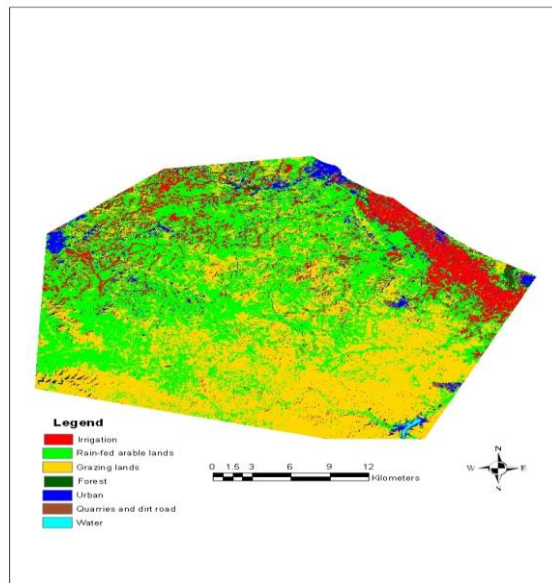
Source: Rivera 2005 Hyper spectral Change detection Using Temporal Principal Component Analysis

3. Classification of the Land-cover/ land-use changes in Elmergeb:

Land-use/cover maps were divided into the following seven classes: 1. Irrigation areas, 2. forest, 3. Rain-fed arable lands, 4. Grazing lands, 5. Urban 6. Water and 7. Quarries (Table 3) and figure (3, 4. and 5).

Table 3. Land-use types Description

Land-use types	Description
Irrigation areas	Areas that have been used for irrigation crops
Forests	Areas covered by forests.
Rain-fed arable lands	Areas used for rain-fed cropping with some trees such as olive trees, almond and palm trees.
Grazing lands	Areas covered by sparse vegetation including mature grass, shrubby plants and bar soil.
Urban	Areas which have been populated with residential, industrial and transportation.
Water	Water behind the Kaam dam.
Quarries and off-road traffic	Cement quarries and dirt roads



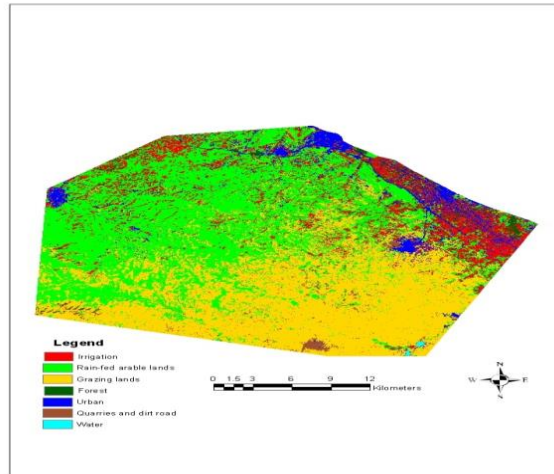
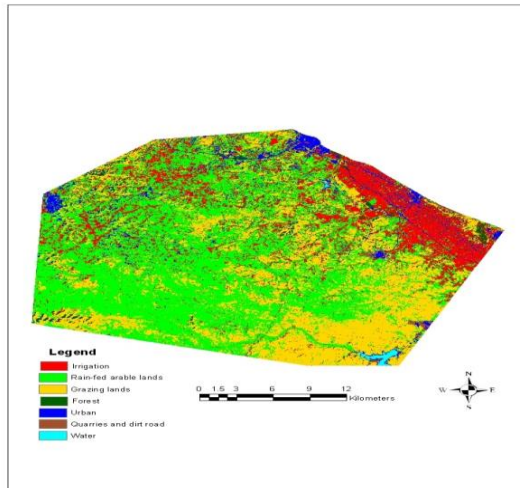


Figure 3-4 and 5. Elmergeb land uses 1988,1988 and 2003
 Using supervised classification seven land use/cover classes were created from the 1985, 1988 and 2003 images. Table 4 shows the gross changes that have occurred between these three dates.

Table 4. Gross land use/cover changes that occurred in Elmergeb, Libya between 1985, 1988 & 2003

Land use/land cover type	Area in ha			Changes in ha			Changes in percent		
	1985	1988	2003	1985 to 1988	1988 to 2003	1985 to 2003	1985 to 1988	1988 to 2003	1985 to 2003
Irrigation	10458.00	13720.32	10035.00	3262.32	-3685.32	-423.00	31.19	-26.86	-4.04
Rain-fed	36102.06	39479.67	35830.71	3377.61	-3648.96	-271.35	9.36	-9.24	-0.75
Grazing	33914.07	24158.07	32508.09	-9756.00	8350.02	-1405.98	-28.77	34.56	-4.15
Urban	3561.93	3816.27	4322.88	254.34	506.61	760.95	7.14	13.28	21.36
Forest	965.79	1536.30	1553.76	570.51	17.46	587.97	59.07	1.14	60.88
Quarries	417.06	2557.53	1192.95	2140.47	-1364.58	775.89	513.23	-53.36	186.04
Water	76.77	227.52	52.29	150.75	-175.23	-24.48	196.37	-77.02	-31.89

Table 4 shows that from 1985 to 2003, a total area of 85496 hectares of land in the Elmergeb was subjected to land use/cover change. Irrigation areas, rain-fed arable land (dry farming) and grazing lands are the most types of human activities in the study area through all years of observation. From 1985 to 1988 the irrigation areas and rain-fed areas increased by 3262.32 ha and 3377.61 ha, respectively, due to the government policies, which aimed to achieve self-sufficiency in vegetables and cereal (wheat and barley), then from 1988 to 2003 these areas decreased by 3685.32 ha (27 %) and 3648.96 (9 %), respectively. These decreases may be

attributed to the low profitability of these activities, the small size of the farms and the effect of the groundwater quality in the irrigation areas. In contrast, from 1985 to 1988, it can be seen that grazing lands have a negative change of 9756 ha (29 %) and then increased between 1988 and 2003, but through the whole of the study period 1985-2003 the grazing areas decreased by 1409 ha (4 %). It can be argued that the agricultural development policies in the late 1980s concentrated on self-sufficiency in cereal (wheat and barley) and vegetable productions through encouraging the expansion of irrigated agriculture and the establishment of irrigated agriculture projects. However, the forest areas have increased by 589 ha (61 %), between 1985 and 2003 due to reforestation campaigns that have been done in the 1970s in order to protect the soil from erosion. The quarry areas increased by 776 ha (186 %) between 1985 and 2003, this increase was due to the concentration of two cement factories in the study area. The population growth in the study area leads to an increase in the urbanisation when the built-up areas have changed by 761ha

(21.3 %) from 1985 to 2003. Water change is not important in the study area because the water is located behind the dams (Kaam and Lebda dams) and affected by inter-annual rainfall variability and temperature.

3.1. Accuracy assessment

Accuracy assessment is important in land-use/land-cover changes because an image classification cannot be completed unless its accuracy has been assessed (Yacouba et al. 2009). In the current study, to produce land-use/land-cover maps, the topographic map and land use/ land-cover map created by Agriculture department of Libya and Landsat image 1985 have been used as base maps.

To produce the accuracy assessment of this study, Error Matrices and Kappa coefficients were applied. According to Oune (2005), the error matrix method which has commonly been used by researchers to assess the overall accuracy, is defined as the total number of correctly classified pixels, and divided by the total number of reference pixels. The Kappa

coefficient is defined as a statistical measure of accuracy that ranges between 0 and 1. It measures how much better the classification is than randomly assigning class values to each pixel. Kappa values > 0.80 mean that there is a high level of accuracy between the classification map and the ground-reference information. Kappa values between 0.40 and 0.80 indicate moderate accuracy and Kappa values < 0.40 represent poor accuracy.

Accuracy assessment was applied to all land-use/land-cover maps that were produced from Landsat imagery for 1985, 1988 and 2005. The accuracy results for each land-use/land-cover map are summarized in table 5.

Table 5. Land-use/land-cove classification, accuracy assessment (1985, 1988 and 2003)

Land-use/land cover class	Overall Accuracy	Kappa statistics
1985	91.80 %	0.90
1988	87.12 %	0.84

2003	91.51 %	0.89
------	---------	------

The overall accuracy for each land-use/land-cover map is high, and always higher than 80 %. The highest accuracy map was

1985	1988	
------	------	--

92 %, for year 1985 and the lowest was 87 % for 1998. Kappa statistics for all maps ranges from 0.84 to 0.90, which means that there was high level of agreement between all land-cove/land-use maps created in this study compared with ground-truth data and prior knowledge of the study area.

3.2. Change matrices:

The changes matrices between 1985-1988, 1988-2003 and 1985-2003 were calculated for Elmergeb, Libya by overlaying land-use maps in three periods between 1985, 1988 and 2003 (table 6 a &b).

Table 6 a. Land-use transition matrices between 1985, 1988 and 2003 (ha)

	irrigation	Rain-fed	Grazing	Urban	Forest	quarries	Water	Areas ha
irrigation	4608.36	6292.62	1847.70	688.50	258.12	24.93	0.09	13720.32
Rain-fed	3101.94	20073.24	14868.27	1086.75	190.17	156.33	2.97	39479.67
Grazing	1358.82	6661.17	15173.64	602.37	250.56	105.48	6.03	24158.07
Urban	814.59	1452.06	653.31	772.47	76.77	33.84	13.23	3816.27
Forest	364.59	470.52	435.60	106.47	154.80	3.87	0.45	1536.30
quarries	205.56	1100.97	885.51	235.98	33.21	85.32	10.98	2557.53
Water	4.14	51.48	50.04	69.39	2.16	7.29	43.02	227.52
	2003							
1988	irrigation	Rain-fed	Grazing	Urban	Forest	quarries	Water	Areas ha
irrigation	5226.84	2064.51	1559.79	546.48	535.32	53.91	48.15	10035.00
Rain-fed	6250.95	22281.75	5578.47	825.03	149.94	689.85	54.72	35830.71
Grazing	703.44	14088.87	15976.98	471.51	116.55	1098.09	52.65	32508.09
Urban	873.99	672.12	453.51	1817.01	117.54	380.25	8.46	4322.88
Forest	646.92	43.92	124.11	111.60	614.70	4.68	7.83	1553.76
quarries	18.18	328.50	465.12	44.37	2.25	330.66	3.87	1192.95
Water	0.00	0.00	0.09	0.27	0.00	0.09	51.84	52.29
	2003							
1985	irrigation	Rain-fed	Grazing	Urban	Forest	quarries	Water	Areas ha
irrigation	3273.48	4166.91	1705.86	602.64	252.00	27.18	6.93	10035.00
Rain-fed	4599.18	20942.10	8477.55	1356.21	356.67	90.54	8.46	35830.71
Grazing	630.72	8745.21	22284.81	479.61	115.29	213.12	39.33	32508.09
Urban	1325.34	1464.75	486.72	916.74	85.05	42.93	1.35	4322.88
Forest	594.54	433.53	261.90	116.19	143.10	3.42	1.08	1553.76
quarries	33.93	342.09	684.54	69.84	13.50	39.78	9.27	1192.95
Water	0.81	7.47	12.69	20.70	0.18	0.09	10.35	52.29

table 6 b. Land-use transition matrices between 1985, 1988 and 2003 (%)

	1988							
1985	irrigation	Rain-fed	Grazing	Urban	Forest	quarries	Water	
Irrigation	33.59	45.86	13.47	5.02	1.88	0.18	0.00	100.00
Rain-fed	7.86	50.84	37.66	2.75	0.48	0.40	0.01	100.00
Grazing	5.62	27.57	62.81	2.49	1.04	0.44	0.02	100.00
Urban	21.35	38.05	17.12	20.24	2.01	0.89	0.35	100.00
Forest	23.73	30.63	28.35	6.93	10.08	0.25	0.03	100.00
Quarries	8.04	43.05	34.62	9.23	1.30	3.34	0.43	100.00
Water	1.82	22.63	21.99	30.50	0.95	3.20	18.91	100.00
	2003							
1988	irrigation	Rain-fed	Grazing	Urban	Forest	quarries	Water	

Irrigation	52.09	20.57	15.54	5.45	5.33	0.54	0.48	100.00
Rain-fed	17.45	62.19	15.57	2.30	0.42	1.93	0.15	100.00
Grazing	2.16	43.34	49.15	1.45	0.36	3.38	0.16	100.00
Urban	20.22	15.55	10.49	42.03	2.72	8.80	0.20	100.00
Forest	41.64	2.83	7.99	7.18	39.56	0.30	0.50	100.00
Quarries	1.52	27.54	38.99	3.72	0.19	27.72	0.32	100.00
Water	0.00	0.00	0.17	0.52	0.00	0.17	99.14	100.00
1985	2003							
	irrigation	Rain-fed	Grazing	Urban	Forest	quarries	Water	
Irrigation	32.62	41.52	17.00	6.01	2.51	0.27	0.07	100.00
Rain-fed	12.84	58.45	23.66	3.79	1.00	0.25	0.02	100.00
Grazing	1.94	26.90	68.55	1.48	0.35	0.66	0.12	100.00
Urban	30.66	33.88	11.26	21.21	1.97	0.99	0.03	100.00
Forest	38.26	27.90	16.86	7.48	9.21	0.22	0.07	100.00
Quarries	2.84	28.68	57.38	5.85	1.13	3.33	0.78	100.00
Water	1.55	14.29	24.27	39.59	0.34	0.17	19.79	100.00

Table 6 b shows that between 1985 and 1988 the main conversion of irrigation area was into rain-fed agriculture (46 %) and grazing lands (13 %). The rain-fed arable lands which cover most of the area in the region were converted to grazing lands by 38 %, and to the irrigation areas by 8 %. In the grazing lands most of the conversions can be observed into the rain-fed arable lands by 63 %.

The transition matrix of land-use change between 1985 and 2003 showed that most of the irrigation areas were converted into the rain-fed arable lands and grazing lands with the rates of 41 % and 17 %. The rain-fed arable lands are transferred

into grazing lands by 24 % and to the irrigation areas by 13 %. Most of the grazing lands remained as grazing lands by 69 % and the converting lands were ? into the rain-fed areas by 27 %.

4. Conclusion:

A post-classification technique was used in this study based on hybrid classifications (supervised classification). Seven land use/land cover classes were produced. From 1985 to 2003, a total area of 85496 hectares of land in the Elmergeb was subjected to land use/ cover change. Irrigation areas, rain-fed arable land (dry farming) and grazing lands are the most types of landuse in the study area through all years of observation. The overall accuracy for each land-use/land-cover map is high, and always higher than 80 %. The highest accuracy map was 92 %, for year 1985 and the lowest was 87 % for 1998. Kappa statistics for all maps range from 0.84 to 0.90, which means that there was high level of agreement between all land-cove/land-use

maps created in this study compared with ground-truth data and prior knowledge of the study area.

The transition matrix of land-use change between 1985 and 2003 showed that most of the irrigation areas were converted into the rain-fed arable lands and grazing lands with the rates of 41 % and 17 %. The rain-fed arable lands are transferred into grazing lands by 24 % and to the irrigation areas by 13 %. Most of the grazing lands remained as grazing lands by 69 % and the converting lands were? into the rain-fed areas by 27 %.

5. References:

- Agyemang, Isaac (2007), 'Assessment of Environmental Degradation in Northern China:A GIS Based Participatory Approach.School of Geography .Ph D Thesis.University of Leeds.
- Dickinson, R., 1995, Land processes in climate models. *Remote Sensing of Environment*, 51,27–38.
- Green, K., Kempka, D., and Lackey, L., 1994, Using remote sensing to detect and monitoring land-cover and land-use change. *Photogrammetric Engineering and Remote Sensing*, 60, 331–337.
- Hall, F. G., Townsend, J. R., and Engman, E. T., 1995, Status of remote sensing

- algorithms for estimation of land surface state parameters. *Remote Sensing of Environment*, 51, 138–156.
- Martin, L. R. G., 1989, An evaluation of Landsat-based change detection methods applied to the rural–urban fringe. In *Remote Sensing and Methodologies of Land Use Change Analysis*, edited by C. R. Bryant, E. F. LeDrew, C. Marois and F. Cavayas (Waterloo, Canada: University of Waterloo), pp. 101–116.
- Main, R.S. (2007), A Remote sensing change detection study in the arid Richtersveld region of South Africa (University of the Western Cape).
- Michaela, B (2007). Quantifying the spatio-temporal dynamics of woody plant encroachment using an integrative remote sensing, GIS, and spatial modelling approach, Ph D thesis. University of Oklahoma.
- Oune ,Omer. (2005) Monitoring Desertification in South West Tripoli, Ph D Thesis. University of Dundee. UK.
- Rivera, Vanessa Ortiz (2005), 'Hyper spectral Change detection Using Temporal Principal Component Analysis', (University of Puerto Rico).
- Zhang, X (1999) Soil-Erosion Modelling at the Global Scale Using Remote Sensing and GIS, Ph D Thesis, University of London.UK.

